

محمّد عبد القادر المولويّ الوكّمي

وإسهاماته في اللّغة العربيّة والترجمة

أطروحة مُقدّمة إلى جامعة كاليكوت لنيل درجة الدكتوراه في اللّغة العربيّة وآدابها

إعداد:

إ. يوسف صاحب

تحت إشراف

الدكتور / سيّد محمد شاكر

عميد كلية مدينة العلوم العربيّة سابقاً، بوليكال، مالابرام، كيرلا، الهند



جامعة كاليكوت

كيرلا - الهند

1447هـ

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ
رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا
وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ
وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا
رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ

الإهداء

إِلَى مَنْ غَرَسَا فِي قَلْبِي حُبَّ الْعِلْمِ،
وَسَقَيَا رُوحِي بِنُورِ الْيَقِينِ،
إِلَى مَنْ حَمَلَا عَنِّي مَشَقَّةَ الْبِدَايَاتِ،
وَتَلَذَّذَا بِرُؤْيَا الْخُطَى الْأُولَى عَلَى دَرَبِ الْمَعْرِفَةِ...
أُهْدِي هَذِهِ الْأَطْرُوحَةَ لِوَالِدَيَّ الْكَرِيمَيْنِ،
عَرَفَانَا بِفَضْلٍ لَا يُنْسَى،
وَشُكْرًا لَا يُحْصَى،
وَذِكْرًا لَا تَنْهَتْ مَا دَامَ فِي الْقَلْبِ نَبْضٌ،
وَقَدْ ارْتَحَلَا إِلَى دَارِ الْجَزَاءِ،
فَسَكَنَّا فِي مَثَاوِي الرَّحْمَةِ،
وَجَزَاهُمَا اللَّهُ عَنِّي خَيْرَ الْجَزَاءِ.

من رسالة المولوي الوكّعي المنشورة في مجلة المنار:

"... هَذَا، وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي أَنْ أَسْأَلَكُمْ أَنْ تُوَاصِلُوا عَلَيَّ ذَلِكَ الْكَرَمَ الَّذِي غَمَرْتُمُونِي بِهِ تِسْعَ سَنَوَاتٍ، وَلِهَذَا فَإِنِّي مُسْتَعِدٌّ لِأَنْ أَدْفَعَ إِلَيْكُمْ مَبْلَغًا تَرْضَوْنَهُ لِي ثَمَنًا لِلْمَنَارِ، أَوْ كُلَّهُ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ مِنْ ضَيْقِ الْيَدِ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، فَإِنِّي وَاثِقٌ بِأَنِّي لَا أَكُونُ مَحْرُومًا مِنْ قِرَاءَةِ الْمَنَارِ؛ فَإِنَّ حُبَّ الْمَنَارِ قَدْ امْتَرَحَ بِدَمِي، وَصَارَتْ قِرَاءَتُهُ قُوتَ رُوحِي، حَتَّى لَا أَسْتَطِيعَ فِرَاقَهُ، وَلَا يَطِيبُ لِي الْعَيْشُ بِدُونِهِ، وَلَوْلَا أَنَّهُ يَأْتِي لِأَصْدِقَائِي الْمَذْكُورِينَ، وَتَمَكَّنْتُ مِنْ اسْتِعَارَةِ أَجْزَاءٍ مِنْهُ مِنْهُمْ أَحْيَانًا، لَضِيقْتُ ذَرْعًا..."

(مجلة المنار، صفر 1348هـ / يوليو 1929م، المجلد 30، الجزء 2، ص. 140)

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على نبينا وسيدنا وحبيبنا محمد، خير من نطق بالضاد، وعلى آله وصحبه الكرام. أما بعد:

فإن اللغة العربية، بما تحمله من تاريخ مجيد، وثراء لغوي وأدبي، لم تكن حكراً على العرب وحدهم، بل وجدت صداها في بقاع الأرض، وازدهر في سمائها أعلامٌ من غير العرب ممن جعلوا لها نصيباً من فكرهم وعطائهم. ومن بين هؤلاء الأعلام برز الشيخ محمد عبد القادر المولوي الوكّفي، الذي لم يكن مجرد عالمٍ في اللغة، بل كان مصلحاً، ومترجماً، وصاحب فكرٍ مستنير، حمل همّ النهضة العلمية والثقافية بين أبناء أمته، وسعى إلى ترسيخ مكانة العربية في بيئته الهندية، حيث كانت الجهود اللغوية تُسهم في توطيد الهوية الإسلامية والثقافية.

لقد شهدت ولاية كيرالا الهندية طلوع فجر أحد رجالها العظماء، فكان المولوي الوكّفي رمزاً للعلم والتجديد، وأحد أعمدة الإصلاح الفكري واللغوي. ولدَ هذا العالم الجليل في بيئة امتزجت فيها التقاليد الإسلامية مع الثقافات المحلية، الأمر الذي جعله يقف على مفترق طرق بين التراث والحداثة، فاختر لنفسه طريقاً يجمع بين الأصالة والمعاصرة. فكان لعلمه أثر بالغٌ في نشر اللغة العربية، حيث سعى إلى تدريسها وترجمتها ونشر ثقافتها بين أبناء وطنه، مؤمناً بأن العربية ليست مجرد أداة تواصل، بل هي لغة الدين والحضارة.

تُعدُّ إسهامات المولوي الوكّفي في اللغة العربية والترجمة من أبرز المحطات التي تستحق البحث والتأمل، فقد بذل جهده في ترجمة النصوص الدينية والفكرية، وأثرى المكتبة العربية في الهند بترجماته وبمؤلفاته وبمقالاته، فكان قلمه صادقاً في الدفاع عن القيم الإسلامية، وسلاحاً في وجه محاولات طمس الهوية اللغوية والثقافية. لقد كان يؤمن بأن تعليم العربية لا ينبغي أن يكون حكراً على العلماء أو رجال الدين، بل يجب أن يكون متاحاً لكل فردٍ يسعى إلى فهم تراثه الديني والثقافي.

كما أن فكر المولوي الوكّفي لم يقتصر على حدود التعليم والتأليف والترجمة، بل امتد إلى ميادين الصحافة والإعلام، حيث أدرك أهمية الكلمة المكتوبة في إحداث التغيير المجتمعي، فانخرط في مشاريع نشرية وتعليمية، وساهم في تأسيس صحف ومجلات ساعدت في نشر الفكر الإسلامي المستنير، والتوعية بالقضايا الثقافية والاجتماعية. وكان من أبرز العوامل التي أثرت في مسيرته الفكرية تأثره العميق بمجلة المنار التي

أنشأها العلامة السيد محمد رشيد رضا في مصر، والتي كانت منبراً للإصلاح والتجديد والنهضة في العالم الإسلامي.

لقد شكلت مجلة المنار بزعامه رشيد رضا مدرسة فكرية إصلاحية، سعت إلى إعادة الأمة إلى أصولها الإسلامية النقية، محاربة البدع والخرافات، داعيةً إلى الاجتهاد والتجديد، فكانت لها تأثيرات عميقة في أنحاء العالم الإسلامي، ووصلت أصداؤها إلى الهند وسومطرة وجزر الملايو من القارة الإفريقية وإلى كل ربوع العالم، حيث رحب رسالتها العلماء والمصلحون هناك، وكان المولوي الوكّمي من بين هؤلاء الذين تأثروا بها، فتبنى كثيراً من أفكارها في كتاباته ومقالاته، خاصة في ترجماته. وأسس مجلاتٍ استلهمت نهجها الإصلاحي، مثل مجلة المسلم ومجلة الإسلام، ومجلة ديفكا وجريدة سوديشا بيما ني حيث حملت رسائلها مبادئ التنوير الإسلامي، ودافعت عن الأصالة اللغوية، وربطت بين العربية كمقوم حضاري، وبين النهضة الفكرية لمسلمي الهند.

لقد كانت مجلة المنار المصري منبراً للتصدي والدفاع لموجات التغريب والغزو الفكري الذي كان يسعى إلى طمس الهوية العربية والإسلامية، كما كانت قلعة للدفاع عن التراث الإسلامي في وجه حملات التشكيك، الأمر الذي انعكس جلياً في كتابات المولوي الوكّمي الذي حارب الجمود الفكري والتقليد الأعمى، ودعا إلى فهم الدين من منابعه الصافية، وإلى الجمع بين الأصالة والتجديد، وهو النهج ذاته الذي سار عليه العلامة السيد رشيد رضا من قبل. وقد بذل المولوي الوكّمي جهوداً مُضنية في نشر هذه الأفكار بين مسلمي الهند، مستخدماً الترجمة والصحافة والتعليم كأدوات فاعلة في مشروعه الإصلاحي.

إن هذه الأطروحة تسعى إلى إلقاء الضوء على شخصية محمد عبد القادر المولوي الوكّمي من خلال دراسة جهوده في نشر اللغة العربية، وإسهاماته في الترجمة، ودوره في تعزيز الثقافة الإسلامية في الهند. وتحاول هذه الدراسة تقديم قراءة تحليلية لمسيرته العلمية، والكشف عن تأثيره في مجتمعه، ومدى إسهاماته في الحفاظ على الهوية اللغوية والثقافية لمسلمي الهند.

ولتحقيق هذا الهدف، تنقسم الأطروحة إلى خمسة فصول رئيسية، تتناول حياته ونشأته، ثم تتطرق إلى أعماله اللغوية والترجمية، مع تحليل منهجه في نشر العربية، ومقارنة جهوده بجهود معاصريه في المجال ذاته. كما تُبرز الأطروحة أثره على الأجيال التي جاءت بعده، وتناقش مدى استمرارية تأثير أفكاره حتى يومنا هذا.

فإن الدراسة عن شخصية محمد عبد القادر المولوي الوكّمي ليست مجرد إطلالة على تاريخ فرد، بل هي نافذة لفهم مرحلة مهمة من تاريخ العربية في الهند، وكيف استطاع العلماء غير العرب أن يحملوا لواءها، ويجعلوها لغة حية في بيئات لم تكن العربية فيها لغة أم. ولعل هذا البحث يضيف لبنةً في صرح الدراسات

العربية، ويفتح الباب أمام المزيد من الأبحاث حول الشخصيات التي أسهمت في نشر لغة القرآن الكريم في ربوع العالم.

لقد كان الشيخ محمد عبد القادر المولوي رحمه الله شخصية عظيمة كرّست حياته لخدمة اللغة العربية في ولاية كيرالا، حيث بذل جهودًا جبارة، وواصل الليل بالنهار، ليجعل من العربية جزءًا أصيلًا في المنهاج التعليمي، ومكوّنًا حيويًا في المؤسسات الأكاديمية والتربوية. لم يكن مجرد منادٍ بأهمية اللغة، بل كان من صنّاع المنهج وأرباب الميدان، حيث خطط بيده مشاريع تعليمية، وكتب تصورات وبرامج متكاملة، عمل من خلالها على تعليم اللغة العربية، وتدريب أجيال من الطلبة والمعلّمين، الذين صاروا فيما بعد من أساتذة اللغة ورؤّادها في ربوع كيرالا.

ففي حياته المباركة، ربّى المئات من المتعلمين، حتى غدوا قادرين على الكتابة بالعربية، وقراءة نصوصها وفهمها بعمق، وترجمة المعاني من العربية وإليها، وقد برز من بينهم عدد كبير من المتخصصين البارعين في الترجمة والبحث والتأليف. ومن هنا، فقد قدّم الشيخ خدمات جليلة للمجتمع الكيرالي، وترك بصمات لا تُنسى في مسيرة تعليم العربية ونشرها، وكان بحق حامل لواء العربية في أرضٍ لم تكن العربية فيها لغة قوم. ومع ضخامة هذه الجهود، فقد ظلّ غياب دراسة أكاديمية متكاملة باللغة العربية عن حياة هذا المصلح الكبير ومسيرته العلمية والتربوية فراغًا مؤلمًا في المكتبة العربية والبحثية، وهو ما يُعد نقصًا كبيرًا، خصوصًا إذا علمنا أن رسالته لم تقتصر على أبناء قومه، بل امتدت لتكون رسالة إنسانية فكرية يمكن أن تنهل منها مجتمعات أخرى.

ولذا، تأتي هذه الأطروحة لتسدّ هذا الفراغ، محاولَةً جمع آثار المولوي وجهوده، وتحليل منهجه، وتقديم شخصيته كما هي للأمة العربية والإسلامية، مع الأمل الصادق في أن تحظى هذه الدراسة بالقبول الأكاديمي، وأن تُعتمد في الأوساط العلمية، وأن تكون باعثًا على مزيد من الدراسات والبحوث المستقبلية عن هذه القامة العلمية الفريدة. إذ نقدّم هذا الجهد إلى المجتمع العلمي والباحثين والمهتمين، نضرب إلى الله تعالى أن يباركه، وأن يجعله صدقةً جارية في ميزان حسنات هذا العالم الجليل، وأن يلهمنا الاستزادة من العلم والعمل، وخدمة لغة القرآن الكريم كما خدمها هو، والله ولي التوفيق.

تحليل عنوان الأطروحة

"محمد عبد القادر المولوي الوكّمي وإسهاماته في اللغة العربية والترجمة"

يتكوّن العنوان من عنصرين رئيسيين:

1. الشخصية محور الدراسة: "محمد عبد القادر المولوي الوكّمي".

- يشير إلى شخصية علمية بارزة نشأت في جنوب ولاية كيرالا بالهند، واشتهرت بإسهاماتها اللغوية والأدبية والفكرية والثقافية.
- لقب "المولوي" يعكس مكانته العلمية والدينية، بينما "الوگي" نسبة إلى موطنه في منطقة "وگم" في جنوب كيرالا، مما يربط الشخصية بسياقها الاجتماعي والثقافي.
- شخصيته لم تقتصر على كونه عالمًا لغويًا أو مترجمًا فقط، بل كان أيضًا مصلحًا ومفكرًا تأثر بالحركات الإصلاحية الإسلامية.

2. مجال الدراسة والمساهمة: "إسهاماته في اللغة العربية والترجمة".

- "الإسهامات" تدل على الجهد الفكري الذي بذله المولوي في نشر العربية وتعليمها وترجمتها، مما يعطي بُعدًا تحليليًا للبحث.
- "اللغة العربية" كمحور رئيسي في الدراسة، حيث يُبرز الدور الذي لعبه في تعزيز مكانتها في الهند، سواء من خلال الترجمة أو التعليم، أو التأليف، أو تطوير المناهج.
- "الترجمة": تعكس دوره في نقل المعارف بين اللغات المختلفة، وخاصة بين العربية واللغات المحلية، مما أسهم في تعزيز التواصل الثقافي بين الحضارات الإسلامية والهندية.

الأبعاد العلمية للعنوان:

1. البُعد التاريخي:

- يسلط العنوان الضوء على شخصية بارزة في مرحلة زمنية شهدت تطورات فكرية ولغوية مهمة في كيرالا الهند.
- يعكس دوره في النهضة الثقافية لمسلمي كيرالا الهند، حيث ساعد في نشر العربية بين الناطقين بغيرها.

2. البُعد اللغوي والتربوي:

- يبرز الدراسة في سياق تعليم اللغة العربية في كيرالا وتأثير العلماء غير العرب في نشرها.
- يناقش الدور الذي لعبه المولوي في تطوير المناهج اللغوية والمساهمة في الترجمة وتأليف الكتب.

3. البُعد الإصلاحي والفكري:

- يكشف العنوان عن تأثيره الفكري المستمد من الحركات الإصلاحية الإسلامية، لا سيما من مجلة المنار ورائدها العلامة السيد رشيد رضا المصري.
- يعكس جهوده في الترجمة كوسيلة لنقل الفكر العربي والإسلامي المستنير إلى المجتمع كيرالا، مما ساعد في نشر الفكر الإصلاحي والدعوة إلى التجديد.

تأثير مجلة المنار وعلامة السيد رشيد رضا على فكر المولوي الوگي:

تشير الدراسات إلى أن محمد عبد القادر المولوي الوكّمي تأثر عميقًا بأفكار رشيد رضا ومجلته المنار، التي كانت منبرًا للإصلاح والتجديد الفكري في العالم الإسلامي.

- مجلة المنار لعبت دورًا في نشر الفكر السلفي التجديدي ومحاربة البدع والخرافات، وهو الاتجاه الذي تبناه المولوي في كتاباته ومقالاته.
- كانت المجلة منبرًا لنشر الأفكار التربوية والدعوية التي أثرت على العلماء في العالم الإسلامي، بما في ذلك كيرلا الهند، حيث انتشرت طبعاتها وأفكارها بين العلماء والمصلحين.
- استلهم المولوي الوكّمي نهج مجلة المنار في تأسيس مجلاته الإصلاحية، مثل مجلة المسلم ومجلة الإسلام ومجلة ديفيكا. وسعى إلى تعزيز الفكر العربي الإسلامي المستنير بين مسلمي كيرلا الهند.

الدلالة البحثية للعنوان:

- العنوان محدد بدقة ويركز على شخصية علمية بارزة وجهودها اللغوية والترجمية، مما يجعل الدراسة ذات طابع تحليلي وتوثيقي.
- يثير العنوان تساؤلات بحثية مهمة مثل :
 - كيف ساهم المولوي في نشر العربية بين مسلمي كيرلا ؟
 - ما هي المناهج والكتب التي ألفها أو ترجمها؟
 - كيف تأثرت أفكاره بالإصلاحات الفكرية الإسلامية المعاصرة، مثل مجلة المنار؟
 - ما أثر أعماله على الأجيال اللاحقة من العلماء والمترجمين في كيرلا الهند؟

أهمية البحث

وكما يعكس العنوان توجهًا بحثيًا يعالج التاريخ الفكري واللغوي لمسلمي كيرلا، ويجمع بين الجوانب التربوية، واللغوية، والفكرية لشخصية المولوي الوكّمي. كما أن إدراج دور الترجمة في العنوان يعكس أهمية التفاعل الثقافي بين كيرلا والعالم العربي، مما يجعل الأطروحة ذات بعد عالمي وإقليمي في آن واحد.

ويكشف البحث عن الروابط الفكرية التي جمعت الإصلاح الإسلامي في كيرلا بالحركات الفكرية في العالم العربي، حيث تأثرت ولاية كيرلا بالحركات الإصلاحية في مصر، والتي كان يقودها رموز مثل الأستاذ جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، و سيد رشيد رضا. ويؤكد البحث على أن النهضة الفكرية في كيرلا الهند لم تكن معزولة عن التيارات الفكرية العالمية، بل كانت جزءًا من حركة التجديد والإصلاح الإسلامي الشاملة.

يُعد العنوان مدخلًا دقيقًا لفهم محتوى البحث، حيث يعكس الدور البارز الذي لعبه محمد عبد القادر المولوي الوكّمي في نشر اللغة العربية والترجمة، كما يوضح كيف ساهمت الصحافة والفكر الإصلاحي في

تعزيز الهوية الإسلامية لمسلمي كيرلا الهند. ويبرز البحث مدى تأثير الفكر الإسلامي في الهند بالحركات الإصلاحية في العالم العربي، مما يجعل دراسة هذه الشخصية جزءاً مهماً من فهم النهضة الفكرية الحديثة في الهند والعالم الإسلامي.

دوافع اختيار الموضوع

إن اختيار موضوع "محمد عبد القادر المولوي الوكّمي وإسهاماته في اللغة العربية والترجمة" جاء استجابة لحاجة معرفية وأكاديمية تسلط الضوء على شخصية فكرية بارزة كان لها تأثير عميق في نهضة المسلمين في ولاية كيرلا بجنوب الهند. هذا البحث لا يهدف فقط إلى استعراض حياة المولوي، بل يسعى إلى تحليل فكره ومساهماته في مجالات اللغة والترجمة والإصلاح الديني والاجتماعي.

إبراز دور العلماء غير العرب في خدمة العربية:

لقد حمل المولوي الوكّمي لواء اللغة العربية في بيئة غير ناطقة بها، حيث عمل على ترسيخها وتعليمها وترجمتها إلى اللغات المحلية في كيرلا الهند. ويمثل هذا البحث محاولة لفهم كيف استطاع العلماء المسلمون في خارج العالم العربي الحفاظ على هوية اللغة العربية كلغة علم وحضارة رغم التحديات الثقافية والاستعمارية.

التأثير العميق لمجلة المنار وسيد رشيد رضا:

يُعد السيد رشيد رضا ومجلته المنار أحد المصادر الأساسية التي أثرت في فكر المولوي، حيث استلهم منها مبادئ الإصلاح الديني والفكري، وسعى إلى تطبيقها في ولاية كيرلا عبر الصحافة والتعليم والدعوة إلى التوحيد ومقاومة البدع. وتبرز هذه الدراسة كيف أن الأفكار الإصلاحية الصادرة عن العالم العربي امتدت إلى الهند وأسهمت في تشكيل النهضة الأدبية والإسلامية الحديثة هناك.

دور الترجمة في النهضة الفكرية في كيرلا الهند:

من بين الأسباب التي دفعت إلى اختيار هذا الموضوع هو التركيز على دور الترجمة كجسر ثقافي بين العالم العربي والمسلمين في كيرلا الهند، فقد قام المولوي بترجمة النصوص الدينية والفكرية إلى اللغات المحلية، مما ساعد في نشر الوعي الإسلامي بين المسلمين غير الناطقين بالعربية، وعزز من حضور الإسلام في المجتمع الهندي.

استخدام الصحافة كوسيلة للتغيير منذ أيام الاستعمار:

من الدوافع المهمة لهذا البحث هو استكشاف كيف لعبت الصحافة دورًا أساسيًا في مشروع المولوي الإصلاحي. فقد أنشأ مجلات مثل "ديفكا" و"المسلم" و"الإسلام"، مستلهماً تجربة مجلة المنار، وعمل من خلالها على مكافحة الاستعمار الفكري والثقافي، وتعزيز الفكر الإسلامي المستنير. لذلك، تم اختيار هذا الموضوع لتحليل كيف يمكن للإعلام أن يكون وسيلة فعالة لنشر الأفكار في مجال الإصلاح والتجديد.

مقاومة الاستعمار والتحديات الثقافية:

شهدت ولاية كيرلا تحديات ثقافية واستعمارية جعلت من الضروري إبراز جهود المصلحين في الدفاع عن الهوية الإسلامية في وجه التغريب والاستعمار. وقد كان المولوي أحد الرموز التي استخدمت التعليم والدين والصحافة كوسائل لمقاومة محاولات الاستعمار لطمس الهوية الإسلامية لمسلمي كيرلا الهند.

يُعتبر البحث عن إسهامات محمد عبد القادر المولوي الوكّمي فرصة لاستكشاف دور اللغة والترجمة والصحافة في النهضة الفكرية لمسلمي كيرلا الهند، وفهم العلاقة بين الحركات الإصلاحية في كيرلا والعالم الإسلامي. كما أنه يلقي الضوء على كيف يمكن للأفكار الإصلاحية أن تنتشر عبر الترجمة والإعلام، وتؤثر في مجتمعات بعيدة جغرافياً ولكنها متصلة فكرياً وروحياً بالعالم الإسلامي.

أهداف البحث

إن هذه الدراسة تسعى إلى تقديم رؤية شاملة حول شخصية محمد عبد القادر المولوي الوكّمي، الذي كان رائداً في نشر اللغة العربية في كيرلا الهند، ومصلحاً فكرياً، ومترجماً بارعاً أسهم في مدّ الجسور بين العالم العربي والمسلمين في كيرلا. ولم يكن اختياره لمجال الترجمة واللغة العربية مجرد اجتهاد فردي، بل كان مشروعاً نهضوياً متكاملًا، هدفه إحياء الهوية الإسلامية لمسلمي كيرلا وتعزيز حضور العربية كمقوم حضاري وديني. وانطلاقاً من هذه الرؤية، يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

دراسة شخصية المولوي الوكّمي وتأثيره الفكري:

يهدف البحث إلى تحليل سيرة هذا العالم الجليل، وإبراز العوامل التي صاغت فكره، والتعرف على مدى تأثيره في المشهد الثقافي لمسلمي كيرلا، من خلال جهوده في التعليم، والصحافة، والكتابة، والترجمة. كما يتتبع البحث كيف استطاع هذا المصلح أن يكون جسراً يربط بين الثقافات الإسلامية المختلفة، من خلال دمج التراث العربي بالفكر الإسلامي الهندي.

تسليط الضوء على دوره في نشر اللغة العربية:

كان للمولوي الوكّمي دور كبير في إحياء اللغة العربية بين مسلمي كيرلا الهند، حيث عمل على تدريسها، ووضع المناهج التعليمية، والتأليف بلغتين، مما جعلها جزءاً من الحياة الثقافية لمسلمي كيرلا. كما يسعى البحث إلى تحليل كيف استطاع، رغم البيئة غير الناطقة بالعربية، أن يجعل منها لغة تعليم ودين وحضارة.

دراسة أثر مجلة المنار في تشكيل فكره الإصلاحي:

تبحث هذه الدراسة في التأثير العميق لمجلة المنار و السيد رشيد رضا على فكر المولوي، وكيف استطاع أن يوظف الصحافة الإسلامية كوسيلة لنشر الفكر الإصلاحي، ومحاربة البدع، والدعوة إلى التحديث العلمي، دون التفريط في الثوابت الإسلامية. كما يسعى البحث إلى تحليل كيف امتدت أصدااء الفكر الإصلاحي العربي إلى كيرلا الهند عبر جهود أمثال المولوي الوكّمي.

إبراز دوره في فن الترجمة وتأثيره في النهضة الفكرية:

لقد كانت الترجمة أحد أهم أدوات المولوي الوكّمي في نشر الفكر العربي الإسلامي، حيث نقل معاني القرآن الكريم إلى المليالمية، وحرص على إيجاد مصطلحات جديدة تعكس المفاهيم الإسلامية بدقة في لغته المحلية. كما ترجم العديد من الكتب الفكرية والتاريخية، مثل "الفاروق" لشبلي النعماني، وأجزاء من "إحياء علوم الدين" للغزالي، وغيرها مما ساهم في تعزيز الفكر الإسلامي لدى مسلمي كيرلا الهند.

تحليل دوره في مقاومة الاستعمار وتعزيز الهوية الإسلامية:

كان المولوي من الرواد الذين قاوموا الاستعمار الغربي بالفكر والتعليم، حيث رأى أن الحفاظ على اللغة العربية، وتعليم العلوم الإسلامية، ونشر الفكر الإصلاحي، هو السلاح الأنجح والأنفع في مواجهة محاولات التغريب. ولذلك، ركّز في كتاباته على ضرورة إعادة فهم الإسلام من منابعه الأصلية، ومحاربة التأثيرات السلبية التي حاول المستعمرون فرضها على مسلمي الهند.

يُعد البحث في إسهامات محمد عبد القادر المولوي الوكّمي فرصة لاستكشاف أثر اللغة والترجمة والصحافة في النهضة الإسلامية في كيرلا، وكيف استطاع رجل واحد أن يترك بصمة فكرية وإصلاحية عميقة امتدت آثارها لأجيال. كما أن هذا البحث يفتح آفاقاً جديدة لدراسة العلاقة بين النهضة الفكرية الإسلامية في الهند والحركات الإصلاحية في العالم العربي، مما يجعله دراسة تجمع بين التحليل التاريخي، واللغوي، والفكري، والاجتماعي في آنٍ واحد.

مشكلة البحث

إن البحث في إسهامات محمد عبد القادر المولوي الوكّمي في اللغة العربية والترجمة يثير العديد من التساؤلات الجوهرية التي تمثل المحاور الأساسية لمشكلة الدراسة. فاللغة العربية، التي تُعد الركيزة الأساسية للهوية الإسلامية، لم تكن منتشرة بشكل واسع بين مسلمي كيرلا في الهند، مما دفع المولوي إلى تبني مشروع تعليمي وإصلاحي لنشر العربية وترسيخها في الأوساط العلمية والثقافية. ومن هنا، نشأت الإشكالية التي تحاول الدراسة الإجابة عنها: كيف استطاع محمد عبد القادر المولوي الوكّمي أن يسهم في نشر اللغة العربية والترجمة في بيئة غير ناطقة بها، وما مدى تأثير أفكاره الإصلاحية في النهضة الفكرية لمسلمي كيرلا.

تساؤلات البحث الأساسية:

للوصول إلى إجابة علمية وموضوعية لهذه الإشكالية، يطرح الباحث الأسئلة التالية:

- كيف ساهم المولوي في تعزيز تعليم اللغة العربية بين مسلمي كيرلا؟
- ما هي المناهج التعليمية التي اعتمدها، وكيف أثرت على الأجيال اللاحقة؟
- ما مدى تأثير مجلة المنار ورشيد رضا على فكره الإصلاحي؟
- كيف ساهمت ترجماته في نقل الفكر الإسلامي إلى المليالية؟
- إلى أي مدى استطاع مشروعه الفكري الصمود أمام التحديات الاستعمارية والثقافية في عموم الهند؟

أهمية البحث في حل مشكلة الدراسة

تحاول الدراسة تقديم إجابات موضوعية على هذه التساؤلات عبر تحليل شامل للوثائق والكتب والمقالات والترجمات التي كتبها المولوي، ومقارنة جهوده بجهود العلماء الإصلاحيين المعاصرين له. ومن خلال هذا التحليل، تسعى الدراسة إلى:

- توثيق الدور الرائد للمولوي في نشر العربية وترجمتها، وإبراز مكانته كأحد أبرز العلماء غير العرب الذين تبنوا اللغة العربية كلغة دين وفكر وحضارة.
- تحليل فكر المولوي الإصلاحي وتأثيره على النهضة الإسلامية في كيرلا الهند، خاصة في ظل التأثيرات الفكرية القادمة من العالم العربي، وعلى رأسها مدرسة رشيد سيد رضا الإصلاحية.
- استعراض الصعوبات التي واجهها المولوي في نشر اللغة العربية والترجمة، خاصة في ظل التحديات الاستعمارية والثقافية التي كانت تسعى إلى تقليص دور العربية في كيرلا الهند.

إن مشكلة البحث تتمحور حول فهم مدى إسهامات محمد عبد القادر المولوي الوكّمي في نشر اللغة العربية والترجمة، وتحليل أثر أفكاره الإصلاحية في السياق الثقافي لمسلمي كيرلا الهند. ومن خلال هذه الدراسة، يمكن الوصول إلى استنتاجات علمية تبرز الدور التاريخي الذي لعبه هذا العالم الجليل، وتسلط الضوء على أهمية التعليم والترجمة والصحافة في الحفاظ على الهوية الإسلامية في البيئات غير الناطقة بالعربية.

منهج البحث

تعتمد هذه الأطروحة على المنهج التاريخي والتحليلي لدراسة شخصية محمد عبد القادر المولوي الوكّمي وإسهاماته في اللغة العربية والترجمة. ويهدف هذا المنهج إلى تتبع المسار الفكري للمولوي، وفهم تأثيراته في السياق الثقافي والتعليمي لمسلمي كيرلا في الهند. ومن خلال الجمع بين التاريخي والتحليلي، يتم تقديم رؤية متكاملة عن أعماله، وتحليل مدى تأثيرها واستمراريتها.

المنهج التاريخي: تتبع المسار الفكري والإصلاحي

يعتمد البحث على المنهج التاريخي في دراسة نشأة المولوي الوكّمي، والبيئة الثقافية التي نشأ فيها، والمراحل التي مر بها في رحلته العلمية والإصلاحية. ومن خلال هذا المنهج، يتم تتبع:

- دور المولوي في النهضة الثقافية لمسلمي كيرلا الهند، خاصة فيما يتعلق بتأسيس الصحافة الإسلامية وتعليم اللغة العربية.
- التأثيرات الفكرية التي استلهمها، مثل أفكار السيد رشيد رضا ومجلة المنار، وكيف انعكست هذه الأفكار في مشاريعه الإصلاحية.
- تاريخ حركة الترجمة في كيرلا الهند، ودور المولوي في تعزيزها من خلال نقل العلوم والمعارف الإسلامية من العربية إلى المليالمية.

المنهج التحليلي: دراسة تأثيره وأعماله الفكرية

يركز المنهج التحليلي في هذه الأطروحة على تحليل كتابات المولوي ومقالاته وأعماله الترجمة، من خلال:

- تحليل أسلوبه في الترجمة، وخاصة في تفسير معاني القرآن الكريم، وكيف طور مصطلحات جديدة باللغة المليالمية.
- تحليل مقالاته الصحفية في مجلاته مثل مجلة "ديفكا" و "المسلم" و "الإسلام"، ومدى تأثيرها في تشكيل الفكر الإسلامي في كيرلا.

- دراسة مدى استمرارية تأثيره على الحركات الإصلاحية اللاحقة، ومقارنة جهوده بجهود المفكرين المعاصرين له.

يجمع هذا البحث بين التحليل التاريخي والمنهجي لفهم شخصية المولوي الوكّمي، ودوره في نشر اللغة العربية، وأثره في الإصلاح الديني والاجتماعي في كيرلا الهند. كما أنه يهدف إلى تقديم دراسة مقارنة بين فكره وفكر معاصريه، وتحليل كيف ساهمت التأليف والترجمة، والصحافة، والتعليم في تعزيز النهضة الفكرية لمسلمي كيرلا.

مصادر البحث

أولاً: المصادر الأولية

المصادر الأولية هي تلك التي تتضمن النصوص الأصلية التي كتبها محمد عبد القادر المولوي الوكّمي نفسه، أو الوثائق التاريخية التي لها علاقة مباشرة بموضوع الدراسة.

1. مؤلفات محمد عبد القادر المولوي الوكّمي:

- مقالاته في الصحف والمجلات مثل مجلة المسلم ومجلة الإسلام ومجلة ديفكا وجريدة سوديشابيماني.
- ترجماته لبعض الكتب العربية إلى لغة المليالم.
- خطبه ومراسلاته مع المفكرين والعلماء.

2. مجلة المنار:

- المجلة التي أسسها الشيخ محمد رشيد رضا، والتي كان لها تأثير كبير في فكر المولوي الوكّمي.
- مقالات محمد رشيد رضا التي تتناول قضايا الإصلاح الديني والفكري، والتي ساهمت في تكوين رؤية المولوي الوكّمي حول النهضة الفكرية.
- الأعداد التي تناولت قضايا الترجمة والتعليم في العالم الإسلامي.

3. الوثائق التاريخية والمحفوظات:

- الوثائق التي تتعلق بالحياة الاجتماعية والسياسية لمسلمي كيرلا الهند في العصر الاستعماري.
- السجلات المتعلقة بتأسيس المؤسسات التعليمية والصحفية التي أنشأها المولوي.

ثانياً: المصادر الثانوية

المصادر الثانوية هي الدراسات والأبحاث التي تناولت حياة وأعمال محمد عبد القادر المولوي الوكّبي أو التي ناقشت قضايا ذات صلة بموضوع البحث.

1. كتب ودراسات عن المولوي الوكّبي

- كتاب *وَإِسْهَامَاتُهُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالتَّرْجَمَةِ* - دراسة أكاديمية عن جهوده في نشر اللغة العربية.
- مقالات تحليلية عن دوره في الترجمة والتعليم.

2. كتب عن الفكر الإصلاحي في كيرلا الهند

- دراسة حول الحركات الإصلاحية في كيرلا الهند وتأثيرها على العلماء المسلمين.
- كتب عن الصحافة الإسلامية في جنوب الهند.

3. كتب عن مجلة المنار ورشيد رضا

- "رشيد رضا ومجلة المنار" - تحليل دور المجلة في نشر الفكر الإصلاحي وتأثيرها في العلماء المسلمين في الهند.
- مقالات أكاديمية حول الصحافة الإسلامية وتأثيرها في نشر الفكر الإصلاحي.

ثالثًا: المقالات والمجلات الأكاديمية

تم الاستعانة بعدد من المقالات الأكاديمية المنشورة في المجلات العلمية المحكمة، والتي تناولت مواضيع مثل:

- دور الترجمة في النهضة الفكرية لمسلمي الهند.
- تأثير الصحافة على الحركات الإصلاحية الإسلامية.
- تعليم اللغة العربية في الهند خلال العصر الاستعماري.

رابعًا: المواقع الإلكترونية والمصادر الرقمية

تم الرجوع إلى بعض المواقع الإلكترونية التي توفر محتوى موثوقًا عن الموضوع، منها:

1. المكتبة الرقمية العالمية: (World Digital Library) تحتوي على وثائق ومخطوطات تاريخية تتعلق بالعالم الإسلامي.
2. الأرشيف الرقمي لجامعة كاليفورنيا: يضم دراسات وأطروحات أكاديمية ذات صلة بالموضوع.
3. موقع أرشيف لمجلة المنار: يوفر إمكانية الوصول إلى أعداد المجلة وتحليل محتواها.
4. الموسوعة الإسلامية الإلكترونية: تحتوي على مقالات أكاديمية عن الفكر الإصلاحي الإسلامي.

خامسًا: المقابلات واللقاءات الشخصية

تم إجراء بعض المقابلات مع الباحثين المتخصصين في الدراسات الإسلامية واللغة العربية في كيرالا الهند، بالإضافة إلى أساتذة من جامعة كاليكوت وجامعة كيرالا، ومؤسسة المولوي الوكّمي في عاصمة كيرالا. وذلك للحصول على رؤى إضافية حول تأثير المولوي الوكّمي في مجال الترجمة والتعليم.

تعتمد هذه الدراسة على مزيج من المصادر الأولية والثانوية، بالإضافة إلى تحليل المقالات الأكاديمية والمواقع الإلكترونية الموثوقة. ويهدف هذا القسم إلى إبراز تنوع المصادر المستخدمة، مما يعزز مصداقية البحث وأصالته العلمية.

الدراسات السابقة

لقد تناولت بعض الدراسات الأكاديمية حياة العلامة الكبير، والمصلح الاجتماعي، والصحافي البارز والمترجم البار محمد عبد القادر المولوي، وما خلفه من تراثٍ علمي وفكري، وما أنجزه من أعمال رائدة في الصحافة، فضلاً عن نشاطه الإصلاحي، وذلك في جامعات كبرى داخل ولاية كيرالا وخارجها، ولا سيّما في الجامعات الأجنبية. غير أنّ جانباً جوهرياً من خدماته، وهو إسهامه الفريد في نشر اللغة العربية، وجهوده البارزة في إدخالها ضمن المناهج التعليمية في كيرالا، لم يحظَ إلى اليوم بدراسة وافية أو بحثٍ أكاديميٍّ مستقل، بالرغم من أهميته القصوى في تاريخ النهضة الفكرية واللغوية في المنطقة. والأمر اللافت أيضاً أنّه لم تُكتب حتى الآن دراسة أكاديمية شاملة باللغة العربية تتناول حياته المباركة ومنجزاته المتنوعة، وهذا مما يدعو إلى العجب والأسف معاً.

1. ومن أبرز الدراسات الأجنبية في هذا الباب، وإن كانت لا تُعنى أساساً بمحور إسهاماته في اللغة العربية رسالة الدكتوراه التي قدّمها الباحث د. جوز أبراهام، الباحث في معهد الدراسات الإسلامية، جامعة مكغيل، مونتريال، بكندا (Institute of Islamic Studies, McGill University, Montreal)، في نوفمبر سنة 2008م، بعنوان: "الحدّات والإصلاح الإسلامي والماتليّون في كيرالا: إسهامات المولوي الوكّمي (1873-1932م)".¹

وقد جاء في مقدمة رسالته ما خلاصته: "إنّ التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي أحدثها الاستعمار البريطاني وخطابه الكولونيالي في كيرالا مطلع القرن العشرين، قد هزّت البنى التقليدية للسلطة، وأدّت إلى تحريك البنية الاجتماعية لمختلف الطوائف، مما دفعها إلى الانخراط في مسار الحدّات، والسعي وراء التعليم العصري. لكن المسلمين الماتليّين بحكم تاريخهم الطويل في مقاومة القوى الاستعمارية وعدائهم

¹ Ebrahim, J. (2008). *Modernity, Islamic reform, and the Mappilas of Kerala: The contributions of Vakkom Moulavi (1873-1932)* (Doctoral dissertation, Institute of Islamic Studies, McGill University, Montreal, Canada).

الشديد للحكم البريطاني، قاوموا مسار التحديث. فانتهى بهم الأمر إلى التراجع عن الركب الاجتماعي والتعليمي مقارنةً بغيرهم من الطوائف".

وقد بسط الباحث موضوعه في ستة فصول، هي:

1. حتمية التحديث: السياق التاريخي لحركة الإصلاح الاجتماعي والديني عند المولوي.
2. سيرة المولوي وإسهاماته في الحركة الإصلاحية بكيرالا.
3. ازدواجية الموقف من الحداثة.
4. القراءة النفعية للتاريخ الإسلامي وخطاب الإصلاح.
5. خطاب "المعرفة النافعة" والإصلاح التعليمي.
6. المشاركة السياسية في الدولة القومية.

وعلى الرغم من أنّ هذه الرسالة تمثل دراسة رائدة وذات قيمة علمية عالية، فإنها لا تتناول مجال "خدمة اللغة العربية" الذي أوليناه الأولوية في بحثنا هذا.

2. وكذلك نجد رسالة الدكتوراه التي أعدها الدكتور عبد الرزاق في قسم التاريخ بجامعة كاليكوت سنة 2007م، بعنوان: "الاستعمار وتشكيل المجتمع في ملابار: دراسة عن مسلمي ملابار".² وهي دراسة تبحث في تطوّر الهوية الجماعية للمسلمين المابليين في ظل التدخل الاستعماري، خلال قرن كامل (1850–1950م)، وتتألف من سبعة فصول، منها: "مرحلة الإسلام الشعبي في ملابار"، "الحكم الكولونيالي وصناعة المجتمع"، "حركة الإصلاح والسعي لهوية مستقلة"، "الطباعة والمجتمع المتخيل للمابليين"، و"الخلافة والوحدة الإسلامية"، و"الهوية السياسية"... إلخ. وقد ورد ذكر المولوي في مواطن متفرقة من هذه الرسالة، غير أنّ إسهاماته في خدمة العربية والترجمة لم تجد فيها حيزاً يُذكر.
3. ومن الدراسات الأكاديمية الحديثة أيضاً، رسالة الدكتوراه التي قدّمها د. شرف الدين إلى جامعة كاليكوت في يناير 2022م، بعنوان: "تاريخ التنظيمات الدينية والصراعات الفكرية بين مسلمي ملابار (1921–1989م)"،³ مقسّمة إلى أربعة فصول، تتناول الخلافات الفكرية، والإسلام الشعبي، والحوار بين الأديان، وتأثير التنظيمات. وهي، وإن أشارت إلى المولوي في مواضع، إلا أنها لم تُعنّ بإسهاماته اللغوية والترجمية.

² Abdul Razak, P. P. (2007). *Colonialism and community formation in Malabar: A study of Muslims of Malabar* (Doctoral dissertation, Department of History, University of Calicut, Kerala, India).

³ Sharafudeen. (2022). *History of religious organisations and ideological conflicts among the Muslims of Malabar from 1921–1989* (Doctoral dissertation, University of Calicut).

4. وكذلك رسالة الدكتوراه المقدّمة إلى جامعة كيرالا في يونيو 2009م من د. عبد الرحمن، بعنوان: "وَكَّام المولوي وحركة النهضة بين المسلمين"⁴، في ستة فصول منها: "انتشار الإسلام في كيرالا"، "السياق التاريخي لمولد المولوي"، "حياته المبكرة"، "إسهاماته التعليمية"، "المولوي والإعلام"، و"إرثه الاجتماعي والديني". وهي أوسع الرسائل تناوّلًا لسيرته، لكنها بدورها لم تتوسع في بيان خدماته للغة العربية والترجمة.

5. أما على صعيد التأليف التاريخي باللغة المليالمية، فقد ألّف المؤرخ المعروف د. جمال محمد كتابًا موسّعًا عن حياة المولوي وفكره، بيّن في مقدمته الصعوبات التي تعترض التأريخ الدقيق له، وقلة المصادر الموثقة، رغم الجهود التي بذلها تلاميذه الأوائل، وفي مقدمتهم محمد كنّ، الذي كان شاهدًا على كثير من أحداث حياته، وجمع ما استطاع من وثائق. كما أشار إلى ضياع كثير من تراث المولوي المخطوط والمطبوع، وأنّ حتى أسرته العلمية المرموقة لم تتمكن من حفظه كاملاً. وقد صدر الكتاب في 12 فصلاً، بطبعات متتابعة منذ أكتوبر 2013م، عن الدار الإسلامية للنشر بمدينة كاليكوت، مع مقدمة للبروفيسور ك. م. سانوس⁵. ويُعد هذا العمل نافذة مهمة على حياة المولوي، وإن كانت المعلومات المتعلقة بخدماته اللغوية فيه قليلة نسبيًا.

وبذلك يتضح أنّ ما أنجز حتى الآن من بحوث ودراسات على كثرتها وتنوّعها لم يُفرد مساحة كافية لدراسة جهود المولوي في ميدان اللغة العربية: تعليمًا، وترجمة، ونشرًا، وإدماجًا لها في المناهج التعليمية، وهي الجهود التي تمثل أحد أركان عطائه الإصلاحي والفكري، الأمر الذي يجعل بحثنا هذا يسدّ ثغرة علمية مهمة في الدراسات المابّلية والكرالوية على السواء.

صعوبات البحث

واجه الباحث تحديات متعددة خلال إعداد هذه الأطروحة، أبرزها:

1. صعوبة الحصول على المصادر والمراجع:

- ندرة المراجع الأصلي العربي التي تتناول سيرة المولوي الوكّمي بشكل مفصل، مما استدعى البحث في مصادر متنوعة مثل المخطوطات والوثائق القديمة.
- قلة الدراسات الأكاديمية المتخصصة حول جهوده في الترجمة والتعليم باللغة العربية.

2. عدم توفر المعلومات التاريخية الدقيقة:

⁴ Abdul Rehman, H. (2009). *Vakkom Moulavi and the renaissance movement among the Muslims* (Doctoral dissertation, Department of Islamic Studies, University of Kerala, Thiruvananthapuram, India).

⁵ Jamal Muhammed, T. (2013). *Swadeshabhimani Vakkom Moulavi* [In Malayalam]. IPH, Calicut.

- افتقار بعض المصادر إلى التواريخ المحددة للأحداث التي مر بها المؤلف، مما اضطر الباحث إلى مقارنة عدة مراجع للوصول إلى معلومات أكثر دقة.
- عدم توثيق بعض الأحداث المهمة في حياته بشكل وافٍ، مما استلزم البحث في الأرشيفات المحلية والمصادر غير التقليدية.

3. تحديات اللغة والترجمة:

- بعض المصادر الأساسية مكتوبة بالأحرف عربي المياليم، مما تطلب ترجمتها إلى العربية مع الحفاظ على الدقة والمعاني الأصلية.
- اختلاف المصطلحات المستخدمة في الدراسات الإنجليزية والمليامية والعربية حول نفس الموضوع، مما أدى إلى بعض التحديات في تحليل المعلومات.

4. صعوبة الوصول إلى المخطوطات والوثائق الأصلية:

- بعض المخطوطات التي كتبها أو ترجمها المؤلف غير متاحة رقميًا، مما اضطر الباحث إلى مراجعة الأرشيفات والمكتبات المحلية للحصول عليها.
- قلة التوثيق الإلكتروني للعديد من أعماله الصحفية والمترجمة، مما استدعى الاستعانة بباحثين محليين للحصول على معلومات مباشرة.

تعتمد هذه الدراسة على مزيج من المصادر الأولية والثانوية، بالإضافة إلى تحليل المقالات الأكاديمية والمواقع الإلكترونية الموثوقة. ويهدف هذا القسم إلى إبراز تنوع المصادر المستخدمة، مما يعزز مصداقية البحث وأصالته العلمية.

هيكل الأطروحة

نظرًا لما تتطلبه البحوث العلمية الرصينة من منهجية واضحة، وتسلسل منطقي متكامل في عرض الموضوعات، فقد جاءت هذه الأطروحة مشيّدة على بنية علمية راسخة، تُراعي التدرج من العام إلى الخاص، ومن الإطار التاريخي والثقافي إلى التحليل الفكري والتطبيقي. وقد اقتضت طبيعة البحث أن تُقسّم الأطروحة إلى أبواب وفصول ومباحث مترابطة، تُبرز أبعاد شخصية الشيخ محمد عبد القادر المولوي الوكّمي، وتُجَلّي جهوده في خدمة اللغة العربية والترجمة والفكر الإصلاحي، ضمن سياق الهند الثقافي والديني. ويعرض هذا الهيكل التفصيلي مجالات البحث ومكوناته، ليكون مرشدًا للباحثين في تبين محاور الدراسة، واستيعاب خيوطها المترابطة بدقة ووضوح.

تتوزع هذه الأطروحة على خمسة أبواب رئيسية، تندرج تحتها مجموعة من الفصول والمباحث المتفرعة، تغطي مختلف الجوانب العلمية والفكرية والتاريخية المرتبطة بموضوع البحث. وقد جاء هذا البناء المنهجي للأطروحة استجابة لمقتضيات التحليل الأكاديمي، وتكامل العناصر الموضوعية، على النحو التالي:

الباب الأول: الإسلام والمجتمع المسلم في كيرالا – السياق التاريخي والثقافي

يُعالج هذا الباب الخلفية التاريخية والاجتماعية والثقافية التي نشأ فيها المولوي الوكّمي، ويقدم إطاراً لفهم واقع المسلمين في كيرالا قبل وخلال عصره. ومن أبرز عناصره:

- لمحة تاريخية عن انتشار الإسلام في كيرالا.
- الأحوال الاجتماعية والسياسية بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.
- التعليم الديني والمؤسسات العلمية.
- دور الطباعة والصحافة في النهضة الفكرية.
- التعريف الأولي بشخصية المولوي الوكّمي ونشاطه الإصلاحي.

الباب الثاني: المجالات والمؤلفات – الإنتاج العلمي والإصلاحي للمولوي الوكّمي

يستعرض هذا الباب أبرز ما تركه المولوي من آثار مكتوبة، سواءً في التأليف أو الترجمة أو الصحافة، مع تحليل مضمونها وأثرها، ومن ذلك:

- الكتب التي ألفها بالعربية والمليالمية.
- ترجماته لأهم المؤلفات الإسلامية.
- مجلاته ودوره التحريري.
- ردود فعل المعاصرين عليه من علماء وكهنة.

الباب الثالث: الفكر الإصلاحي والاجتماعي عند المولوي الوكّمي

يتناول هذا الباب المنظومة الفكرية التي شكّلت مشروعه الإصلاحي، بما في ذلك:

- موقفه من البدع والخرافات.
- رؤيته للمرأة والتعليم.
- دوره في دعم حرية الصحافة.
- العلاقة بين الدين والعلم في فكره.
- أثره في تشكيل وعي الجيل المعاصر له واللاحق عليه.

الباب الرابع: الصحافة والإعلام كوسيلة للإصلاح والتجديد

يُعنى هذا الباب بدراسة عميقة لدور المولوي في الصحافة، من حيث التأسيس، التحرير، والمضامين، بما في ذلك:

- إنشاء جريدة "سوديشا بيماني" والمجلات الإسلامية.
- تأثيره السياسي والاجتماعي عبر الصحافة.
- استلهامه لنهج مجلة المنار ورشيد رضا.
- الصحافة كوسيلة مقاومة ثقافية وفكرية.

الباب الخامس: تلامذته والامتداد العلمي بعده

يركّز هذا الباب على جهود المولوي في التربية والتعليم، وتأثيره على الأجيال اللاحقة، ويتضمن:

- تعريف بأشهر تلامذته.
- مساهماتهم في الترجمة والتعليم الإسلامي.
- استمرار فكره في المؤسسات العلمية.
- مقارنة بينه وبين مترجي معاني القرآن بعده.

كلمة شكر وتقدير

وفي لحظة تفيض بالمشاعر، وتغمرها نفحات الامتنان، أرفع كفي شكرًا وعرفانًا لكل من كان له أثر في إخراج هذا الجهد العلمي إلى حيّز الوجود، ولكل من ساندني بالكلمة الطيبة، والنصيحة الهادفة، والدعاء الصادق. فما كان لهذا العمل أن يُتم مشواره لولا توفيق الله تعالى، ثمّ دعم أولئك النبلاء الذين كانوا سندًا وعونًا في درب البحث الطويل.

وفي مقدمة من أخصهم بالشكر، أستاذي الجليل وشيخي المبارك، فضيلة الأستاذ الدكتور سيد محمد شاكر يحفظه الله ويرعاه، عميد كلية مدينة العلوم العربية سابقًا، الذي شرفني بالإشراف على هذا البحث، فكان لي والدًا عطوفًا، وأخا كريما، وموجهًا حكيمًا، لا يبخل بعلمه، ولا يتأخر بتوجيهه، يشحذ همّتي، ويهذب قلبي، ويصحبني في مسيرة البحث خطوة بخطوة، حتى إذا ما عثرت، أقامني برفق، وإن قصّرت، نبّهني بحكمة. فله درّه من معلّم، وله مني خالص الشكر وأسمى آيات الوفاء والتقدير.

كما أتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى الأستاذ الكريم الدكتور محمد بشير المانجيري، عميد الكلية، على ما أبداه من اهتمامٍ ودعمٍ وتشجيعٍ لا ينقطع، وإلى الدكتور عبد المنير بونتالا المدني، مدير مركز البحوث للكلية على ملاحظاته العلمية الدقيقة، وتوجيهاته الثمينة. ولا أنسى أن أخص بالشكر الأستاذ الدكتور

صابر نواز على جهوده الطيبة ومساندته المستمرة، والأستاذ رحيب، أمين المكتبة، والأستاذ سهل الذي سهّل ودلّ لي سُبُل الوصول إلى المراجع والمصادر والشئون الإدارية، والموظفون الموقر في الإدارة جميعاً فجزاهم الله جميعاً خير الجزاء، وبارك في علمهم وأعمارهم، وجعل ما قدموه لي في ميزان حسناتهم.

كما أخصُّ بالشكر والعرفان الأستاذ الفاضل الدكتور عبد المجيد المدني، رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة كالikut سابقاً، وعلى كريم تواضعه، ونُبله في التعامل، ومواقفه الطيبة التي لن تُنسى، فقد أحاطني برعاية أبوية، وتابعني وشجعني بعناية علمية منذ اللحظات الأولى لاختيار هذا الموضوع، وكان داعماً وميسراً في كل خطوة. وأتقدم أيضاً بالشكر للأساتذة الأجلاء، ذوي القلوب الرحيمة من قسم اللغة العربية، الذين فتحوا لي أبواب التشجيع والمشورة، وقبلوا موضوع البحث برحابة صدر واهتمام صادق.

وفي هذه اللحظة المباركة، وببالغ الامتنان وعميق العرفان، أتوجه بكلمة شكرٍ وتقديرٍ صادقةٍ مفعمةٍ بالمحبة والاحترام إلى من كانت أياديهم البيضاء سبباً في إخراج هذا العمل إلى النور، وسنداً لي في مراحل البحث والكتابة، سائلاً الله أن يكلاًهم برعايته، ويجزيهم عني خير الجزاء.

فجزاهم الله عني خير الجزاء، وكتب أجرهم، ورفع ذكرهم في عليين.

الباحث/إ. يوسف صاحب

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية مدينة العلوم العربية، بوليكال

الجوال: 00919497385707، البريد الإلكتروني: ynadwi@gmail.com

CERTIFICATE

This is to certify that the thesis entitled "Vakkom Muhammed Abdul Khadir Moulavi And His Contributions to Arabic Language and Translation" is a Bonafide record of research work carried out by Mr. E. Yoosuf Sahib under my guidance and supervision in the research department of Arabic, Madeenathul Uloom Arabic College, Pulikkal, Malappuram Distict, Kerala State - 673637 in partial fulfilment of the requirements for the Award of the Degree of Doctor of Philosophy in Arabic Language and Literature and no part of this thesis has formed the basis for the award of any degree earlier. This is the revised version of the thesis, incorporating all necessary corrections in accordance with the examiner's recommendations.

Dr. Sayyid Muhammed Shakir P

(Supervising Teacher) (Attended Online)

Former Principal and Research Guide
M.U.A.College, Pulikkal, Malappuram – 673637

Pulikkal


Dr. BASHEER M
PEN: 469324
Professor in charge of Principal
Madeenathul Uloom Arabic College
P.O Pulikkal - 673 637, Malappuram Dt.

DECLARATION

I hereby declare that the work presented in the thesis entitled **Vakkom Muhammed Abdul Khadir Moulavi and His Contributions to Arabic Language and Translation** is based on the original work done by me under the guidance of **Dr. Sayyid Muhammed Shakir P, Former Principal and Research Guide M.U.A.College, Pulikkal, Malappuram – 673637** and has not been included in any other thesis submitted previously for the award of any degree. The contents of the thesis are undergone plagiarism check using **iThenticate** software at C.H.M.K. Library, University of Calicut, and the similarity index found within the permissible limit. I also declare that the thesis is free from AI generated contents. This is the revised version of the thesis, incorporating all necessary corrections in accordance with the examiner's recommendations.

Signature



E. Yoosuf Sahib

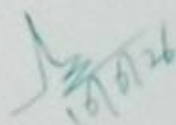
Name of the scholar

Signature of the Supervising teacher

Dr. Sayyid Muhammed Shakir P
(Attended Online)

Name

16.06.2026
Pulikkal



Dr. BASHEER M
PEN: 469324

Professor in charge of Principal
Madsenathul Uloom Arabic College
P.O Pulikkal – 673 637, Malappuram Dt.

Vakkom Muhammed Abdul Khadir Moulavi And His Contributions to Arabic Language and Translation

**Thesis Submitted to the University of Calicut for the Degree of
Doctor of Philosophy in Arabic Language and Literature**

By

E. YOOSUF SAHIB

Under the Supervision of

Dr. Sayyid Muhammed Shakir P

**Former Principal and Research Guide
M.U.A.College, Pulikkal, Malappuram – 673637**



UNIVERSITY OF CALICUT

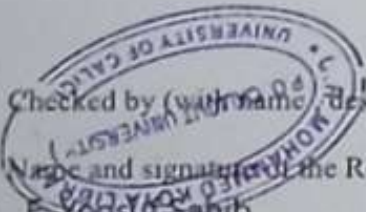
2026



UNIVERSITY OF CALICUT
CERTIFICATE ON PLAGIARISM CHECK

1.	Name of the Research Scholar	E. Yoosuf Sahib	
2.	Title of thesis / dissertation	Vakkom Muhammed Abdul Khadir Moulavi And His Contributions to Arabic Language and Translation	
3.	Name of the Supervisor	Dr. Sayyid Muhammed Shakir P.	
4.	Department/Institution	Research Scholar, Dept. of Arabic, MUA College, Pulikkal, Malappuram- Kerala	
5.	Similar content (%) identified	Non Core	Core
		Introduction/ Theoretical overview/ Review of literature/ Materials & Methods/ Methodology	Analysis/Result/Discussion / Summary/Conclusion/ Recommendations
		0	4
	Acceptable maximum limit (%)	10	10
6.	Software used	iThenticate	
7.	Date of verification	30.01.2026	

**Report on plagiarism check, specifying included/excluded items with % of similarity to be attached*



Checked by (with name, designation & signature)

Name and signature of the Researcher

E. Yoosuf Sahib

Name and signature of the Supervisor.

Dr. Sayyid Muhammed Shakir P.

Dr. Nasirudheen. T
Assistant Librarian
University of Calicut, Kerala.

Dr. Sayyid Muhammed Shakir P.
Research Guide
Department of Arabic
M.U.A College, Pulikkal-673637

The Doctoral Committee* has verified the report on plagiarism check with the contents of the thesis, as summarized above and appropriate measures have been taken to ensure originality of the Research accomplished herein.

Name & Signature of the HoD/HoI (Chairperson of the Doctoral Committee)

Dr. BASHEER M

**In case of languages like Malayalam, Tamil etc. on which no software is available for plagiarism check, a manual check shall be made by the Doctoral Committee for which an additional certificate has to be attached.*

Professor in charge of Principal
Mudeenathul Uloom Arabic College
P.O. Pulikkal - 673 637, Malappuram Dt.



E YOOSUF SAHIB - Core

Vakkom Muhammed Abdul Khadir Moulavi And His Contributions to Arabic Language and Translation

 Calicut University, Kerala

Document Details

Submission ID

trn:oid:::3618:127170369

Submission Date

Jan 30, 2026, 10:59 AM GMT+5:30

Download Date

Jan 30, 2026, 1:59 PM GMT+5:30

File Name

Core (32).pdf

File Size

3.1 MB

267 Pages

98,505 Words

478,488 Characters

4% Overall Similarity

The combined total of all matches, including overlapping sources, for each database.

Filtered from the Report

- Bibliography
- Quoted Text
- Cited Text
- Small Matches (less than 10 words)
- Abstract

Exclusions

- 29 Excluded Matches

Top Sources

- 4%  Internet sources
- 1%  Publications
- 0%  Submitted works (Student Papers)

Integrity Flags

1 Integrity Flag for Review

-  **Replaced Characters**
11 suspect characters on 8 pages
Letters are swapped with similar characters from another alphabet.

Our system's algorithms look deeply at a document for any inconsistencies that would set it apart from a normal submission. If we notice something strange, we flag it for you to review.

A Flag is not necessarily an indicator of a problem. However, we'd recommend you focus your attention there for further review.

Top Sources

4%  Internet sources
1%  Publications
0%  Submitted works (Student Papers)

Top Sources

The sources with the highest number of matches within the submission. Overlapping sources will not be displayed.

1	Internet	www.noorsa.net	<1%
2	Internet	sh.rewayat2.com	<1%
3	Internet	escholarship.mcgill.ca	<1%
4	Internet	shamela.ws	<1%
5	Internet	islamqa.info	<1%
6	Internet	ar.wikipedia.org	<1%
7	Publication	Jose Abraham. "Islamic Reform and Colonial Discourse on Modernity in India", Sp...	<1%
8	Internet	www.stooob.com	<1%
9	Internet	ia802901.us.archive.org	<1%
10	Internet	philosoft.blob.core.windows.net	<1%
11	Internet	www.srjis.com	<1%

12	Internet	ia902901.us.archive.org	<1%
13	Internet	w3.uinsby.ac.id	<1%
14	Internet	journal.southindianhistorycongress.org	<1%
15	Internet	vmmrcblogspotcom.blogspot.com	<1%
16	Internet	sa-tt.com	<1%
17	Internet	(6-26-13) http://(null)ar.wikipedia.org/wiki/ةيما لسإلإلأى دهلأرادعةماج	<1%
18	Internet	keralawomen.gov.in	<1%
19	Internet	www.almobshrat.net	<1%
20	Internet	en.wikipedia.org	<1%
21	Internet	dspace.pondiuni.edu.in	<1%
22	Internet	player.fm	<1%
23	Internet	scholar.uoc.ac.in	<1%
24	Internet	createnewmind.wordpress.com	<1%
25	Internet	new.zadyreman.com	<1%

26	Internet	ar.m.wikipedia.org	<1%
27	Internet	www.sudoc.fr	<1%
28	Internet	ia800205.us.archive.org	<1%
29	Internet	ns2.almothaqaf.com	<1%
30	Internet	www.alhagigah.net	<1%
31	Internet	hadeethenc.com	<1%
32	Internet	www.hudson.org	<1%
33	Internet	almomenoon1.0wn0.com	<1%
34	Internet	arc.alomah.net	<1%
35	Internet	mnshoor.net	<1%
36	Internet	repository.mediu.edu.my	<1%
37	Internet	www.al-islam.org	<1%
38	Internet	almaaref.org	<1%
39	Internet	bellaonmiddellijk.com	<1%

40	Internet	ml.wikipedia.org	<1%
41	Internet	www.turaif1.com	<1%
42	Publication	ANGELIQUE CHETTIPARAMB. "Dealing with Complexity: An Autopoietic View of th...	<1%
43	Internet	berwaldin.blogspot.com	<1%
44	Internet	www.altloh.com	<1%
45	Internet	www.waters-of-life.net	<1%
46	Internet	down.ketabpedia.com	<1%
47	Internet	ekhutbah.ns.gov.my	<1%
48	Internet	sjukhusvader.com	<1%
49	Internet	www.altartosi.com	<1%
50	Internet	www.arrabita.ma	<1%
51	Internet	www.moslemwoman.net	<1%
52	Internet	books-library.online	<1%
53	Internet	globalsouthcolloquy.com	<1%

54	Internet	investmentbank.kotak.com	<1%
55	Internet	tgchannels.org	<1%
56	Internet	www.betek.info	<1%
57	Internet	www.muslim.org	<1%
58	Internet	www.noslih.com	<1%

الباب الأول

مجتمع كيرلا في السياق التاريخي والثقافي

- الفصل الأول: لمحة تاريخية عن ظهور الإسلام وانتشاره في كيرلا
- الفصل الثاني: أحوال كيرلا بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر
- الفصل الثالث: المسلمون هم حملة مشاعل العلم والمعرفة
- الفصل الرابع: تأسيس المدرسة العالية في مدينة كَلْكُتَّا
- الفصل الخامس: التعليم الديني العالي وقدم العلماء من الخارج
- الفصل السادس: الجالس الدارس بجانب مصباح مسجد الفناني
- الفصل السابع: قدوم المبشرين المسيحيين وتحولات الأوضاع في كيرلا
- الفصل الثامن: محمد عبد القادر المولوي الوكّمي: المصلح والكاتب العظيم
- الفصل التاسع: العائلة، التعليم المبكر، أساتذته الأجلاء، الزواج والحياة الأسرية
- الفصل العاشر: الإعلام المطبوع كأداة للنهضة العلمي والأدبي، المولوي ناشراً ومديراً
- الفصل الحادي عشر: الطباعة في مليبارودورها في نشر المعرفة
- الفصل الثاني عشر: المولوي الوكّمي وجريدة سوديشابيماني
- الفصل الثالث عشر: البحث عن محرر جديد، ونقل إدارة الجريدة إلى ترفاندرم
- الفصل الرابع عشر: غضب الحكومة الملكي على جريدة "سواديشابيماني"
- الفصل الخامس عشر: مجلة "المسلم"
- الفصل السادس عشر: مجلة "الإسلام"
- الفصل السابع عشر: مجلة "ديفكا"
- خلاصة الباب الأول:

الفصل الأول

لمحة تاريخية عن ظهور الإسلام و انتشاره في كيرلا

ولاية كيرلا، الواقعة في الجزء الجنوبي الغربي من شبه القارة الهندية، كانت تربطها علاقات تجارية وثيقة بدول غرب آسيا منذ أمد بعيد، حتى قبل قيام الإمبراطورية الرومانية. لقد ظلت كيرلا محط أنظار الدول التجارية والشركات منذ العصور القديمة، وساهم موقعها الجغرافي المتميز، الممتد من الغرب إلى الشرق عبر البحر، في تعزيز أهميتها التجارية. ومنذ الأزمنة المبكرة، اشتهرت منطقة ملبار بتوابلها الفاخرة، مثل الفلفل والزنجبيل والقرنفل⁶، التي حظيت بإقبال واسع من التجار العرب والعالميين.

كان العرب من بين أوائل الأجانب الذين وفدوا إلى سواحل كيرلا، إذ كانت التجارة في المحيط الهندي بين أيديهم منذ أقدم العصور. وقد توسع العرب المسلمون⁷، في مصالحهم التجارية على سواحل ملبار⁸، وأسسوا مراكز تجارية قوية هناك، مما منحهم السيادة على التجارة في المنطقة حتى قبل بداية العصر المسيحي. وكما أشرنا، فقد احتلت التوابل والبهارات من ولاية كيرلا مكانة مرموقة في الأسواق العالمية، مما جعل ساحل ملبار مركزاً رئيسياً للتجارة الخارجية في الهند منذ أقدم العصور.

ترجع العلاقات بين كيرلا والشرق الأوسط إلى زمن بعيد، وتجد أقدم الإشارات إليها في الكتاب المقدس⁹، وتحديداً في العهد القديم، حيث ورد في سفر الملوك أن الملك سليمان أرسل سفنه برفقة سفن الملك الفينيقي حيرام إلى أوفير، وعادت محملة بالذهب والفضة والعاج والقردة والطواويس¹⁰. ومن المؤكد أن هذه البضائع كانت تجلب من ملبار، التي عُرفت منذ القدم بهذه المنتجات الفاخرة. وقد أكد المؤرخون، أمثال رولاندسون وفرانسيس داي وستوروك، أن التجار العرب استقروا بأعداد كبيرة في مختلف موانئ الساحل الغربي للهند.

ومن بين الموانئ الهامة، برزت مدينة كولام كمركز تجاري رئيسي، حيث كانت السفن تتوافد إليها من الصين، محملة بالبضائع الثمينة. وكان التجار الأجانب يشترون منها النحاس والذهب والفضة والحرير والقرنفل والعطور، مقابل بضائع بلادهم. وقد وصف الرحالة الشهير ماركو بولو (Marco Polo) تجارة مدينة كولام

⁶ Menon, K. P. P. (1982). *History of Kerala* (Vol. 1, reprint ed.). New Delhi. (Original work published earlier).

⁷ Sastri, K. A. N. (1972). *Foreign notices of South India*. Madras.

⁸ The Madras Tercentenary Commemoration Volume. (1994). Madras, p. 65

⁹ Mohammed Ali, K. T. (2003). Kerala–Middle East relations. *Journal of Kerala Studies*, 30, p.63.

¹⁰ The Holy Bible, 1 Kings 9:26–28 (Old Testament).

بقوله: "التجار القادمون من مانزي (جنوب الصين)، ومن الجزيرة العربية، وبلاد الشام، كانوا يحضرون إلى هذا الميناء بسفنهم وبضائعهم، وحققوا أرباحًا طائلة، سواء من خلال ما يستوردونه أو ما يصدرونه".

وهكذا، شكلت ولاية كيرلا، ولا سيما منطقة ملبار، نقطة التقاء مهمة للحضارات والثقافات، وساهم العرب والمسلمون بفاعلية في ازدهارها التجاري، مما رسّخ مكانتها كمركز اقتصادي بارز في تاريخ التجارة العالمية¹¹.

كانت لدى السومريين والبابليين علاقات تجارية واسعة النطاق مع ساحل كيرلا، وقد عُثر على جذوع من خشب الساج بين بقايا معبد القمر في أور وقصر نبوخذنصر (604-562 ق.م) في بيرس نمرود. كما أقام الإغريق والرومان والصينيون والآشوريون واليهود وغيرهم علاقات تجارية مع ولاية كيرلا، حتى إن الفينيقيين، الذين عُرفوا بأنهم من أوائل التجار الدوليين في العالم القديم، وصلوا إلى هذه المنطقة بحثًا عن التوابل والسلع النادرة، وذلك قبل نحو ألف عام من الميلاد.

أما الملك سليمان، حاكم إسرائيل، فقد أرسل أسطولًا من السفن إلى سواحل ولاية كيرلا لأغراض تجارية، وذلك حوالي عام 1000 قبل الميلاد¹². وفي القرون الأخيرة التي سبقت الميلاد، أصبحت هذه المنطقة مشهورة بين الإغريق والرومان بتوابلها، ولا سيما الفلفل، كما تثبت ذلك المراجع والمؤلفات التاريخية¹³ التي خلدت هذه الحقبة.

وقد أشار المؤرخ بليني (Pliny) في كتابه *Periplus of the Erythraean Sea* إلى التجارة النشطة التي مارسها أهل ملبار، مع تسليط الضوء على الموانئ والمدن المهمة آنذاك. أما الرومان، فقد سلكوا طريق التجارة المباشرة مع جنوب الهند، دون الاعتماد على وسطاء، مما يدل على أهميتها الاقتصادية لديهم. وقد كشفت الاكتشافات الأثرية عن وجود عملات رومانية في مناطق مختلفة من جنوب الهند، بما في ذلك ولاية كيرلا، مما يشهد على متانة العلاقات التجارية الطويلة بين الجانبين¹⁴.

وفي العصور الوسطى، ظلت التجارة عنصرًا أساسيًا في النشاط الاقتصادي لكيرلا، ورافدًا مهمًا لازدهارها. وعندما اجتاحت الفرس الشرق الأوسط، شهدت العلاقات التجارية بين كيرلا والمنطقة تطورًا كبيرًا. فقد قام الملك داريوس الأكبر Darius the Great (485-521 ق.م) بتنظيم حملات تجارية عديدة بين كيرلا والشرق الأوسط¹⁵، مما عزز التبادل التجاري بين الطرفين.

¹¹ Henry Yule and Cordier (eds.), The Books of Marco Polo, Vol II, London, 1903, p.376

¹² John W. Parry, The Story a/Spices, New York, 1953, pp.29-33.

¹³ V. Nagam Aiya, Travancore State Manual, Vol. I, New Delhi, 1989, (Reprint) pp. 238- 39.

¹⁴ P.L. Gupta, The Early Coins from Kera/a, Trivandrum, 1965, pp.46-49.

¹⁵ ملك بلاد فارس في 486-522 قبل الميلاد ، أحد أعظم حكام السلالة الأخمينية ، اشتهر بعقبريته الإدارية ومشاريعه الإنشائية العظيمة. حاول داريوس عدة مرات غزو اليونان ، دمرت عاصفة أسطوله عام 492 ، وهزم الأثينيون جيشه في ماراثون عام 490.

أما الرحالة العرب، فقد تضمنت مساراتهم ومؤلفاتهم إشارات متعددة إلى ملبار، وأطلقوا عليها أسماء مختلفة، مثل *مَلَيْبَار* و*مَنْبَار* و*مَلَيْبَار* و*مَلَاي*، مما يعكس الأهمية التاريخية والتجارية لهذه المنطقة في العصور القديمة.

وقد أشار معظم كُتّاب تواريخ العرب إلى ملبار في كتاباتهم، ومن بينهم سليمان¹⁶، والياقوتي¹⁷، والدمشقي، وأبو الفداء، والإدريسي، والقزويني وغيرهم¹⁸، كما أكد الرحالة الشهير ماركو بولو (Marco Polo) في تصريحاته أن السفن كانت تأتي إلى سواحل ملبار من مناطق مختلفة.

وفي العصر الروماني، كان البحر الأحمر يُعدّ الطريق التجاري الأهم، غير أن خطورة الرحلة عبره دفعت التجار إلى اختيار الطريق الساحلي عبر البحر العربي. ومع قيام الإمبراطورية الرومانية، أنشئ اتصال مباشر مع الهند، وازدهرت التجارة تحت حكم الإمبراطور أغسطس قيصر (31 ق.م – 14 م)، حيث تزايد الطلب على المنتجات الشرقية الفاخرة. وتشير المصادر التاريخية إلى أن أكثر من 120 سفينة كانت تبحر سنوياً إلى الهند، كما تمّ بناء معبد تقليدي باسم أغسطس في موزيريس (Kodungallur) وسط ولاية كيرالا، مما يدلّ على وجود عدد كبير من الرومان الذين استقروا هناك على مدار العام.

وقد أدى التحوّل إلى استخدام البحر العربي كمسار رئيسي إلى تقليل مدة الرحلة البحرية من أربعة أشهر إلى سبعة أيام، كما حققت أخطار القراصنة الذين كانوا يعيشون فساداً في المياه الساحلية. وقد جعل هذا الاكتشاف الوصول إلى موانئ البحر الأحمر أكثر سهولة ومباشرة، وهو أمر كان البحارة العرب على دراية به لعدة قرون، لكنهم احتفظوا به سرّاً حفاظاً على مصالحهم التجارية.

تركزت تجارة ولاية كيرالا على منتجاتها الفريدة، مثل الفلفل، والقرنفل، والزنجبيل، والعاج، بالإضافة إلى السلع التي تمّ استيرادها من دول أخرى، مثل الحرير، والأقمشة القطنية، والجلود، والجواهر، واللآلئ. وقد حظيت بهارات كيرالا بشهرة واسعة وحققت أسعاراً مرتفعة في الأسواق العالمية. ووفقاً لما يرويه بليني (Pliny)، كان الفلفل المنتج في كيرالا يُباع بسعر يصل إلى 15 ديناراً. كما أشار إلى أن الهند لم تستوعب في أي عام أقل من خمسين مليون سيسترس¹⁹ (Sesterces). ويذكر المؤرخ مورتيمار ويلر (S. Wheeler) أن هذه

¹⁶ سليمان التاجر السيرافي (القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي) هو رحالة وتاجر عربي عراقي، لقب بالسيرافي نسبة إلى سيراف وهو ميناء مشهور في العصر العباسي، وهو أول رحالة عربي أشار إلى وجود الشاي في الصين. لا يُعرف عنه الكثير غير أنه كتب سنة 237 هجري (851 ميلادي) وصف رحلة له إلى الهند والصين والمعروف أنه زارهما عدة مرات. ولهذا الوصف تذييل وضعه في القرن الرابع الهجري رجل آخر هو أبو زيد حسن السيرافي واعتمد فيه على ما سمعه من قصص الرحالة.

¹⁷ شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (626 - 574) أديب كبير في دراسة الأدب واشتغل بالعلم، وشاعر ولغوي ومؤلف موسوعات وخطاط ورحالة جغرافي من أصل رومي، سكن في مدينة بغداد حتى وفاته، ولقد سعى نفسه عبد الرحمن. وأهم مؤلفات ياقوت الحموي كتاب معجم البلدان الذي ترجم وطبع عدة مرات.

¹⁸ Muhammad Husaim Nainar, Arab Geographers' Knowledge of Southern India, University of Madras, 1942, p. 56.

¹⁹ 25 مليون دولار تقريباً

القيمة كانت للمواد المستوردة إلى الهند، لكنها في الحقيقة تعكس ثمن المواد التي اشتراها التجار الرومان من الهند وسددوها نقداً²⁰.

يذكر الرحالة الشهير ماركو بولو (Marco Polo)، المعروف بلقب "أمير مسافري العصور الوسطى"، أنه في رحلة عودته من الصين، نحو عام 1293م، مرّ بموانئ كويلون (Quilon) وملبار (Melibar) ومملكة زامورين وإيلي-إيمالا، التي كانت تُعرف بمملكة كولاتيريس (Kingdom of the Zamorin and Eli-Elimala) وقد أشار إلى أن ولاية كيرلا كانت غنية بالمنتجات الفاخرة، مثل الفلفل والقرنفل والزنجبيل.

وقد اجتذبت بهارات كيرلا، إلى جانب الأخشاب النفيسة والأحجار الكريمة والمجوهرات، التجار من مختلف أنحاء العالم. ولم تكن ولاية كيرلا مجرد مركز تجاري مزدهر، بل كان لشعبها نفوذٌ تجاريّ واسع امتد إلى كمبوديا، وجاوا، وسومطرة، ومالايا، وشبه الجزيرة العربية، وبلاد فارس، بل وحتى المناطق الشرقية من إفريقيا. وقد أسهمت هذه العلاقات التجارية بشكل كبير في نمو موانئ كيرلا وازدهارها، إذ لم تكن التبادلات محصورة في السلع فقط، بل شملت أيضاً العلوم والثقافة، مما جعل كيرلا ملتقىً حضارياً فريداً.

ويشير المؤرخ هنتر إلى أن العلاقات التجارية بين الهند والعالم الخارجي قد تعود إلى زمن النبي موسى والملك سليمان، أي حوالي ألف عام قبل الميلاد. كما ذكر الجغرافي العربي الشهير ابن روسته أن السفن الهندية كانت تبحر، حتى قبل ظهور الإسلام، من نهر دجلة وصولاً إلى المدائن، وكان التجار العرب زواراً دائمين لتلك السواحل منذ أقدم العصور، وكان المركز التجاري الأبرز آنذاك هو كرانجانور (Cranganore)، التي أصبحت اليوم قرية صغيرة بالقرب من كوشين.

وقد بدأ العرب تجارتهم مع سواحل كيرلا منذ عصور موعلة في القدم، قبل ظهور الإسلام، وكان من بينهم الصابئة وأهل حضرموت، الذين انشغلوا بالتجارة وأقاموا مستعمرات تجارية على طول المدن الساحلية لمبار. وهناك دلائل تاريخية قوية تشير إلى أن الصابئة والأنباط كانوا على صلة وثيقة بالتجارة الهندية. وكما يقول المؤرخ سليمان الندوي: "على أي حال، فمنذ عهد النبي يوسف وحتى زمن ماركو بولو وفاسكو دا غاما، كان للعرب احتكار التجارة مع الهند"²¹.

²⁰ S. Mortimar Wheeler, Rome beyond the Imperial Frontiers, p.167.

²¹ Syed Sulaiman Nadwi, Arab-O'-Hind-Ke Taalluqat, Trans, by M.Salahudeen, Hyderabad, 1962, p.28.

الفصل الثاني

أحوال كيرالا بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

شهد مجتمع كيرالا في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين حرماناً شبه تام من مبادئ الحرية والمساواة الاجتماعية بجميع معانيها. فقد عانت الطوائف الدنيا، التي تشكل غالبية سكان الولاية، من شتى صنوف البؤس الاجتماعي والاقتصادي والديني، وذلك بسبب نظام الطبقات (Caste System) في الواقع، كانت الحكومة بكل سلطاتها وقياداتها تحت سيطرة أقلية قوية من الطبقة العليا، التي فرضت سطوتها من خلال نظام حكم ديني (Theocracy). ويظهر التاريخ أن معظم مقاليد البلاد وقعت في قبضة البراهمة، حيث أصبحت الثروة والسلطة والقيادة السياسية والتعليم والمعابد تحت سيطرتهم، حتى إنهم تمتعوا بسلطات تفوق سلطة الملك نفسه، الذي صار أشبه بدمية في أيديهم.

أما التعليم العالي، الذي كان يعرف باسم "التعليم الفيدي (Vedic Education)"، فقد ظل حكراً على طبقة البراهمة (Brahmins)، مما جعل النظام التعليمي تجسيدا صارخاً لنظام الطبقات. ولم يقتصر هذا الحرمان على التعليم العالي فحسب، بل امتد حتى إلى التعليم الابتدائي، حيث كان ممنوعاً على الطبقات الدنيا.²² وقد بلغت حدة التمييز والفرقة الاجتماعية في ولاية كيرالا في القرن التاسع عشر أسوأ مستوياتها، مما دفع المفكر الهندي سوامي فيفيكاناندا²³ إلى وصفها بأنها "ملجأ للمجانين". لقد انقسم المجتمع الإنساني إلى طبقات متباينة، فأحكمت الطبقات العليا قبضتها على الطبقات الدنيا، بينما انقسم المجتمع الهندوسي نفسه إلى قسمين رئيسيين: "السافارنا (Savarna)" أي الطبقات العليا، و"الأفارنا (Avarna)" أي الطبقات الدنيا، حيث عُدد أفراد الطبقة الأخيرة من المنبوذين.

كان الهندوس المتشددون يتمسكون بشدة بمبدأ "مسافة التلوث"، إذ اعتقدوا أن اقتراب الطبقات الدنيا منهم يؤدي إلى تدنيسهم. وقد حُددت هذه المسافات بدقة: فكان يُحظر على أفراد طبقة "بولايا (Pulaya)" الاقتراب من البراهمة مسافة تقل عن ٦٤ قدماً، بينما كانت المسافة ٥٤ قدماً إذا كان المنتهي للطبقة الدنيا

²² Elamkulam P. N. Kunjan Pillai, Studies in Kerala History, Trivandrum, 1970, p. 267

²³ سوامي فيفيكاناندا (1863-1902) كان فيلسوفاً وروحانياً هندياً بارزاً، وأحد أهم المصلحين الاجتماعيين في الهند الحديثة. اشتهر بنشر الفلسفة الهندوسية، خاصة تعاليم الـ "فيدانتا" واليوغا، في الغرب، وذلك من خلال خطابه الملهمة، وأبرزها كلمته الشهيرة في مؤتمر الأديان العالمي في شيكاغو عام 1893. كان فيفيكاناندا تلميذاً للقديس راماكريشنا، وساهم في تأسيس بعثة راماكريشنا، التي تركز على الخدمة الاجتماعية والتعليم. ركز في فلسفته على الوحدة بين الأديان، وتنمية القوة الروحية، ودور الشباب في نهضة الأمة، مما جعل أفكاره ذات تأثير واسع على النهضة الهندية الحديثة.

من "بارايا (Paraya)"، و ٣٠ قدمًا إذا كان من "ثييا" أو "إيزافا (Thiyya or Ezhava)"²⁴ فإذا تجاوز أحد من الطبقات الدنيا هذه المسافات المحددة واقترب من أفراد الطبقات العليا، اعتُبر الأخيرون ملوثين. والأسوأ من ذلك، أن الطبقات الدنيا نفسها آمنت بأحقية الطبقات العليا في هذا التفوق الطبقي.

وأي خرق لهذه القيود الطبقية كان يُنظر إليه ببالغ الخطورة، سواء من قِبَل الحكومة أو رجال الدين والكهنة، وكان مرتكبو هذه المخالفات يتعرضون لأشد العقوبات²⁵. وقد وثق الباحث إدغار ثورستون²⁶ (Edgar Thurston) في كتابه حادثة وقعت عام 1904م حيث قُتل رجل من طبقة "ناير (Nair)" رجلاً من طبقة "بولايا" لمجرد اقترابه منه مسافة تُعد "ملوثة" له²⁷. كما أن أفراد طبقة "ناير" كانوا يتحاشون حتى الحديث المباشر مع أفراد "بولايا"، وإن اضطُروا إلى ذلك، فإنهم كانوا يحرصون على الاحتفاظ بمسافة بينهم خوفاً من التلوث بلمسهم أو رؤيتهم.

وفي مشهد آخر يعكس مدى التعصب الطبقي، إذا كان رجل من الطبقات العليا يستحم في بركة مساحتها 100 قدم مربع، لم يكن يُسمح لأي فرد من الطبقات الدنيا بالمرور حتى بالقرب منها، لأن مجرد عبوره من ذلك المكان كان يُعد كافياً لتدنيس مياه البركة²⁸. هذه الصور من التمييز والتفرقة الطبقية تجسد واقعاً اجتماعياً قاسياً شهدته ولاية كيرلا في تلك الحقبة، حيث ساد الظلم والتفاوت الاجتماعي، وغابت قيم العدالة والمساواة، وظل المجتمع أسيراً لنظام طبقي متحجر فرض قيوداً قاسية على حياة غالبية السكان.

يقول السيد فرانسوا بيرارد: (Francois Pyrard)²⁹ عندما يتجول أحد أفراد طبقة نايار في المدينة، يسبقهم خدامهم وهم يصيحون من بعيد: "بو، بو"، أي "تنحوا عن الطريق، تنحوا عن الطريق"، وذلك حتى لا يتلوث أفراد نايار من الطبقة العليا بملامسة من هم أدنى منهم. وكان على المارة من الطبقات الدنيا الابتعاد عن الطريق أو اتخاذ مسار آخر، وإلا تعرضوا للضرب³⁰. وأشار السيد باربوسا إلى أن الفلاحين الذين لا يغيرون طريقهم أمام نايار قد يُقتلون دون أن يتعرض القاتل لأي عقوبة³¹. أما السيد أبي دبويس³² (Abbe Dubois) طرقيهم أمام نايار قد يُقتلون دون أن يتعرض القاتل لأي عقوبة³¹. أما السيد أبي دبويس³² (Abbe Dubois)

²⁴ J.H. Hutton, Caste in India; p.179.

²⁵ Ravindran, T. K. (1986). *Vaikkam Satyagraha and Gandhi*

²⁶ كان مشرفاً في المتحف البريطاني في حكومة المدارس الهند من عام 1885م إلى 1908م. وساهم في الدراسات العلمية في مجال علم الحيوان وعلم الأغراق البشرية وعلم النباتات في الهند. ونشر له لاحقاً أعماله في علم المتحف. وفي الحقيقة إنه تلقى تعليمه في علم الطب، وحاضر في علم التشريح في كلية الطب في مدراس بينما كان يشتغل في نفس الوقت منصباً رفيعاً في المتحف الحكومي.

²⁷ Edgar Thurston, Castes and Tribes of South India, 1909, Madras, p.52.

²⁸ M. K. Kumaran, Sree Narayana Yugaprabhavam, Trivandrum, 1978, p.334.

²⁹ كان ملاحاً فرنسياً، وله كتاب شخصي لمغامراته في جزر المالديف من 1902م إلى 1607م، والتي كانت جزءاً من إقامته لمدة عشر سنوات 1601-1611م في جنوب آسيا وغيرها.

³⁰ Francois Pyrard de Laval, Voyages to the East Indies, Vol. I, p. 384.

³¹ Durate Barbosa, A Description of the coast of East Africa and Malabar, p.129.

³² كان مبشراً كاثوليكياً فرنسياً في الهند، وعضواً في لجنة المبشرين الفرنسيين، أطلق عليه سكان المحليون في الهند دودا سوامي، قدم في عمله الآداب والعادات والتقاليد الهندوسية والثقافات والأفكار ونظام الطبقات في الهند. عاد إلى فرنسا وألف كتاباً عن علم الهندوس، وأخلاق الهندوسية، والعادات، والإحتفالات. إنه تبنى أسلوب حياة الهندوس وملابسهم وأكلهم ولغتهم لكسب الثقة والإحترام منهم، ولكنه فشل في مهمة تحويل الهندو إلى المسيحية. ولد في يناير 1765م - وتوفي في 17 فبراير 1848م.

فقد وصف أشدّ صور هذه الممارسات على ساحل ملبار، حيث انتشرت تقاليد قاسية مماثلة في مختلف أنحاء الدولة.³³

كانت الطبقات الهندوسية حريصة أشد الحرص على تهميش المنبوذين وإقصائهم من الحياة الاجتماعية، فخططوا لتنفيذ برامج وحشية غير إنسانية لترسيخ هذا التمييز. وقد أسسوا نظام السيد والعبد، حيث فُرضت على الخدم والعمال التزامات قاسية³⁴، وعوقبوا بطرق شديدة إن هم تمرّدوا. وكانوا ممنوعين من تناول الطعام داخل المنازل، وأجبروا على تقديم الهدايا لأسيادهم خلال المهرجانات.

أما الأقليات الهندوسية من قبائل نادار وإيزهافا وباريا وبولايا (Nadar, Ezhava, Paraya, Pulaya)، فقد عانت من التعذيب والاضطهاد بلا رحمة تحت حكم القرى القاسي وسلطة المسؤولين. أُجبر أفراد هذه المجتمعات على توفير الاحتياجات الأساسية للقصور والمعابد والمطابخ الملكية دون مقابل، لا سيما خلال احتفالات المعابد والمناسبات الملكية. وقد كان الإقطاعيون معروفين بأنانيتهم وقسوتهم المفرطة، حيث فرضوا على الفلاحين أعمالاً شاقة مثل تشييد المباني، وتحصيل الغذاء للفيلة، وصيد الأسماك للمائدة الملكية.³⁵ وكان من يرفض حمل الأحجار الثقيلة يُستدعى للمساءلة أمام الإمارة ويُعاقب بوحشية.³⁶

وقد وثّق التاريخ حادثة تعرض فيها رجل مسيحي للضرب المبرح بسبب رفضه نقل الأمتعة والأسماك إلى قصر الممثل البريطاني استعداداً لاحتفالات يوم السبت³⁷. وكان الأمراء المحليون يفرضون على الفلاحين وأهل القرى تقديم هدايا باهظة لهم، ومن يرفض يُربط إلى الأشجار ويُجلد بشدة، كما كانوا يجبرونهم على دفع الضرائب المجحفة. وهكذا، أُجبر الفلاحون على الخضوع لنظام لا فرار منه، وأصبحوا طبقة مسحوقة تعاني البؤس والفقر.

لكن ولاية كيرالا شهدت عصرًا من الازدهار تحت حكم الملكتين راني لاكشي باي وبارفاتي باي (Rani Lakshmi Bai and Parvati Bai) بين عامي 1811 و1829م، حيث سُنّت قوانين جديدة هدفت إلى تحسين أوضاع الشعب، مما جعل تلك الفترة مرحلة مشرقة من الإنجاز في مجال الإصلاح الاجتماعي.³⁸

³³ Abbe J. A. Dubois, Indian Manners, Customs and Ceremonies, p. 57.

³⁴ R. Ramachandran, Abolition of Uliyam and Viruthi in Travancore, Journal of Kerala Studies, Vol. III, Parts III and IV, p.521.

³⁵ Political Consultations, 15th March 1859, p.315

³⁶ Mudaliyar Inscriptions, No. 53, quoted by P. Ramachandran, History of Nanchinad (Unpublished Ph.D Thesis, University of Kerala) p.48.

³⁷ Political Consultations, 15th March 1859, p.315.

³⁸ P.K.K. Menon, History of Freedom Movement in Kera/a, p.54

تم إدخال العديد من الإصلاحات الاجتماعية، كما يروي العقيد مونرو³⁹ (Col. Munro) ، حيث مُنحت بعض الفئات المحرومة سابقًا امتيازات خاصة وضُمّن لها السلم الاجتماعي. ومن بين هذه الامتيازات، سُمح لهم باستخدام الحلي الذهبية والفضية دون فرض ضرائب عليها⁴⁰. وفي عام 1815م أصدرت الأميرة راني بارفاتي باي إعلانًا يحظر دفع الأموال إلى أمراء المقاطعات، الذين اعتادوا تحصيلها كمستحقات لهم من الطبقات الدنيا ومستأجريهم في مناسبات الزواج والاحتفالات⁴¹.

أما المنبوذون والأقليات، فلم يكن يُسمح لهم بارتداء الملابس بدقة وأناقة، وكان يتوجب عليهم تغطية أفواههم بأيديهم عند الحديث مع أفراد الطوائف العليا من الهندوس، إذ كانوا يُعدّون أدنى منزلة إلى حد اعتبار لمساتهم نجسة، مما فرض عليهم العيش في عزلة عن المجتمع الإنساني الطبيعي⁴².

وكان من الواجب على المنبوذ أن يخاطب أفراد الطبقة العليا من الهندوس بعبارات الاحترام، مثل "يا سيدي" أو "يا سيدتي"، ولم يكن يجوز له أن يشير إلى نفسه بضمير المتكلم "أنا"، بل كان عليه استخدام كلمة "أديان" (Adiyan) ، التي تعني "العبد". كما لم يكن مسموحًا له أن يرتدي ملابس تشابه ملابس الطبقات العليا من الهندوس، أو أن يبني منزله على طراز منازلهم. وعند خروج الآلهة من معابد الطائفة العليا خلال الاحتفالات، لم يكن يُسمح للمنبوذين والأقليات بالاقتراب من المواكب، بل كانوا يُجبرون على البقاء على مسافة بعيدة، خشية أن تنتجس آلهتهم بوجودهم⁴³.

كانت النساء مجبرات على الخروج شبه عاريات، وممنوعات من ارتداء الحلي أو التزين بها. كما حرمتهن أنظمة الطوائف وقوانين الأمراء من امتلاك الأبقار الحلوب والاستفادة من الحليب والمعادن، وكذلك من ارتداء الملابس المنسوجة بطريقة متقنة. ومع ذلك، فقد استُخدم بشكل واسع في خدمة الدولة، وساهم في الاقتصاد بصفتهن مزارعات وتاجرات وصانعات.

عانت الطبقات المنبوذة والأقليات من اضطهاد الحكومة والطائفة الهندوسية، كما أسلفنا الذكر، حيث فُرضت عليهم ضرائب ورسوم جائرة لا تراعي أدنى معايير الإنسانية. وكانت "ضريبة الرؤوس" (Capitation)

³⁹ العقيد جون مونرو (Col. John Munro) كان مسؤولًا بريطانيًا خدم في الهند خلال فترة الاستعمار البريطاني، وعُرف بإسهاماته في الإصلاحات الإدارية والاجتماعية، لا سيما في ولاية ترافانكور. عمل كمقيم بريطاني وأدخل العديد من التغييرات التي هدفت إلى تحسين أوضاع الطبقات المهمشة، حيث منحهم بعض الامتيازات التي كانت محظورة عليهم سابقًا، مثل ارتداء الحلي الذهبية والفضية دون ضرائب. كما دعم سياسات تحدّ من استغلال الطبقات الدنيا، وساهم في إصلاح نظام الحكم والإدارة، مما كان له تأثير ملحوظ على البنية الاجتماعية في المنطقة.

⁴⁰ T.L.R.M., Vol. IV, 790

⁴¹ P. K. K., Menon, op.cit., p. 76.

⁴² Kerala Kaumudi, 13 September, 1923.

⁴³ Census Report, 1901, Vol. 1, p.279

(Tax) أشدها قسوة وأشدها بُغضًا في نفوس الناس. وقد أثارت الوسائل التي انتهجها الأمراء وموظفو الدولة في جباية هذه الضرائب غضب العامة، ومع ذلك، فقد اضطروا إلى الصمت والتزام الطاعة.

وفي عام 1754م، فُرضت ضريبة جديدة على أراضي الأقليات لمواجهة النفقات العسكرية. كما كانت هناك ضريبة رسمية بنسبة 25% تُجبي من جميع الممتلكات القابلة للتوريث. ولم يسلم حتى الأراذل من هذه الجباية، إذ فُرضت عليهم ضريبة تبلغ نحو روبية واحدة بعد وفاة أزواجهن. أما الطبقات الدنيا، لا سيما "البولاياس" و"الباراياس"، فقد عوملوا معاملة العبيد، وكان عليهم أن يظلوا كذلك طيلة حياتهم، إذ اعتُبروا ممتلكات قابلة للنقل من مالك إلى آخر.⁴⁴

كان العبيد يُباعون ويُشترَون كما تباع الحيوانات الأليفة في الأسواق، بل كانوا يُؤجَّرون للعمل في المزارع وخدمة الأثرياء. ولم يكن غريبًا أن يُقدِّم أصحاب العبيد عبيدهم كهدايا لأصدقائهم أو يرهنوهم عند الحاجة. وكما هو الحال في سائر أنحاء الهند، كان لنظام العبودية في ولاية كيرالا سمات خاصة؛ فمن يولد لأبوين مسترقين، كان يُحكم عليه أن يظل عبدًا مدى الحياة، سواء أراد ذلك أم لم يُرد. باختصار، كان النظام الطبقي والعبودية متوارثين، ولم يكن هناك سبيل للتحرر من هذه القيود المهيمنة.⁴⁵

بلغت العبودية في كيرالا أقصى صورها، حيث كان جزء كبير من السكان محكومًا عليه بالاسترقاق الأبدي. ولم يكن لأفراد الطبقات العليا من رادع يمنعهم من ارتكاب القتل والاعتداء والنهب بحق الضعفاء والمستضعفين من الطبقات الدنيا. بل حُرِّم هؤلاء البائسون حتى من حق السكن في منازل مشيدة أو بيوت مبلطة، كما أشرنا آنفًا.⁴⁶

طالما كان المستأجرون يؤدّون الإيجار بانتظام، لم تتدخل الحكومة في شؤون المالك المؤقت، ولا في أوضاع العبيد تحت أي ظرف. وفي عام 1812م، وبموجب الإعلان الملكي الصادر عن صاحبة السمو الأميرة راني لاكشمي باي، تم حظر بيع وشراء العبيد في جميع أنحاء مملكة ترافنكور.⁴⁷

كما عانى الصيادون المسيحيون الفقراء في ترافنكور من قمع شديد مارسه رجال الحكومة وأمراء البلاد، إذ أُجبروا على تزويد القوائم بالأعمال يوميًا بأسماء طازجة وفاخرة، رغم فقرهم المدقع وحرمانهم من أبسط مقومات العيش الكريم. وفي الأوقات التي تعزّ فيها الأسماك، كانوا يضطرون إلى دفع تعويض مالي عوضًا عن ذلك، مما زاد من معاناتهم وأثقل كاهلهم بمزيد من الأعباء.⁴⁸

⁴⁴ T.H.P. Chentharassery, Ayyankali (Mal.) p.29.

⁴⁵ K.K. Kusuman, Slavery in Travancore, p.24.

⁴⁶ A. Sreedhara Menon, Kera/a District Gazetteer, Quilon. p.141.

⁴⁷ K. Saradamani, 'Abolition of Slavery in Kerala', Journal of Kera/a Studies, Vol. II, Part II, June 1975, p.222.

⁴⁸ Samuel, Rev.Mateer, op.cit., p.369.

أما في ما يخص التعليم، فقد كان حكرًا على الطبقات العليا من الهندوس، حيث احتكر البراهمة التعليم العالي، وامتلكوا المدارس والمعاهد، حتى إن المدارس الإعدادية وروضات الأطفال كانت مخصصة لهم وحدهم⁴⁹. وبعد المرحلة الإعدادية، كان أبناء طبقة "ناير" يواصلون تعليمهم في "كالاري" (Kalari)، حيث يتلقون تدريبات على فنون القتال والدفاع عن النفس، فيلتحق معظمهم بعد ذلك بالجيش. أما أبناء الطبقات الدنيا، فقد كانوا في حال بائسة، إذ حرموا من فرصة التعليم بشكل كامل، ولم يُقبلوا في المدارس أو حتى في صفوف الجيش، فوجدوا أنفسهم أشبه بالبائس، يعيشون في أدنى درجات الإهمال والاضطهاد⁵⁰.

الفصل الثالث

المسلمون هم حملة مشاعل العلم والمعرفة

وهذه حقيقة تاريخية لا يرقى إليها الشك. فقد كان الإسلام والمسلمون عبر العصور رواد الحضارة وحملات لواء المعرفة، إذ فتحو أبواب العلم أمام العالم بأسره، دون تفريق بين العرب والعجم. وسارت المجتمعات الإسلامية، في مختلف أرجاء المعمورة، على هذا النهج القويم، محافظةً على هذا الإرث العلمي الزاخر حتى يومنا هذا. وقد حظي المسلمون بحرية أكاديمية واسعة في مجالات التعليم والتدريس والبحث العلمي، كما أولوا اهتمامًا بالغًا للعلوم الدينية والدنيوية على حدٍ سواء⁵¹. ويتجلى هذا الاعتبار بوضوح في المجتمع الإسلامي بولاية كيرالا، حيث يتمسك المسلمون بعقيدتهم ودينهم تمسكًا عاطفيًا عميقًا.

غير أن الفلسفة اليونانية، وفروع المعرفة المختلفة، فتحت آفاقًا جديدة أمام الفكر الإسلامي، ما أدى إلى تسلسل البدع والخرافات والشكوك والأوهام، بل حتى شيء من الإلحاد، إلى عقول بعض المسلمين. ونتيجة لذلك، انحصر التعليم في الدراسات الدينية، وتم استبعاد العلوم الحديثة من مناهج التدريس، فتراكتت غيوم الجهل، وحلّ التخلف مكان النهضة الفكرية، وأهملت العلوم الدنيوية، فكان لذلك بالغ الأثر في تباطؤ التقدم العلمي. كما أن الانشغال المفرط بالدراسات اللاهوتية وحدها حال دون ازدهار المجتمع وارتقائه. ومع مرور الزمن، اتخذ بعض العلماء والفقهاء مواقف متشددة في تفسير القرآن الكريم والحديث النبوي، وأتهمت المذاهب الفقهية الأربعة بأنها أدّت إلى ترسيخ التقليد والتقيّد الأعمى⁵².

⁴⁹ M. S. A Rao, Social Change in Malabar, Somaiya Publishers, Bombay, 1970, p. 168.

⁵⁰ Vadakkumkur Raja Raja varma, Kerala Sahitya Charithram (Mal.) Mangalodayam, Trichur, 1122 M.E, Vol. VII, p.311.

⁵¹ S. Maqbul Ahmed, Madrasa System of Education and Indian Muslim Society, p.27.

⁵² Mahmudul Haq, Muhammed 'Abduh, Institute of Islamic studies, Aligrah, 1970. p. 87.

ولم يكن التعليم الإسلامي في جوهره مقتصرًا على العلوم الدينية، بل اشتمل على مختلف المعارف التي من شأنها أن تعين الإنسان ماديًا ومعنويًا، وتجعل حياته أكثر رفاهاً ورفقًا. ففي العصور الأولى للإسلام، كان العلماء والأكابر من مختلف الأقطار العربية يفتدون إلى بلادنا، حاملين لواء العلم، ومكلفين بنشره من خلال نظام "الدرس الجامعي". وكان لهذه الجهود أثر عظيم في دفع عجلة التقدم العلمي والاجتماعي والاقتصادي للمسلمين. غير أنّ بريق المعرفة أخذ يخفت تدريجيًا لأسباب عديدة، حتى فقد العلم مكانته ودوره الفاعل في المجتمع.

وفي مطلع القرن العشرين، كانت الجالية المسلمة في كيرالا تعيش أوضاعًا يرثى لها، إذ سادت بينهم الخرافات والعقائد الباطلة والعادات السيئة والمغالاة في الدين. وكان من المفترض أن يتولى رجال الدين قيادة الأمة وتوجيهها نحو الصواب، لكن بعضهم غرق في الجهل والضلال، واستغلّ جهل العوام لمآرب شخصية، فطغت الأنانية وضاعت الرسالة الحقيقية للعلم والدين. ولم يكن التعليم الديني في تلك الحقبة في حال مرضية، إذ لم تكن هناك معاهد عربية أو مؤسسات إسلامية قائمة تُعنى بنشر العلوم الشرعية، أما الأساليب التعليمية المتبعة فكانت بدائية وغير كافية على الإطلاق.

وقد زاد الطين بلة سنوات طويلة من القمع والاضطهاد في ظلّ الاستعمار البريطاني، ما جعل المسلمين ينفرون من كلّ ما يتصل باللغة الإنجليزية. فقد أشعل الصراع مع المستعمر البريطاني نار الكراهية في قلوبهم، إذ رأوا في الإنجليز قوّة غاشمة تسعى إلى طمس هويتهم وإبادتهم، فأصبحت معارضتهم لكلّ ما هو غربي أمرًا لا يلين، حتى تحوّلت هذه العداوة إلى كراهية عميقة تجاه اللغة الإنجليزية والتعليم الغربي. وبلغ بهم الأمر حدّ الاعتقاد بأن دراسة المادة الإنجليزية ليست سوى جواز سفر إلى الجحيم!⁵³

الفصل الرابع

تأسيس المدرسة العالية في مدينة كلكتّا

حين أسس السيد/وارن هاستينغز⁵⁴ (Warren Hastings) أول مدرسة في مدينة كلكتّا بولاية البنغال الغربية⁵⁵ عام 1781م، كان هدفه الرئيسي تأهيل أبناء المسلمين ليكونوا محترمين وقادرين على تولي المناصب المسؤولة والمفيدة للدولة⁵⁶. فقد كان المسلمون في ذلك الوقت غير قادرين على التنافس في ظل الحكم

⁵⁴ عاش في الفترة بين 6 ديسمبر 1732م - 22 أغسطس 1818م، كان أول حاكم عام على الهند في الفترة بين عامي 1773م - إلى 1785م.
⁵⁵ أسس وارن هاستينغز، الحاكم العام البريطاني لشركة الهند الشرقية، مدرسة كلكتّا في عام 1781، اليوم تحمل الجامعة اسم Aliah University. يُقال إنه أحد أقدم المعاهد التعليمية الحديثة الطراز في آسيا.

⁵⁶ India Office Records. (n.d.). *Selections from educational records, Part I: 1781–1839*. India Office Records.

البريطاني، ولم يسعوا إلى تحقيق التقدم لمجتمعهم. كما زعموا أن نظام التعليم السائد في المدارس الحكومية والكليات قد أفسد أخلاق التلاميذ، وأنه يتسم بنبرة عدائية تجاه الدين الإسلامي أو يستهزئ به⁵⁷، مما جعلهم يشعرون بأنهم عرق مهدد بالاندثار تحت الحكم البريطاني⁵⁸.

وقد امتدت مشاعر الكراهية تجاه التعليم العلماني بين مسلمي كيرالا، حتى طالت دراسة لغتهم الأم⁵⁹، المليالمية. فأطلقوا عليها "آريان أزت (Aryan Ezhuthu)"، واعتبروها لغة وثنية تابعة للهندوس، متحيزين ضدها بحجة أنها تحمل في طياتها ممارسات عبادة الأصنام والخرافات. ولم يكن العلماء المسلمون المتقنون للغة العربية بارعين في المليالمية، وبطبيعة الحال لم يشجعوا دراستها، بل ذهبوا إلى حد اعتبار تعلمها خطرًا على الدين. وقد تبني عامة المسلمين هذه الفكرة، ويشير الشيخ إ.ك. المولوي في مذكراته إلى أن المسلمين كانوا دائمًا يدعون قائلين: "اللهم ربنا لا تجعلنا ممن يتكلمون المليالمية الفصحى"⁶⁰. وبمرور الزمن، ظهر نص جديد يُعرف باسم "العربي-المليالم (Arabi Malayalam)"، مما ساعد المسلمين على الابتعاد عن المليالمية والتقرب أكثر إلى اللغة العربية.

ومع مرور الزمن، تمكنت الخرافات والمعتقدات والممارسات غير الإسلامية من السيطرة على المجتمع الإسلامي لدرجة جعلت من الصعب، بل المستحيل، تحقيق أي إصلاح أو تجديد داخله. وكان انتشار الجهل وضعف الثقافة، لا سيما بين النساء، أرضًا خصبة لازدهار البدع والخرافات، مما زاد من تعقيد المشكلة.

وفي أواخر القرن التاسع عشر وخلال العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين، ظهر عدد من القادة الذين سعوا إلى إصلاح المجتمع الإسلامي، ومن بينهم السيد الشيخ ماحي الحمداني، ووكم محمد عبد القادر المولوي، والسيد ك.م. ستي صاحب، وغيرهم. وقد بذلت جهود حثيثة من خلال تشكيل منظمات اجتماعية وسياسية لتعزيز تعليم اللغة الإنجليزية ونشر التعليم الحديث بين المسلمين. وكان المولوي الوكّمي من بين الشخصيات البارزة التي قدمت مساهمات جلية في مجال التعليم والتجديد خلال الفترة من 1873 إلى 1933 م.

وعلى الرغم من انتشار التعليم الحديث في مناطق مليبار خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، ظل المسلمون مترددين في الانخراط فيه، مما أدى إلى تخلفهم في المجالات العلمية والتربوية والتعليمية. وقد سعت الحكومة البريطانية إلى إيجاد حلول لهذه المعضلة، فأطلقت عليها "مشكلة مايبلا (Mappila Problem)"، ورأت أن السبيل الوحيد لمعالجتها هو تطبيق التعليم العلماني على النمط الغربي.

⁵⁷ Report of the Education Commission, 1882, Part III, 483, INA.

⁵⁸ W.W. Hunter, The Indian Musalman, 1871, p.149.

⁵⁹ V. Mohammed, 'Moplah Education'. Farook College Annual Silver Jubilee Souvenir, Ferook, 1974, pp. 117-118.

⁶⁰ Syed Muhammad, "Kerala Muslims and Malayalam Language", Kerala Muslim Educational Association Souvenir, p.85

كان المسلمون مترددين في الالتحاق بالمدارس التي تديرها الطوائف الأخرى، إذ تمسكوا بأنظمتهم التعليمية التقليدية ذات الطابع الديني. كانت المساجد بمثابة المراكز الرئيسية للتعليم والتعلم، حيث أقيمت حلقات الدرس داخلها أو بالقرب منها. واشتهرت المدارس المجاورة للمساجد باسم "Ottupallis"⁶¹، والتي تعني "الكتاتيب". وكان يُطلق على المعلم في هذه المؤسسات أسماء مثل "مُسَلِّيَار" أو "مُلَّا"⁶² أو "مُلَّاكَّا" (Musaliyar, Mulla, Mullakka)، وكانت مهمته الرئيسية تحفيظ الطلاب دروسهم.

يبدأ الطالب الجديد تعليمه بتقديم الحلويات، ثم يشرع في ترديد الآيات القرآنية خلف المعلم، كما لو كان ببغاء يكرر ما يسمعه. وكانت الدراسة تبدأ بتعلم الأحرف وألفاظ اللغة العربية، دون وجود منهج محدد، بل كان أسلوب التعليم يعتمد على اجتهاد المعلم أو المُلَّا ورغبته⁶³.

عادةً ما كانت مدة التعليم في هذه المؤسسات تتراوح بين أربع إلى خمس سنوات، يتعلم خلالها الطلاب شيئاً من القرآن والفقه باللغة العربية. وكما يوحي اسم "Ottupalli" وليس "Ezhuthupalli". فإن التعليم في هذه المدارس كان شفهيًا لا كتابيًا، ما جعل الطلاب يجهلون تمامًا معاني ما يحفظونه من القرآن الكريم. فقد كانوا يدرسون القرآن بطريقة التلقين، مقسمًا إلى أجزاء صغيرة، دون أن يكون لهم أي فهم لمعانيه.

وبعد إتمام تلاوة القرآن، يتلقى الطلاب بعض التعليمات الشفهية حول أداء العبادات والواجبات الدينية، كما يتدربون على تلاوة المدائح النبوية والموالد، سواء كانت منظومة شعرًا أو مكتوبة نثرًا، والتي تُعرف محليًا باسم "Malas-Maulids".

وكان من واجبات "المُلَّا" رفع الأذان للصلوات الخمس في المسجد، ولذلك عُرف بهذا الاسم⁶⁴. ولم يكن هناك نظام فصول دراسية في الكتاتيب، بل كان جميع الطلاب – على اختلاف أعمارهم – يجتمعون في فصل واحد، حيث يتولى المعلم تعليم الأطفال الأبجدية والكلمات العربية بكتابتها على ألواح خشبية مصقولة بالطين الأبيض، مستخدمًا قلمًا من الخيزران مغموسًا في حبر مصنوع من الفحم أو مواد أخرى⁶⁵. ومع ذلك لم تُستخدم في هذه المدارس الكتب ولا الأقلام ولا الألواح السوداء، كما لم تكن هناك وسائل تعليمية حديثة أو أثاث من أي نوع. وكان تعليم الأطفال الصغار يتم في كثير من الأحيان على يد الطلاب الكبار، مما أدى إلى ضياع سنوات ثمينة في مجرد التلاوة الشفهية دون استيعاب حقيقي للمواد الدراسية.

⁶¹ K.T. Mohammed Ali, op.cit., p. 37.

⁶² C.R. Mohammed Koya, "Ottupurayile onnakal" Smaranika (Mal.), 1984, p. 49.

⁶³ E. Moidu Moulavi, Moulaviyude Atmakatha (Mal), D.C. Books, Kottayam, 1985, p. 11

⁶⁴ كانت هناك في جوانب المعابد الهندوسية مراكز باسم Othanmar Madam حيث كان الطلاب الهندوس يتعلمون لغة السنسكريتية والترايم، ربما تم تبيّن نفس الطريقة من قبل المسلمين الأوائل وسموها باسم أوثوبالي Othupalli.

⁶⁵ K. K. Mohamed Shafi, 'Kazhinha Kalam' Perunthalamanna Government High School Centenary Souvenir, 1973, p. 102.

يُتلى القرآن الكريم دون فهم معانيه على مدى خمس أو ست سنوات⁶⁶، واقتصر المنهج التعليمي في الكتاتيب على حفظ جزء من القرآن الكريم واكتساب بعض المعارف الدينية الأساسية النافعة للحياة اليومية. كما أن انخفاض أجور المعلمين اضطرهم إلى الاعتماد على التبرعات وأعمال البر من قبل الأثرياء وأصحاب اليسار. أما تعليم المرأة، فقد ظلّ محصوراً في نطاق الكتاتيب⁶⁷.

الفصل الخامس

التعليم الديني العالي وقدم العلماء من الخارج

شهدت المساجد الكبرى البارزة ترتيبات خاصة لدعم التعليم الديني العالي، حيث جرى تخصيص بعض الأروقة العلوية لسكن الطلاب، الذين أقاموا في هذه المساجد وتلقوا دعماً كريماً من المسلمين المحليين، الذين تكفلوا بتوفير الطعام لهم. واستغرقت الدراسة في هذه المساجد مدة تتراوح بين عشرة إلى خمسة عشر عاماً.

وفي العهود الأولى للإسلام، اعتاد العلماء والمشاهير من مختلف البلاد العربية القدوم إلى ولاية كيرلا بانتظام، حيث أوكلت إلى بعضهم مسؤولية الإشراف على هذه المؤسسات التعليمية العليا، المعروفة باسم "الدرس". وكان الطلاب الذين أتمّوا دراستهم في الكتاتيب يُقبلون لمتابعة تعليمهم في هذه الحلقات العلمية في المساجد. ويُعتقد أن أول درس أُسس في منطقة فوناني⁶⁸ كان على يد الشيخ زين الدين المخدوم رحمه الله تعالى.

وقد ازدهر نظام "الدرس" في الجوامع الشهيرة بفضل الخدمات الجليلة التي قدمها العلماء والمفكرون البارزون، ولا سيما أفراد عائلة "المخدوم"، الذين يعود أصلهم إلى اليمن⁶⁹. وكان الشيخ زين الدين بن علي بن أحمد المعبري أول من أسس مسجدًا جامعيًا في فوناني، حيث أقام فيه دروس العلم عام 1510م⁷⁰. وسرعان ما أصبحت فوناني مركزًا دينيًا رئيسيًا لمسلمي ولاية كيرلا، حتى لُقبت بـ "مكة الصغيرة في ملبار" (Little Mecca of Malabar).

⁶⁶ CH Muhammad Koya, 'Reminiscences of an Ottupura; Mathrubhumi Weekly; June I, 1952.

⁶⁷ E. Moidu Moulavi, Moulaviyude Atmakatha (Mal.), p. 12.

⁶⁸ Ernakulam District Muslim League Souvenir. 1969, Cochin, p. 55.

⁶⁹ C. K. Kareem, (ed.) Kerala Muslim History, Statistics and Directory. Cochin, 1991, Vol. III, p. 227.

⁷⁰ A. P. Ibrahim Kunju, Mappila Muslims of Kerala, p.259.

وكان الشيخ زين الدين المخدوم خطيباً مفوّهًا، وعالمًا جليلاً، وأديبًا بارعًا، ترك بصمته في مختلف العلوم. فقد ألف كتبًا عديدة في مجالات النحو والصرف، والفقه، وعلوم القرآن، والسيرة النبوية، والأخلاق. وتوافد على دروسه مئات الطلاب من داخل الهند وخارجها، حيث بلغ عددهم نحو 400 طالب عام 1887م، ثم قارب 300 طالب في عام 1906م⁷¹.

الفصل السادس

الجالس الدارس بجانب مصباح مسجد الفناني

حتى وقت قريب، لم يكن يُعيّن المدرسون في نظام التعليم الإسلامي التقليدي إلا من بين أولئك الذين أتموا دراسة المناهج المقررة في "درس الفناني" (*Ponnani Dars*)، حيث كان يُطلق على خريجي هذا النظام لقب "*Vilakkathirikkuka*"، أي الجالس الدارس بجانب مصباح مسجد الفناني، وهو لقب يُعترف به كدليل على العلم، ويُمنح صاحبه لقب *مُسَلِّيَار*، مما يؤهله لتولي مناصب القضاء في المحلة أو الخطابة في الجوامع⁷².

لم يكن دور هؤلاء القضاة والمدرسين مقتصرًا على الواجبات الدينية فحسب، بل كانوا أيضاً مسؤولين عن تدريس العلوم الإسلامية وفق نموذج "الدرس الفناني" في مساجدهم ومناطقهم. وقد اشتملت هذه الدروس على علوم القرآن والحديث والفقه والتصوف والمنطق، مما أسهم في ترسيخ المعرفة الإسلامية في قلوب المسلمين بولاية كيرالا⁷³. فظلت هذه العلوم متوارثة جيلاً بعد جيل بفضل الآلاف من المؤسسات التعليمية التي انتشرت في أرجاء البلاد.

ومع مرور الزمن، تطور "درس الفناني" إلى مراكز تعليمية إسلامية كبرى، جذبت الطلاب ليس فقط من مختلف أنحاء الولاية وجنوب الهند، بل أيضاً من دول أجنبية كماليزيا وإندونيسيا وغيرها. وكان لهذا النظام التعليمي طابعه الفريد، حيث اعتمد أسلوب التدريس الشفهي، وكان مرتبطاً ببعض المساجد ذات المكانة المرموقة، حيث دُرست فيه علوم التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والصرف، والمنطق، لتأهيل الطلاب لوظيفة *مُسَلِّيَار*.

⁷¹ Abdul Rehiman, "Ponnani" - A brief Historical Account, MES Ponnani College Souvenir, 1969, pp 174-756.

⁷² Edgar Thurston, *Castes and Tribes of Southern India*, p. 462.

⁷³ K.T. Mohammed Ali, op. cit., p. 38.

لا شك أن هذا النظام التعليمي قدم خدمات جليلة للإسلام والمسلمين، وأسهم في تكوين أجيال من العلماء الذين حافظوا على التراث الإسلامي ونشروه في ربوع الأرض. ومع ذلك، لم يكن هذا النظام خالياً من العيوب، إذ افتقرت مناهجه القديمة إلى التجديد والتطوير لتواكب متطلبات العصر⁷⁴، ولم يكن هناك اهتمام بتنمية القدرات الأدبية للطلاب أو تشجيعهم على البحث والتحقيق، مما أدى إلى غياب التفكير الحر والنقدي.

إضافة إلى ذلك، كان النظام التعليمي منحصراً ومقتصرًا داخل الإطار الصارم لإحدى المدارس الفقهية الأربعة، وتحديدًا المذهبين الشافعي والحنفي، حيث أُغلق باب الاجتهاد، وحُرِّم الخوض فيه من قبل العلماء ورجال الدين، مما أدى إلى جمود فكري وتخلف حال دون استيعاب متغيرات الزمن. كما أن معظم معاهد "الدرس" خضعت لسيطرة المتشددین من الصوفيين والغلاة، الذين فرضوا على الطلاب التسليم بآراء الكبار من الأئمة دون مناقشة صحتها أو مدى انسجامها مع النصوص الشرعية الصريحة.

ومع مرور الوقت، بدأ نظام "الدرس" في التراجع، حتى فقد جوهره العلمي، ولم يعد طلاب القرن التاسع عشر قادرين على استيعاب روح القرآن من خلاله، مما جعل خريجيه عاجزين عن فهم معطيات العالم الجديد ومتطلباته. ويعود ذلك، في المقام الأول، إلى الأسلوب التعليمي غير العلمي الذي اتبع في هذه المراكز، والذي أدى إلى تفشي الجهل والتخلف الثقافي بين المسلمين.

كان معظم المسلمين آنذاك يعملون في التجارة والأعمال، إلا أنهم لم يولوا اهتماماً يُذكر بالتعليم، مما أدى إلى تفاقم الفجوة الحضارية بينهم وبين غيرهم. وكانت حالة النساء في هذا المجتمع أكثر مأساوية، حيث عانين من الإهمال والحرمان من فرص التعلم. أما عامة الناس، فقد غرقوا في دوامة من الخرافات والممارسات غير الإسلامية، مما سبّب في تراجع الوعي الديني والفكري.

إن هذا التدهور الذي أصاب النظام التعليمي التقليدي في كيرالا كان أحد العوامل التي أخرجت تقدم المسلمين، وجعلتهم غير قادرين على مواجهة تحديات العصر. لذلك، كان لا بد من إصلاح جذري يعيد لهذه المؤسسات العلمية دورها الحقيقي في نشر العلم، وتعزيز التفكير النقدي، وتحرير العقول من القيود التي كبلتها لعقود طويلة.

أدرك القادة والمصلحون في المجتمع الحاجة الملحة إلى إصلاح المناهج التعليمية وتطوير المدارس والمقررات الدراسية⁷⁵، إلى جانب ضرورة استحداث أساليب جديدة في التدريس ترتقي بمستوى التعليم وتواكب متطلبات العصر. وكما أشرنا آنفاً، كان الشيخ شاللاكات كنج أحمد الحاج من رواد هذه النهضة، إذ أطلق ما عُرف لاحقاً باسم "حركة المدرسة (Madrassa Movement)" في ولاية كيرالا، واضعاً نصب عينيه هدفاً

⁷⁴ P.P. Abdul Hameed, "Amalgamation of Religious and Secular Education", Islamic Seminar Review, 1966, p.65.

⁷⁵ K. T. Mohammed Ali, op.cit., p.41.

سامياً: استبدال النظام التقليدي في التعليم بمنظومة حديثة متطورة، قائمة على المناهج العلمية المعاصرة والكتب المدرسية المتقنة، مدعومة بالوسائل التعليمية الحديثة، من سبورات وطباشير ومقاعد وطاولات، لترتقي العملية التعليمية إلى مستوى أرقى وأكفأ.

وقد تجلّى هذا الإصلاح التربوي لأول مرة في كلية دار العلوم العربية بقرية وازاكاد، حيث أحدث الشيخ شاللاكات كنج أحمد الحاج نقلة نوعية في التعليم، الأمر الذي أهله لتولّي منصب "صدر المدرسين" برتبة مدير في مدرسة تنمية العلوم بوازاكاد عام 1909م. ولم يقتصر دوره على إدارة المدرسة، بل واصل جهوده الإصلاحية، حيث أسّس فيها الفصول العليا، وأدرج ضمن مناهجها مواد علمية حديثة، شملت شيئاً من الهندسة، والحساب، والمنطق، والفلسفة، والتاريخ، والأدب، وعلم اللاهوت، مزوّدة بأحدث الوسائل التعليمية المتاحة آنذاك، كما أرسى نظام الامتحانات ليشمل جميع المراحل الدراسية⁷⁶، مما أحدث طفرة ملحوظة في جودة التعليم.

وقد تخرّج في هذه المدرسة عدد من التلاميذ الذين أصبحوا فيما بعد من أبرز المفكرين والعلماء، وكان من بينهم الشيخ الكاتب ك. أم. المولوي، والشيخ ب. ك. محي الدين كوتي المولوي، حيث عملا كمدرّسين في المدرسة، وساهما في نهضتها الفكرية والتعليمية. ولم يقتصر أثر هذه الحركة الإصلاحية على مدرسته فحسب، بل امتد ليشمل المجتمع الإسلامي في كيرلا بأسره، حيث أنجبت مدرسة دار العلوم بوازاكاد نخبة من العلماء والمصلحين⁷⁷، الذين اضطلعوا بمسؤولية النهوض بالتعليم، رغم ما واجهته هذه الحركة من معارضة شديدة من بعض التيارات المحافظة التي تمسّكت بالنظم التقليدية في التعليم.

وقد كان هناك عدد من الرواد البارزين الذين حملوا لواء الإصلاح التعليمي، من أمثال السيد ثناء الله المكّي، محمد عبد القادر المولوي الوكّمي، والشيخ محمد ماحي الحمداني، وغيرهم ممن سلكوا درب التجديد، وسعوا إلى استكمال مسيرة الإصلاح التي بدأها الشيخ شاللاكات كنج أحمد الحاج. وعلى خطى هذه الحركة، تم إنشاء المدارس الدينية الحديثة، لتحلّ محل الكتاتيب والكليات العربية التقليدية، التي كانت تُعقد غالباً في الطوابق العليا للمساجد الجامعة.

ويُعدّ أبرز إنجازات هذه الحركة الإصلاحية في ولاية كيرلا هو ما أحدثته من تحوّل جذري في النظام التعليمي، إذ ساهمت في إعادة تشكيل التعليم الديني ليصبح أكثر انسجاماً مع معطيات العصر. وفي هذا السياق، تجدر الإشارة إلى أن مسلمي كيرلا كانوا بطيّين في التفاعل مع التعليم الغربي الحديث، وذلك يعود، في جانب منه، إلى التحفظات الدينية والسياسية العميقة الجذور، التي دفعتهم إلى الارتياح في هذا النظام الجديد،

⁷⁶ C.A.Muhammad Moulavi; "Moulavi Chalilakath Kunhammad Haji", Tirurangadi Yatthem khana Silver Jubilee Souvenir, 1970, p.46

⁷⁷ P. Muhammad Kuttassery, Islahi Prasthan Charitrathinoramukham (An Introduction to the History of Islahi Movement) Published by KNM, Mujahid Centre, Kozhikode - 2, 1991, p.22

كما يعود، من جانب آخر، إلى إهمال الحكومة لقضاياهم التعليمية، مما أبطأ من اندماجهم في ركب النهضة العلمية الحديثة⁷⁸.

ومع ذلك، استطاعت هذه الحركة الإصلاحية أن تمهّد الطريق لنهضة تعليمية عظيمة، ساهمت في إرساء أسس جديدة للفكر والمعرفة، وجعلت من التعليم أداة فاعلةً للارتقاء بالمجتمع، وتحريره من قيود التقليد والجمود.

الفصل السابع

قدوم المبشرين المسيحيين وتحولات الأوضاع في كيرلا

شهدت ولاية كيرلا تحولات اجتماعية عميقة مع وصول البريطانيين، حيث تدفّق المبشرون المسيحيون إلى ترافنكور وملبار وكوشين، فضلاً عن الولايات الأميرية، فحظوا برعاية الحكّام الذين أتاحوا لهم العمل بحرية بين الناس، مستفيدين من قانون حرية الاختلاط لعام 1813م. وكان الهدف الأساسي لهؤلاء المبشرين نشر العقيدة المسيحية، فأتخذوا التعليم وسيلة لتحقيق غايتهم، وجعلوا قراءة مقدّمة الكتاب المقدّس والكتابة أمراً لا بدّ منه، كما فرضوا التعليم الديني في مدارسهم⁷⁹. وقد انعكس ذلك إيجاباً على الطبقات العليا، التي تقدّمت في مجالي التعليم والمجتمع.

أما المسلمون، فقد تمسّكوا بالتعليم الديني التقليدي ورفضوا إرسال أبنائهم إلى مدارس المبشرين، الأمر الذي دفع حكومة الولاية إلى تبني سياسات جديدة لنشر التعليم العام وتعليم اللغة الإنجليزية. وسرعان ما أقيمت مختلف الفئات، لا سيما طبقة "نايار" من الهندوس والمجتمعات المسيحية، على التعليم الغربي، لما يتيح من فرص للتوظيف في القطاعين الحكومي والمدني، في حين ظلّت الطبقات الدنيا من المنبوذين متخلّفة في هذا المجال. أمّا المسلمون، فقد كانوا أقلّ استعداداً للاستفادة من الفرص التعليمية والخدمات الحكومية مقارنة بغيرهم.

وحين قرّرت الحكومة إدخال اللغة الإنجليزية في المناهج الدراسية، لقي ذلك معارضة شديدة من المسلمين، الذين خشوا أن يكون تعلّمها سبباً في إضعاف عقيدتهم. وقد رأى المسلمون المحافظون في أنشطة المبشرين تحدياً صريحاً للإسلام، إذ كانوا القوة الرئيسة التي تقود تعليم اللغة الإنجليزية آنذاك. ورغم وجود رغبة

⁷⁸ U.Muhamad, Kerala Muslims the Historical Perspective, edited by Asgar Ali Engineer, Delhi Ajanta Publications 1995, p.147.

⁷⁹ William Robinson, Ringle-Taube the Rishi, England, 1902, p. 101.

ويكشف تقرير التعداد السكاني لترافنكور (Census Report) عام 1872م أن نسبة المتعلمين القادرين على القراءة والكتابة لم تتجاوز 5.74% من مجموع السكان، بينما لم تتعدَّ نسبة المتعلِّمات 0.46% فقط. وكان مستوى معرفة القراءة والكتابة بين المسلمين متدنِّيًا للغاية، مما جعلهم أكثر تخلُّفًا اجتماعيًا وتعليميًا مقارنة بالهندوس والمسيحيين، ما دفع السلطات إلى اتخاذ تدابير لمواكبة متطلبات العصر.

وقد مثلت ثورة المسلمين في ملبار عام 1921م، التي سُحِّقَت بوحشية على يد البريطانيين، نقطة تحوّل كبيرى في تاريخ مسلمي كيرلا، تمامًا كما كانت ثورة 1857م لمسلمي شمال الهند. وأدّى هذا الحدث إلى خلق مناخ جديد للمصلحين، إذ رأى بعضهم أن المسلمين قد انصرفوا عن "الإسلام الأصيل" نتيجة اندماجهم في ممارسات غير إسلامية، بينما انقسم المجتمع بين تقليديين أيدوا رجال الدين، ومصلحين أدانوا هذه العادات باعتبارها بدعًا دخيلة، داعين إلى إصلاح جذري في نظام التعليم التقليدى.

برز في هذا السياق الإصلاحى السيد كى. إم. سىتى صاحب، أحد أبرز تلامذة العالم المشهور للولوى الوكّعى، الذى بذل جهودًا جبّارة لنشر التعليم الحديث بين المسلمين، مع الحفاظ على المدارس التقليدية وحماية حقوق المسلمين فى التعليم. وقد لعبت رؤيته الإصلاحية المعتدلة دورًا كبيرًا فى تهدئة مخاوف المحافظين تجاه المناهج الحديثة⁸⁴.

لقد عانى المجتمع المسلم في كيرلا من تراكم الخرافات والممارسات البدعية التي لم تجد أصلاً لها في القرآن الكريم أو السنة النبوية، وكانت النساء المسلمات أكثر من عانى من القيود والعادات المجحفة التي فرضها

⁸⁴ Roland, E. Miller, *Mappila Muslims of Kerala*, pp.207

المجتمع علميً، بعيداً عن تعاليم الإسلام الصحيحة. كما أنّ معارضة المحافظين للتعليم العلماني أدّت إلى تمزّق المجتمع اقتصادياً وعلمياً، ورسّخت صورة من التخلف بين أفرادهِ.

إلا أنّ نداء الإصلاح انطلق بقوة، بقيادة مجموعة من المسلمين المستنيرين الذين أيقنوا أنّ تعليم اللغة الإنجليزية هو السبيل لحماية المصالح الإسلامية والنهوض بالمجتمع. وأخذ عدد من المفكرين ورجال الأعمال على عاتقهم إنشاء المدارس والمؤسسات التعليمية لخدمة الطلاب المسلمين. وفي العقود الأولى من القرن العشرين، تقدّم العالم الإصلاحي محمد عبد القادر المولوي ليقود مسيرة الإصلاح الديني والثقافي، مشجّعاً على تبنيّ التعليم العلماني بين المسلمين، ليكون أداة للتحرّر من قيود الجهل والانغلاق.

الفصل الثامن

محمد عبد القادر المولوي الوكّمي: المصلح والكاتب العظيم

كان وُكّم محمد عبد القادر المولوي علماً من أعلام الإصلاح الاجتماعي والديني والثقافي، وقائداً لحركة التحرير في ولاية كيرلا. وُلِدَ في أسرة تنتمي إلى طبقة النبلاء والمثقفين، حيث كان والده تاجراً مرموقاً وصاحب فكر مستنير. منذ صغره، بدت عليه ملامح النبوغ، فنشأ في بيئة اجتماعية راقية تزخر بالمعرفة والفكر. تأثر المولوي بأفكار المصلحين الكبار، واستلهم رؤاه من رموز التجديد والإصلاح، أمثال الشيخ محمد رشيد رضا، والأستاذ جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده، من خلال مجلة "المنار". بدأ مسيرته المهنية كصحفي، وأسس لنفسه مطبعة متطورة عام 1904م. وفي العام التالي، أطلق صحيفة "سواديشابيماني" (Swadeshabhimani) باللغة المليالمية، التي اتسمت بلهجتها الشديدة في انتقاد الفساد المستشري بين المسؤولين والملوك والأمراء في مملكة ترافنكور. وكان لهذا الدور أثر بالغ في دعم حركة الحقوق المدنية في ولاية كيرلا.

ولم يقتصر نشاطه على الصحافة، بل أنشأ ثلاث مجلات؛ اثنتان باللغة المليالمية، وواحدة بلغة عربي المليالمية، لنشر أفكاره الإصلاحية وحثّ المسلمين على تبني مظاهر الحداثة، لاسيما التعليم الحديث. كما

ساهم في العديد من المقالات بالمجلات المعاصرة، وترجم أعمالاً مهمة إلى المليالية ، أبرزها كتاب "كيمياء السعادة" ⁸⁵ The Alchemy of Happiness للفيلسوف الإسلامي الكبير الإمام أبي حامد الغزالي الطوسي ⁸⁶.

وكما نبحت تالياً، أثارت كتابات المولوي موجة غضب بين رجال الدين التقليديين، الذين رأوا في دعوته للإصلاح تهديداً لمكانتهم، فحاولوا التصدي لفكره وحركته بكل الوسائل. ورغم ذلك، لقيت أفكاره ترحيباً واسعاً بين الطبقة المتوسطة والمتقفة من المسلمين، وأسهمت جهوده في وضع الأساس لحركة الإصلاح والنهضة في كيرلا.

الفصل التاسع

العائلة، التعليم المبكر، أساتذته الأجلاء، الزواج والحياة الأسرية

ينتمي المولوي إلى أسرة عريقة تمتد جذورها إلى مدينة مادوراي (Madurai) في تاميل نادو، قبل أن تهاجر إلى كولاشال ⁸⁷ Kulachal في القرن الثامن عشر ⁸⁸. كانت والدته السيدة فاطمة ابنة أخت السيد باتي خان (Pathe Khan)، الذي شغل منصباً رفيعاً في جيش مملكة ترافنكور ⁸⁹. وينحدر باتي خان من مدينة حيدرآباد في ديكان، مما جعل المولوي وأسرته جزءاً من النخبة الملكية ⁹⁰.

وُلدَ محمد عبد القادر المولوي في قرية وُكَم، بمنطقة شيرايينكيز في ولاية ترافنكور الأميرية، يوم 28 ديسمبر 1873م، الموافق 8 ذو القعدة 1290هـ. كان والده، السيد محمد كنج أحد أفراد من عائلة الشهيرة آيور

85 الغزالي : هو محمد بن محمد بن أحمد الطوسي المعروف بالغزالي ، ولد بطوس سنة (450 هـ) وكان والده يغزل الصوف ويبيعه في دكانه بطوس. والحديث عن الغزالي يطول نظراً لأنه مرَّ بعدة مراحل ، فقد خاض في الفلسفة ثم رجع عنها وردَّ عليها ، وخاض بعد ذلك فيما يسعى بعلم الكلام وأتقن أصوله ومقدماته ثم رجع عنه بعد أن ظهر له فسادُه ومناقضاته ومجادلات أهلِه ، وقد كان متكلماً في الفترة التي ردَّ فيها على الفلاسفة ولُقب حينها بلقب " حجة الإسلام " بعد أن أفتحهم وفند آراءه ، ثم إنه تراجع عن علم الكلام وأعرض عنه وسلك مسلك الباطنية وأخذ بعلمهم ثم رجع عنه وأظهر بطلان عقائد الباطنية وتلاعيم بالنصوص والأحكام ، ثم سلك مسلك التصوف. فهذه أربعة أطوار مرَّ بها الغزالي وما أحسن ما قاله الشيخ أبو عمر ابن الصلاح - رحمه الله - عنه حيث قال : " أبو حامد كثر القول فيه ومنه ، فأما هذه الكتب يعني كتبه المخالفة للحق فلا يُلْتَفَت إليها ، وأما الرجل فيُسكت عنه ، ويُقَوِّضُ أمره إلى الله " أنظر كتاب (أبو حامد الغزالي والتصوف) لعبد الرحمن دمشقية. ولا يُنكر المُنْصِف ما بلغه أبو حامد الغزالي من الذكاء المتوقد والعبقرية النادرة حتى قال عنه الذهبي: " الغزالي الشيخ الإمام البحر حجة الإسلام أعجوبة الزمان زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزالي صاحب التصانيف والذكاء المفرط تَفَقَّه ببلده أولاً ثم تحول إلى نيسابور في مرافقة جماعة من الطلبة فلازم إمام الحرمين فبرع في الفقه في مدة قريبة ومهر في الكلام والجدل حتى صار عين المناظرين " سير أعلام النبلاء ج9 ص 323.

86 كيمياء السعادة بالفارسية: "كيمياء سعادته" كتاب للإمام أبو حامد الغزالي، في باب التصوف السني وعلم معرفة النفس، كتبه باللغة الفارسية، تحت اسم كيمياء سعادته، بشكل موسع بمجلدين ثم ترجم مقتطفات منه بإيجاز إلى اللغة العربية بنفسه بكتاب صغير من أربعة كرايس وعنوانه «كيمياء السعادة» وقد تحدث فيه عن معرفة النفس وعرفة القلب وجنوده، وعن الأخلاق الحسنة والأخلاق السيئة.

87 كولاشال هي مدينة ساحلية في منطقة كنيماكوماري Kanyakumari، في ولاية تاميل نادو والتي كانت آنذاك مركزاً مهماً للأعمال التجارية.

88 M. Mohammed Kannu, Vakkom Moldavi Jeevacharithram [Vakkom Moulavi Biography] (Trivandrum: By the author, 1981).

89 P. M. Nair, Swalhantra Samara Senanikal [Freedom Fighters] (Trivandrum: Forward Publications, 1980), Page:212.

90 Sharafudeen, Vakkom Moulavi (A Study) Trivandrum: Samkramanam, 1983, Page:15.

كايپورات (Ayroor- Kayippurath) في محافظة وَرْكَالَا⁹¹ Varkala ، كان تاجراً ثرياً يتخصص في زيت الهند و منتوجات جوز الهند، واشتهر في المجتمع برجاحة عقله وثقافته الواسعة. كان من أشد المهتمين بالقضايا الدينية رغم مكانته البارزة في مجتمعه، وامتلك مكتبة ثرية حوت كتباً ودوريات باللغات المليالمية ، والتاميلية، والعربية، والفارسية، والأردية، والإنجليزية.

كان منزل بونتران فيلاكم⁹² Poonthran ، حيث نشأ المولوي⁹³، ملتقى للعلماء والمفكرين من مختلف الأطياف الدينية والثقافية، يتبادلون فيه المعرفة ويناقشون قضايا الفكر والدين. ومن أبرز زواره المصلح الهندوسي الكبير سري نارايانا غورو، الذي عقد العديد من الحوارات العميقة مع والد المولوي وشقيقه الأكبر محمد محي الدين، الذي كان عالماً بارزاً في علم التصوف⁹⁴. كما كان من زواره الأب صموئيل دانيال المبشر المسيحي، والشاعر والمصلح الاجتماعي الكبير كوماران آشان. وفي هذه البيئة العلمية والفكرية النابضة بالحياة، نشأ محمد عبد القادر المولوي، ونهل من معين الثقافة، والتقى بقيادة الفكر والإصلاح، مما شكل وعيه وجعله رائداً من رواد النهضة والإصلاح في ولاية كيرلا.

لطالما كان منزل والد وكم محمد عبد القادر المولوي منارة للعلم والفكر، يجتمع فيه العلماء والمفكرون من شتى البقاع، متجاوزين الحدود الدينية والثقافية، ليجسدوا روح التسامح والتعاون والتبادل المعرفي. لقد كان هذا الإرث جزءاً أصيلاً من تقاليد عائلته، حيث تنبض أجواؤه بنبض البحث العميق في أسرار الوجود والفكر.

وتحكي لنا صفحات التاريخ أن المصلح العظيم للطائفة الهندوسية المنبوذية، السيد سري نارايانا غورو، كان من رواد هذا البيت العريق، يعقد فيه جلسات حوارية ثرية مع والد محمد عبد القادر وأخيه الأكبر، محمد محي الدين، الذي كان عالماً بارزاً في التصوف الإسلامي⁹⁵. كانت نقاشاتهم تغوص في أعماق التوحيد والفكر الصوفي، مستشرفة آفاق الحقيقة والتسامح الروحي.

وكذلك كان المبشر المسيحي الأب صموئيل دانيال، والشاعر الكبير والمصلح الاجتماعي السيد/ كوماران آشان، من الزوار البارزين الذين اعتادوا ارتياد هذا المجلس الفكري المتوهج⁹⁶. وهكذا نشأ محمد عبد القادر في بيئة علمية وفكرية مستنيرة، تفتحت فيها آفاقه على أروع صور التلاحق الثقافي والتفاعل الإنساني، إذ

⁹¹ تقع محافظة فاركالالا على بعد حوالي تسع كيلومترات من فاكوم.

⁹² Sharafudeen, Vakkom Moulavi, Page: 15

⁹³ وكان لمحمد عبد القادر أربعة أشقاء وخمسة شقيقات.

⁹⁴ M.A. Shakoar, "Vakkom Moulavi: The Man Who Led Islamic Renaissance in Kerala," <http://vmmrc.blogspot.com.blogspot.com>

⁹⁵ A prominent Malayalam poet and literary critic Mr M P Appan (1913-2003), noted that Sri Narayana Guru was a friend of Vakkom Moulavi. M. P. Appan, "Vakkom Moulavi: Adyatmiyatayum Bhautikatayum Othinaggiya Mahan," [Vakkom Moulavi: The Saint who Combined Spirituality and Materialism] Vakkom Moulavi Foundation TruSl Newsletter, 4, nos. I & 2 (March-April, 1993): 17.

⁹⁶ Sharafudeen, "Vakkom Moulavi - A Pioneer Journalist of Kerala," Journal of Kerala Studies, 8 (March December 1981): Page: 93.

أُتيحت له فرصة نادرة للاحتكاك بأقطاب الأدب والفكر والإصلاح، ممن شكلوا الوجدان الثقافي لولاية كيرلا، فاستقى من علمهم الغزير، وأخذ من معارفهم الوافرة، وانتفع بخبراتهم انتفاعاً عظيماً، وشرب من ينابيع الحكمة والمعرفة، حتى صار امتداداً لهذا الإرث الفكري العريق.

يختلف المسلمون في ولاية كيرلا اختلافاً جوهرياً عن المسلمين في بقية الولايات الهندية، حيث يُعتقد أن الإسلام وصل إلى كيرلا في حياة النبي محمد ﷺ نفسه، عن طريق التجار العرب. ويذكر الباحثان فيليبو أوسيلا (Filipp Osella) وكارولين أوسيلا (Caroline Osella) في دراستهما عن مسلمي الولاية: "إنّ المسلمين في ولاية كيرلا يتمتعون باتصال متجذر ومستمر بمنطقة الخليج العربي⁹⁷، وهو ما انعكس على انتشار اللغة العربية بينهم، على الرغم من عدم استخدامهم للغة الأردية. وقد أسهم هذا الارتباط الوثيق بالعالم العربي في بروز العديد من الشخصيات البارزة التي لعبت دوراً مهماً في تطور المجتمع الإسلامي في كيرلا.

ومنذ البدايات الأولى للتاريخ الإسلامي، كان لأهالي كيرلا ارتباط وثيق بالتقاليد العربية والإسلامية. ويُفسر هذا كيف أصبح علماء كيرلا من ذوي الباع الطويل في العلوم الإسلامية التقليدية والمعاصرة، كالعقيدة والفقه وأصول الفقه. ومن أبرز هؤلاء العلماء، المولوي الوكّمي، الذي يُعدّ كتابه 'ضوء الصباح' مثلاً بارزاً على مؤلفاته القيّمة. فقد استعان في هذا الكتاب بمصادر كلاسيكية وحديثة للدفاع عن شيخ الإسلام ابن تيمية وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله، في مواجهة مزاعم معارضيهما من الأصوليين والصوفيّين داخل كيرلا. وتُظهر أعماله أن كثيراً من هذه الكتب كانت متداولة بين علماء مسلمي كيرلا في ذلك العصر".

أمّ الشيخ عبد القادر المولوي دراسته للغة العربية، والفارسية، والأردية، بتمكّن بالغ، إلى جانب إتقانه لعلوم القرآن الكريم، وعلم المنطق، والفقه الإسلامي، والتاريخ، على أيدي كبار علماء عصره. فقد تلقى علوم اللغة الفارسية والأردية على يد العلامة آلبازة سليمان المولوي⁹⁸، المتوفى سنة 1919م، وهو من أشهر علماء اللغة العربية والأردية والتاميلية والملايالية في زمانه. كما درس علم المنطق، والشريعة الإسلامية، والفقه على يد الشيخ كونجي بوكري مسليار، أحد أعلام العلوم الدينية والإسلامية في ملبار⁹⁹.

وتتلمذ أيضاً على يد عالم آخر كان يشغل منصباً رفيعاً في إدارة الدخل الحكومي لدى السلطات البريطانية في مدينة فيلور بولاية مدراس الحالية، حيث تعلم منه قواعد اللغة العربية، والشعر، والأدب، والأخلاق. ويشير المؤرخون إلى أن عالماً عربياً بارزاً زار جزيرة سيلان خلال تلك الفترة، فقام والد الشيخ عبد القادر

⁹⁷ Osella, F., & Osella, C. (2008). Islamism and social reform in Kerala, South India. *Modern Asian Studies*, 42(2-3), 317-346. <https://doi.org/10.1017/S0026749X07003105>

⁹⁸ فان مدينة آلبوزا كانت واحدة من المراكز التجارية القديمة في ترافنكور، وقد عاش هناك العديد من التجار المسلمين البارزين من ولاية غوجرات وأجزاء مختلفة من مالابار، السيد/ آدم سيط والد الشيخ سليمان المولوي كان أحد التجار المشهورين في مدينة آلبوزا.

⁹⁹ Andathodu Kunji Poker Musliyar

المولوي بدعوته للاستفادة من علمه في اللغة العربية والأدب¹⁰⁰. إلا أن المصادر التاريخية التي تناولت سيرته لم تذكر أسماء هؤلاء المدرسين العرب الذين قدموا إلى المنطقة عبر جزيرة سيلان. وقد أسهمت الخلفية العلمية الموروثة والتراث العائلي في صقل معارفه، مما مكّنه من إتقان اللغة التاميلية والأردية إلى جانب العربية.

وإلى جانب تلقيه التعليم الإسلامي التقليدي، تلقى محمد عبد القادر المولوي تدريجاً في الأدب والشعر باللغات الكلاسيكية والحديثة، بما في ذلك التاميلية والسنسكريتية والمليالمية. وقد أتاح له هذا التعليم الراسخ رؤيةً فريدة للعالم، ومنحه قدرة على تقدير الثقافات والتقاليد الدينية غير الإسلامية.

كما استفاد من علوم كبار العلماء والمفكرين في مدينتي كايال بتانام¹⁰¹ وكيلاكر (KayalPattanam - Keelakara)¹⁰² بولاية تاميل نادو، وتعلم اللغة السنسكريتية على يد الأستاذ الشهير كيشاوا بيلاي، الذي عمل مدرساً في المدرسة المتوسطة المحلية بقرية فاكوم. كذلك، استفاد من علم السيد وليا كويي تمبران (1845-1914م)، الذي كان خبيراً مرموقاً في الأدب والنحو والقواعد في الأدب المليالمي.

وقد أكسبته دراسته للغة المليالمية وأدائها قدرة على الكتابة بأسلوب أنيق وقوي، كما جعله خطيباً بليغاً في هذه اللغة. وكان من عاداته مطالعة الصحف المليالمية، مثل "مليالا منورما" و"نصراني ديبিকা"، ليبقى مطلعاً على الأحداث الاجتماعية والسياسية وأحوال البلاد. كما شارك في قراءة الصحف اليومية العربية والمجلات الصادرة في القاهرة ودمشق ومكة المكرمة¹⁰³.

إلى جانب ذلك، اكتسب المولوي إتقاناً تاماً للغة الإنجليزية، وبفضل بيئته العلمية والفكرية، أصبح عند بلوغه الخامسة والعشرين من عمره باحثاً بارعاً في العلوم الإسلامية. وقد تأثر تأثراً بالغاً بأستاذه الفاضل الشيخ محمد نوح كانو مصليار¹⁰⁴، الذي كان يجيد عدة لغات ومن بينها المليالمية والعربية والتاميلية

¹⁰⁰ M. Muhammed Kannu: Vakkom Moulavi, Page no: 14-15.

¹⁰¹ كايال بتانام هي بلدة في منطقة توتوكودي Tuticorin في ولاية تاميل نادو الحالي في الهند، وكان أيضاً الميناء الرئيسي للمبار، وكان مركزاً تجارياً مهماً حتى قبل وصول الإسلام، وكان يسكنها كبار التجار من المسلمين ولديهم عدد من المساجد والجوامع الكبير والمدارس الشهير.

¹⁰² مدينة كيلاكر أيضاً مدينة ساحلية قديمة تقع في الجزء الجنوبي لولاية تامل نادو، وفيها عديد من المساجد التاريخي والمدارس الديني ومراكز عديدة للمسلمين، ومراكز تجارى.

¹⁰³ Iqbal, S. (2019, August 9). *Vakkom Moulavi: My grandfather, the rebel: The Moulavi who defied the orthodoxies of politics and religion*. Open Magazine. <https://openthemagazine.com/essay/vakkom-moulavi-my-grandfather-the-rebel/>

¹⁰⁴ الشيخ محمد نوح كانو مصليار من أهالي قرية يووار، ترافنكور كتب العديد من الكتب باللغة عربي مالايالام مثل كتاب فتوح الصمد التي نشرت لأول مرة في عام 1881م، تناقش فيه المعتقدات الدينية الإسلامية والمعاملات والأذكار والفقه. وقد تم إستخدامه كواحدة من الكتب المدرسية للتعليم الديني في ولاية كيلا. وله كتاب شهير أخرى باسم فتح النور في مهمات الأمور، وفي الحقيقة إنه ملخص من كتاب إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي، ويشرح فيه شئ من العقيدة والتصوف والفقه والمعاملة. وقد أشار بعض من كتب سيرة الشيخ المولوي الوكهي إنه إستفاد أيضاً من محمد نوح كانو مصليار، ولكن لا ندرى عن الفن الذي إستفاد منها المولوي الوكهي منه.

للتفصيل: Ahammed Moulavi and Muhammed Abdulkareem: Great Mappila Literary Tradition, Page: 286-289.

والفارسية والأردية. كما تتلمذ على يد السيد حميد كوياما تنغل، أحد أعلام السادة البخاريين في ولاية كيرالا. وكان أيضًا من تلاميذ "الشيخ مابل لبا العالم" الخبير الجليل، اللذين ألهماه ودعماه في ترجمة كتاب "كيمياء السعادة" إلى المليالمية.

وفي عام 1901م، وكان في الثامنة والعشرين من عمره، تزوج المولوي الوكّمي بالسيدة حلّيمة، ابنة عائلة كايال بورام في منطقة آيرور بوركالا. كانت السيدة حلّيمة شقيقة العالمين الجليلين، الأستاذ محمد كنجو المولوي (1890-1964م) والأستاذ محمد كانو (توفي عام 1956م)، وهما من القادة البارزين في الحركة الإصلاحية بولاية كيرالا. وبعد عام من زواجه، فقد المولوي والده، وكانت لهذه الخسارة أثر بالغ في نفسه.

وفي عام 1903م، تم تقسيم ممتلكات أسلافه، فأل إليه نصيب وافر من الثروة والعقار. غير أن سعادته لم تدم طويلًا؛ إذ فقد زوجته السيدة حلّيمة بعد وقت قصير من ولادة ابن الأول، عبد السلام¹⁰⁵ (1905-1935م). كانت وفاتها المفاجئة فاجعة كبرى له، فألقت به في دوامة من الحزن والأسى.

وفي عام 1905م، تزوج المولوي من شقيقة زوجته الراحلة، السيدة أمينة، فأنجبت له تسعة أبناء، سبعة منهم ذكور، وهم: عبد الحيّ، وعبد الوهاب¹⁰⁶ (توفي عام 1953م)، و وكمّ عبد القادر الشهير¹⁰⁷ (1912-1976م)، وعبد الحق¹⁰⁸، وعبيد الله، ومحمد عيسى¹⁰⁹ (1929-1999م)، وإقبال. أما ابنتاه، فقد توفيت الكبرى منهما وهي في الثانية من عمرها، بينما تزوجت الصغرى من الأستاذ محمد عبده¹¹⁰.

¹⁰⁵ تلقى عبد السلام ابن المولوي الوكّمي تعليمه في جامعة المليية الإسلامية في نيودلهي عاصمة الهند، وساعد أباه كثيرًا في أنشطته الإصلاحية والاجتماعية والدينية. وساهم بمقالات علمية في مجلات مثل "الأمين" لصاحبها محمد عبد الرحمن صاحب من مدينة كالكويت، ومجلة "أيكيم" Aikyam نشره القائد الكبير والمصلح العظيم ك.م سيني صاحب والأستاذ محمد كنو ومجلة راسيكن نشره الأستاذ أ.محمد كانو وفي مجلة يوفالوكام المالايالامية.

¹⁰⁶ أنقن عبد الوهاب عدّة لغات منها العربية والأردية والإنجليزية والمالايالامية، واشتغل كمدرس اللغة العربية، وساهم بالعديد من المقالات في الصحف والجرائد مثل Prabhatam و Deccan Times.

¹⁰⁷ كان وكمّ عبد القادر ناقدًا وأديبًا مالايالاميا في ولاية كيرالا، وفي الواقع كان رجلاً مشهورًا ومعروفًا ومحترمًا كوالده العزيز بين الكتاب والأكاديميين في الولاية. وكان باحثًا كبيرًا في كلّ من الأدب والفكر الشرقي والغربي، وكتب أكثر من عشرين كتابًا. وقام بترجمة بعض مؤلفات الشاعر الإسلامي الدكتور محمد إقبال إلى اللغة المالايالامية. واشتغل أيضًا كمحرر في جريدة الأمين لصاحبها محمد عبد الرحمن صاحب، واشتغل في عديد من الجرائد والمجلات، وصدر له عدّة بحوث ومقالات في مواضيع شتى. وفي النصف الأول من قرن العشرين كان الإلحاد شائعًا بين مثقفي ولاية كيرالا. ولذلك إنه انتقد أسس الإلحاد في جميع أعماله، ودافع بالعقلانية القيم والمعتقدات الدينية والإسلامية. وهناك حكاية تشرح سبب تسمية بهذا الاسم لابنه، كانت النساء والمجتمع ترون في ذلك الوقت أن دعاء الزوج باسمه أو نطق اسمه تعتبر من قلة الإحترام للزوج، ولذلك انهن لن يسموا أبداً اسم الزوج ولم ينطقوا أبداً، الشيخ المولوي الوكّمي تحدى وعالج هذه الخرافات غير أصلية بتسمية ابنه إسمه.

¹⁰⁸ نال عبد الحق درجة البكالوريوس من كلية مدراس المحمدية، وعمل مدرسا في جمهورية ماليزيا وكيرالا. وله كتاب شهير في مجلدين باسم: Indiaude Uddharakan. ¹⁰⁹ توفي المولوي الوكّمي عندما كان محمد عيسى في الثانية من عمره، وتلقى تعليمه الابتدائي من ترفاندرم، ثم ذهب إلى مدراس لمتابعة الدراسة العليا، وبعد دراسته في مدراس عمل مدرس في ولاية كيرالا، ونشر له عديد من المقالات والبحوث في صحف مشهورة مختلفة.

¹¹⁰ نشر محمد عبدة عدّة مقالات، وترجم بعض الكتب المهمة إلى اللغة المالايالامية، وقد جمع بعض مقالات المهمة المختارة للمولوي الوكّمي ونشر باسم "Vakkom Moulaviyude Tirajedutha Krithikal"

الفصل العاشر

الإعلام المطبوع كأداة للنهضة العلمي والأدبي، المولوي ناشراً ومديراً

وفي مطلع القرن العشرين، أدرك المولوي الوكّعي أن وسائل الإعلام يمكن أن تكون أداة قوية في تحفيز الإصلاح الاجتماعي والديني، وتعزيز التعليم الحديث بين المسلمين في كيرالا. ولذا، كتب في العدد الأول من مجلة "المسلم" قائلاً: "المجلات أدوات قوية، لا تقل شأنًا عن المدارس، في نشر المعرفة".

لقد كان يؤمن بأن الأفكار هي أقوى وسيلة لمواجهة المعتقدات والتقاليد القديمة، وأن الإعلام هو الوسيلة الأنجع لنشرها بين عامة الناس. كما أشار إلى أن تطوّر الأفراد والمجتمعات المتعددة الأوجه لا يمكن تحقيقه إلا من خلال الفكر والمعرفة المتجددة.

وفقاً للمؤرخ الشهير فرانس روبنسون (Francis Robinson)، فقد أدرك المصلحون المسلمون في شبه القارة الهندية، منذ أوائل القرن التاسع عشر، الإمكانيات الهائلة للإعلام المطبوع. وكان هذا الإعلام بمثابة سلاح فعال بأيديهم، يتيح لهم نشر الفهم الصحيح للإسلام وتعزيز الشعور بالمسؤولية الدينية والاجتماعية. يقول روبنسون:

"In 1820's in the Indian subcontinent Muslim reformist leaders were busily printing tracts. By the 1830s the first Muslim newspaper was being produced. By the 1870s editions of the Qur'an and other religious books, were selling in tens of thousands. In the last thirty years of the century, over 1700 newspapers and magazines in Urdu were started. All who observed the world of printing noted how Muslims understood the power of the press. In Upper India at the beginning of the 20th century 4000-5000 books were being published in Urdu every decade and there was a newspaper circulation of tens of thousands...."¹¹¹

"وفي عشرينيات القرن التاسع عشر، انشغل القادة الإصلاحيون المسلمون في شبه القارة الهندية بطباعة المنشورات، وبحلول ثلاثينيات القرن ذاته، صدرت أول صحيفة إسلامية. وفي سبعينيات القرن، بيعت نسخ من القرآن والكتب الدينية الأخرى بالآلاف. وخلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن، أُطلقت أكثر من 1700 صحيفة ومجلة باللغة الأردية. وقد لاحظ كل من تابع عالم الطباعة كيف أدرك المسلمون قوة الصحافة. وفي مستهل القرن العشرين، كان يتم نشر ما بين أربعة آلاف إلى خمسة آلاف كتاب باللغة الأردية كل عقد، مع تداول واسع للجرائد بلغ عشرات الآلاف".

¹¹¹ Francis Robinson, "Technology and Religious Change: Islam and the Impact of Print," Modern Asian Studies, 27, no. 1 (1993): 232-233.

الفصل الحادي عشر

الطباعة في مليبار ودورها في نشر المعرفة

وخلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن التاسع عشر، شارك مسلمو مليبار بنشاط في مجال الطباعة¹¹²، كما يشير إلى ذلك المؤرخ الشهير محمد عبد الكريم ك. ك، والشيخ سي. أن. أحمد المولوي. فقد كان تيبوتيل كنج محمد أول مسلم من أهالي مليبار يتعلم تكنولوجيا الطباعة ويؤسس مطبعة¹¹³. وقد أصبحت مدينة تليشيري في ذلك الوقت مركزاً لصناعة الطباعة لدى المسلمين في مليبار.

وسرعان ما انتشرت المطابع في مدن أخرى، مثل بوناني، ترورأنغادي، ومدن الساحل الأخرى، تحت رعاية التجار المحليين. ومع ازدهار فن الطباعة، شهدت الكتب المطبوعة باللغة عربي-مالايالام تطوراً ملحوظاً، حيث تناولت هذه الكتب العقائد الإسلامية والمعاملات الشرعية، إلى جانب طباعة القواميس والصحف بهذه اللغة الفريدة.

أما أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة المليالمية، فقد نُشرت عام 1870م على يد الشيخ مايان كُتي إاليا، وهو أحد أفراد العائلة الملكية أراكُل في كانانور شمال كيرالا¹¹⁴. وقد تطورت اللغة عربي-مالايالام جنباً إلى جنب مع تطور فن الطباعة وأدواته، مما أسهم في نشر الفكر والمعرفة بين مسلمي كيرالا بوسائل أكثر تطوراً وتأثيراً.

¹¹² O.Muhammadali, "Colonial Education, Public Sphere and Marginality in Kerala " p. 96-97.

¹¹³ Ahammed Moulavi and Muhammed Abdul kareem. Great Mappila Literary Tradition, p.45-46.

¹¹⁴ Dr. S.A.Shanavas: Quran Translations in Malayalam in Journal of Islam and The Modern Age, New Delhi (Vol. XXIV:4, pp. 271-279) 1993.

الفصل الثاني عشر

المولوي الوكّمي وجريدة سوديشابيماني

وفي أغسطس من عام 1904م، افتتح المولوي الوكّمي مطبعة حديثة¹¹⁵ في منطقة أنجتانج (Anjuthengu أو Anjengo). وقد شرف حفل الافتتاح السيد بيلوبول (Pylopol)¹¹⁷، قاضي التحقيق في المنطقة. ورغم أن منطقة أنجتانج تبعد ميلين عن بلدة وكم، إلا أن المولوي اختارها كموقع للمطبعة نظراً لوجود مكتب البريد المحلي، الذي كان ضرورياً لتلقي التقارير الإخبارية والمقالات، وكذلك لإرسال الصحف.

وبعد وقت قصير من تدشين المطبعة، نشرت الصحف المليالمية، ومنها "مالايا لا منوراما" (Malayala Manorama)، إعلاناً عن جريدة¹¹⁸ Swadesabhimani، مشيرةً إليها بوصفها "الصحيفة المسلمة الوحيدة في ترافنكور وكوشين". وأوضحت أن الجريدة ستكون أسبوعية، تصدر باللغة المليالمية، وستتناول القضايا السياسية والاجتماعية والتعليمية والدينية بطرح مستقل وجريء¹¹⁹.

عُيّن السيد جوفيندا بيلاي (Chirayinkizhu C.P. Govinda Pillai) كأول رئيس تحرير للجريدة، حيث سبق له العمل محرراً في صحيفة "كيرلا وبنجكا" (Kerala Vipanchika). أما المولوي الوكّمي، فقد تولى بنفسه مسؤولية إدارة التحرير، إلى جانب الإشراف على الاشتراكات في كوشين وملبار. وسعيًا لنشر الجريدة وتوسيع قاعدة قرائها، قام المولوي برفقة أصدقائه بجولات عديدة في تلك المناطق، حيث التقى بعدد من الشخصيات البارزة من قادة الدين والمجتمع¹²⁰، مما أتاح له فهماً عميقاً للقضايا الاجتماعية والاقتصادية

¹¹⁵ إشتري المولوي الوكّمي المطبعة مقابل 12000 روبية الهندية من لندن من خلال إخوته الذين كانوا تجاراً بارزين، وكانوا على اتصال وثيق بكبرى الشركات في إنجلترا. والمطبعة تمّ إستيرادها من قبل شركة Pears Lesley Company في مدينة ألابي Alappuzha في ولاية كيرلا. وفقاً للمعايير المعاصرة كانت آلة طباعة متطورة للغاية، تملك حكومة ولاية كيرلا الوحيدة تملك مطبعا في نفس الميزات ذلك الوقت. وكان عدد المطابع عام 1905م في ترافنكور فقط 28 مملوكة للقطاع الخاص.

¹¹⁶ تقع Anjengo على بعد 36 كيلومتراً شمال ترافندرم عاصمة ولاية كيرلا، وثلاث كيلومترا جنوب غرب وكم، وكانت مدينة ذات أهمية تاريخية للتجار البرتغاليين والهولنديين والإنجليز. وفي عام 1864م إختارت شركة الهند الشرقية Anjuthengu لتأسيس أول مركز تجاري لها في ولاية كيرلا في ساحل البحر العربي.

¹¹⁷ Sharafudeen, "Vakkom Maulavi - A Pioneer Journalist of Kerala," 95. Mr. Pylopol was famous for his publication of a dictionary of literature (stories of Hindu Puranas), which came out in 1899.

¹¹⁸ C.P. Govinda Pillai, "Vakkom Moulaviyum Swadesabhimaniyum" [Vakkom Moulavi and Swadesabhimani], in Vakkom Moulavi: Prabhandhangal, Smaranakal [Vakkom Moulavi: Essays and Obituaries], edited By Haji M. Mohamed Kannu (Trivandrum: Arafa Publications, 1982), p.196-197.

¹¹⁹ K.M. Bashir, "'Swadesabhimani Vakkom Moulaviyum' Swadesabhimani Ramakrishna Pillayum" ["Swadesabhimani Vakkom Moulavi" and Swadesabhimani Ramakrishna Pillai], Trivandrum: Vakkom Moulavi Foundation Trust.

¹²⁰ CP. Govinda Pillai took the responsibility of promoting the newspaper at various places in Travancore. Govinda Pillai, "Vakkom Moulavi and Swadesabhimani," p.196-197.

التي تواجه مسلمي ولاية كيرالا. ولم تقتصر دعمه على المسلمين وحدهم، بل حظي بمساندة واسعة من مختلف قطاعات السكان، بغض النظر عن انتماءاتهم المذهبية والعقدية.

وفي 19 يناير 1905م، صدر العدد الأول من Swadeshabhimani كصحيفة من ثماني صفحات، متضمنة افتتاحية شهيرة، وقد بدأت كصحيفة أسبوعية تصدر كل يوم أربعاء. وكانت الافتتاحية كما يلي: "نضع بين أيدي القراء العدد الأول من صحيفة Swadeshabhimani، بعد أن استكملنا الترتيبات اللازمة لإصدار صحيفة يومية ناطقة بالمليلية. وخلال هذه المرحلة، جُبنا العديد من مناطق ملبار، فحظينا بمشورة كريمة من شخصيات بارزة، كما تمكّنّا من استقطاب عددٍ وافرٍ من المشتركين، على خلاف ما شهدته الصحف المليلية في الحقبة القريبة الماضية. ومع ذلك، فإن أعداد المشتركين المتزايدة تجعل الترتيبات الحالية غير كافية، ولذا كنّا نعتزم تأجيل النشر ريثما تُستكمل التجهيزات كافة.

إلا أننا ارتأينا أخيراً إصدار Swadeshabhimani في هذا التوقيت، إذ وجدنا أن تأخير نشرها بعد الإعلان عنها أمر غير ملائم، لا سيّما أن الكثيرين شجّعونا وساندونا برسائلهم المحفّزة. لذا، نأمل أن يتجاوز القراء عن أي قصورٍ قد يعتري بدايات الجريدة، وأن يدركوا أنّنا نبذل قصارى جهدنا لتذليل العقبات في أقرب وقتٍ ممكن.

ولا يساورنا أدنى قلقٍ حيال مستقبل Swadeshabhimani، إذ نستمّد عزيمتنا من عناية الله أولاً، ثم من الدعم الذي أفاضه علينا أبناء المجتمع المليلي المنتشرين في أرجاء شتى، وخاصة المجتمع المسلم الذي قدّم لنا تأييداً كبيراً¹²¹. كما حظينا بتقدير شخصيات بارزة من المسلمين وغيرهم في ترافنكور، الذين أرسلوا تهنيتهم وسخّروا إمكانياتهم لدعم الجريدة، ومن بينهم السيد/ألور إس. بارامسوارا أير، الدكتور بالبو، سي. شانكاران ناير، القاضي أيه. جوفيندا بيلاي، محمد نوح مسليار، كيرالا ورما وليا كوي ثامبوران، وأيه. دي. شمس الدين.

وقد سخّرت الجريدة جميع الموارد المتاحة لضمان تقديم محتوى صحفيّ متميّز، حيث كانت الصحف المليلية في مطلع القرن العشرين تفتقر إلى الوسائل التي تتيح لها الحصول على الأخبار العاجلة من مصادرها المباشرة، فاعتمدت على الصحف الإنجليزية في تغطية الأحداث العالمية. غير أن Swadeshabhimani كانت السبّاقة في إقامة علاقة مباشرة مع وكالة رويترز الإخبارية (Reuters News Agency)، مما أتاح لها الوصول إلى الأخبار الدولية في حينها.

ولم تقتصر الجريدة على الأخبار السياسية فحسب، بل تميّزت أيضاً بثراء محتواها، إذ ضمّت تقارير خاصّة في مجالات الزراعة، والطب، والتاريخ، والحرف اليدوية، والفنون، والأدب، كما احتوت على مقالات تناولت

¹²¹ Swadeshabhimani. (1905, January 19). Editorial

التجارة، والإصلاح الاجتماعي، والصحافة، والسياسة، وقضايا التعليم، والثقافة، فضلاً عن مراجعات الكتب والدراسات الفكرية. وقد زحرت صفحاتها بأقلام الكتّاب البارزين، حتى إن بعض المقالات التي نُشرت فيها أُعيد إدراجها لاحقاً في دليل ولاية ترفانكور (Travancore State Manuel)، اعترافاً بجودتها وأهميتها. وكان من بين الكتّاب الذين أثروا صفحاتها القاضي سي. بي. جوفيندا بيلاي، أحد أعمدة القضاء في المحكمة العليا بترفانكور، إلى جانب نخبة من الكتّاب الذين أثروا المشهد الثقافي والفكري في كيرالا.

الفصل الثالث عشر

البحث عن محرر جديد، ونقل إدارة الجريدة إلى ترفاندرم

خلال فترة عمله كمحرر في الجريدة، كان السيد سي. بي. جوفيندا بيلاي يشغل في الوقت ذاته منصب مدير دير كَلَّارَا (Kallara Madam) وفي تلك الأثناء، أطلقت طبقة البراهمة (Brahmans) مجلة شهرية باسم "أريا بوشانام" (Arya Bhushanam)، حيث تم تعيين بيلاي مديراً لها. إلا أن ازدحام مسؤولياته وصعوبة التوفيق بينها دفعه إلى اتخاذ قرار بالانسحاب المؤقت من جريدة سوديشابمان (Swadesabhimani)، مما أدى إلى توقف نشرها لفترة من الزمن¹²².

في ذلك الوقت، كان المولوي يسعى جاهداً إلى تطوير عمل الجريدة وتحسين أدائها. وبما أن أنجوتينجو (Anjuthengu) كانت جزيرة صغيرة لا يمكن الوصول إليها إلا عبر القوارب، فقد كان هاجسه الأول نقل مقر الصحيفة إلى وِگَم، وهو ما دفعه إلى تشييد مبنى جديد بالقرب من منزله، حيث تم نقل المطبعة إليه. ولحسن حظه، تم افتتاح مكتب بريد قريب، ما سهل عملية توزيع الجريدة.

ومع استعداده لاستئناف الإصدار، بدأ المولوي في البحث عن محرر شجاع ومستقيم، يحمل ميولاً وطنية، ويدرك مقاصده وأهدافه الصحفية. وقد رشَّح له سي. راما بيلاي، الذي كان يشغل منصب مساعد مفتش المدارس في منطقة آنغال، الصحفي راماكشنا بيلاي (1877-1916) باعتباره المرشح الأمثل لتولي منصب المحرر¹²³.

لم يكن المولوي غريباً عن اسم راماكشنا بيلاي، فقد كان على دراية به من خلال مقالاته التي تحمل في طياتها العبرة والتأمل العميق. وكان من الجدير بالملاحظة افتتاحيته الأولى لمجلة "كيرلا بانشيكا" (Kerala Panchika)، التي نُشرت بتاريخ 22 أبريل 1901م، حيث تناول فيها المسؤوليات الجوهرية للصحافة. وقد

¹²² Govinda Pillai, "Vakkom Moulavi and Swadesabhimani," 198.

¹²³ The Regional Records Survey Committee, Kerala State, The History of Freedom Movement in Kerala (1885-1938), vol. 2 (Trivandrum: Department of Cultural Publications, Government of Kerala, 2001), 21-22.

أورد في مقاله: "مسؤوليتان أساسيتان تتحملهما الصحف؛ أولاًهما: صياغة رأي عام مستنير ومنظم، وثانيتهما: الامتثال لما يُجمع عليه الرأي العام. غير أن المسؤولية الأولى هي التي ينبغي الاضطلاع بها بكل جدية في هذه البلاد. وما عداها، فإن الصحف تتحمل مسؤولية أخرى، وهي تسليط الضوء على السياسات الضارة، وإبلاغ الحكومة بمعاملة العامة من فساد الموظفين أو بعرض احتياجات الشعب"¹²⁴.

لقد كانت هذه الكلمات كفيلة بإقناع المولوي بأن راماكشنا بيلاي هو الرجل المناسب لهذه المهمة، فعرض عليه فرصة العمل في جريدة سوديشابماني. في بادئ الأمر، أرسل إليه السيد وگم ويلي ولاگم بي. كرشنا بيلاي، الذي كان يعمل مع المولوي مديراً للمطبعة والصحيفة، لعرض المنصب عليه، إلا أن راماكشنا بيلاي رفض العرض.

ولكن، لم ييأس المولوي، بل توجه بنفسه للقاءه، موضحاً له رسالة الجريدة وأهدافها السامية في عالم الصحافة. ولم يكتفِ بذلك، بل منحه السلطة الكاملة لإدارة الجريدة والمطبعة، وأكد له تمتعه بحرية مطلقة في التعبير وإبداء الرأي¹²⁵.

كلّف المولوي الوگمي السيد راماكشنا بيلاي بإدارة الجريدة والإشراف على نشرها بانتظام، آملاً أن يضيف عليها مقالات تتناول المصالح العامة، وتعلي من شأن العدالة وقيمها، وتهض بالأخلاق والثقافة، وتؤكد على حقوق الناس وواجباتهم¹²⁶. وقد وجد المولوي في بيلاي شخصية تتناغم تماماً مع رؤيته وطموحاته الصحفية، كما بدا أن كليهما قد التقيا أخيراً بنموذج الإنسان الذي كانا يسعيان للعمل معه.

وفي ختام لقاؤهما، قبل السيد راماكشنا بيلاي عرض المولوي بكل حماسة، ولَبّى دعوته لتولي رئاسة تحرير الجريدة. انتقل إلى وگم واستقرّ في منزل حديث شيده محمد إسماعيل، شقيق المولوي الوگمي، خصيصاً للمحرر الجديد.

وفي السابع عشر من يناير عام 1906م، صدر العدد الأول من الجريدة في مجلدها الثاني (رقم 1) تحت رئاسته. وفي خانة التحرير، خطّ بيلاي كلمات تعكس مسيرة الصحيفة وتحدياتها، قائلاً: "ها هي جريدة سوديشابماني تدخل عامها الثاني، ونحن في هيئة تحريرها نشعر ببالغ الامتنان لخدمة قرائنا الأوفياء. ونلتمس منهم العذر على التأخير الذي شاب إصدارها، فقد كان ذلك نتيجةً لنقل إدارتها إلى وگم، وما تبعه من عقبات فرضها تغيير طاقم التحرير والتأخير في تعيين رئيس تحرير جديد، إضافة إلى التعديلات التي

¹²⁴ D.C. Kizhakkemuri, Swadesabhimani Ramakrishnapillai (Trivandrum: Department of Publication for the University of Kerala, 2000), 30.

¹²⁵ The Regional Records Survey Committee, The History of Freedom Movement in Kerala, 22

¹²⁶ Chunakkara Gopalakrishnan, "Vakkom Moulavi," Mahacharithamaala, no. 156 (Kottayam: Kairali Children's Book Trust, 1986), 16-17

طُرأت على حجم الصحيفة. وإننا نتطلع بشغف إلى آراء قرائنا الكرام ومقترحاتهم، فهي نبراس نهتدي به في سعيينا الدؤوب لتحسين هذه الجريدة والارتقاء بها إلى آفاق أرحب¹²⁷.

وفي 17 من يوليو عام 1907م، وبعد عام ونصف من العمل في وِكم، تم نقل مطبعة جريدة سواديشابهيماني إلى ترفاندرم، وذلك لتمكين رئيس تحريرها، راماكشنا بيلاي، من متابعة دراسته في القانون إلى جانب إدارته للجريدة. أعلن المولوي محمد عبد القادر ذلك رسميًا في الجريدة، قائلاً:

"اعتبارًا من الأول من يوليو 1907م، تم الاتفاق على عقد ملكية مشتركة لصحيفة سواديشابهيماني بين مالکها محمد عبد القادر (المولوي الوکمي) ورئيس التحرير راماكشنا بيلاي. وبهذا، نُسلّم إدارة الصحيفة والمطبعة ومسؤوليات التحرير بشكل مشترك"¹²⁸.

وهكذا، أصبح كل من المولوي الوکمي وراماكشنا بيلاي مسؤولين عن جميع شؤون الجريدة معًا. ومع ذلك، بعد نقل الصحافة إلى ترفاندرم، لم يكن المولوي يتدخل في الشؤون اليومية للصحيفة، بل كان يزور المدينة بين الحين والآخر، يلتقي ببيلاي، ويستفسر عن سير العمل¹²⁹.

في الواقع، أصبحت الصحيفة والمطبعة تحت السيطرة الكاملة لراماكشنا بيلاي، الذي مُنح حرية تامة في إدارتها واتخاذ القرارات المتعلقة بها¹³⁰. ورغم ذلك، ظلت العلاقة بينه وبين المولوي الوکمي ودية وأخوية إلى حد بعيد. كان المولوي يكنّ حبًا عميقًا وإيمانًا صادقًا بمحرره، بينما اعتبر بيلاي المولوي كأخ أكبر له¹³¹. وقد وُصفت هذه العلاقة بأنها نادرة جدًا في تاريخ الصحافة في ولاية كيرلا. ووفقًا للصحفي البارز لبوتوبالي راغافان: "ولم تشهد ولاية كيرلا من قبل، ولن تشهد في المستقبل، مالکًا ومحررًا يعملان في مثل هذا التعاون والانسجام التام"¹³².

في البداية، أُقيمت المطبعة في مبنى مجاور لمنزل راماكشنا بيلاي، ثم نُقلت لاحقًا إلى مبنى آخر في شارع مهاتما غاندي، مما عزز من نشاط الصحيفة وفعاليتها. كان الموقع الجديد أكثر ملاءمة لتلقي الأخبار والتواصل مع المسؤولين الحكوميين. عند بدء النشر من ترفاندرم، كانت الصحيفة تُصدر أسبوعيًا، ولكن

¹²⁷ يقول السيد/ غوفيدا بيلاي، الريف لم يكن مناسبًا للصحافة الحديثة، ثم نقل الصحافة إلى ترفاندرم.

¹²⁸ Bashir, Swadesabhimani Vakkom Moulavi' and Swadesabhimani Ramakrishna Pillai, 3.

¹²⁹ According to Kalyanikutty Anima, Ramakrishna Pillai's wife, whenever Vakkom Moulavi visited Ramakrishna Pillai, they did not spend much time together. B. Kalyani Amma, "Moulaviyum Swadesabhimaniyum" [Moulavi and Swadesabhimani], in Vakkom Maulaviyude Thiranjelulha Kruthikal [Selected Writings of Vakkom Maulavi], ed. S. Mohamed Abda (Vakkom: Vakkom Maulavi Publications, 1979), 345.

¹³⁰ Kizhakkemuri, Swadesabhimani Ramakrishnapillai, 45.

¹³¹ John Ochaduruth, "Islamika Navodhanavum Vakkom Moulaviyum" [Islamic Reform and Vakkom Moulavi], Matrubhoomi, 4 November 1982.

¹³² Puthupally Raghavan, Kerala Patrapravarthana Charitram [History of Newspapers in Kerala] (Kottayam: D.C. Books, 2001), 207.

مع تولي راماكشنا بيلاي إدارتها، تم إدخال تحسينات تدريجية، حيث بدأت تُنشر مرتين في الأسبوع، ثم ثلاث مرات، حتى أصبحت تُنشر يوميًا خلال جلسات المجلس التشريعي لولاية كيرلا.

لم تقتصر جهود بيلاي على الصحافة فقط، بل أنشأ أيضًا مكتبة تجارية بالتوازي مع إدارة الصحيفة. كما قام بإطلاق مجلة *Keralan*، ومجلة نسائية بعنوان *Sharadha*، ومجلة شبابية باسم *Vidyarthi*، ليصبح ناشرًا، مؤلفًا، موزعًا، وصحفيًا بكل معنى الكلمة. لا يمكن تجاهل الدور الحاسم الذي لعبه المولوي الوكّمي في صقل موهبة راماكشنا بيلاي وتحويله إلى كاتب ومفكر ومترجم وإعلامي ذائع الصيت عالميًا، كما أشرنا سابقًا.

الفصل الرابع عشر

غضب الحكومة الملكي على جريدة "سواديشابهماني"

هاجمت جريدة "سواديشابهماني" الفساد والفوضى المستشريين في أوساط المسؤولين الحكوميين في الديوان الملكي بترافنكور، وجاء نقد رئيس تحريرها، راماكشنا بيلاي، أكثر حدة ووضوحًا مع مرور الوقت. ومع تصاعد لهجته الناقدة، سعى المسؤولون إلى إحكام قبضتهم على الصحيفة والمطبعة، متخذين من تقارير جواسيسهم ذريعةً لذلك. فقد أوهمتهم تلك التقارير بأن بعض الأثرياء الكبار في ترافنكور قد دعموا راماكشنا بيلاي في معركته ضد الديوان الملكي، وزعموا أنه، رغم فقره، صار مالكا للصحيفة، فلا بد أنه تلقى تمويلًا من هؤلاء الأثرياء الذين زجّوا به في عالم السياسة¹³³.

بناءً على هذه الافتراضات، مارس الديوان الملكي ضغوطًا على المولوي الوكّمي، مطالبين إياه بتأديب رئيس التحرير. غير أن المولوي كان على قناعة تامة بأن راماكشنا بيلاي لم يقترف أي خطأ، فلم يتخذ أي إجراء ضده، بل دافع عنه مؤكدًا أن نهجه عادل وصحيح. ولم يكتفِ بذلك، بل رفض نصح بيلاي بتخفيف انتقاداته للحكومة، إدراكًا منه أن نقده لم يكن موجّهًا لشخص بعينه، بل لنظام اجتماعي وسياسي يحرم عامة الشعب من حقوقهم.

ومع تعنت المولوي ورفضه الرضوخ للتهديدات، لجأت الحكومة إلى أساليب أخرى، فعرضت عليه بيع الصحيفة وممتلكاتها بأي ثمن يطلبه، إلا أنه ظل ثابتًا على موقفه، رافضًا كل الإغراءات. وعندما باءت هذه المحاولات بالفشل، سعت الحكومة إلى عرقلة توزيع الجريدة، فامتنعت مكاتب البريد عن تسليم الصحف،

¹³³ P. RajagopalaChari, Dewan's Note Dated 15 August 1912, on the Suppression of the Swadeshabhimani Newspaper (Trivandrum, 1912), II

مما اضطر بيلاي إلى تعيين وكلاء خاصين لتوزيعها على القراء¹³⁴. وحين لم تجد هذه العراقيل نفعا¹³⁵، لجأ الديوان الملكي إلى القوانين الجائرة لمحاصرة الجريدة وإسكات صوتها، لكنه اضطر أخيرًا إلى التخلي عن خطته أمام صمودها.

وبلغت الأمور ذروتها حين بدأ أقرباء المولوي الوكّمي وأصدقائه ومحبه يعبرون عن مخاوفهم من عواقب انتقاداته اللاذعة للمسؤولين والولاة، ورأى كثير منهم أن من الحكمة التخفيف من حدة النقد. بل إن بعضهم كتب إليه شخصيًا محاولًا إقناعه بلجم راماكريشنا بيلاي، بل وذهب البعض إلى حد مطالبته بإقالته¹³⁶. لكن المولوي، الذي أدرك صلابته محرره وإيمانه بقضيته، كان يرى أن "راماكريشنا بيلاي لن ينحني رأسه إلا لله..."، وظل متمسكًا بدفاعه عنه، واثقًا أنه لو كان بينهما خلاف حقيقي، لكان في وسعه بكل سهولة عزله من منصبه¹³⁷.

وأخيرًا، نجح الديوان الأميري في استصدار إعلانٍ ملكيٍّ موقعٍ من قبل مهاراجا ترافنكور، يقضي بنفي راماكريشنا بيلاي من البلاد إلى الأبد. وفي السادس والعشرين من سبتمبر عام 1910م، قامت السلطات الملكية باعتقاله وترحيله إلى مدراس، دون أن تترك له حتى حق الاستئناف أمام المحكمة المدنية¹³⁸. ولم يقتصر الأمر على نفيه فحسب، بل صودرت مطبعته بكامل أدواتها، وأُتلفت جميع نُسخ جريدته "سوديشابيماني"، حتى بات الاحتفاظ بها أو قراءتها جريمة يعاقب عليها القانون. ولم تسلم أي نسخة منها من يد السلطة، إذ دُمّرت تمامًا، ما جعل العثور عليها في مكتبات ولاية كيرلا أمرًا مستحيلًا.

وبعد بضعة أشهر، لحقت به زوجته وطفلاه إلى مدراس، حيث عاشوا لسنواتٍ في فقرٍ مدقع، بلا دخلٍ منتظم. ثم انتقلت العائلة إلى "بالاغات" (Palaghat) حيث استضافهم السيدة (Taravath Ammaluamma) تارافات أمالوما لبعض الوقت، قبل أن يستقروا أخيرًا في "كانانور" (Cannanore)، حيث عملت زوجته كمدّسة في إحدى المدارس. غير أن المرض كان قد بدأ ينهش جسد راماكريشنا بيلاي، فوافته المنية في 28 مارس 1916م، عن عمرٍ لم يتجاوز الثامنة والثلاثين، بعد صراعٍ مع مرض السل (Tuberculosis).

¹³⁴ 'Gopalakrishnan, "Vakkom Moulavi," 18-19. Ramakrishna Pillai wrote an editorial about the losses that post offices suffered due to this alternative arrangement. However, the postal superintendent insisted that Ramakrishna Pillai's report was faulty and that he should apologize for his comments, which he ignored completely.

¹³⁵ In his editorial dated 8 July 1910, Ramakrishna Pillai sarcastically condemned the proposed press regulation.

¹³⁶ According to Ahmad Kannu, Makti Thangal also sent a letter to Vakkom Moulavi in this regard. Kannu, Vakkom Moulavi, 42.

¹³⁷ K. Gomati Anima, "Vishista Vyakthikal" [Unique Personality], in Vakkom Maulaviyude Thiranjedutha Kruthikal [Selected Writings of Vakkom Maulavi] S. Mohamed Abela (Vakkom: Vakkom Maulavi Publications, 1979), 334.

¹³⁸ وفقًا لما يقول الأستاذ/ محمد كانوا، كان جريدة كيسري Kesari وصاحبها السيد/ بالا كرشنا بيلاي (1960/1889) هو الوحيد الآخر صحيفة يمكن أن تدعي التراث الصحفي لSwadesabhimani، إنه أيضا حرب بقلمه ضدّ نظام الديوان الملكي والفساد الإداري في البلد.

وفي السادس والعشرين من سبتمبر عام 1948م، نُقلت رفاته إلى ترفاندرم، عاصمة ولاية كيولا، حيث نُصب له تمثالٌ في وسط المدينة في 13 أغسطس 1957م، تخليدًا لذكراه. ومن اللافت أن قرار نفيه لم يُقابل حينها باحتجاجٍ شعبيٍّ في ترافنكور¹³⁹، رغم أن كثيرين طالبوا المولوي بالسعي لاستعادة المطبعة، إلا أنه لم يُقدم على ذلك قط. غير أن حكومة ولاية كيولا، وفي عام 1958م، أعادت المطبعة إلى ابنه الأديب الشهير وكم عبد القادر، ليكون ذلك اعترافًا متأخرًا بالمظلمة التي تعرّض لها والده.

انتشر خبر مصادرة الصحيفة ونفي مؤسسها انتشارًا واسعًا في أرجاء ولاية كيولا، وتناولته الصحف الهندية في افتتاحياتها، كما ناقشته الأوساط السياسية والفكرية في مدراس والساحل الغربي. وفي تقريرٍ سريٍّ قُدِّم إلى الديوان الأميري في 15 أغسطس 1912م، وادّعي الأمير راجغوفال آجاري أن الصحف الهندية، رغم تباين وجهات نظرها، أيّدت القرار الأميري عمومًا.

إلا أن هذا القرار خلّف استياءً عميقًا في نفوس قراء "سوديشابيماني"، وحاول الكثيرون مواصلة المولوي الوكّمي، غير أن الأخير لم يكن مكترثًا بالخسارة المادية التي لحقت بالصحيفة بقدر ما كان محزونًا لفقدانه صديقه وزميله السيد/ راما كرشنا بيلاي، إذ خيّم عليه الحزن العميق، وترك في روحه جرحًا لم يندمل.

الفصل الخامس عشر

مجلة "المسلم"

وفي عام 1906م، أصدر المولوي مجلة "المسلم" من مطبعة "سوديشابيماني"، إذ كان يعتزم نشرها بالتزامن مع صحيفة "سوديشابيماني". غير أن الأقدار شاءت أن يتأخر صدور العدد الأول منها عامًا كاملاً، ويرجع ذلك، كما صرّح المولوي، إلى عقبات تقنية حالت دون إطلاقها في الموعد المقرر. وقد عبّر المولوي عن أسفه لهذا التأخير في افتتاحية العدد الأول من المجلة، حيث قال: "ها نحن اليوم نقدّم مجلة المسلم إلى جمهور القراء، ونأسف أشد الأسف على تأخر إصدارها، فقد كنا نطمح إلى نشرها منذ عام مضى. غير أن الخسائر والصعوبات التي واجهتها صحيفة "سوديشابيماني"، والتي يديرها كاتب هذه السطور، قد حالت دون تحقيق هذا الهدف. لكن بفضل التغييرات التي أُجريت في إدارة الصحيفة والمطبعة، بات من الممكن الآن إصدار مجلة المسلم، تحقيقاً لرغبة المسلمين الناطقين بالمليالمية"¹⁴⁰.

¹³⁹ Kizhakkemuri, Swadesabhimani Ramakn'shnapillai, 9- 10.

¹⁴⁰ Al-Muslim. (1906). Editorial [Editorial in the first issue]. 1(1).

وفي ذات الافتتاحية، أشار المولوي إلى ازدياد أعداد الصحف والمجلات المليالية يومًا بعد يوم، مما قد يُوحى بأن إصدار مجلة إسلامية ليس ضروريًا أو حتى ممكنًا. غير أنه أكد على أنّ الحاجة إلى مجلة "المسلم" لا تزال قائمة، خاصة في ظلّ الظروف التي كان يشهدها المجتمع آنذاك. فقد بدأ كلّ مجتمع يعمل بجدّ من أجل تقدّمه وازدهاره، وتنظّمت الطوائف غير المسلمة في ولاية كيرلا ساعيةً إلى تعزيز التعليم الحديث بين أبنائها، ومطالبةً بحقوقها وامتيازاتها لدى الحكومة.

وأمام هذا الواقع، رأى المولوي أنّ المسلمين لا بدّ أن يحذوا حذو غيرهم في سعيهم نحو النهضة. فقد كان يعتقد أنّ كل فرد يمكنه أن يساهم في تحديث مجتمعه من خلال اقتراح المجالات التي تحتاج إلى تطوير. ومن هنا، كان الهدف الأساسي من المجلة هو إرشاد المسلمين الكيرلاويين إلى ضرورة تبني مفاهيم الحداثة والتجديد، مع الحفاظ على هويتهم الإسلامية. ولذلك، احتوت المجلة على مقالات تناولت قضايا الإصلاح الاجتماعي، والمسائل الدينية، والتعليم، وغيرها من الموضوعات ذات النفع العام. كما ضمّت المجلة تقارير وأخباراً عن العالم الإسلامي، وسعت إلى تصحيح المفاهيم الخاطئة التي يروجها غير المسلمين عن الشريعة الإسلامية، وإزالة الشبهات التي تحيط بها.

ومن بين الأهداف التي سعت إليها المجلة، إطلاق حملة توعوية لإدراج تدريس اللغة العربية ضمن المناهج الدراسية في ولاية كيرلا، وتحسين أساليب تدريسها، وتعزيز التعليم القائم على أسس علمية وفنية، إلى جانب الاهتمام بتثقيف المرأة المسلمة. كما بذل المولوي عبر صفحات المجلة جهودًا مكثفة لحثّ المسلمين على تعلّم اللغة الإنجليزية، والالتحاق بالتعليم العالي، وتهيئة الفرص اللازمة لتحقيق ذلك، فضلًا عن تعليم أصول العقيدة الإسلامية الصحيحة وفقًا للقرآن الكريم والسنة النبوية، مع مراعاة أحدث الاكتشافات العلمية.

وكما كان الحال مع صحيفة "سوديشابيماني"، لم يكن نشر مجلة "المسلم" مشروعًا تجاريًا يهدف إلى الربح، بل كان مجهودًا فكريًا وإصلاحيًا خالصًا. إلا أن المولوي واجه صعوبات مالية حالت دون استمرار النشر المنتظم، حيث لم يكن المشتركون يسدّدون رسوم الاشتراك بانتظام. وإضافة إلى ذلك، كان كثير من المسلمين في كيرلا، رجالاً ونساءً، يجهلون الأبجدية الحديثة للغة المليالية، مما شكل عائقًا كبيرًا أمام انتشار المجلة بينهم.

وفي نهاية المطاف، لم يجد المولوي بُدًا من إيقاف النشر عام 1916 أو 1917م. غير أنّ المجلة عادت إلى الصدور مجددًا عام 1917م، حين تولّى صهر المولوي، السيد محمد كنجو، مسؤولية إدارتها، وأعاد

إصدارها أسبوعياً من مدينة "آلبوزا" (Alappuzha) واستمرت المجلة في الصدور بانتظام حتى عام 1920م، بإشراف "شركة المسلم للنشر"¹⁴¹.

الفصل السادس عشر

مجلة "الإسلام"

سعيًا لنشر أفكاره التجديدية بين الرجال والنساء وعامة الناس، عزم المولوي على إصدار مجلة أخرى تُكتب بالخط العربي المليالي. ولتحقيق هذا الهدف، اشترى مطبعة "ليتو برس" (Letho Press) رغم التحديات المالية التي واجهها في تلك الفترة، وأقامها في قريته وكم. كما اجتهد في تحسين الخط العربي المليالي ليكون قادرًا على استيعاب جميع الأصوات التي تزخر بها الأبجدية المليالية بأشكالها المتنوعة.

وخلال هذه الفترة، تعرّف على الشيخ الإمام السيد رشيد رضا المصري، صاحب مجلة "المنار". وقد أورد بعض الكُتّاب الذين تناولوا سيرة المولوي الوكّمي أنّ السيد رشيد رضا زاره في منزله ببلدة وكم في ولاية كيرلا، وأهداه نسخة من مجلته الشهيرة. غير أنني كباحث تاريخي مدقق بعد تواصل مع بعض أفراد أسرة المولوي الوكّمي واستفساري عن هذه الرواية، وجدتهم ينكرونها إنكارًا شديدًا، مؤكدين أنه لا أساس لها من الصحة.

وقد نُسبت هذه الرواية في الأصل إلى السيد محمد كانو، أحد تلامذة المولوي، الذي ذكرها في أحد كتبه قائلاً: "ذات يوم، قدم إلى المولوي أحد أقاربه، السيد ن. أ. محمد، وبرفقته عالم عربي مصري يُدعى رشيد رضا. فدار بين المولوي وبين رشيد رضا نقاش ذكي حول مختلف القضايا المتعلقة بالعقيدة والممارسات الإسلامية، واستمر الحوار طويلاً، حتى قدّم السيد رشيد رضا للمولوي نسخة من مجلة المنار"¹⁴².

إلا أنّه عند مراجعة مقالة السيد/محمد كانو التي كتبها عن علاقته بالمولوي ونشرها في مجلة "شندركا" المليالية¹⁴³، لم نجد أي ذكر لهذه الواقعة. ولم تظهر هذه القصة إلا عندما جمع محمد كانو ذكرياته في كتاب مستقل، حيث أُدرجت لاحقًا. ومن ثمّ، أنكرت عائلة المولوي هذه الرواية جملةً وتفصيلاً، بل وأفادوا بأن السيد محمد كانو قد ندم ندمًا شديدًا على إدراج هذه الحكاية "الموضوعة" في كتابه.

¹⁴¹ C.N Ahammed Moulavi and Muhammed Abdulkareem, Great Mappila Literary Tradition, 558.

¹⁴² Muhammad Kannu, Vakkom Moulavi, 108.

¹⁴³ Chandrika Malayalam: 1979 March 24. Muhammad Kannu

وفوق ذلك، حينما دوّن السيد رشيد رضا ذكرياته عن رحلته إلى الهند في مجلة "المنار"، تحت عنوان "عجالة في رحلة الهند"¹⁴⁴ لم يأت على ذكر زيارته إلى كيرلا، ولم يُشر إطلاقاً إلى لقائه بأحد علماء هذه الولاية.

أما عن الهدف الأساسي من إصدار مجلة الإسلام، فقد كان نشر المفاهيم الصحيحة التي عبّرت عنها مجلة "المنار"، ومواصلة الرسالة الإصلاحية التي تبناها صاحبها السيد رشيد رضا. وقد صدر العدد الأول من المجلة في أبريل عام 1918م، وصرّح المولوي بأن غايته من هذا المشروع هو تقديم الإسلام بصورته النقية، وفضح المعتقدات والممارسات الباطلة التي شابت الدين.

غير أنّ الحظ لم يسعفه، إذ حالت ظروفه الصحية دون استمرار المجلة، ولم يتمكن من إصدار أكثر من خمسة أعداد منها. وكما هو الحال مع منشوراته الأخرى، تواجه المولوي خسائر مالية فادحة. يضاف إلى ذلك أنّ رجال الدين الذين كانوا يتمتعون بنفوذ واسع بين عامة المسلمين، عملوا بكل ما أوتوا من قوة على الحدّ من انتشار المجلة، وسعوا إلى تشويه سمعة المولوي عبر نشر الأباطيل والأكاذيب عنه. وقد أدى ذلك إلى عرقلة وصول المجلة إلى قطاع واسع من الناس، مما حال دون تحقيقها للانتشار المأمول.

الفصل السابع عشر

مجلة "ديفكا"

وفي عام 1931م، أسّس المولوي الوكّعي دار النشر في قريته وكمّ، وكان هدفه نشر العلم وتعزيز الفهم العام لمبادئ القرآن الكريم. كما سعى إلى طباعة المواد التي من شأنها إزالة سوء الفهم والجهل بالإسلام بين غير المسلمين.

وقد أطلق المولوي دار النشر الإسلامية في فترة توقفت فيها المجلات والجرائد الصادرة عن المنظمات الإسلامية في مختلف أنحاء البلاد، مما أوجد فراغاً في الأنشطة الفكرية بين المسلمين. فاستغل نقاد الإسلام هذه الفرصة لشنّ هجومهم على القرآن والسنة النبوية والتاريخ والثقافة الإسلامية، بل وعلى الأنبياء عليهم السلام، في ظل غياب ردود علمية كافية لدحض الشبهات والتصدي للأباطيل التي راجت بدون حجة ولا برهان.

¹⁴⁴ رضا، محمد رشيد (رئيس التحرير). مجلة المنار، العدد الصادر في جمادى الآخرة 1330هـ، القاهرة: مطبعة المنار.

وكان من أبرز إصدارات دار النشر الإسلامية الترجمة المليامية لكتاب "الفاروق" للعلامة شبلي النعماني¹⁴⁵ (1857-1914م)، الذي طُبِع بالأردنية عام 1899م. وقد تولى ترجمته إلى المليالم الفصحى محمد عبد السلام، الابن الأكبر للمولوي الوكّمي، بعد تخرجه في جامعة المليية الإسلامية من نيودلهي، حيث نُشر في مجلدين.

أما مجلة ديفكا فكانت من أبرز منشورات دار النشر الإسلامية، كما أنها كانت المجلة الثالثة والأخيرة التي أصدرها المولوي الوكّمي خلال حياته. صدر عددها الأول في يناير عام 1931م، غير أن المولوي سرعان ما أصيب بمرض شديد، فضلاً عن معاناته أزمة مالية خانقة، مما حال دون استمرار المجلة بعد عامها الأول. ومع ذلك، فقد تمكّن، بفضل الاشتراكات السنوية التي جمعها من العديد من الأشخاص، من إصدار اثني عشر عددًا منها، إلا أنه واجه صعوبة كبيرة في طباعة العدد الأخير الصادر في ديسمبر.

ضمّت مجلة ديفكا مقالاتٍ متنوعة تناولت موضوعاتٍ اجتماعية وسياسية وأدبية، كما اشتملت على دراسات وتحليلات رصينة، وتقارير إخبارية مقتبسة من الصحافة العربية والأردنية والإنجليزية، فضلاً عن الصحف المحلية والعالمية. وكان في المجلة عمودٌ منتظم بعنوان "الاقتباسات (Quotations)"، حيث كان المولوي يستعرض دراسات علمية حول موضوعات شتى، كالدين والمجتمع والتعليم والعلوم والأدب واللغة والتاريخ والأخلاق. كما ضمّت المجلة ملفًا ثابتًا بعنوان "متنوعات"، احتوى على اقتباسات من الأحاديث الشريفة النبوية، والحكم، والأمثال.

وعلاوة على ذلك، نشرت المجلة مراجعاتٍ لأهم الكتب الصادرة في أنحاء مختلفة من العالم، بمختلف اللغات، كما قدّمت ترجمةً ملياميةً لأجزاء من كتاب "العالم الجديد للإسلام (The New World of Islam)" لمؤلفه لوثروب ستودارد (1883-1950م)، وكتاب "خطبات مدرّس" الشهير للعلامة السيد سليمان الندوي (1884-1953م). كما نشرت مقالة محمد يعقوب خان بعنوان "الإسلام والتحول الديني في الهند"، فضلاً عن العديد من المقالات والبحوث القيّمة.

¹⁴⁵ العلامة شبلي النعماني (1857-1914م) كان مفكرًا ومؤرخًا وأديبًا إسلاميًا بارزًا في الهند، وأحد رواد النهضة الفكرية في العالم الإسلامي. وُلد في مدينة أعظم جراه بولاية أتر برديش، وتلقى تعليمه التقليدي في العلوم الإسلامية، ثم انفتح على الفكر الحديث، ما جعله يجمع بين التراث والحداثة في كتاباته. عمل أستاذًا في الجامعة العثمانية بحيدر آباد، ثم في دار العلوم ندوة العلماء، وأسهم في تأسيس دار المصنفين في أعظم جراه، التي أصبحت منبرًا لنشر البحوث والدراسات الإسلامية. اشتهر شبلي النعماني بكتاباتهِ العميقة في التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية والأدب، حيث كتب سيرة عمر بن الخطاب في كتابه الشهير *الفاروق*، وبدأ مشروعًا موسوعيًا عن سيرة النبي ﷺ في كتاب *سيرة النبي*، الذي أكمله تلميذه سيد سليمان الندوي. كما كتب عن الإمام أبي حنيفة، والإمام الغزالي، وغيرهما من الشخصيات الإسلامية، وسعى من خلال مؤلفاته إلى تصحيح المفاهيم وإبراز عظمة الحضارة الإسلامية.

ولم تقتصر المجلة على نشر المقالات الأصلية، بل ضمت أيضاً ترجمات لمقالات من مجلات أخرى، مثل "مجلة المعارف" الأردنية الصادرة في أعظم جراه، إلى جانب مقالات للمفكر الاجتماعي الفرنسي غوستاف لوبون (Gustave Le Bon) (1841-1931م).

ومن خلال مجلة "ديفكا"، قدّم المولوي الوكّمي لقراءه كتباً جديدة، إلى جانب الصحف والمجلات التي تُنشر في مختلف أنحاء العالم، لا سيما تلك الصادرة في البلدان العربية والإسلامية. وهذا أتاح لهم فرصة فريدة لفهم الاتجاهات الفكرية المختلفة. كما قدّم في مقالاته عبر المجلة نقاشات علمية وثقافية تناولت قضايا الدين والمجتمع والعلم واللغة والأدب¹⁴⁶. وكان يسعى من خلال كتاباته إلى تحدي المعتقدات التقليدية وتحفيز القراء على تبني أفكار جديدة، مما كان له أثر حاسم في تحولاتهم الاجتماعية والدينية¹⁴⁷. أما غالبية قرائه كانوا من مثقفي الطبقة المتوسطة من مسلمي ولاية كيرلا، وهي شريحة لم تكن تمتلك نماذج فكرية تربط إيمانها بالخطاب المعاصر. ومن خلال "ديفكا"، حاول المولوي الوكّمي سدّ هذه الفجوة الفكرية.

تتميّز مجلة "ديفكا" بتسلسلها في ترجمة القرآن الكريم وشرحه باللغة المليالية بقلم المولوي الوكّمي، حيث كُتب النص العربي للقرآن بأسلوب خطّ بديع وأنيق¹⁴⁸. وقد اكتملت ترجمة سورة الفاتحة وشرحها في الإصدار الثالث، فيما بدأت ترجمة وشرح سورة البقرة في العدد الرابع. غير أن العدد الأخير من المجلة لم يتضمن أي ترجمة أو تعليق. وكانت هذه الترجمة والتفسير تحدياً حقيقياً يتحدى العديد من المفاهيم المسبقة الراسخة في أذهان عامة الناس بشأن ترجمة القرآن.

ساهم العديد من العلماء البارزين في ولاية كيرلا بمقالاتهم في مجلة "ديفكا"، ومن بينهم محمد كانو، وشاه الحميد، ومحمد عبد السلام، ومحمد عبدة صاحب، وعبد الشكور، وحسين وغيرهم. أما المولوي الوكّمي نفسه، فكان يكتب مقالاتين أو أكثر في كل عدد. ولم تكن أسماء الكتّاب تُذكر دائماً مع المقالات، إذ استُبدلت أحياناً بالأحرف الأولى والأخيرة من أسمائهم، مما جعل من الصعب تحديد هوية بعض المؤلفين.

ورغم ذلك، فقد تناول المولوي في مقالاته التنوع والتعدد من الموضوعات، من بينها الإلحاد، ومكانة المرأة في الإسلام، ومختلف جوانب التاريخ الإسلامي. كما وقفت مجلة "ديفكا" موقفاً صلباً ضدّ بعض الممارسات الدينية التي كانت سائدة في شهر محرّم ببعض مدن كيرلا¹⁴⁹، وأيدت بشدة كل التحركات المناهضة لنظام

¹⁴⁶ Bashir, M. (2000, October 27). *Swadesabhimani Vakkom Moulavi. Shabab Malayalam Weekly, Calicut.*

¹⁴⁷ N. A. Kareem, "Moulaviyum Deepikayum (Padanam)" [Moulavi and Deepika: A study], in Vakkom Moulaviyude "Deepika" Otlavaliathil [Vakkom Moulavi's Deepika in Single Volume], (Trivandrum: Vakkom Moulavi Foundation Trust, 1992).

¹⁴⁸ Shakoor, "Vakkom Moulavi: The Man Who".

¹⁴⁹ مهرجان محرّم يعي ذكرى إستشهاد الإمام الحسين، حفيد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، يبدأ هذا المهرجان في اليوم الأول من شهر محرّم، ويستمر لمدة 10 أيام حتى العاشر من محرّم.

"ماروماكاتاياام (Marumakkathayam)" ، وهو نظام وراثي باطل¹⁵⁰ . وعندما قدّم عضو المجلس التشريعي الأميري، السيد محمد، مشروع قانون لإلغاء هذا النظام، دعمه المولوي بكل إخلاص.

لقد نشر المولوي الوكّمي أفكاره الإصلاحية بين المسلمين بشكل أساسي عبر مجلتي "الإسلام" و"ديفكا"، كما ساهم بالعديد من المقالات في مجالات أخرى، مسهمًا بذلك في نشر الفكر المستنير وإحداث تغييرات جوهرية في المجتمع.

¹⁵⁰ هذا القانون مخالف جدًا لقواعد الميراث الإسلامية، تورث فيه أبناء الأخت بدلًا من الأبناء المباشر.

خُلاصة الباب الأول

يُعَدُّ هذا الباب بمثابة الأساس الفكري والمعرفي الذي تستند إليه الأطروحة في فهم السياق التاريخي والثقافي لنشأة المصلح الجليل محمد عبد القادر المولوي الوكّمي، من خلال استعراض المراحل التي مرّ بها الإسلام في ولاية كيرلا، والتحديات التي واجهها المجتمع المسلم، والنهضة التي أسهم فيها رجال الإصلاح، ومن أبرزهم المولوي الوكّمي رحمه الله.

ابتدأ الباب بلمحة تاريخية عن ظهور الإسلام وانتشاره في كيرلا، حيث أُشير إلى العلاقات التجارية القديمة بين العرب وسواحل كيرلا منذ ما قبل الميلاد، وقد شكّلت التجارة النشطة جسراً للتواصل الحضاري، أدى إلى دخول الإسلام إلى هذه البقعة من الهند مبكراً. لقد لعب التجار العرب المسلمون دوراً ريادياً في ترسيخ القيم الإسلامية في ملبار، حيث أسسوا المساجد والمراكز التعليمية، وتركوا بصمة عميقة في الهوية الثقافية للمنطقة.

ثم تناول الباب أحوال كيرلا بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وهي الفترة التي شهدت تحولات عميقة في النظام السياسي والاجتماعي. فمع حلول الاستعمار البريطاني، بدأت القوى الأجنبية تتدخل في الشؤون الداخلية، وظهرت تفاوتات حادة بين الطبقات، مما ألحق بظلاله على المسلمين الذين حافظوا على تعليمهم التقليدي، متحفزين تجاه التعليم الغربي. وقد أثر هذا التردد سلباً على موقعهم الاجتماعي والعلمي.

وانتقل البحث إلى إظهار كيف كان المسلمون حملة مشاعل العلم والمعرفة، إذ أبدعوا في ميادين شتى، وأسّسوا مراكز علمية تقليدية حفظت العلوم الإسلامية واللغة العربية. غير أن تحديات المرحلة تطلّبت نمطاً جديداً من التعليم يواكب التطورات، ويستجيب لمتطلبات الواقع.

وتحت عنوان تأسيس المدرسة العالية في مدينة كلكتا، أُشير إلى الدور المركزي الذي لعبته هذه المؤسسة في التأسيس للتعليم الديني العالي الحديث في الهند. وقد أصبحت هذه المدرسة منارةً للعلماء، ومصدراً لبث الوعي الديني والثقافي، وأسهمت في تأهيل رجال الإصلاح الذين كان لهم الدور الأكبر في نهضة المسلمين.

ثم ناقش الباب التعليم الديني العالي وقدم العلماء من الخارج، حيث لوحظ أن نخبة من العلماء العرب وغيرهم وفدوا إلى كيرلا، وأسهموا في نشر الفكر المستنير. ومن أبرز هؤلاء المولوي الوكّمي، الذي استقى من هؤلاء مناهجهم، وتفاعل مع فكرهم ليبنى مشروعه الفكري والإصلاحي.

وجاء العنوان الرمزي "الجالس الدارس بجانب مصباح مسجد الفناني"، ليصوّر التعلّق العاطفي والعلمي بالمساجد كمراكز للعلم والمعرفة، حيث تربّى فيها جيل كامل من الطلبة الذين أصبحوا فيما بعد دعاة ومصلحين، وكان هذا المشهد تجسيداً لروح التعليم التقليدي في كيرلا.

ثم تناول البحث قدوم المبشرين المسيحيين وتحولات الأوضاع في كيرلا، وهي من القضايا المفصلية في التاريخ الثقافي للولاية، حيث استغل المبشرون دعم الاستعمار البريطاني لنشر عقيدتهم، عبر التعليم والمدارس والمطبوعات. وقد تزامن هذا مع فتور نسبي من المسلمين تجاه التعليم الحديث، مما وضعهم في مواجهة تحديات مصيرية، وكان لا بد من بعث روح التجديد فيهم.

وبعد ذلك، خصص الباب حيزاً مهماً لـ محمد عبد القادر المولوي الوكّمي: المصلح والمترجم والكاتب العظيم، حيث بُسّطت ملامح شخصيته، ونشاطه الإصلاحي، ودوره المحوري في تأسيس خطاب ديني عقلاني، يواجه الجهل والبدع، ويعيد للإسلام صفاءه ونقاؤه. لقد جمع المولوي بين أصالة التكوين العلمي، وروح الإصلاح المعاصرة المستلهمة من أعلام النهضة الإسلامية في العالم العربي.

وفي فصل العائلة، والتعليم المبكر، والأساتذة، والزواج والحياة الأسرية، أُلقي الضوء على البيئة التي نشأ فيها المولوي، وعلاقاته مع أساتذته، وتكوينه العلمي العميق، فضلاً عن حياته الأسرية التي لم تصرفه عن مهمته الكبرى في الدعوة والإصلاح.

ومن المحاور الجوهرية أيضاً الإعلام المطبوع كأداة للإصلاح، حيث بُيّنت مكانة المطبوعات في مشروع المولوي الإصلاحي. فقد أدرك مبكراً أهمية الكلمة المكتوبة في التأثير، فسعى إلى إنشاء مجلات وصحف تنشر فكره وتواجه الانحرافات في المجتمع.

وتوسع الباب في الحديث عن الطباعة في مليبار ودورها في نشر المعرفة، إذ اعتُبرت الطباعة من أهم أدوات التغيير، فتمكّن المسلمون بفضلها من إعادة إنتاج معارفهم، ونشر الكتب والمجلات التي تخدم رسالتهم، وكان المولوي من أوائل الذين استفادوا من هذه التقنية لخدمة الدعوة والفكر.

ثم خُصّص فصل لـ جريدة Swadeshabhimani، وهي من أبرز الصحف التي تولّى المولوي الإشراف عليها في بداياتها. وقد شكّلت هذه الجريدة منبراً للدفاع عن حقوق المسلمين وغيرهم، وتحرير الفكر من الاستعمار، وتوعية الجماهير بالقضايا المعاصرة.

ثم ناقش البحث البحث عن محرر جديد، ونقل إدارة الجريدة إلى ترفاندرم، حيث ترك المولوي الجريدة بعد أن وضع لبناتها الأولى، وأوكل أمرها إلى السيد راما كرشنا بيلاي، الذي تابع المسيرة بنفس الحماس والالتزام، مما ساهم في تعزيز حرية الصحافة ومقاومة التسلط.

ثم توقف الباب عند حدث بالغ الأهمية وهو غضب الحكومة الملكية على جريدة "سواديشابهماني"، حيث أدّت جرأة الجريدة في فضح الفساد والاستعمار إلى اتخاذ إجراءات قمعية ضدها، مما يؤكد التأثير القوي للإعلام الحر في تلك المرحلة.

وفي إطار جهوده الإصلاحية، أسّس المولوي مجلة "المسلم"، التي خُصّصت لتقديم الإسلام في صورته النقية، ومعالجة قضايا المجتمع، وتقديم النصيحة للمسلمين بأسلوب علمي رصين.

ثم جاءت مجلة "الإسلام"، التي واصلت الرسالة نفسها، ولكنها تميّزت بمزيد من العمق في الطرح، واستقطبت مجموعة من الأعلام الواعية، فكانت منبرًا للمصلحين، ومدرسة فكرية لها حضورها.

واختتم الباب بفصل عن مجلة "ديفكا"، التي شكّلت نقلة نوعية في الإعلام الإسلامي في كيرلا، بما حملته من طروحات جريئة، ومواقف صلبة ضد البدع والانحرافات الاجتماعية. وقد استقطبت نخبة من العلماء والمفكرين، وكانت نموذجًا للإعلام الإصلاحي في البيئة الهندية.

لقد رسم هذا الباب ملامح الواقع الإسلامي في كيرلا، قبل وفي أثناء حياة المولوي الوكّمي، وكشف حجم التحديات التي واجهت المجتمع المسلم، وسبل مواجهتها عبر التعليم والإعلام والإصلاح. كما سلّط الضوء على المكانة المركزية التي تبوأها المولوي الوكّمي في مسيرة النهضة، متسلحًا بالعلم، ومحفرًا بقيم الإسلام، ومستبصرًا بتجارب المصلحين في العالم الإسلامي، ومجسدًا لمعنى الريادة في الفكر والعمل.

وما إن نُشير إلى مجلات "المسلم" و"الإسلام" و"ديفكا"، حتى يتراءى أمام أعيننا مشروعٌ إصلاحي متكامل، اتخذ من الكلمة المكتوبة جسرًا للفكر، ومن الصحافة منبرًا للتنوير، ومن الترجمة وسيلة لربط كيرلا بالنهضة العربية والإسلامية. لقد كانت هذه المجالات الثلاثة بمثابة النوافذ التي أطلّ منها شعب كيرلا المسلم على العالم الإسلامي الواسع، تتدفّق عبر صفحاتها أنوار المعرفة، ونفحات الإصلاح، ومقالات تنبض بالحكمة والدعوة إلى تجديد العقل والروح.

ففي هذه المجالات، لم يكن المولوي مجرد كاتب أو محرّر، بل كان معلّمًا وموجّهًا ومهندسًا لوعي جديد، يستنهض همم القراء، ويوقظ النائمين، ويربّي النفوس على حب العربية، لغة الوحي والبيان. وقد خصّص فيها مساحات واسعة لترجمة المقالات القيّمة من المجالات العربية والإسلامية الرائدة، مثل مجلة المنار، والضياء، والفتح، وغيرها، فكانت هذه الترجمات بمثابة الجسر الثقافي الذي عبرت عليه مفاهيم النهضة إلى قلوب شباب كيرلا وعقولهم.

ومن خلال هذه المجالات، رفع المولوي راية تعليم اللغة العربية الفصحى الرصينة، بأسلوب عملي حيّ، يجمع بين البلاغة والدقّة، ويظهر جمال العربية وعمقها، حتى صارت هذه المجالات مدارس قائمة بذاتها، يتخرّج منها الكتاب النابغون، والمترجمون المهرة، الذين صاروا فيما بعد أعلامًا في الفكر والتأليف، وسفراء للغة العربية في كيرلا وخارجها.

لقد أحسن المولوي استخدام هذه المجالات كأداة تربوية وإعلامية فاعلة، فغرس في نفوس الناشئة محبة العربية، وربى نخبة من المترجمين والكتّاب العباقر، الذين حملوا الراية من بعده، وأكملوا مسيرة الإصلاح والتنوير. وهكذا، تحوّلت هذه المجالات إلى حركة فكرية متجددة، يتناقل أثرها جيل بعد جيل، ويظلّ فضلها شاهداً على عبقرية المولوي وسموّ رسالته.

لا يقتصر هذا الباب على سرد الأحداث التاريخية أو التعريف بالشخصيات، بل يهدف إلى فهم البيئة التي نشأ فيها المشروع الفكري والإصلاحي لمحمد عبد القادر المولوي الوكّمي. ولذلك يتناول الظروف الدينية والثقافية والاجتماعية التي أثّرت في تكوين أفكاره وأسهمت في ظهور نشاطه الإصلاحي.

واعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي، مع الاستفادة من القراءة النقدية للوثائق والنصوص المتعلقة بالحياة الفكرية في كيرلا. كما انطلقت من فكرة أساسية مفادها أن مشروع المولوي الوكّمي لم يكن جهداً فردياً معزولاً، بل جاء نتيجة تفاعل بين الواقع المحلي في كيرلا وبين حركات الإصلاح التي شهدها العالم الإسلامي في العصر الحديث.

ولتحقيق ذلك، اعتمد الباحث على مصادر أولية مهمة، مثل المجالات والصحف المرتبطة بالمولوي الوكّمي، إلى جانب الوثائق التاريخية والمقالات التي نشرها أو ترجمها. كما استندت الدراسة إلى مفهوم «الترجمة الثقافية» الذي ينظر إلى الترجمة بوصفها وسيلة لنقل الأفكار والقيم، لا مجرد نقل الكلمات من لغة إلى أخرى.

وتبين الدراسة أن التعليم والترجمة والصحافة كانت عناصر متكاملة في مشروع ثقافي واحد، أسهم في نشر المعرفة وتعزيز الوعي الديني والفكري. ومن هنا يمثّل هذا الباب الأساس النظري والتاريخي الذي يساعد على فهم أعمال المولوي الوكّمي وتحليل إسهاماته في تطوير الدراسات العربية والإسلامية في كيرلا.

الباب الثاني

إنتاجه العلمي والفكري والأدبي

- الفصل الأول: كتاب المولوي "ضوء الصباح على إمامي التجديد والإصلاح"
- الفصل الثاني: ترجمة كتاب "كيمياء السعادة" للإمام الغزالي
- الفصل الثالث: ترجمة كتابي "أهل السنة والجماعة" و "بيغام الإسلام"
- الفصل الرابع: ترجمة كتاب "عالم الإسلام الجديد"
- الفصل الخامس: الكتب العربية للمناهج الدراسية
- الفصل السادس: ردود العلماء والكهنة ورجال الدين على كتابات المولوي الوكّمي
- الفصل السابع: دور المولوي الوكّمي في تشكيل قادة الفكر والأدب في كيرلا
- الفصل الثامن: المولوي والمنظمات الإسلامية البارزة في ترافنكور
- الفصل التاسع: الكاتب ك. أم. المولوي ونعي مجلة المنار في وفاة المولوي الوكّمي
- الفصل العاشر: ك.م. سيتي صاحب زعيم النهضة السياسية والعلمية والفكرية
- الفصل الحادي عشر: قصيدة دورافاستا: القضية التي أثارت الجدل ودور المولوي
- الفصل الثاني عشر: إدوّنّا أرگل محمد صاحب (1880-1927م)
- الفصل الثالث عشر: محمد سليمان صاحب
- الفصل الرابع عشر: الشيخ يوسف عز الدين المولوي
- الفصل الخامس عشر: بي. عبد القادر المولوي الكنوّري
- خلاصة الباب الثاني:

الفصل الأول: كتاب المولوي "ضوء الصباح على إمامي التجديد والإصلاح"

فإن من سنن الله الماضية في خلقه أن يُبتلى أهل الحق بالأذى والتشويه، وأن تُطلق الألسنة بالزور والبهتان ضد دعاة التوحيد والإصلاح، كما وقع مع شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني، والإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب التميمي، فقد سُودت في حقهما الصحائف، وحُرِّفت مقالاتهما، وشُوِّهت دعوتُهما، وأُثِّمَ بما هما منه براء، فزُعِمَ أنهما خارجيان، ومجسَّمان، ومانعان لزيارة النبي ﷺ، وقاطعان للرحم والتوسل والاستغاثة، إلى غير ذلك من الافتراءات التي رُوِّجت على ألسنة خصومهما من أهل البدع والطرقية، وتناقلها مقلدة الأحزاب الصوفية، جهلاً أو غرضاً.

وقد قيَّض الله لهذه الدعوة المباركة رجالاً من أهل العلم والبصيرة، من العرب والعجم، قاموا بما أوجبه الله عليهم من الذبِّ عن أعراض العلماء، وكشف زيف المفتريات، ونقد المغالطات بالدليل والبيان. وكان في مقدمة هؤلاء العالم المصلح والمفكر النحرير الإمام السيد رشيد رضا المصري، صاحب مجلة المنار، التي أصبحت منبراً عالمياً للدفاع عن دعوة السلف، وتفنيد الشبهات المعاصرة، وجمع شتات الأقلام الحرة المؤمنة ببعث الإسلام في ضوء الكتاب والسنة.

وقد أخذت آثار الإمام رشيد رضا ومقالاته في المنار طريقها إلى القلوب والعقول، خاصة في بلاد الهند وما حولها، حيث تلقاها علماء النهضة هناك بالقبول والتقدير والتحقيق، وكان على رأسهم العالم الأريب، والمفسر الأديب، الشيخ محمد عبد القادر المولوي الوكّمي، أحد أعلام علماء كيرالا في القرن الرابع عشر الهجري، ومن كبار من تلقوا دعوة التوحيد بفهم سلفي رصين، فقام بها في أرضه، وردّ عنها الشبهات، ونشرها بالحكمة والموعظة الحسنة.

وقد كان الشيخ المولوي من أرسخ العلماء في كيرالا فهمًا لكتابات ابن تيمية وابن عبد الوهاب، واعتمد في رده على شبهات خصومهم على نصوص محققة من كتبهما، ومن مؤلفات رشيد رضا، ومن تراث السلف وأئمة الإسلام، فجمع بين التحقيق العلمي والبيان البلاغي والأسلوب الحوارى الراقي، مما جعل ردوده نموذجاً في الإنصاف والوضوح والحجّة.

ومن أبرز ما تميّز به أسلوب الشيخ المولوي، أنه لم يكن في رده مجرد ناقل لكلام العلماء، بل كان ناظرًا في الأدلة، مستخلصًا للمعاني، مبيّنًا لسوء الفهم عند الخصوم، متجنبًا السبّ والتهام الشخصية، مع تحليّه بحسن العرض، وترتيب المقال، مما جعل ردوده شافية، وأجوبته كافية، كما سمّاها هو في بعض رسائله بـ"الأجوبة الجوابية الكافية"، فأصاب في التسمية كما أصاب في الدلالة.

وقد ألّف المولوي في هذا السياق كتابًا نفيسًا بعنوان "ضوء الصباح على إمامي التجديد والإصلاح"¹⁵¹، وهو من أهم كتبه العقدية، صنفه ردًا على بعض مزاعم الطرقيين وأهل القبور، وتضمن هذا الكتاب عرضًا لمقولات شائعة عند بعض دعاة التصوف المنحرف، مع تفنيد علمي دقيق لها بالأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة، وبالتاريخ الصحيحة بأسلوب أدبي محكم يجمع بين البلاغة والسلاسة، ويكشف مدى سعة اطلاع الشيخ المولوي على كتب التراث العربي الإسلامي، من المشرق إلى المغرب. وقد أشار المولوي نفسه إلى هذا الكتاب في عدة ردود لاحقة، واستشهد بفصله، وكان يعدّه من أهم ما كتبه في الذبّ عن العقيدة الصحيحة ومناهضة الشريكيات والخرافات التي ابتلي بها أهل بلاده في ذلك الزمان¹⁵².

وقد أفرد الشيخ المولوي أيضًا في هذا السياق ردًا مطولًا على بعض دعاة التصوف المحليين في كيرالا، الذين طعنوا في شيخ الإسلام ابن تيمية، واتهموا الإمام محمد بن عبد الوهاب بما افتراه أعداؤهما، فقام المولوي بإرسال أسئلة علمية دقيقة إلى هؤلاء المتكلمين، وطالبهم برد موثّق بالأدلة، فما كان من أحدهم – وهو زعيمهم كُنْجَمُو إلا أن تهرّب، وأحال إلى كتب لا علاقة لها بالسؤال، فقام المولوي بجمع ذلك وتحريره وإصداره في كتيب علمي حوار، يُعدّ من أنضج ما كُتِب في السجل العقدي المحلي بلغة أصيلة، مستندًا فيه إلى مؤلفات الإمام ابن تيمية، كالفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، والقاعدة الجلية، وكتب الإمام محمد بن عبد الوهاب، ككشف الشبهات، والتوحيد، ومقالات المنار للإمام رشيد رضا، مع الاستشهاد بأقوال العلماء المالكية والشافعية والحنفية والحنابلة، وتفسير السلف، وأثار الصحابة والتاريخ الصحيح.

وقد أشار في بعض مواضع رده إلى كتابه المسمّى "ضوء الصباح"، وإلى غيره من مؤلفاته التي كتبها ردًا على الصوفيين والطرقيين، بأسلوب علمي مؤصل، جمع بين عمق العلم وسعة الاطلاع، كما يقول المولوي نفسه في مقدمة بعض رسائله: "وقد جمعتها بعد النظر في المطولات، وردّتها على الأصول الثابتات، وما أوردت إلا بيقين أو نقل مأمون عن الأئمة المعترين"¹⁵³.

ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث، توثيقًا وتحقيقًا لردود الشيخ المولوي، وتفسيرًا لمراميه، وتأصيلًا لأقواله، وتحقيقًا لقواعده، ليبقى هذا الصوت العلمي السلفي ناطقًا بالحق في زمن طغت فيه الأهواء، وكثرت فيه الدعاوى بلا بينة.

وفي سنة 1930م أثير في منطقة ألنكود بعض الجدل حول مسائل عقائدية، وذلك في أعقاب خطب ألقاها الشيخ كُنْجَمُو المسلمياري، أحد زعماء الصوفية في جنوب كيرالا أثار بها تساؤلات بين الناس. فقام الشيخ

¹⁵¹ Mangad, A. (Ed.). (2025). *Collected works of Vakkom Moulavi* (pp. 85–223). Yuvatha Books

¹⁵² لقد قام بطبعها الأولى جمعية "إسلام دهرما بالانا سونغام، في منطقة نيلاكاموكو تحت إشراف الشيخ أم. محمد كانوا

¹⁵³ Mangad, A. (Ed.). (2025). *Collected works of Vakkom Moulavi* (pp. 85–223). Yuvatha Books

محمد عبد القادر المولوي الوكّبي، عضو "جمعية حماية الشريعة الإسلامية"¹⁵⁴ في نيلكامك، بتوجيه أسئلة علمية دقيقة وواضحة إلى الشيخ كُنْجَمُو، وذلك انطلاقًا من واجبه في الذب عن العقيدة السلفية والرد على التحريفات الصوفية والشبهات المنتشرة في الأوساط العامة.

وقد كانت تلك الأسئلة بمثابة دعوة للحوار العلمي ومناسبة لبيان الحق بالأدلة، غير أن الشيخ كُنْجَمُو لم يجب عنها إجابة مباشرة، بل أحال إلى أسماء بعض الكتب دون تفصيل، كما يُلاحظ في بيان نُسب إلى شخص يُدعى "م. يُونُس"، وذُيّل بأنه صحفي في "فيجايا بركاشم"¹⁵⁵، وهي جريدة مجهولة لم يعرفها أحد من أهل المنطقة، كما لم يعرف عن هذا الشخص أي نشاط علمي أو صحفي سابق.

ويُنَبِّه الشيخ المولوي، في مقدمة "ضوء الصباح على إمامي التجديد والإصلاح"، إلى أن السيد يونس ليس من أهل الاختصاص في المسائل الدينية، ولا ممن يُرجع إليهم في الفتيا أو الرد، وإنما استُخدم اسمه ليُلْقَى من خلاله كلام الشيخ كُنْجَمُو المُسْلِيَار دون مواجهة مباشرة.

كما يوضح المولوي في مقدمة رده: "إننا لا نهدف إلى إصدار كتيّبات متتالية للرد الشخصي، ولكن حيث إن الكتيب المنسوب إلى يونس تضمّن مغالطات قد تُحدِث التباسًا في أذهان العامة، فقد رأت الجمعية انطلاقًا من مسؤوليتها أن تصدر بيانًا يوضح الحقائق ويُفند الدعاوى الباطلة"¹⁵⁶. وقد أشار الشيخ المولوي إلى أن الكتيب المعارض خُتم بكلمة "يتبع"، مما يدل على احتمال صدور جزء ثانٍ، إلا أن تأخر ذلك لا يبرّر السكوت عن بيان ما قُدّم من مغالطات¹⁵⁷.

الأسئلة التي وجهها المولوي ردًا على مزاعم الخصوم:

كما يبين الشيخ المولوي، فإن النقاش لا بد أن يقوم على الدليل الصريح والحوار العلمي الرصين، ولهذا صاغ الأسئلة التالية إلى الشيخ كُنْجَمُو المُسْلِيَار:

1. لماذا تقول إن الإمام محمد بن عبد الوهاب كافر؟ هل هذا رأي شخصي، أم هو قول علماء معتبرين؟ وما الدليل؟
2. هل حرّم شيخ الإسلام ابن تيمية زيارة القبور المشروعة؟ وهل توجد في كتبه مثل هذه التصريحات؟ أم أن ذلك من افتراءات خصومه؟
3. ما الفرق بين التوسل والاستغاثة؟ وما الحكم الشرعي لكل منهما؟
4. ما موقف الأئمة الأربعة من هذه المسائل؟ وهل يجوز وصف من وافقهم بأنه "وهاي"؟

¹⁵⁴ Islam Dharma Paripalana Sangam, Nilakkamukku, Near Cheryainkeezhu

¹⁵⁵ VijayaPrakasham

¹⁵⁶ ملخص من مقدمة الكتاب المذكور

¹⁵⁷ نفس المصدر

5. أليس الخلاف في مثل هذه القضايا من الفروع؟ وهل يُكفّر المخالف فيها؟ وما قول الإمام الغزالي في كتابه فيصل التفرقة؟

6. هل يجوز دعاء الأولياء الموتى في الشدائد؟

7. هل يجوز اتخاذ القبور مواضع للعبادة؟

8. هل تجوز مظاهر تعظيم القبور، كإضاءة المصابيح، وبناء القباب، وتقديم النذور؟

9. ما المقصود بالبدعة؟ وما تفسير حديث: "كل بدعة ضلالة"؟

10. إذا تمسك المسلم بالقرآن والسنة وأقوال السلف، فهل يُكفّر؟ وهل يُعد وهابياً أو صاحب مذهب

خامس؟

11. هل يجوز التعاون مع أهل البدع؟ وهل من واجب المسلم إنكارها؟

وقد بينّ المولوي أن هذه الأسئلة موجّهة لأجل الجواب عليها بأدلة من الكتاب والسنة، لا بالإحالة المجملة إلى أسماء الكتب.

رد الشيخ كُنْجَمَوُ المُسْلِمِ أَرَكَمَا يَصِفُهُ المولوي:

"لم يتلقَّ الشيخ محمد عبد القادر المولوي أي جواب مفصّل على الأسئلة، بل تلقّى ورقة ذكر فيها أسماء بعض الكتب، قيل إنها تحتوي الأجوبة، مع وعد بعرضها لاحقاً في خطبة الجمعة القادمة".

ومن الكتب التي أُحيل إليها:

- الجوهر المنظم في زيارة النبي المكرم
- الرد على الوهابية للسيد زيني دحلان
- بسيط الخلق ليوسف النبهاني
- القاعدة الجليّة في التوسل والوسيلة لابن تيمية
- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية
- مؤلفات نوح لبّ عالم، أحد علماء كيرالا

وقد نبّه المولوي إلى أن الإحالة إلى الكتب دون عرض النصوص أو تحليلها لا يُعد ردّاً علمياً.

وكما بيّن الشيخ المولوي في بيانه: "إن السائل لم يطلب أسماء الكتب، وإنما طلب أدلة شرعية مفصلة. والإحالة إلى المراجع بهذه الطريقة لا يفي بالغرض. والأسوأ من ذلك، أن يُستشهد بآيات قرآنية في غير موضعها لغرض التضليل"¹⁵⁸.

¹⁵⁸ Mangad, A. (Ed.). (2025). *Collected works of Vakkom Moulavi*, Yuvatha Books

ثم يقول المولوي محدّراً: "إن من يكذب على النبي ﷺ، فمصيره إلى النار، فكيف بمن يفترى على كلام الله تعالى ويحرفه خدمةً لهوى أو مصلحة"¹⁵⁹. وقد شدد المولوي على أن الواجب على كل مسلم أن يتحرى الدقة والصدق في فهم النصوص ونقلها، وأن يردّ على كل من يستخدم النصوص في غير مواضعها.

وقد اختتم الشيخ محمد عبد القادر المولوي بيانه بقوله: "إنّ الغرض من إصدار هذا البيان ليس المنازعة أو التحدي، وإنما هو أداء لواجب البيان، ورفع الجهل، والرد على من حرّف كلام العلماء واستغل جهل العامة. وسنقوم لاحقاً بعرض هذه المسائل ضمن سلسلة محاضرات علمية مفتوحة للجمهور، يُشارك فيها العلماء، وندعو إليها الشيخ كُنْجَمُو المُسْلِيَار أيضاً، ليحضر الحوار العلمي المباشر".

والله وليّ التوفيق.

عن جمعية حماية الشريعة الإسلامية – نيلكّامك

السكرتير العام

19 أغسطس 1930م.

يعد كتاب "ضوء الصباح على إمامي التجديد والإصلاح" من أبرز مؤلفات المولوي المستقلة، حيث يمثل تعبيراً شاملاً عن المبادئ والأفكار التي كرس حياته كلها من أجلها، وبذل في سبيلها تضحيات جسام. لقد خاض العالمان الجليلان ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب صراعاً فكرياً متواصلاً للحفاظ على نقاء العقيدة الإسلامية. ولم تقتصر أفكارهما على الجانب الديني فحسب، بل قدمت مشروع حياة متكامل يشمل الجوانب السياسية والاجتماعية، وهو ما عجز العلماء التقليديون عن استيعابه.

من خلال هذا الكتاب، سعى المولوي جاهداً للرد بقوة على الاتهامات التي وجهها العلماء التقليديون لهذين الإمامين العظميين، اللذين أكدا على ضرورة المشاركة الفعالة في الساحة الفكرية والسياسية، وخاضا في سبيل ذلك صراعات فكرية مريرة.

كان الإمام ابن تيمية، الذي عاش في القرن الثالث عشر الميلادي، شخصية فذة، حيث سلط الضوء على جميع أنواع البدع التي تراكمت بين المسلمين على مر القرون، ودعا العالم الإسلامي إلى العودة إلى صفاء الإسلام ونقاؤه. أما حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، التي وصفها العلامة إقبال بأنها أولى نبضات الحياة

¹⁵⁹ Collected works of vakkom mawlavi, Edit by Abdurahman Mangad, Print:2025, Yuvatha Books, Calicut-2.

في جسد الأمة الإسلامية الذي كان قد شارف على الموت في القرن الثامن عشر الميلادي، فقد امتد تأثيرها من المجال الفكري إلى المجال العملي، مستخدمة في ذلك القوة السياسية¹⁶⁰.

لقد كان الكتاب عظيم الفائدة في إزالة الجهل الذي كان يكتنف عامة المسلمين حول هذين الإمامين الجليلين. ومن خلال هذا الكتاب أيضاً، يمكننا أن ندرك بحق عمق واتساع معرفته الإسلامية. ويمكن القول إن هذا الكتاب هو الذي منح الحركة الإصلاحية في ولاية كيرالا أساسها الفلسفي، ويُعتقد أنه هياً الظروف لنمو الحركات السلفية في ربوع كيرالا.

كان المولوي الوكّمي يؤمن بأن غرس بذور الحركة الإسلامية وبثّ الفكرة الإصلاحية في ولاية كيرالا أمر مستحيل دون توفر كتب كافية باللغة المليالمية تشرح العقيدة الإسلامية والمسائل الفقهية بوضوح. لذا، لم يقتصر جهده على تأليف الكتب فحسب، بل بذل جهداً دؤوباً في ترجمة الأعمال المهمة من العربية والفارسية والأردية والإنجليزية إلى المليالمية وعربي المليالمية. وقد اشتملت مؤلفاته على أعمال أصلية وأخرى مترجمة، كان لها أثر بالغ في نشر الفكر الإصلاحي بين أبناء مجتمعه. وكان هدف المولوي من تأليف هذه الرسالة أن يجمع آراء كبار علماء المسلمين حول هذين العلمين الجليلين، وأن يبرز موقفهما الحقيقي من الإصلاح والتجديد، ثم يعرض هذه الآراء بلغة المليالمية حتى تصل إلى أكبر شريحة ممكنة من القراء.

سرعان ما أصبح هذا الكتاب نصّاً مرجعياً رئيسياً لتلاميذ المولوي، حيث اعتمده في نشر فكر الإصلاح والتجديد في ولاية كيرالا. وقد كُتب خصباً لرجال الدين والعلماء، ولهذا ضمّن فيه العديد من الاقتباسات العربية الأصلية، مع ترجمتها إلى المليالمية، مما ميّزه عن بقية مؤلفاته. وعندما طُبِع الكتاب بالحروف المليالمية، حُذفت منه النصوص العربية وأُبقي على ترجمتها فحسب، كما حرص المولوي في هوامشه على شرح معاني المفردات العربية الاصطلاحية، ليسهل على القارئ فهم النص.

خصّص المولوي الوكّمي في كتابه صفحات عديدة لاستعراض آراء كبار الأئمة والعلماء والمؤرخين الذين أثّنوا على شيخ الإسلام ابن تيمية، فجمع شهاداتهم بدقة ليؤكد أنه كان عالماً حافظاً، ورعاً صالحاً، عابداً منيباً، وريثاً للأنبياء، ونصيراً للسنة، وعدواً للبدعة والمبتدعين، ومجدداً للدين في عصره. كما تصدّى في كتابه للردّ على خمسة اعتراضات أثارها رجال الدين والكهنة ضد ابن تيمية، مشيراً إلى أن التاريخ شهد العديد من الطعون التي وُجّهت إليه، غير أن العلماء المحققين دحضوها بحجج دامغة، إلا أن علماء كيرالا لم يولوا هذه الردود المضادة الاهتمام الكافي، مما حال دون إطلاع المسلمين عليها والاستفادة منها.

¹⁶⁰ Muhammad, J. (2025). Introduction. In A. Mangad (Ed.), *Collected works of Vakkom Moulavi* (pp. 21–22). Yuvatha Books.

وفي "ضوء الصباح"، ردّ المولوي كذلك على المزاعم والالتهامات الموجهة ضدّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حيث قدّم نبذة مختصرة عن سيرته الذاتية، ثم جمع أقوال كبار العلماء الذين أثنوا عليه واحترموه، مؤكداً أن دعوته كانت متّبعة لمنهج أهل السنة والجماعة، وموافقة لإجماع الأئمة. كما تصدّى للردّ على ثلاثة عشر اتهامًا وُجّهت ضد الشيخ، مقدّمًا ردودًا كافية شافية تبطل هذه الافتراءات، وتوضح حقيقة دعوته التي سعت إلى تصحيح العقيدة وتنقية الإسلام من البدع والانحرافات.

إن كتاب "ضوء الصباح على إمامي التجديد والإصلاح" لا يمثل فقط دفاعًا عن العقيدة السلفية، بل يعد في جوهره خدمة جليلة للغة العربية وآدابها في ولاية كيرالا. ففي زمن كانت فيه المراجع العربية الأصيلة نادرة، والوصول إلى كتب التراث الكبرى شبه مستحيل لعامة الطلبة والباحثين، قام المولوي بجهد استثنائي في استحضار الأدلة مباشرة من مصادرها الأصلية. لم يكتفِ بنقل الأقوال، بل غاص في أعماق مؤلفات ابن تيمية وابن عبد الوهاب، وكبار الأئمة الأخرى واستخرج نصوصًا محققة، كما توسع في الرجوع إلى كتب التفسير والحديث والفقه والتاريخ المعتمدة عند أئمة المذاهب الأربعة. إن هذا العمل يبرهن على سعة اطلاعه الهائلة وتمكنه العميق من اللغة العربية، حيث استطاع أن يقدم للقارئ في كيرالا خلاصة البحث العلمي والتحقيق الذي كان حكرًا على المراكز العلمية الكبرى في العالم العربي، فأتاح لهم بذلك نافذة مباشرة على كنوز التراث الإسلامي العربي.

لقد تجلّت خدمة المولوي للغة العربية أيضًا في منهجيته التعليمية الفريدة، حيث لم تكن ترجمته مجرد نقل حرفي للمعلومات، بل كانت عملية إبداعية لإعادة صياغة الحجج العلمية الدقيقة بأسلوب أدبي رفيع وبيان بليغ وسلس باللغة المليالمية. وبهذا، استطاع أن ينقل ليس فقط معاني النصوص، بل روحها وقوتها الاستدلالية، مما جعل الأفكار المعقدة مفهومة ومؤثرة في الأوساط العلمية في كيرالا. لقد أسس بذلك جسرًا متينًا بين التراث العربي الإسلامي العريق وبين الأجيال الجديدة من الباحثين في بلاده، معلمًا إياهم كيفية التعامل مع النصوص، وفهم سياقاتها، وتقدير بلاغتها. ولا شك أن هذا المجهود قد ساهم في رفع مستوى الاهتمام باللغة العربية، وألهم الكثيرين على دراستها والتعمق فيها، لتكون هذه المبادرة من المولوي من خلال كتابه هذا خدمة خالدة للغة القرآن في أرض كيرالا.

الفصل الثاني

ترجمة كتاب "كيمياء السعادة" للإمام الغزالي

قام المولوي بترجمة كتاب كيمياء السعادة¹⁶¹ للإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي من الفارسية إلى العربية المليالية، وذلك ليتمكن المسلمون من فهم المبادئ الإسلامية الصحيحة على أسس متينة وبعمق راسخ. وبحسب ما ذكره محمد عبده، فإن هذا الكتاب، الذي يُعد أولى أعماله، نُشر عام 1918م. غير أن شاه الحميد يشير إلى أن الترجمة أُنجزت عام 1897م، إلا أن طبعها ونشرها تأخر، وربما تم ذلك في عام 1918م¹⁶². وتُعد هذه الترجمة أول نص يُنقل من الفارسية إلى المليالية.

يُعدُّ كتاب "كيمياء السعادة" للإمام أبي حامد الغزالي، من أنفس ما كُتب في التراث الإسلامي في مجال تهذيب النفس، وإصلاح الباطن، والتوفيق بين ظاهر الشريعة وباطن الحقيقة. وقد ألفه الإمام باللغة الفارسية ليصل إلى عوام الناس بلغتهم، ويكون أقرب إلى قلوبهم من التعقيد الفقهي والتنظير الكلامي، ثم تُرجم إلى العربية فازداد إشراقاً على إشراق، وبهاءً على بهاء. سمى الغزالي هذا الكتاب "كيمياء"، لا من باب المجاز اللفظي فحسب، بل لما فيه من قدرة خارقة على تحويل قلوب الناس من صدى الغفلة إلى صفاء اليقظة، كما يحوّل الكيميائي الحديد إلى ذهب، فكان بحق كيميائاً روحياً لمن طلب السعادة لا في متاع الدنيا، ولكن في صدق العلاقة مع الله.

في هذا الكتاب، أراد الغزالي أن يُخرج المسلمين من ضيق الجدل والخصومة إلى سعة الذوق والمعرفة، ومن التعلّق بالقشور إلى الغوص في اللباب. فجاء كتابه دعوةً إلى معرفة النفس، ومعرفة الله، ومعرفة الدنيا، ومعرفة الآخرة، وهذه هي الأركان الأربعة التي بنى عليها مشروع السعادة الحقيقية. إنه لا يُنكر ظاهر الشريعة، بل يراه طريقاً إلى حقيقة أعمق، وإنه لا يُقصي العقل، بل يجعله أداة لفهم القلب. فيُعلّم القارئ أن السعادة ليست في المال، ولا الجاه، ولا اللذات الزائلة، بل في طهارة القلب، وصفاء السريرة، وإخلاص النية، ودوام الذكر، وصدق التوجّه إلى الله.

¹⁶¹ الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. كيمياء السعادة. ترجمة: حسين خديو جم؛ ط1، بيروت: دار الأندلس، 1983م.

¹⁶² Mohamed Abda, "Vakkukale Padavalakkiya Vakkom Moulavi" [Vakkom Moulavi who Turned Words into Sword], Madhyamam, 12 September 1988, n.p. According to Shahul Hamid, Vakkom Moulavi was only 24 years old when he made this translation, making the date of composition to 1897. A. Shahul Hamid, "Vakkom Moulavi: Nammude Navodhana Nayakan" [Vakkom Moulavi: Our Reform Leader], Hijra 4, no. 11 (November: 1985).

لقد أَلَّفَ الغزالي هذا الكتاب في زمنٍ كانت فيه الأمة تتقاذفها التيارات، ويحترَب فيها المتكلمون، ويتبجَّح فيها الفلاسفة، ويتشدَّد فيها المتصوفة، ويتجهَّم فيها بعض الفقهاء، فاختار أن يكون صوته نداءً إلى التوازن، وإلى العودة إلى جوهر الدين، حيث تكون السعادة الحَقَّة في معرفة النفس أولاً، لأنها مفتاح لمعرفة الخالق جلَّ جلاله. فبيَّن أن الإنسان مخلوقٌ عجيب، يحمل في داخله عناصر العلو والهبوط، الطين والروح، الحس والعقل، وأن من عرف نفسه، عرف ربه، ومن جاهدَها، رَقَّاهَا، ومن أهملَها، أهلَكها.

وما بين فصول الكتاب، يَسْكَب الغزالي من حكمته، وعباراته المؤثِّرة، وأمثاله السلوكية ما يُدخل النور في القلب، ويُوَقِّظ الضمير، ويبعث على محاسبة النفس، واستحضار الآخرة. فهو لا يكتب للتسلية، بل للترقية، ولا يخطِّ كلمات تُقرأ ثم تُنسى، بل يزرع بذوراً تنبت في الأعماق، وتصنع الإنسان السعيد، لا بما يملك، بل بما يُدرك من معنى وجوده في هذه الدنيا. ولهذا، فإن "كيمياء السعادة" ليس كتاباً عابراً، بل دعوة مفتوحة لكل مسلم ليعيد ترتيب أولوياته، ويستنير في دربه، ويهتدي في زحام الدنيا إلى رضى الله ورضوانه.

وما من شكٍّ في أن اختيار الشيخ محمد عبد القادر المولوي الوَكَّمي لكتاب "كيمياء السعادة" للإمام الغزالي، ليقوم بترجمته إلى اللغة المليامية، لم يكن محض صدفة أدبية، ولا رغبةً في تنويع الترجمات، بل كان قراراً عميق الدلالة، ينبع من بصيرة إصلاحية ثاقبة، ووعي بحال المسلمين في كيرلا آنذاك، الذين كانت الغفلة قد استولت على عقول كثيرٍ منهم، والبدع قد استشرت في عباداتهم، والجهل قد ران على أفهامهم، حتى باتت المظاهر الشكلية للدين تغلب على جوهره، وتناقضت همم الناس عن طلب العلم، ومالت النفوس إلى التقليد والركود. لقد رأى المولوي أن الطريق إلى نهضة حقيقية لا يمرَّ فقط عبر السياسة أو المواجهة الصدامية، بل عبر تزكية الأرواح، وتصحيح الباطن، وإنعاش القلوب، تماماً كما رسم الإمام الغزالي طريق الإصلاح من الداخل قبل الخارج، ومن أعماق النفس قبل أسوار المجتمعات.

لقد أدرك المولوي أن كتاباً كـ"كيمياء السعادة"، بما فيه من حكمة بالغة، وأسلوب هادئ، وخطاب وجداني عميق، يُخاطب الفطرة، ويستنهض العقل، ويطهر القلب، هو الأنسب ليكون دليلاً للناس في كيرلا آنذاك. فالناس كانوا في حاجة ماسّة إلى من يأخذ بأيديهم بلطف نحو حقيقة الدين، لا بالعنف ولا بالتكفير، بل بالحكمة والموعظة الحسنة، والتربية على الإخلاص ومراقبة الله. وهذا بالضبط ما وجده المولوي في الغزالي: لا غلوٍّ صوفيٍّ ولا جفاف فقهيٍّ، بل توازن دقيق بين العقل والروح، بين الشريعة والحقيقة، بين ظاهر الإسلام وباطنه. فقام بترجمة هذا السفر الجليل إلى المليامية بلغة مفهومة لأبناء بلده، راجياً أن يكون ذلك بذرةً صحوّة روحية، ومفتاح يقظة إيمانية، ومنطلق نهضة علمية أخلاقية شاملة.

لقد سلك المولوي في هذه الترجمة مسلك المربي الحاني، لا المؤنَّب القاسي، فكما أن الغزالي لم يكن يوبِّخ قارئه بل يفتح له آفاقاً من التأمل، كذلك أراد المولوي أن يخاطب قلوب مسلمي كيرلا بالرحمة لا بالغلظة، وبالقدوة لا بالالتهام، وبالبيان لا بالجدل. فكان عمله هذا صرخة وعي في زمن الغفلة، ونافذة نور في ليل

التقليد المظلم، وهمسة إيمان في أذان مثقلة بصخب العادات والطقوس. وإذا أردنا تلخيص نيّة المولوي من هذا الجهد العظيم، فربما نجدها في روح الغزالي نفسه: أن يُقال للناس "ارجعوا إلى أنفسكم، طهّروها، وعرفّوا ربكم من خلالها، فهنا مفتاح السعادة، وهاهنا بدايات الطريق".

وما كان اختيار هذا الكتاب العظيم لترجمته إلى اللغة المليالية محصوراً في غايته التربوية وحدها، بل كان المولوي الوكّمي ينظر من خلال هذه الترجمة إلى غاية أسمى ثقافياً وتعليمياً، وهي إيقاظ وجدان المسلمين في كيرلا بضرورة التعلّق باللغة العربية، لغة القرآن والوحي، والارتباط العميق بحضارة الإسلام وعلومها الأصيلة. لقد أدرك المولوي، ببصيرته النادرة، أن اللغة ليست وسيلة فحسب، بل هي حاملٌ للهوية، وسندٌ للفكر، وجسرٌ يصل الأمة بماضيها العريق. ومن هنا، أراد أن تكون ترجمته "مدخلاً معرفياً" للمجتمع، يوقظ الشوق إلى الأصل، ويحرّك العقول نحو منابع النور الأولى.

فحينما يقرأ المسلم الكيرلي كتاباً رقيقاً عميقاً كـ"كيمياء السعادة"، في لغته الأم، ثم يعلم أن هذا النص إنما نبع من بحر العربية، وخرج من قلم أحد أعظم أعلامها، يدرك حينها جمال هذه اللغة، وثراء هذه الثقافة، وعلوّ هذه العلوم التي تركها السلف ميراثاً خالداً. فتصير الترجمة هنا جسداً حيّاً، ينبض بروح العربية في بيئة أعجمية، وينقل عبر البيان العربي إلى ربوع مليبار، لتنشأ بذلك علاقة وجدانية وعقلية بين القراء وعلوم الإسلام في أصلها الناصع.

لقد كان المولوي يستبطن في ترجمته هذه رسالة مزدوجة: تربية النفوس، وإحياء اللغة. وكان على يقين أن النهضة الحقيقية لا تقوم إلا على هذين الركنتين معاً؛ فلا فكر بلا لغة، ولا وعي بلا صلة حيّة بالتراث. ومن هنا، فترجمته لكيمياء السعادة لم تكن عملاً لغوياً فحسب، بل كانت دعوة مفتوحة للمسلمين أن يعودوا إلى العربية، يدرسوها، ويستأنفوا بها حضورهم في العالم الإسلامي، ويعيدوا لأنفسهم ذلك المجد الذي بناه الأوّلون بها، وعليها، وفيها.

الفصل الثالث

ترجمة كتابي "أهل السنة والجماعة" و"بيغام الإسلام"

كما قام المولوي بترجمة كتاب *أهل السنة والجماعة*، الذي ألفه العلامة السيد سليمان الندوي، من اللغة الأردية. وقد كتب الندوي هذا الكتاب لمواجهة تيارات الأصوليين والمتشددتين الذين وقفوا ضد الحركة الإسلامية الصحيحة. وقد نُشرت هذه الرسالة في الأصل على شكل مقالات متسلسلة في جريدة *المعارف* الأردية، ثم جُمعت لاحقاً في كتاب مستقل. وفي مقدمة ترجمته، كتب المولوي موضحاً أن المسلمين كثيراً ما يستخدمون مصطلح *أهل السنة والجماعة*، ويؤمنون بأن هذه الفرقة وحدها هي التي تسلك الصراط

المستقيم، ومع ذلك، فإن قلة منهم فقط يدركون المعنى الحقيقي لهذا المصطلح ويستحقون هذا اللقب. ويُعد هذا الكتاب من المؤلفات القيّمة، حيث تناول فيه المؤلف هذه القضايا، موضحاً كيف تسلت البدع إلى العقائد الإسلامية، وكيف تفرقت الأمة إلى طوائف متعددة.

كما تولى المولوي ترجمة كتاب *بيغام/إسلام* أو *بيغمبر/إسلام* للسيد سليمان الندوي من الأردية إلى العربية المليالمية. ويضم هذا الكتاب مجموعة من المحاضرات التي تتناول جوانب مختلفة من السيرة النبوية ورسالة الإسلام. وقد ألقاها الندوي في مدينة مدراس جنوب الهند بين شهري أكتوبر ونوفمبر من عام 1925م. ويُعد هذا الكتاب من أبرز ما أُلّف في موضوع السيرة النبوية، سواء من حيث المادة العلمية أو الأسلوب البديع. فهو يملأ قلوب القراء بحلاوة الإيمان، ويزيد من تعلقهم برسول الله ﷺ، مما يجعله من الكتب التي تحظى بمكانة خاصة في مجال السيرة.

تناول هذا الكتاب قضايا جوهرية بالغة الأهمية، وهي قضايا قلّ من تطرّق إليها في مؤلفاته، لا سيّما في دحض الادعاءات الباطلة التي طالت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكشف زيف الأكاذيب التي حيكت حوله. فبينما راجع المؤلف السّمّ الزعاف الذي نفثه بعض المستشرقين والكتّاب الغربيين في حق الإسلام ونبيّ الرحمة، محاولين النيل من مقامه الشريف وتشويه صورته، جاءت هذه المحاضرات لتكون صدمة مدوية، وسيّفاً مسلطاً على تلك المزاعم المختلفة.

وقد أثبت المؤلف في كتابه أن حياة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم هي النموذج الأكمل والأبقى للعالم أجمع، وأنها وحدها الضامنة لخيري الدنيا والآخرة. ولم تكن هذه الخطب إلا من روائع المعرفة، إذ جمعت في كتاب عُرف باسم "خطبات مدراس" باللغة الأردية. وفيما بعد، تولى المولوي ترجمتها إلى لغة المليالم، فنُشرت بشكل متسلسل في مجلة "ديبكا"، قبل أن تُجمع لاحقاً في كتاب مستقل تحت عنوان "الأنبياء".

ولم يكن جهد المولوي الوكّفي في ترجمة هذين العملين العظيمين - *أهل السنة والجماعة* و *بيغام الإسلام* - مجرد محاولة لنقل محتوى علمي أو محاضرات دينية من الأردية إلى المليالمية، بل كان مشروعاً ثقافياً متكاملًا، يحمل في أعماقه رسالة إحياء وتنوير، ودعوة صريحة لربط مسلمي كيرلا من جديد باللغة العربية، والوعي العلمي الإسلامي المنبثق من أصالة النصوص، لا من تراكمات التقليد. فقد كان المولوي يرى، بحسّ المصلح العارف، أن الابتعاد عن اللغة العربية والثقافة الإسلامية كان سبباً مباشراً في الغفلة العقائدية، وفي انتشار البدع والجهالات والانحرافات العقدية والسلوكية، وأنّ العودة إليها ليست مسألة لغوية فحسب، بل خطوة محورية نحو استعادة الوعي الإسلامي الرشيد، والاتصال بميراث النبوة كما نزل، وكما فهمه السلف الصالح.

لقد كانت ترجماته هذه بمنزلة جسرٍ حضاريٍّ موصولٍ بين كيرلا والعالم الإسلامي الواسع، وكان يحرص في مقدّماتها وتعليقاته أن يوجّه القارئ إلى جمال اللغة العربية، وضرورة تعلّمها لفهم معاني القرآن والحديث،

ولبناء ثقافة إسلامية راسخة على بصيرة. فاخياره لكتاب *أهل السنة والجماعة* لم يكن عبثاً، بل لأنه كتاب يحدّد الهوية العقدية الصحيحة، ويكشف عن انحرافات الطوائف التي تزيّنت باسم الإسلام وخرجت عن سبيله، وكان يعلم أن كثيراً من عوامّ المسلمين في كيرلا يجهلون تلك التفاصيل الدقيقة، فيتلبّسون بالممارسات الخاطئة دون علم، ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً. فجاءت الترجمة لتكون مرآة صافية تعكس معالم الطريق، وتُعيد تشكيل الفهم الصحيح للفرقة الناجية.

وكذلك كانت ترجمته لخطبات *مدرّاس* (بيغام الإسلام) ذات طابع دعويٍّ وروحيٍّ عميق، إذ أراد من خلالها أن يُذيق قراءه حلاوة السيرة النبوية، لا من خلال الروايات الجافة، بل عبر أسلوب السيد سليمان الندوي الذي مزج بين العاطفة الإيمانية والحجة العقلية، فكان الكتاب أشبه بنداءٍ ينبعث من قلب المدينة النبوية إلى قلوب أهل كيرلا. وقد حرص المولوي في تقديمه لهذا العمل على أن يوقظ شعور القراء تجاه مقام النبي ﷺ، ويشدّهم إلى درب سنته، ويؤسس فيهم تعظيم الرسالة المحمدية.

ومن هنا، فإن هذه الترجمات لم تكن مجرد "نقل لغوي"، بل مفاتيح إصلاح، ومشاعل فكر، ورسائل يقظة موجّهة إلى المسلم الكيرلي، تُرشده إلى العزّ الذي في العلم، وإلى الكرامة التي في الفهم، وإلى المجد الذي في الارتباط بالوحي وأداته الكبرى: اللغة العربية. إنها كانت - بحق - ضربةً من ضروب الجهاد الفكري الهادي، الذي سلكه المولوي في حكمة، دون ضجيج، لكنه ترك أثراً لا يُمحى في قلوب من قرأ، ومن وعى، ومن استجاب للنداء.

الفصل الرابع

ترجمة كتاب "عالم الإسلام الجديد"

ومن الجدير بالذكر أن المولوي قام أيضاً بترجمة أجزاء من كتاب "عالم الإسلام الجديد" *New World of Islam*، وهو من تأليف الكاتب والفيلسوف الأوروبي الكبير لوثرود ستودارد¹⁶³ - Lothrop Stoddard. وقد نشر هذه الترجمات تباعاً في مجلة "ديبكا"، وكان في نيته أن يترجم الكتاب كاملاً إلى اللغة المليالية، غير أنه لم يتمكن من ذلك. ولم تقتصر جهوده على هذا العمل، بل عمد إلى نشر مقتطفات مترجمة من العديد من المؤلفات الإنجليزية، والأردية، والفارسية، والعربية، لتكون زاداً فكرياً للقارئ الناطق بالمليالم.

¹⁶³ كان ستودارد باحثاً إسلامياً مستشرقاً ومؤلف كتاب *عالم الإسلام الجديد* عام 1921م، وفي مقدمة كتابه أشار ستودارد إلى أن العالم الإسلامي كله اليوم في حالة غليان عميق، ومن المغرب إلى الصين ومن تركستان إلى الكونغو 250 مليون من أتباع النبي محمد صلى الله عليه وسلم ينقلون أفكاراً جديداً، ودوافع جديدة، وتطلعات جديدة. ويحدث تحول هائل يجب أن تؤثر نتائجه على البشرية جمعاء.

يُعدّ كتاب "عالم الإسلام الجديد" واحدًا من أبرز ما كُتب في أوائل القرن العشرين عن العالم الإسلامي من وجهة نظر غربية، وقد امتاز بخصوصيته وعمقه، إذ لم يأت كصرخة استشراقية تنضح بالعداء، بل كقراءة تحليلية، ومحاولة للفهم الموضوعي للنهضة الإسلامية الآخذة في التشكّل بعد انهيار الخلافة العثمانية. ألّفه الكاتب والمفكر الأمريكي لوثرود ستودارد (Lothrop Stoddard)، وهو أحد أعمدة الفكر الغربي في ذلك العصر، وقد جمع في هذا الكتاب مشاهداته، وتأمّلاته، وتحليلاته حول واقع المسلمين وتحولاتهم الكبرى في بداية القرن العشرين، متناولًا قضاياهم السياسية والاجتماعية والفكرية والروحية، من أقصى المغرب إلى جزر الملايو، بأسلوب علمي متزن، يخلو غالبًا من التحامل الفجّ الذي طبع كثيرًا من الكتابات الغربية عن الإسلام في ذلك العصر.

لقد امتاز هذا الكتاب بكونه نافذة نادرة أطلّ منها الغربيون على ما كان يجري في عمق المجتمعات الإسلامية، خاصة بعد انكسار الحكم الإسلامي المركزي، وبروز حركات الإصلاح، وتنامي الشعور بالهوية الإسلامية، في مقابل الاستعمار والعلمنة الغربية. وقد عالج المؤلف عدة قضايا محورية، منها: تأثير الاستعمار في البلدان الإسلامية، وحال التعليم الإسلامي ومؤسساته، وحركات الإصلاح الديني، وصعود الوعي السياسي الإسلامي، وموقع المرأة في المجتمعات الإسلامية، والتحديات الاقتصادية والثقافية التي واجهها المسلمون آنذاك. كما لم يُغفل الكاتب الإشارة إلى العلاقة بين الإسلام والحداثة، وكيف أن المسلمين في كثير من الأقطار كانوا يتأرجحون بين الحفاظ على هويتهم، والانخراط في عالم متغيّر سريع الإيقاع.

ومن الخصائص البارزة في هذا الكتاب أنه لم يتحدث عن الإسلام كدين فقط، بل عن الإسلام كحضارة ممتدة، وكعالم مستقلّ الهوية، يملك مصادر قوّته، ومقومات نهضته إن أحسن تفعيلها. فقد أبرز الكاتب - بإنصاف نسبي - أن الإسلام ليس ديانة خاملة، بل يحمل في طياته طاقات كامنة يمكن أن تتفجّر في أي لحظة، وهو ما جعل الغرب ينظر إليه بعين القلق والحذر. وفي ثنايا هذا التحليل، قدّم ستودارد وصفًا دقيقًا لكثير من الأقطار الإسلامية، من مصر وتركيا، إلى إيران والهند، ومروّراً بجزيرة العرب وبلاد الشام، وصولاً إلى جنوب شرق آسيا، مبيّنًا الخصوصيات المحلية، والتفاعلات الثقافية، والتحديات المشتركة التي تواجهها الشعوب الإسلامية في ظل الهيمنة الغربية.

وقد أدرك المولوي الوكّمي القيمة الفكرية لهذا العمل، فرأى في ترجمته زادًا ثقافيًا لا غنى عنه للقارئ المالايالي، الذي كان بحاجة ماسة إلى فهم كيف ينظر العالم إلى أمته ودينه. ولهذا بدأ بترجمة أجزاء مختارة من هذا الكتاب، ونشرها في مجلة "ديبكا"، واضعًا نصب عينيه أن يُنشئ وعيًا نقديًا في المجتمع الكيرلي، يُدرك ذاته من خلال عيون الآخرين، ويستعدّ للنهوض بمسؤوليته الدينية والحضارية في عالم متغيّر. ولم يكن الهدف عرض آراء غربية كما هي، بل عرضها لتقرأ، وتُفهم، وتُحاكَم، وتُستثمر في بناء الذات.

ولم يكن الدافع وراء ترجمة هذا الكتاب المهم مجرد إشباع الفضول الفكري أو إطلاع القراء على ما يُقال عنهم في الأوساط الغربية، بل كان المولوي يرى في هذه الترجمة فرصة نادرة لإيقاظ الوعي الحضاري في نفوس المسلمين بكيرلا، ونافذة أخرى يُطلّ منها القارئ المليالي على أهمية العودة إلى مصادر المعرفة الإسلامية بلغتها الأصلية، اللغة العربية، التي هي مفتاح لفهم الذات، ومصباح لفهم العالم من حوله. لقد أدرك المولوي، بفكره الثاقب ووعيه الإصلاحي، أن أبناء كيرلا بحاجة إلى أن يتصلوا بالحركة الفكرية الإسلامية اتصالاً حياً، لا من خلال الترجمة فقط، بل من خلال التأصيل اللغوي والثقافي العميق، الذي يعيد للعربية مكانتها في قلوب المسلمين، ويُرسّي فيها أنها ليست لغة عبادات فحسب، بل لغة حضارة ومعرفة وصراع وبناء.

ومن خلال ترجمته لهذا الكتاب، أراد المولوي أن يقول لقارئه المسلم: /نظركيف يتحدث الآخرون عنك، وانظر إلى نفسك من خلال أعين غيرك، ثم قيس المسافة بين ما أنت عليه وما يُنتظر منك. وقد كان يعلم تمامًا أن مجرد عرض هذه الأفكار بلغة مفهومة للناس ليس كافياً، بل لا بد أن تُربط هذه المعارف بلسان الأمة الخالد، اللغة العربية، التي بها أنزل الله كتابه، وبها تشكّل العقل الإسلامي في أزهى عصوره، وبها سطعت أنوار الفقه، والفلسفة، والتصوّف، والتاريخ، والآداب.

إنها ليست مجرد "ترجمة" كما قد يظنّ البعض، بل كانت بذرة غرسها المولوي ليُعيد تشكيل علاقة المسلم الكيرلي بالعربية، ويزرع في وجدانه الإحساس بأن هذه اللغة ليست غريبة عنه، بل هي لغة روحه، وهويته، ومصيره الحضاري. وقد كانت أعماله كلّها، ومنها هذه الترجمة، تدور في فلك مشروع ثقافي متكامل، هدفه أن يُعيد جيلاً جديداً يتدوّق العربية، ويقرأ بها، ويكتب بها، وينتهي من خلالها إلى أمة واحدة، ذات رسالة واحدة، وميراث عظيم.

الفصل الخامس

الكتب العربية للمناهج الدراسية

كان للمولوي إسهام بارز في تأليف الكتب المدرسية التي تخدم المعلمين والطلاب، إذ وضع مؤلفات تُعنى بأساليب تدريس اللغة العربية وتعليمها، وكان كتابه "تعليم القراءة"¹⁶⁴ موجّهاً للصفوف الابتدائية، ساعياً إلى غرس أساس متين في تعلّم العربية. أما كتابه "أحكام التجويد"، فقد جاء دليلاً لمعلمي القرآن الكريم،

¹⁶⁴ لقد كان تطبع كتاب أحكام التجويد من مطبعة ترورنغادي في مالابرام الى عام 1977م.

يساعدهم على إتقان فن التجويد وتحسين مهارات القراءة الصحيحة. ولا شك أن مؤلفاته قد حققت جزءاً من أهدافه السامية، رغم ما واجهه من تحديات.

وقد راوده حلم آخر، وهو ترجمة كتاب "A Western Awakening" للمفكر الأوروبي اللورد هيدلي¹⁶⁵ (Lord Headley) إلى اللغة المليالية الفصحى. ولتحقيق هذا الطموح، بعث في 5 فبراير 1915م برسالة إلى راماكروشنا بيلاي، مكلفاً إياه بمهمة ترجمة الكتاب، غير أن الأخير لم يتمكن من إنجازها كما أراد المولوي.

وبالإضافة إلى ذلك، كان المولوي يطمح إلى تأليف كتاب يتناول أصول الدين، وآخر يتحدث عن شيخ الإسلام ابن تيمية، مستعرضاً سيرته العطرة وأعماله الفكرية والعلمية الجليلة. كما كان يتوق إلى ترجمة القرآن الكريم إلى لغة المليالم، مصحوباً بتفسيره وتعليقاته الخاصة، ليكون في متناول أهل بلاده، غير أن العوائق المالية، واعتلال صحته، ومسؤولياته الجسيمة تجاه أسرته ومجتمعه حالت دون تحقيق هذه الأحلام العظيمة.

وإذا تأملنا مجمل هذه الجهود الجليلة التي بذلها المولوي، من تأليف الكتب المدرسية، إلى ترجمة أعمال فكرية عالمية، وانتهاءً بطموحه إلى نقل معاني القرآن الكريم إلى لسان قومه، لوجدنا أن ما كان يحمله في صدره لم يكن مجرد مشروعٍ تعليميٍّ أو ثقافيٍّ عابر، بل كان رؤيةً حضارية متكاملة، تهدف إلى إحياء العلاقة بين المسلمين في كيرلا وبين اللغة العربية، لا بوصفها أداة تعبير فحسب، بل بوصفها وعاء العقيدة، وروح الحضارة. ولسان الوحي الإلهي. لقد أدرك أن التخلي عن العربية إنما هو تخلٍ عن جزء أصيل من الهوية الإسلامية، وأن بناء الأمة لا يكتمل ما لم تُربط الناشئة بلغة دينها، وتُربى على حبها، وتُدرَّب على التفكير من خلالها.

إن اختياره لترجمة كتاب أوروبي مثل *A Western Awakening*، وتأليفه كتباً لتعليم التجويد والقراءة، وسعيه نحو تأليف كتب في أصول الدين وابن تيمية، بل ورغبته النبيلة في ترجمة معاني القرآن وتفسيره كل ذلك يصبّ في هدف واحد: أن يكون العربي في كيرلا كالماء للروح، وكالهواء للرئة، لا تستغني عنه النفس المؤمنة، ولا تنفصل عنه الأمة الواعية. لم يكن المولوي يكتب للترف، ولا يترجم للشهرة، بل كان يعمل بهدوء المثابر، وبصيرة المصلح، متيقناً أن النهضة لا تقوم إلا على ثلاث: لغةٌ تُفكّر بها، وعقيدةٌ تُطهّر بها، وكتابٌ تُربى عليه.

ومن هنا، فإن ترجماته، ومشاريعه التي حالت الظروف دون تمامها، لم تكن سوى بذور زرعها في أرضٍ عطشى، لعلها تثمر وعياً جديداً في أجيالٍ قادمة، تُدرك أن لغتها ليست غريبة، وأن تراثها ليس بعيداً، وأن

¹⁶⁵ كان السيد/ لورد هيدلي 1855/1935م جندياً بريطانياً وكاتباً ورائداً ورجل دولة، تعلم في جامعة كامبريدج والتحق في خدمة الجيش كقائد ثم برتبة مقدم. واعتنق الإسلام عام 1913م واتخذ إسم الشيخ رحمة الله الفاروق وأصبح من دعاة الحركة الأحمدية. وفي عام 1914م أسس الجمعية الإسلامية البريطانية وشغل منصب رئيسها. وله عدة كتب في الإسلام، بما في ذلك "صحوة غربية على الإسلام" و "ثلاثة أنبياء عظماء في العالم". وكان رجلاً كثير السفر وقام مرتين بالحج، وزار الهند عام 1928م. ويروي هيدلي في مقدمة الكتاب نجرته في التحول إلى الإسلام ويشرح فيه أسباب إسلامه. الكتاب الذي كتب للدفاع عن الإدعاءات ضد الإسلام تحتوي على إثني عشر فصلاً.

الإسلام لا يُفهم حقًا إلا إذا فهم بلغته التي نزل بها. فجزاه الله عن العربية وأهلها خير الجزاء، وكتب له أجر من أعاد الحياة إلى اللسان، والنور إلى الجنان، والعقل إلى هويته.

الفصل السادس

ردود العلماء والكهنة ورجال الدين على كتابات المولوي الوكّمي

ولم تكن حركة الإصلاح التي أطلقها المولوي محمد عبد القادر الوكّمي مجرد صدى عابر في فضاء الفكر الإسلامي بولاية كيرلا، بل كانت زلزلة فكرية هزت أركان التقاليد الراسخة، ودعوة جريئة إلى النهوض من سبات الجمود والانحراف، والعودة الصادقة إلى نصاعة التوحيد وصفاء الإسلام. فقد اتّسمت كتاباته، لاسيما في مجلة *الإسلام*، بجرأة نادرة في نقد العقائد الفاسدة والممارسات التي تسلّت إلى حياة المسلمين باسم الدين، كالتمسّح بالأضرحة، والتوسّل بالأولياء، والتعويل على الخرافة بدلًا من هدي الوحي والسنة. وكان بذلك صوتًا صارخًا في وادٍ ملؤه التواكل، وسراجًا متقدًا في ظلام الاستسلام للبدع والتقاليد. ولأنّ لكل دعوة إصلاحية أعداء يضيقون بصوت الحقّ إذا علا، فقد استنفر رجال الدين التقليديون وكبار الكهنة كلّ قواهم لوقف هذا المدّ التنويري، فأروا في أقلام المولوي، وأفكاره المتمردة، تهديدًا مباشرًا لمكانتهم، ونقضًا لما بنوه من أساطير وخرافات استعبدوا بها العامة عقودًا طويلة.

ولا شكّ أنّ أفكار المولوي الوكّمي وكتاباته كانت تحديًا صارخًا لمعتقدات الأصوليين وممارسات الكهنة ورجال الدين المحافظين، إذ وجّه انتقادات لاذعة للعقائد الشعبية والممارسات غير الإسلامية، لا سيما تلك المرتبطة بزيارة الأضرحة والتبرّك بالأولياء. وكما أشار الأستاذ محمد كانو، فإنّ الأفكار التي عبّرت عنها مجلة *الإسلام* أحدثت ضجة كبرى بين المسلمين المحافظين في ولاية كيرلا، حتى بدا وكأنها فجّرت قبلة في أوساطهم.

رأى رجال الدين في كتابات المولوي الوكّمي تهديدًا مباشرًا لمكانتهم، فواجهوها بشدّة، وحرّضوا أنصارهم وأتباعهم ضده. ولم يكد يُنشر من مجلة *الإسلام* سوى عددٍ حتى سارعوا إلى التنديد بها، زاعمين أن قراءتها تُضعف الإيمان، بل تجاوز الأمر ذلك إلى إصدار الفتاوى التي تحرّم الاطلاع عليها، واعتبارها تدنيسًا، مع تنظيم حملات ممنهجة لعرقلة انتشارها بين عامة الناس.

وإمعانًا في التضيق، تعرّض أعضاء الحركة الإصلاحية التي أسّسها المولوي الوكّمي للمقاطعة الاجتماعية في عدّة مناطق، إذ امتنع المحافظون عن التعامل معهم أو الزواج منهم، بل وصل الأمر إلى منعهم من حقّ الدفن في مقابر المسلمين، في محاولة لعزلهم تمامًا عن المجتمع.

وقد وصف المولوي هذه الحملة الشعواء في رسالة بعث بها إلى مجلة المنار، يخاطب فيها صاحبها، الأستاذ رشيد رضا، قائلاً: "من أجل نعم الله عليّ أن وفقني لأن أكون من قراء المنار، إذ نفخ في روعي حياة جديدة جعلتني بصير القلب، حي النفس. ومن ثمّ أطلقت مجلة تحمل اسم الإسلام، بلغتي المليبارية، لنشر مبادئ المنار. فلما رأى الناس نور المنار منعكساً منها، استغربوه، وضجّت أصواتهم بالإنكار، ونعتوني بالزيغ والضلال، ورموني بقلب "الوهابي". لكنّ نور الحقّ وجد قلوباً تتلقّى أشعته، فتنهت أفكار، واستيقظت نفوس.

لقد فتحت مجلة المنار باب الإصلاح الديني في الديار المليبارية، التي طالما تكلسّت في الجمود، لكنّ الجماهير من الذين يُحسبون على العلم تصدّوا لهذه الفكرة، وحذّروا الناس من قراءة مجلتي، بل وحذّروهم أيضاً من المنار، مع أنهم لم يطلّعوا عليه يوماً، ولم يروا حتى غلافه، وإنما أساءوا الظنّ به متأثرين بمؤلفات يوسف النبهاني.

لهذا، لم أوفّق في إيجاد من يجرؤ على الاشتراك في المجلة، فكنت أُعير أعدادها لبعض الأصدقاء ممّن آنست فيهم سلامة الفطرة وحسن الاستعداد، رجاء أن يوفّقهم الله للانتفاع بنورها. ولم يخب أمني، إذ بدأ الذين لم تُفسد فطرتهم يدركون قيمة المنار، حتى ظهرت فيهم أخيراً رغبة في الاشتراك به، وطلبوه بأنفسهم من إدارته، ومن بينهم عبد القادر بكننور، ومحمد سيدي، وبكرانكنور بكوشي، ومحرّر مجلة الإرشاد، ومحرّر جريدة يولوكم بكاليكوت.

ومن عجائب الدهر أنني بعدما كنت أعيرهم أعداد المنار، أصبحت أستعيرها منهم، فصاروا اليوم في الإعطاء كما كانوا بالأمس في الأخذ متوجّسين، وهو ما يبعث في نفسي البهجة من جهة، والحسرة من جهة أخرى، إذ آل بي الحال إلى هذا المصير في أمر المنار¹⁶⁶.

ولم يكن غريباً أن يتلقى المولوي الوكّمي وابلأ من السهام والالتهامات، فكلّ من يجرؤ على اجتثاث جذور الخرافة، وتمزيق ستار الزيف الموروث، يصبح خصماً لجيش من المستفيدين من بقاء الجهل مهيمناً على العقول. وقد كان نصيب المولوي من ذلك الحظّ الأوفر، إذ قُوبلت مجلته الإصلاحية بردود فعل غاضبة بلغت حدّ التحريض والمقاطعة والتكفير. بل إنّ بعض الفتاوى التي صدرت ضده وضد مجلته لم تكتف بتحريم قراءتها، بل وصمتها بأنها "تضعف الإيمان وتدّنس العقيدة". ومن المؤسف أنّ هذه الحملة الشعواء لم تكن من عوام الناس فحسب، بل تولّاهم من يُحسبون على أهل العلم، إذ أثارتهم النبوة الجريئة التي حملتها مجلة الإسلام، فاعتبروها تطاولاً على هيبتهم، وتجرؤاً على مقدّساتهم. غير أنّ التاريخ يشهد أنّ كل

¹⁶⁶ ملخص من مقالة "شكوى المنار إلى المنار"، من أحد علماء مليبار، مجلة المنار، صفر 1348، يوليو 1929م، المجلد 30، الجزء 2، صفحة: 140

فكرة صادقة تخرج من قلب مؤمن مخلص، لا بدّ لها من أن تجد طريقها إلى العقول المستنيرة، مهما حيل بينها وبين الناس، ومهما أُلقي على نورها من غبار. وهكذا، وبالرغم من التهميش والمقاطعة، فإنّ دعوة المولوي الوكّمي بدأت تجد صداها في النفوس السليمة، وانطلقت شرارة الإصلاح في أوساط لم تكن لتلتفت يوماً إلى غير ما ألفته من مظاهر التدين الزائف

الفصل السابع

دور المولوي الوكّمي في تشكيل قادة الفكر والأدب في كيرلا

لقد أثبتت التجارب التاريخية أنّ أثر المصلحين الصادقين لا ينحصر في حدود أعمارهم، ولا تنحصر ثمار جهودهم في ما سطّروه بأقلامهم من كتب ومقالات، بل يمتدّ ذلك الأثر المبارك إلى صناعة الرجال وتخريج الجيل، وإعداد النُخب التي تتلقّف شعلة الإصلاح لتُضيء بها دروب المستقبل. وهكذا كان المولوي محمد عبد القادر الوكّمي، لم يكن عالمًا مصلحًا فحسب، بل كان مُربيًا حكيمًا، ومُؤسّس مدرسة فكرية متكاملة، خرّجت كوكبةً من القادة والمفكرين والمترجمين والباحثين، ممن حملوا مشعل النهضة في كيرلا، وساروا به قدمًا في مجالات التأليف والتعليم وخدمة اللغة العربية وآدابها.

ففي ظلّ المناخ الفكري المتخيم بالجمود والتقليد، تهيأ للمولوي الوكّمي أن يلتقي بصفوة من النابهين والواعدين، فغرس فيهم حُبّ العربية، وروح الإصلاح، وقيمة الانفتاح المعرفي الموزون. فتكوّنت من حوله نواة صلبة لحركة إصلاحية عميقة الجذور، امتدّ أثرها إلى أنحاء متفرقة من ولاية كيرلا، وتحوّلت من مجرد دعوة فكرية إلى مشروع اجتماعي وثقافي واسع، شمل الصحافة والتعليم والتأليف والترجمة وبناء المؤسسات. وكان من أبرز ما أنتجته تلك المدرسة الإصلاحية رجالٌ نذروا أنفسهم لخدمة العربية، فأسسوا المجلات، وترجموا الكتب من الفارسية والإنجليزية إلى المليالية والعربية، وكتبوا المؤلفات، وعلموا الأجيال في المدارس والمعاهد، وكانوا هم الطليعة الحقيقية التي مهدت للنهضة العلمية في جنوب الهند.

ولئن كانت كتب المولوي الوكّمي ومجلته *الإسلام* شرارة الإصلاح، فإنّ الأسماء اللامعة التي نبغت في ظلّه أو تأثرت به شكّلت الامتداد العملي لتلك الرسالة، وكان لكلّ منهم دوره الريادي في ترسيخ دعائم الفكر الإسلامي المستنير. فمنهم من تولّى منابر الإعلام، ومنهم من عمل في حقل التعليم، ومنهم من رفع راية الأدب العربي في وجه التهميش، حتى أصبحت العربية . بفضلهم . لغة تُدرّس وتُكتب وتُؤلف وتُترجم في كيرلا. وهذه الوجوه المباركة، من صهره ورفيق دربه محمد كنجو، إلى عالم العربية عبد القادر المولوي، إلى غيرهم من الأقارب والتلاميذ، إنما هم امتداد مبارك لتلك الشعلة التي أوقدها المولوي الوكّمي في زمنٍ عزّ فيه الضياء.

رغم معارضة رجال الدين وكبار الكهنة، استطاعت حركة الإصلاح والتجديد في ولاية كيرلا أن تجمع قواها، لتحدث تأثيرًا عميقًا في المجتمع. وقد كانت كتابات المولوي الوكّمي محور اهتمام النخبة المتعلمة من

المسلمين، الذين قرأوا أعماله بشغف بالغ، مستلهمين منها رؤية إصلاحية ثاقبة. وكان العديد منهم على دراية مسبقة بترجمته لكتاب الإمام الغزالي "كيمياء السعادة"، كما كانوا من المشتركين في مجلة *المسلم وصحيفة سوديشايبماني*. هؤلاء أنفسهم أصبحوا قادة الفكر والإصلاح في كيرلا خلال العقد الأول من القرن العشرين.

ولم يقتصر تأثير المولوي الوكّمي على أبنائه فحسب، بل امتد ليشمل بعض أفراد عائلته الذين كان لهم دور بارز في تطوير حركة الإصلاح الديني والفكري في الولاية. وفيما يلي، نسلط الضوء على بعض الشخصيات البارزة التي أسهمت في نمو هذه الحركة.

إ. محمد كنجو المولوي (1890-1964م)

كان صهر المولوي الوكّمي ورفيق دربه في مختلف أنشطته، كما كان صديقًا مقربًا للسيد راما كرشنا بيلاي والسيد ك.م. سיתי صاحب، الذي شغل سابقًا منصب أمين مجلس التشريع في ولاية كيرلا. تلقى تعليمه على يد المولوي الوكّمي نفسه، وعمل محررًا لمجلة *المسلم* منذ عام 1917م، ثم تولى المولوي الوكّمي لاحقًا تحريرها عند إصدارها كنشرة نصف شهرية من مدينة آلاي، حيث استمر نشرها بانتظام حتى عام 1920م عن طريق شركة النشر الإسلامية.

في عام 1921م، انخرط محمد كنجو المولوي في حركة خلافة الكونغرس، وأصدر مجلة تحمل عنوان خلافة بتركا (*Khilafat Journal*) كما رافق المولوي الوكّمي إلى مؤتمر أوتابالام (Ottappalam Congress) الذي عقد في العام نفسه.

وفي عام 1940م، أطلق مجلة أسبوعية أخرى تحمل اسم *المنار من شيرينكيز* (Chirayinkeezhu) كما أصدر في عام 1956م كتابًا بعنوان *المولوي والمُصلح في ضوء جديد باللغة المليالمية*. وإلى جانب ذلك، عمل مشرفًا على تعليم اللغة العربية في إدارة التعليم بحكومة ترافنكور.

إ. محمد كائو (المتوفي عام 1956م)

كان محمد كائو الشقيق الأصغر لزوجته المولوي الوكّمي، وقد حصل على درجة البكالوريوس من كلية الفنون في ترفاندرم. لاحقًا، انضم إلى مجلس إدارة صحيفة *الأمين* التي أسسها السيد محمد عبد الرحمن صاحب في كالكوت. كما تولى تحرير مجلة *بريادم* (Prabhatam) الصادرة من كولام، وساهم في إصدار مجلة *الوحدة* (Aikyam) من كوشين بالتعاون مع السيد ك.م. سיתי صاحب.

بالإضافة إلى ذلك، أصدر مجلة ترفيهية حملت اسم *Rasikan*، وتعني "الفنان". وكان له إسهامات فكرية بارزة، حيث ألف كتابين باللغة المليالية، أحدهما بعنوان *قضية فلسطين*، والآخر *خاتم النبيين*. كما قام بترجمة كتاب *الإيمان الإسلامي* لعبد الله كويليلم¹⁶⁷ (Abdulla Quilliam)، وكتاب أوليفر لودج (Oliver Lodge).

إ. أحمد كنج (1899-1954م)

كان أحمد كنج ابن شقيق المولوي الوكّمي، وقد نال درجة البكالوريوس من كلية الفنون في ترفاندرم. تلقى تعليمه في اللغة العربية على يد المولوي الوكّمي، ثم شغل لاحقاً منصب مفتش للمدارس العربية في كيرلا، كما عمل مساعداً لمسؤول التعليم ومديراً لمدرسة الثانوية الحكومية في كولام، جنوب كيرلا.

وفي المجال الفكري، سعى أحمد كنج إلى تعزيز اللغة العربية في الولاية، حيث ألف قاموساً عربي-مليالي، إلا أنه لم يُنشر. كما كتب قصائد ورواية نُشرت في مجلة *الخلافة*.

ن. أ. محمد كنج صاحب

كان أحد أقرباء المولوي الوكّمي، ورجل أعمال مرموقاً، ومصدر إلهام في مدينة آلبوزا. تقلّد منصب الأمين العام للجنة المحمدية، كما ترأس اجتماع ترافنكور مسلم مهاسبها (*Travancore Muslim Mahasabha*)، الذي انعقد في 21 أغسطس 1921م بقاعة آرياشالا في ترفاندرم.

أ.م. عبد القادر المولوي: عالمٌ وباحثٌ ومصلح

كان السيد/ عبد القادر المولوي صهراً للعالم الجليل المولوي الوكّمي، وقد نهل من علومه في اللغة العربية والعقيدة الإسلامية حتى برع فيهما. لم يكن مجرد طالب علم، بل كان باحثاً متعمقاً في اللغات العربية والأردية والإنجليزية والمليالية، مما أكسبه رؤية واسعة وثقافة موسوعية. عمل محرراً لمجلة *المسلم* عندما كانت تصدر نصف شهرية من مدينة آلبوزا، ليكون بذلك منارة للفكر الإسلامي المستنير في ذلك العصر.

واصل مسيرته العلمية في جامعة المليية الإسلامية بنيودلهي، ومنها انتقل إلى جامعة الأزهر العريقة في مصر، حيث نال درجة الماجستير بجدارة. وبعد سنواتٍ من التحصيل العلمي، عاد إلى وطنه الهند لينضمّ إلى الكلية

¹⁶⁷ وليام هنري كويليام (10 إبريل 1856 / 23 إبريل 1932) تحول من المسيحية إلى الإسلام، وغير اسمه إلى عبد الله كويليلم، وقد اشتهر بتأسيس أول مسجد ومركز إسلامي في إنجلترا. واعتنق عدد كبير من الأعيان إلى الإسلام نتيجة لأعماله الدعوية، وتشير التقديرات إلى أن حوالي 600 شخص اعتنقوا الإسلام في بريطانيا كنتيجة مباشرة لعمله. إنه سافر على نطاق واسع ونال العديد من التكريم والجوائز من قادة العالم الإسلامي. الخليفة العثماني السادس والعشرون السلطان عبد الحميد الثاني منحه لقب شيخ الإسلام للجزر البريطانية. اعترف به أمير أفغانستان باعتباره شيخ المسلمين في بريطانيا، وعينه الشاه نائباً للقنصل الفارسي في ليفربول.

المحمدية الحكومية في مدراس، حيث عمل محاضرًا للغة العربية وآدابها، ناشرًا نور العلم والمعرفة بين طلابه.

وهكذا يتبين بجلاء أنّ المولوي محمد عبد القادر الوكّمي لم يكن مجردّ مصلح عابر في سجلّ التاريخ، بل كان مؤسسَ مدرسةٍ فكريةٍ أصيلة، امتد أثرها إلى أجيالٍ متعاقبة من رجال الفكر والعلم، الذين حملوا راية الإصلاح، وبذلوا جهودًا عظيمة في خدمة الإسلام واللغة العربية. فإنّ من أنعم الله عليهم بصحبة هذا المصلح الكبير أو التتلمذ عليه، كالسادة محمد كنجو/المولوي ومحمد كاتّو وأحمد كنج ون. أ. محمد كنج وعبد القادر/المولوي، لم يكتفوا بتزديد دعوته، بل ترجموا مبادئها إلى أعمال خالدة في ميادين التعليم والتأليف والترجمة والنشر.

لقد كان لكل واحد منهم سهم مشهود في إحياء العربية في كيرلا، سواء في تأسيس المجلات التي خاطبت الوجدان المسلم بلغة قرآنية راقية، أو في إعداد المناهج وتطوير التعليم العربي النظامي، أو في ترجمة أمهات الكتب الإسلامية إلى اللغة المليالمية والعكس، أو في تأليف المعاجم، وكتابة المقالات والكتب التي قرّبت الفكر الإسلامي إلى قلوب الناشئة. فكانوا بحقّ بناة النهضة العربية في جنوب الهند، الذين جعلوا من العربية لغة حية في المدارس والمساجد والصحف والجامعات. ولئن نُسب الفضل إلى المولوي الوكّمي في إشعال شرارة الإصلاح، فإنّ هؤلاء النجباء هم الذين حفظوا جذوتها، ورعوها بالعلم والجهد الثقافي حتى أضاءت آفاق كيرلا بنور العربية والإسلام.

الفصل الثامن

المولوي والمنظمات الإسلامية البارزة في ترافنكور

إيمانًا منه بضرورة الجمع بين التعليم الحديث والإصلاح الديني والاجتماعي، أيقن المولوي الوكّمي أهمية تأسيس منظمات تعليمية وثقافية تعمّ أرجاء البلاد، فبادر إلى مراسلة الشخصيات المتأثرة بفكره، ودفعهم نحو تأسيس كيانات تنموية تنهض بالمجتمع الإسلامي في ولاية كيرالا، وخصوصًا في منطقة ترافنكور.

لم تكن هذه الجهود عبثية، بل أثمرت عن ظهور منظمات رائدة أسهمت في إنشاء العديد من المدارس والمكتبات، التي فتحت أبوابها لجميع الطلاب دون تمييز، مما أتاح للمسلمين وغيرهم فرصة الانخراط في مسيرة التعليم الحديث والاستفادة من العلوم العصرية. ومن أبرز هذه المؤسسات التي أسسها المولوي وتلاميذه في مختلف أرجاء الولاية:

اللجنة المحمدية في آلابوزا: أول منارة ثقافية للمسلمين في ترافنكور

تأسست اللجنة المحمدية بمدينة آلابوزا عام 1915م، على يد نخبة من المسلمين المثقفين، تحت قيادة السيد ن.أ. محمد كنجو، الرجل الخير المتدين الذي تأثر بكتابات المولوي الوكّمي . كانت هذه اللجنة أول منظمة تُنشأ في ترافنكور، وعملت بحماسة وتفانٍ على تطبيق أفكار المولوي ورؤاه الإصلاحية، حتى أصبحت أول معلم ثقافي قائم يهدف إلى نهضة المسلمين في المنطقة.

وفي أبريل من عام 1915م، حين زار الملك مهاراجا سري مولام ترنال مدينة آلابوزا، قدّم أعضاء اللجنة مذكرةً تفصيلية عرضوا فيها الصعوبات التي تواجه الجالية المسلمة، وأوضحوا حاجتهم الماسة إلى التعليم الحديث. وقد لقي هذا الالتماس استجابةً إيجابية من الملك، الذي أبدى اهتمامًا بالغًا بتحقيق مطالبهم. ونتيجة لذلك، أنشئت خمسٌ وسبعون مدرسةً في أنحاء مختلفة من آلابوزا، مما شكّل نقلة نوعية في المسيرة التعليمية للمسلمين هناك.

ولم تتوقف الإنجازات عند هذا الحد، بل أصدرت الحكومة قرارًا بتعيين مدرّسي القرآن الكريم واللغة العربية في المدارس التي لا يقلّ عدد طلابها المسلمين عن خمسة وعشرين طالبًا، ابتداءً من العام الدراسي 1916-1915م. كما تمّ في عام 1918-1919م تعيين مفتش خاص لمتابعة سير العملية التعليمية وتقييم أداء المدارس، بهدف تشجيع الطلاب المسلمين على طلب العلم، ودفع عجلة النهضة الفكرية في المنطقة.

كان السيد سليمان صاحب، أحد تلامذة المولوي الوكّمي الأوفياء وأصدقائه المقربين، أول من تولّى منصب مفتش المدارس الإسلامية في ترافنكور، حيث كان يحمل شهادة البكالوريوس من الجامعة، مما أهّله لهذه المهمة الجليلة. وكما يشير السيد ك.م. ستي صاحب، فإن تعيين السيد/سليمان في هذا المنصب كان نقطة تحول في تعليم اللغة العربية، حيث حصلت على التشجيع الذي كانت بحاجة إليه، مما أدى إلى نهضة كبيرة في التعليم الإسلامي بترافنكور، وأحدث قفزة نوعية في مستوى التحصيل العلمي لأبناء المسلمين في الولاية.

في عام 1915، أشرقت شمس العلم في مدينة آلابوزا، حينما أقدمت اللجنة المحمدية على تأسيس مدرسة ابتدائية، كانت الأولى من نوعها في ترافنكور تحت إدارة المسلمين. وما هي إلا أعوام قليلة حتى ارتقت المدرسة إلى مصافّ المدارس الثانوية في عام 1918، وحملت اسمًا جديدًا يعبق بالعزّة والاعتزاز: "المدرسة الثانوية الإنجليزية المحمدية" (The English High School for Mohammedans). وحرصًا على تأصيل اللغة العربية في أذهان الناشئة، عينت المدرسة أول معلم للغة العربية في ولاية ترافنكور كيرلا، وهو أحد خريجي جامعة عليغرة الإسلامية، فكان ذلك إيذانًا ببزوغ فجر جديد للعلم والتربية بين أبناء المسلمين.

ولم يكن صرح العلم هذا ليقوم إلا بسواعد الرجال الأوفياء، فقد شيدت الجمعية المباني اللازمة، ثم وهبتها للحكومة دعمًا للمسيرة التعليمية. وكان للسيد الحاج إبراهيم راوُتّر، المشهور بلقب "ملك الفلفل" في الأجزاء، يدٌ بيضاء في هذا المشروع المبارك، إذ تبرع بثلاثة أفدنة من أخصب أراضي المدينة لصالح الجمعية، لتكون منارة للعلم وميدانًا للمعرفة. ولم تقتصر موارد الجمعية على ذلك، فقد اعتمدت على عائدات ضخمة من أربعة وثلاثين صالة عرض وثلاثة أسواق، مما درَّ عليها دخلًا سنويًا بلغ خمسةً وأربعين ألف روبية، سخَّرتَه لخدمة العلم وأهله.

وفي رحاب العلم، لم تغفل الجمعية عن الفقراء والمحتاجين، فأمدَّتْهم بالمنح الدراسية، وأعانتهم على متابعة دراساتهم العليا في الكليات المهنية والفنية والعلمية. ولم يكن الدعم ماديًا فحسب، بل شمل أيضًا توفير الملابس والطعام والكتب وأدوات الكتابة للطلاب المعوزين. وإيمانًا منها بضرورة إشاعة التعليم بين أبناء المسلمين الذين لم يحظوا بأي فرصة تعليمية، أنشأت الجمعية منظمة فرعية حملت اسم "نصرة الإسلام"، هدفها النهوض بالشباب المسلم عبر التعليم العصري، وانتشالهم من براثن الجهل والتخلف.

وسارت الجمعية في دربها، تشقُّ طريقها بعزم، حتى غدت منارةً للفكر المستنير، تقوِّض الخرافات، وتزيل غشاوة البدع عن العقول، ناشرةً نور المعرفة في الأرجاء. واحتضنت بين جدرانها مكتبةً عامرة، حوت ما يزيد على ستة آلاف كتاب في شتى مجالات العلوم والمعرفة، فكانت معينًا لا ينضب لكل طالب علم وباحث عن الحقيقة.

ولقد كان العلامة المولوي الوكّبي على صلة وثيقة بهذه الجمعية الرائدة، مرتبطًا بأهدافها، مشاركًا في مسيرتها، فقد ترأس اجتماعاتها في عامي 1916 و1922، وبلغ طموحه أن يجعلها مؤسسة ذات أثر يمتد على مستوى الولاية بأكملها. وقد أفصح عن رؤيته تلك في خطابه الرئاسي الأول عام 1916، حيث رسم للأمة معالم الطريق نحو النهوض والرقى، مجددًا الأمل في قلوب الساعين إلى العلم والنور.

جمعية البركات المسلمين: مشاعل النهضة والتجديد

وفي ترافنكور، حيث تجذرت المجتمعات الإسلامية في مختلف أرجائها، انطلقت مساعي حثيثة لإقامة منظمات تعليمية وثقافية، اقتداءً بنهج "اللجنة المحمدية"، التي كانت نوراً يسطع في سماء المسلمين بمدينة آلبوزا وضواحيها. ومن بين تلك المراكز التي شهدت نهضة فكرية وثقافية بارزة، كانت إدوا، التي غدت معقلًا للوعي الإسلامي المتجدد.

لقد تأثر مسلمو إدوا بأفكار وأطروحات المولوي الوكّبي، ذلك العالم والمصلح الجليل، فأبصروا أهمية التعليم والتجديد، فأسسوا جمعية أسموها "جمعية البركات المسلمين"، وكان في طليعة رجالها الأفاضل: السيد محمد كنج سرانغ، والسيد عليار كنج سرانغ، والسيد إن. يوسف، والسيد حبيب محمد. وبناءً على

توصية المولوي الوكّمي ، أُسست أول مدرسة إسلامية في إدوا¹⁶⁸، حيث تولّى بنفسه وضع حجرها الأساس، لتكون مشعلاً يهدي الأجيال إلى نور العلم والمعرفة.

كان لهذه الجمعية أثر عميق في تغيير مجرى تاريخ إدوا، إذ أشعلت جذوة الإصلاح والتجديد في أرجاء ترافنكور، وأيقظت في نفوس المسلمين تطلّعاً لمواكبة العصر دون التفريط بثوابتهم. فشرعوا في تأسيس المدارس والمكتبات، وسرعان ما أطلقوا مدرسة ثانوية حديثة، وأسّسوا مطبعة عُرفت باسم CM Printing "Press"، التي كانت الأولى في المنطقة التي تبنت النص العربي المليالي المتطور. ومن بين الإنجازات العظيمة التي خرجت من هذه المطبعة، كانت ترجمة القرآن الكريم، التي رأت النور لأول مرة عبر حروفها المتألقة.

لم يقتصر أثر الجمعية على التعليم فحسب، بل صنعت جيلاً جديداً من الشباب الطامحين، الذين أصبحوا كتاباً بارعين، وفنانين مبدعين، وقادة مجتمعيين، ومحامين مرموقين، ليكونوا شموعاً تضيء الدرب نحو مستقبل أكثر إشراقاً.

جمعية المسلمين في نيلكاموكو: رياح النهضة تهب من جديد

على بعد ميلين شمال شرق قرية وكم، تقع منطقة نيلكاموكو، التي كانت تُعدّ من أهم التجمعات الإسلامية في ترافنكور. وقد تشرب كبار تلامذة المولوي الوكّمي ، أمثال السيد عبد الرحمن صاحب (Pandikashala Purath Abdul Rahman Sahib) والسيد ك.م. إسماعيل صاحب، أفكاره الإصلاحية، فانطلقوا في نشر رسالة التجديد، وأسّسوا منظمة حملت اسم "Islam Dharma Paripalana Sangham"، التي قامت في عام 1930م بنشر كتاب "ضوء الصباح"، أحد أبرز مؤلفات المولوي الوكّمي ، الذي أضاء العقول بأفكاره المستنيرة.

كان السيد/ ملك محمد لبّاه من أعمدة الإصلاح في نيلكاموكو، حيث بذل جهداً عظيماً في نشر مبادئ التجديد، وأسّس مدرسة قرآنية، لم تلبث أن تطورت عام 1916م إلى مدرسة علمانية شاملة. ونتيجة لهذه الجهود، تبلورت فكرة إنشاء جمعية إسلامية في نيلكاموكو، واتخذت من هذه المدرسة مركزاً لاجتماعاتها.

وكانت الاجتماعات تزخر برجال الفكر والإصلاح، يتقدمهم المولوي الوكّمي ، الذي اختير رئيساً للجمعية، إلى جانب نخبة من الشخصيات البارزة مثل السيد ك.م. سيتي صاحب، والسيد محمد كنج المولوي، والسيد سليمان صاحب، والسيد ج.س. دانيال وغيرهم. وفي إحدى هذه الاجتماعات، التي انعقدت في

¹⁶⁸ يبعد من مدينة وركلا ما يقرب 15 كيلومتر مسافة.

¹⁶⁹ يبدو أن هذه المنظمة تمّ تشكيلها بما يتماشى مع Sree Narayana Dharmapariपालana Yogam، وهي منظمة تشكلت في عام 1903م لنشر أفكار Sree Narayana Guru أعظم مصطلح اجتماعي وديني في القرن العشرين في ولاية كيرلا بين الطبقة الهندوس الأقلية.

حديقة السيد عبد الرحمن صاحب، حضر الزعيم الوطني الكبير السيد إ.ك. بيلاي¹⁷⁰، أحد مناضلي الهند البارزين في سبيل الحرية.

كان لهذا اللقاء أثر بالغ، حيث استلهمت مجموعة من المتطوعين روح النضال، واعتنقت أفكار غاندي التحررية. وعندما نهضت هذه الجماعة بنشر الوعي الوطني، كان المولوي الوكّمي حاضراً لقيادتهم، مساهماً في تأسيس منظمات مماثلة في مختلف أرجاء كيرلا، لتكون منارات تنشر روح الوطنية والكفاح في سبيل الاستقلال.

جمعية مسانيد الإسلام وجماعة المسلمين في ترافنكور

في منطقة كولام، التي كانت تحتضن أكبر التجمعات الإسلامية في جنوب كيرلا، بزغ فجر جمعية "مسانيد الإسلام"، التي لم تلبث أن صارت منبراً للتنوير والتطوير، مدعومةً بمدرسة حكومية حديثة. وعند حلول فبراير من عام 1921م، انعقدت الذكرى السنوية الأولى للجمعية في أروقة هذه المدرسة، بحضور المولوي الوكّمي، الذي ترأس الاجتماع، حيث اجتمع لفيف من القادة البارزين، قدموا من مختلف أرجاء البلاد، لتتويجاً لمسيرة الإصلاح والتغيير.

كان لهذا الاجتماع أهداف سامية، في مقدمتها توحيد مسلمي ترافنكور تحت مظلة منظمة قوية، تحمل على عاتقها مسؤولية النهضة التربوية والثقافية والمجتمعية. فخاطب المولوي الوكّمي الحاضرين ببيانٍ نفاذ، مؤكداً أن وحدة الصف الإسلامي هي المفتاح الأوحد لتحقيق التقدم والازدهار.

وقد لقيت دعوته استجابة واسعة، فانعقد اجتماع خاص عقب المؤتمر، تُوجّ بتأسيس منظمة "ترافنكور مسلم مهابها" (Travancore Muslim Mahasabha)، التي ما لبثت أن أصبحت قوة فاعلة، تلعب دوراً جوهرياً في تشكيل ملامح مستقبل المسلمين في المنطقة، وتسعى جاهدة لتمكينهم علمياً وثقافياً واجتماعياً. وهكذا، كانت هذه الجمعيات الإسلامية بمثابة النواة التي أطلقت شرارة النهضة في ترافنكور، فزرعت بذور العلم، وأوقدت مشاعل الفكر، وأرست دعائم الإصلاح، حتى غدت تلك المناطق مناراتٍ للفكر المستنير، ومراكبٍ للإبحار نحو مستقبل أكثر إشراقاً وازدهاراً.

¹⁷⁰ وفي عام 1920م قد بدأت حركة عدم التعاون، وكان السيد/ إ.ك. بيلاي من مواليد ترافنكور كان طالب قانون في جامعة أكسفورد في إنجلترا، وكان مهتماً جداً بالشؤون الهندية، وكان يتحدث في الاجتماعات العامة ويكتب في الصحافة البريطانية عن الحرية واستقلال الهند. وكان شخصية موقرة مشهورة جداً في مجلس أكسفورد للهند Indian Majlis at Oxford، ومثل في مناسبات الجامعة في أكثر من مناسبة. بناء على إصرار مهاتما غاندي ترك دراسته في إنجلترا عام 1921م وعاد إلى الهند لمتابعة أعمال الكونجرس. وبعد فترة وجيزة من عودته تم تكليفه بتنظيم حزب المؤتمر الجديد في ولاية كيرلا ومالابار وترافنكور وكوشين. ولأجل تسهيل العمل التنظيمي والدعائي إنه بدأ جريدة باللغة المحلية باسم "سوراج" Swraj والتي كانت أول مجلة قومية على الساحل الغربي.

جماعة المسلمين في شيرينكيز: (Chirayinkeezh Taluk Muslim Samajam)

وفي عام 1912م، دعا المولوي الوكّمي مسلمي قرية شيرينكيز لجمع التبرعات دعماً لشهداء حرب البلقان. استجابةً لهذه الدعوة، أسس المسلمون في قرية ويتور (Vettur)، إحدى قرى شيرينكيز تالوك، منظمة اعتمدوا فيها على جماعة المسلمين في شيرينكيز.

عُقد الاجتماع الأول للجمعية في قرية بيروماثورا (Perumathura) في الفترة ما بين 5 و6 مايو 1923م، حيث جرى إحصاء تفصيلي لأوضاع المسلمين في المنطقة بهدف التخطيط لأنشطتهم المستقبلية. ووفقاً لهذا الإحصاء، بلغ عدد المسلمين آنذاك 24,217 نسمة، منهم 12,296 ذكراً و11,921 أنثى، وكانوا منتشرين في سبعة وأربعين محلة تمتد بين بيروماثورا وبيرونكوزي (Perumathura-Perumkuzhi) ضمن شيرينكيز تالوك. غير أن نسبة المتعلمين بينهم كانت متدنية للغاية، إذ لم يكن يجيد القراءة والكتابة سوى 3,762 رجلاً و422 امرأة. كما بلغ عدد الفتيان 3,790، وعدد الفتيات 3,515، لكن لم يلتحق بالمدرسة منهم سوى 447 فتى و367 فتاة.

بناءً على ذلك، اعتُبر تعزيز التعليم الحديث بين المسلمين هدفاً أساسياً لجماعة المسلمين في شيرينكيز، وقد ترأس المولوي الوكّمي الاجتماع الأول للجمعية، حيث أُقرت مجموعة من القرارات المهمة التي كان لها أثر واسع النطاق، ومنها:

1. إجراء تعداد شامل للمسلمين في كل محلة، يشمل بيانات العمر، والمؤهل التعليمي الديني والعلماني، والمهنة، ومساحة الأراضي المملوكة لكل أسرة، بالإضافة إلى الدخل السنوي.
2. توفير التعليم الحديث للفتيان والفتيات، وتشجيعهم على مواصلة التعليم العالي.
3. تدوين السجلات المدنية في المساجد، بحيث تشمل تواريخ الزواج، والطلاق، والولادة، والوفاة.
4. إنشاء فروع للجماعة في كل محلة لتعزيز التواصل والتنظيم.
5. تجديد المساجد وإصلاحها، إلى جانب إنشاء مدرسة ومكتبة في كل مسجد.
6. تعيين علماء تقديمين كخطباء في المساجد.
7. اعتماد اللغة المليالمية لغةً للخطب في صلاة الجمعة.
8. مكافحة الممارسات الخرافية والقضاء عليها.
9. رفع مذكرة للحكومة للمطالبة بإنشاء مزيد من المدارس لتشجيع المسلمين على متابعة التعليم الحديث، وتعيين معلمين للغة العربية في المؤسسات التعليمية.

10. إطلاق مشروعات منزلية مناسبة في كل محلة للتخفيف من البطالة ومواجهة الأزمة المالية بين المسلمين.

11. نشر الكتب الإسلامية باللغتين العربية وعربي-مليالمية.

12. افتتاح دار نشر وصحيفة لنشر الفكر الإسلامي والثقافة المعاصرة.

وعلى الرغم من أن الجمعية لم تدم طويلاً، إلا أن أنشطتها كان لها أثر عميق، إذ أسهمت في تقدم مسلمي المنطقة بشكل ملحوظ، متجاوزين بذلك نظراءهم في العديد من المناطق الأخرى.

جماعة المسلمين في شيناكدا: (Chinnakkada Jamath Sangam)

تأسست جماعة المسلمين في شيناكدا بجهود نخبة من الرجال الأفاضل، وهم السادة: ب.ب. كنج أحمد المولوي، وأ.ك.س. البخاري صاحب، والحاج محمد عبد القادر، وثولكادا عمر صاحب، وعمر صاحب، وإ. أحمد كنج المولوي. وخلال فترة رئاسة البخاري صاحب للجمعية، انطلقت سلسلة من الإصلاحات الجوهرية، من أبرزها إلقاء خطبة الجمعة بلغة المليالمية، وتخفيف صلاة التراويح إلى ثماني ركعات خلال شهر رمضان، اقتداءً بسنة السلف الصالح. وكان لهذه الإصلاحات أثر عميق امتد إلى مختلف أرجاء ولاية كيرلا، حيث أسهمت في ترسيخ الحركة الإصلاحية وتعزيز تأثيرها بين المسلمين.

جمعية الإرشاد في شرينكيز

تأسست هذه الجمعية عام 1930م، قبل نحو عامين من وفاة المولوي الوكّي، حيث انعقد اجتماعها الأول في قصر السيد شرينكيز باوا السيف، برئاسة المولوي الوكّي. وشهد الاجتماع حضور كوكبة من الشخصيات البارزة وأعيان البلدة، كان من بينهم السادة: يوسف كنج المولوي، ومحمد كنج المولوي، وكلّوم موتيل كنج أحمد المولوي، ومحمد ثامبي المنشي¹⁷¹، وغيرهم من الوجهاء الذين ساهموا في هذا المؤتمر.

لقد ارتكزت الجمعية على أهداف سامية، تمثلت في تطهير العقيدة الإسلامية من البدع والخرافات، وتصحيح الممارسات الدينية وفق تعاليم القرآن الكريم والفهم الصحيح للشريعة، إلى جانب تشجيع المسلمين على أداء الشعائر الدينية وفق منهج قوي. كما عملت الجمعية على تنظيم المناقشات الفكرية والحوارات، ونشر الكتب والمنشورات الدينية، بغية تعزيز الوعي الديني وترسيخ المفاهيم الصحيحة بين المسلمين.

وفي الاجتماع التأسيسي، انتُخب المولوي الوكّي رئيساً للجمعية، ومحمد إبراهيم من أهالي بيروماتورا أميناً عاماً، ومحمد علي باليبورام نائباً للأمين، ومحمد ميثين أميناً للصندوق. وفي عام 1926م، نظمت الجمعية

¹⁷¹ هو الشقيق الأكبر للممثل العظيم الشهير الراحل السيد/ بريم نصير 1926-1989م، أعظم ممثل أفلام مليالمية، وكان إسمه الأصلي عبد القادر.

مناقشةً عامةً استمرت أسبوعاً حول التعاليم الإسلامية الصحيحة، حيث شهدت حضور الآلاف من المسلمين من شيرايكنيز والمناطق المجاورة. ومع ذلك، قوبل هذا التوجه الإصلاحي بمقاومة شرسة من أنصار الطرق التقليدية، الذين لم يتورعوا عن اللجوء إلى الاعتداءات الجسدية والسخرية العلنية تجاه الإصلاحيين.

جمعية هداية الإسلام في بلي برام

بلي برام، إحدى المناطق ذات الكثافة السكانية المسلمة في منطقة ترفاندرم، عاصمة ولاية كيرلا، كانت من بين البؤر التي تأثرت بحركة الإصلاح. فقد استقطبت مجلة "الإسلام" التي كان يصدرها المولوي الوكّمي اهتمام الشباب المسلمين هناك، فكانوا يقرؤونها بانتظام، ما أسهم في انفتاحهم على الفكر الإسلامي المستنير. بل إن بعضهم قصد منزل المولوي الوكّمي، حيث تلقوا منه دروساً في اللغة العربية وأصول العقيدة الصحيحة.

بفضل جهود هؤلاء الشباب، انتشرت مجلة "الإسلام" في أرجاء بلي برام، وترسخت جذور الحركة الإصلاحية تدريجياً. ومن ثمار هذه الجهود، تأسست جمعية إسلامية ومكتبة عامة، حملتا اسم "منور الإسلام". وكان للسادة محمد علي من أهالي بلي برام، ومحمد ميثين، ومحمد قاسم المنشي، دوراً قيادياً في هذا المسعى، وهم أنفسهم من كبار الناشطين في جمعية الإرشاد.

وفي عام 1925م، قام الشيخ الكاتب تيّل محمد كوتي المولوي، المعروف باسم ك.م. المولوي، والذي كان يقيم آنذاك في منزل المولوي الوكّمي، بتأسيس منظمة "جمعية نور الإسلام"، إلى جانب إنشاء مكتبة عامة في بلي برام. وفيما بعد، نشأت هناك منظمة أخرى تحت اسم "هدية الإسلام"، بهدف مساعدة المسلمين على التخلص من البدع والخرافات، وترسيخ تعاليم الدين الصحيحة. وسعيًا لتعزيز النهج الإصلاحي، قامت جمعية هدية الإسلام بنشر الترجمة المليالية لكتاب "إحياء علوم الدين" للإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي رحمه الله، ليكون نبراساً يُنير درب المسلمين في فهم دينهم على أسس سليمة.

يتبين من خلال هذا العرض المفصّل أنّ النهضة العلمية والفكرية التي قادها المولوي محمد عبد القادر الوكّمي لم تكن أثرًا عابراً أو مشروعاً فردياً محدود الأمد، بل كانت نهضة ذات جذور راسخة ومقاصد بعيدة المدى، أنبتت رجالاً حملوا الرسالة ومضوا بها قُدماً في مختلف ميادين العمل الإسلامي والعلمي والتربوي. فقد أسهم السادة الكرام الذين تخرجوا من مدرسته الفكرية أو تأثروا بمشروعه الإصلاحي — أمثال محمد كنجو المولوي، ومحمد كَانُو، وأحمد كنج، ون.أ. محمد كنج، وعبد القادر المولوي — إسهاماً بالغاً في ترسيخ حضور اللغة العربية في كيرالا، وجعلها أداةً للفكر والتعليم والدعوة، بعد أن كانت حبيسة نطاق ضيق.

لقد انكب هؤلاء الأفاضل على تعليم العربية في المدارس والمساجد، وأسّسوا مجلات ومؤسسات تنطق بالضاد، وساهموا بترجمات رفيعة من العربية وإليها، مما يسّر للناشئة وعموم القراء التعرف إلى ذخائر التراث الإسلامي. ولم تقتصر جهودهم على التعليم والترجمة فحسب، بل امتدت إلى التأليف والتصنيف، فخلّفوا كتبًا ومقالات ومجلات شكلت رافدًا مهمًا للثقافة الإسلامية في جنوب الهند، وعززت ارتباط الجيل الجديد بلغة القرآن. وإنّ هذا الجهد المتكامل لم يكن إلا ثمرة من ثمار المدرسة الوكّمية، التي أثمرت رجالًا يحملون همّ العربية والدين، ويُعيدون الربط بين الأصالة والمعاصرة، والفكر والعمل، في تناغم قلّ أن يوجد في بيئة غير عربية.

وعليه، فإنّ المدرسة الإصلاحية التي أنشأها المولوي الوكّمي لم تكن محصورة في حدود الزمان أو المكان، بل امتد أثرها العلمي والفكري إلى أرجاء واسعة، بفضل رجالٍ عظامٍ جادوا بجهودهم وعلومهم، فجعلوا من العربية نورًا مشعًا في أرض كيرالا، ومن الإصلاح نهجًا حيًّا في العقول والقلوب.

الفصل التاسع

الكاتب ك. أم. المولوي ونعي مجلة المنار في وفاة المولوي الوكّمي

ومن خلال كتاباته المؤثرة، استطاع المولوي الوكّمي أن يلهم العديد من المسلمين في ولاية كيرالا، لاسيما أولئك الذين كانوا يقطنون المراكز الحضرية البارزة في ملبار، مثل كالكوت، وكانانور، وتلاشيري، وبالافات، وإدافانا. وقد ساهم هؤلاء في إثراء الحركة الفكرية والدينية عبر مشاركتهم المنتظمة في مجلات وصحف مرموقة مثل مجلة المسلم، ومجلة الإسلام، وجريدة سوديشا بيماني.

لقد لاقت ترجمة المولوي الوكّمي لكتاب كيمياء السعادة وغيره من المؤلفات انتشارًا واسعًا في تلك المناطق، مما أسهم في نشر أفكاره الإصلاحية إلى ولاية كوشين أيضًا. وهكذا، لم يقتصر تأثير كتاباته على الأجيال الناشئة في ترافنكور فحسب، بل امتد ليشمل أجيالًا عديدة من المسلمين في كافة أرجاء كيرالا.

يُعدّ الكاتب ك. أم. المولوي (1886-1964) م شخصية بارزة في تاريخ حركة الإصلاح والتجديد في كيرالا خلال القرن العشرين. وقد أسهم أتباعه، الذين أسسوا عام 1952 حركة ندوة المجاهدين، في تعزيز التعليم الحديث والإصلاح الاجتماعي والديني بين المسلمين. كان المولوي عالمًا جليلاً، وصاحب مكانة رفيعة في الفقه والتفسير والحديث والتاريخ، وقد نال احترامًا واسعًا بسبب فتاواه المهمة. وبفضل جهوده، تأسست في كيرالا جمعية العلماء.

في عام 1921، وخلال مؤتمر كيرالا مجلس العلماء، الذي انعقد برئاسة السيد مرتضى التقي، التقى ك. أم. المولوي لأول مرة بالعالم الجليل المولوي الوكّمي، وتوطدت بينهما صداقة فكرية وروحية عميقة. غير أن البريطانيين لاحقوه بتهمة تحريض المسلمين على المشاركة في تمرد ملبار، ما اضطره إلى العيش سرّاً لبعض الوقت في منطقتي أزيكود وإرياد¹⁷².

لاحقاً، انتقل إلى ترافنكور، حيث مكث قرابة عامين متنقلاً بين مدن آلابزا وترافنكور ووكم. وفي ترافندرم، أقام في سكن المسلم (Muslim Hostel)، ثم انتقل إلى قرية وكم، حيث استضافه السيد سليمان صاحب، أحد تلاميذ المولوي الوكّمي، في منزله. وكان المولوي الوكّمي هو من قدمه لأول مرة إلى مجلة المنار الصادرة في مصر، وعرفه على تفسير القرآن الكريم فيها.

كان المولوي الوكّمي يجلّ ك. أم. المولوي احتراماً عظيماً، حتى إنه كان يخاطبه دائماً بلقب "مولوي صاحب" تقديرًا لمكانته. وعلى الرغم من هذه المكانة، ظلّ ك. أم. المولوي ينظر إليه باعتباره أستاذاً ومعلّماً، وارتبط بجميع أنشطته الإصلاحية منذ عام 1923م، واستمر في الحفاظ على علاقته الوثيقة به حتى بعد مغادرته ترافنكور. وعندما رحل المولوي الوكّمي عن الدنيا، كتب ك. أم. المولوي مقالاً مؤثراً في رثائه، وأرسله إلى مجلة المنار في مصر، حيث نشره السيد رشيد رضا بكل اهتمام وتقدير.

يُعدّ ك. م. المولوي المهور باسم "الكاتب" من الشخصيات الإسلامية البارزة التي أثرت بشكل عميق في تاريخ المسلمين في كيرالا، حيث امتدت تأثيراته إلى مجالات الدين والتعليم والسياسة. كان قائداً فكرياً وإصلاحياً، قاد حركات التجديد والتحديث داخل المجتمع المسلم، مركّزاً على تعاليم الإسلام الأصيلة مع انفتاحه على مقتضيات العصر الحديث. ومن خلال مدرسته الفكرية، التي تأثر فيها بشدة بأستاذه وكم محمد عبد القادر المولوي، تمكن من إحداث نهضة دينية وتعليمية وسياسية تركت أثراً دائماً في المجتمع الإسلامي.

كانت المدرسة الفكرية التي أسسها وكم محمد عبد القادر المولوي تهدف إلى تحقيق توازن بين التمسك بالتعاليم الإسلامية والانخراط في معطيات الحداثة. سار تلامذته على هذا النهج القويم، وكان ك. م. المولوي من أكثرهم تأثيراً في نشر الأفكار الإصلاحية. قدمت هذه المدرسة رؤية شاملة للإصلاح تجمع بين التجديد الفكري، الإصلاح الاجتماعي، والمشاركة السياسية الفاعلة. ومن أهم نتائج هذه المدرسة الفكرية أنها أسست ل نهضة إسلامية في كيرالا قامت على التمسك بالمصادر الأصلية للإسلام، مع العمل على تطوير المجتمع من خلال التعليم والسياسة والعمل الاجتماعي. لقد استطاعت هذه المدرسة أن تخرج قادة فكر ودين ساهموا في إعادة تشكيل الوعي الإسلامي في كيرالا، وربطوا بين الالتزام الديني والمشاركة الفعالة في

¹⁷² تلك الايام انه كان يحيي من قبل القادة الكبار منبأً ويتل كنج أحمد الحاج، وسيتي محمد الحاج، و ك. م. سيتي صاحب من زعماء البلدة.

بناء المجتمع. كما أنها نجحت في تحقيق التوازن بين المحافظة على الهوية الإسلامية والانفتاح على الحداثة، وهو ما جعلها نموذجًا فكريًا فريدًا امتدت تأثيراته إلى أجيال متعاقبة.

دعا ك. م. المولوي إلى تحديث المناهج الدراسية الإسلامية، وإدخال العلوم الحديثة إلى جانب الدراسات الشرعية. رفض الفتاوى التقليدية التي حرّمت تعليم المسلمين اللغة الماليلامية، وساهم في جعلها جزءًا من التعليم الإسلامي. تصدى للعقليات التقليدية التي منعت الفتيات من التعلم، فكان من أوائل من أنشأ مدارس للفتيات المسلمات. كما أسس نظامًا تعليميًا يجمع بين الدراسات الإسلامية والعلوم الحديثة، مما جعل الطلاب أكثر استعدادًا لمواجهة تحديات العصر.

كما كانت له رؤية واضحة في إدخال وسائل التعليم الحديثة مثل الألواح السوداء والمقاعد الدراسية في المدارس الإسلامية، وهو ما واجه رفضًا في البداية لكنه نجح في إحداث تحول في منهجية التدريس. أنشأ مدارس تتيح لكل من الذكور والإناث فرصة تلقي التعليم الإسلامي إلى جانب الدراسات الأكاديمية، ما ساهم في تقليل الفجوة بين المسلمين وباقي فئات المجتمع في كيرالا.

عمل المولوي على تصحيح العديد من الممارسات الدينية التي لا تستند إلى تعاليم الإسلام الأصلية، وسعى إلى توجيه المجتمع نحو الفهم الصحيح للقرآن والسنة. ساهمت كتاباته وخطاباته في نشر الفهم السليم للإسلام، ورفع مستوى الوعي الديني بين المسلمين. دعا إلى تطوير دور المساجد والمدارس الإسلامية، لتكون مراكز علمية وثقافية تخدم المجتمع.

عُرف بمواقفه الحازمة ضد البدع والخرافات التي كانت منتشرة في ذلك الوقت، وسعى إلى إعادة المسلمين إلى جوهر الدين الصحيح من خلال الاعتماد على القرآن والسنة. كما ساهم في نشر الثقافة الدينية الوسطية التي تُعلي من قيمة الاجتهاد والتفكير المستقل، وهو ما جعله في مواجهة مع التيارات التقليدية التي رأت في دعوته خروجًا عن المألوف.

شارك المولوي في حركة الخلافة ودعم المقاومة السلمية ضد الاستعمار البريطاني. كان مدافعًا قويًا عن حقوق المسلمين في الهند، وسعى إلى ضمان تمثيلهم العادل في مؤسسات الدولة. لعب دورًا بارزًا في تأسيس ودعم الأحزاب السياسية الإسلامية، مثل رابطة المسلمين الهنديّة (IUMI)، لضمان مشاركة المسلمين في الحكم.

كما رفض استخدام العنف كوسيلة للنضال السياسي، وأمن بأن المقاومة السلمية والعمل السياسي هما الوسيّلتان الأمثلان لنيل الحقوق. دعم حركات التوعية السياسية بين المسلمين، ووجههم إلى أهمية المشاركة الفعالة في الانتخابات والتواجد في المؤسسات التشريعية لضمان تحقيق مصالحهم.

شكلت أفكاره حجر الأساس لحركات إصلاحية عديدة استمرت حتى بعد وفاته. لا تزال المدارس الفكرية التي أسسها تعمل حتى اليوم، محافظة على نهجه في الجمع بين الأصالة والمعاصرة. بفضلها، تمكن المسلمون في كيرالا من تعزيز مكانتهم الاجتماعية والسياسية، مما أثر في مسارهم المستقبلي.

كان له تأثير كبير في تحويل التعليم الإسلامي في كيرالا من كونه حكراً على طبقة معينة من المسلمين إلى نموذج تعليمي مفتوح أمام الجميع. كما أن تأثيره امتد إلى مختلف الحركات الإسلامية والإصلاحية التي جاءت بعده، حيث تبني العديد منها رؤيته في الجمع بين التعاليم الدينية والتحديث المجتمعي. كما أسهم في تطوير البنية التحتية التعليمية عبر إنشاء المدارس والمؤسسات الدينية التي لا تزال فاعلة حتى يومنا هذا.

كان الشيخ ك. م. المولوي شخصية استثنائية، نجح في إعادة تشكيل المجتمع الإسلامي في كيرالا من خلال إصلاحاته العميقة في التعليم والدين والسياسة. كان يوازن بين التمسك بالقيم الإسلامية والانفتاح على التطورات الحديثة، مما جعله نموذجاً فريداً في الفكر الإسلامي الإصلاحي. تظل إنجازاته مصدر إلهام للأجيال القادمة، حيث مهدت جهوده الطريق لحركة نهضوية متكاملة جعلت المسلمين أكثر وعياً بدينهم وأقدر على التفاعل مع العالم المعاصر¹⁷³.

أثره لا يزال حاضراً في المدارس الإسلامية التي استلهمت فكره، وفي الطريقة التي أصبح بها المسلمون أكثر اندماجاً في الحياة السياسية والاجتماعية في كيرالا. أسهم في بناء جيل من العلماء والمفكرين الذين تبنا منهجه في الإصلاح، وهو ما جعل تأثيره يتجاوز عصره ليظل ماثلاً حتى يومنا هذا. لقد كان بحق رمزاً للنهضة الإسلامية في كيرالا، وقائداً قدم نموذجاً فريداً في كيفية المواءمة بين الهوية الإسلامية والتحديث دون تفريط أو إفراط.

لقد كتب العلامة السيد رشيد رضا في مجلة المنار المصري حينما نشر خبر وفاة المولوي محمد عبد القادر الوگمي كما يلي: وفي في هذا العام عالمان عاملان مصلحان، أحدهما: الشيخ محمد أمين الشنقيطي في بلدة الزبير التابعة للبصرة، وقد كلفنا أحد أصدقائه كتابة ترجمته، والثاني صديقنا الأستاذ المصلح الشيخ محمد عبد القادر في مليبار وقد كتب لنا ترجمته أحد تلاميذه ومريديه فنشرها باختصار قليل، وهي: في غرة رجب من هذا العام 1351 توفي العالم العلامة محرر المجلة الغراء ديبك (المنير) أستاذ الإصلاح الديني لمسلمي مليبار محمد عبد القادر المولوي ابن العالم المرحوم محمد كنجي رحمهما الله تعالى، ففقد مسلمو مليبار أستاذهم ومحبي أرواحهم بالإصلاح الإسلامي.

¹⁷³ Thanveer, M. & Abdussamad, S. (2022, December 28). *The legacy of KM Moulavi*. Milli Report. Retrieved from <https://millireport.com/the-legacy-of-km-moulavi>

وكانت أعمال التجهيز لجنازته على غاية من اتباع السنة رغم أهواء الخرافيين لأن أبناء الفقيد وأقرباءه وتلاميذه المصلحين قد بذلوا جهدهم لئلا يمزج الناس تشييع هذا المصلح الأول فيهم بشيء من مبتدعات هذه البلاد من الجهر بالتهليل أو غيره حين تشييع الجنازة حاملين لها أو ماشين معها، ومن جمع الناس وضيافتهم بعد الدفن في ذلك اليوم أو في الثالث أو غيرهما، فيفضل الله وتوفيقه كان تجهيز هذا المصلح الأكبر خاليًا من جميع البدع والمنكرات، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. وكان أهل مليبار كافة وأهل بيت الأستاذ الفقيد بل كان هو نفسه أيضًا ممن يحافظون على المحدثات والبدع مقلدين لكتب المتأخرين المؤلفة في الفقه والتصوف وغيرهما من الفنون الإسلامية، ولكن بعد ما شرع الأستاذ يقرأ مجلة المنار الغراء هداه الله بها إلى التفكير في الإصلاح الديني، وصار أول أستاذ إصلاح في هذه البلاد المليبارية، جزاه الله عنا خير الجزاء، ورضي الله عنه وأسكنه في جنة الخلد، ومتعه بالنعيم المقيم، أمين، وهذه خلاصة ترجمته: كان الفقيد من أعضاء قبيلة كريمة معروفة بالمجد والشرف في نواحي تراونكور وفي الخارج أيضًا.

ولد من أبوين كريمين سنة 1873م ووالده رحمه الله كان من التجار الكبار والعلماء الكرام أهل الغني والسخاء، وكان قد أحضر من الخارج بعض علماء ذلك الوقت لتعليم الفقيد، فقرأ عليهم وعلى غيرهم كتب النحو والبلاغة والفقه الشافعي والتصوف وحقائقه والمنطق، ثم لم يلبث أن وجه عقله للبحث عن حقائق الدين وأسرار العبادات والأعمال المشروعة. ثم بعد ما توفي والده وحصل على سهمه الخاص به من التراث أجمع أمره وعزم على وقف حياته على خدمة الأمة بماله ونفسه.

وكان محبًا لقراءة الجرائد والمجلات فأسس أولاً جريدته الأولى المشهورة باسم شوديشابهماني (الوطني) ومطبوعة مسماة بذلك الاسم أيضًا، وبعد عام عين في رئاسة تحريرها أديبًا هندوسيًا مشهورًا بتحريكه للأفكار السياسية الاستقلالية في أهالي تراونكور، فمن ثم شرعت الجريدة بقلمه السيل تفصح الحكومة وتنقد أعمال موظفيها ولاسيما وزيرها الأعظم الذي كان شهوانيًا أكثر من أنه إداري، فاغتازلت الحكومة وصادرت الجريدة والمطبوعة، ونفت الناصح الصادق من أرضها ومات في غربته، جزاه الله بصدقه وخير أعماله وأوصافه¹⁷⁴.

ففي هذه المصادرة خسر فقيدنا خسارًا عظيمًا يقدر بخمسة آلاف روبية أو أزيد، وكان فقيدنا عقيب تأسيس الجريدة المذكورة قد أسس لخدمة أمته الإسلامية خاصة مجلته المشهورة باسم المسلم، ولكنه بعد هذه المصادرة التي خسر بها مطبعته قد اضطر لتعطيلها أيضًا، ثم لم يتمكن من متابعة أعماله للأمة والملة التي وقف حياته عليها إلا بعد ثلاث سنوات أو أربع.

¹⁷⁴ المرجع السابق:

وفي سنة 1913م استأنف إصدار مجلة المسلم الغراء فوجد أمتة الإسلامية على شيء من الاستعداد لقبول الإصلاح والتجديد، فعزم على الصدع بأهم قواعد الإصلاح الديني متوسلاً إليه بإصدار مجلة في لسان قومه بأحرف عربية؛ لأن غالب المسلمين من قومه رجالاً ونساء لا يقرءون لغتهم المليبارية بأحرفها الأصلية وإنما يقرءونها بالأحرف العربية، فأسس تلك المجلة باسم الإسلام ومطبعتها سنة 1917م وأصدر عددها الأول في غرة رجب سنة 1336هـ منبهاً للمسلمين إلى أحوالهم الحاضرة من حيث دينهم وتعليمهم واجتماعهم واقتصادهم، وصادعاً بالإصلاح الديني المبني على الاعتصام بالكتاب والسنة وسيرة السلف الصالحين. وتلك المجلة (الإسلام) وإن لم يتمكن أن يصدر منها إلا خمسة أعداد فإنها نورت وجه أرض البلاد المليبارية، ووجهت وجوه عقلاء المسلمين المفكرين علماء كانوا أو عوام، شباناً أو شيوخاً إلى مبادئ الإصلاحية من تعميم التعليم الديني والعصري بين الذكور والإناث، مع المحافظة على التربية الدينية الصحيحة ونبد الخرافات والبدع وجميع أنواع الأعمال الشريكة، وتجديد توحيد الألوهية والربوبية، والاعتصام بالكتاب والسنة وسيرة السلف الصالحين في جميع نواحي الحياة، وعلاوة على ذلك جعل مجلة (المسلم) جريدة أسبوعية، وولي رئاسة تحريرها أحد تلاميذه المصلحين حفظه الله أمين.

ثم وجه همته إلى تأسيس الجمعيات بين أهل وطنه وخصوصاً المسلمين، فأسست جمعيات ومجالس في مختلف البلاد المليبارية : تراونكور وكوشن ومليبار، البعض بسعيه والباقي على وفق إرشاداته في الإصلاح الديني، وإن كان بعضها قد غاب من أفق الوجود فالبعض الآخر لا يزال حيّاً ظاهراً عاملاً بتوفيق الله¹⁷⁵ وفي النهاية وجه عزمه إلى تأسيس دار النشر الإسلامية وإلى الصحافة، فشرع في إصدار مجلته الأخيرة ديبكا منها موجهاً عالي همته وأكبر عنايته إلى الرد على الملحدين والماديين الذين ظهرت قرونها في أهالي هذه البلاد ولاسيما الهندوس والنصارى في هذه الأعوام الأخيرة، وإلى نشر محاسن الإسلام وفضائله وسائر المواضيع النافعة المهمة.

كان قد شرع في تفسير القرآن الكريم بلغة قومه في مجلتيه الأخيرتين، الإسلام و مجلة ديبكا. وكان عضواً من أعضاء الهيئة المؤلفة لامتحان معلمي العربية في مدارس الحكومة، وله مقالات في مختلف المواضيع الإصلاحية في جرائد شتى مليبارية، وترجم من الفارسية كيمياء السعادة للغزالي رحمه الله، ومن الأوردية رسالة أهل السنة والجماعة، ورسالة الوحي المحمدي، وكتاتهما للعلامة السيد سليمان الندوي. وترجم أيضاً رسالة السيد جمال الدين الأفغاني في "الرد على الدهريين" وله أيضاً رسالة "إسلام مت سدهانتها سنكرهم" بمعنى خلاصة مبادئ دين الإسلام.

¹⁷⁵ المليباري، محمد عبد القادر. "الشيخ محمد عبد القادر المليباري". مجلة المنار، المجلد 32، الجزء 10، رمضان 1351هـ/ديسمبر 1932م، ص. 793.

كان رحمه الله حليماً، محباً للسلم والسكون، شجاعاً لا يخاف في الله لومة لائم، ولكنه على كونه لا يحب الثورة ولا الثوار في شيء، يحب ويكرم مبادئ الجمعية الوطنية الهندية، وكان ذا عزم وثبات لا يتزلزل للأهوال والبلايا مهما تكن عظيمة، وتقياً ورعاً لا يوصف، وكان إيمانه وتوحيده وتوكله وتفويضه جميع أموره إلى الله مثار تعجب عند جميع من يعرفون أحواله، وكانت أخوته شاملة لجميع البشر، وكذلك كان صبره وصفحه وعفوه وتسامحه واحترامه للمخالفين تبعثه على الإحسان إليهم والرحمة بهم وكذا بأعدائه في جميع الأحوال، وكان على حظ عظيم من التواضع: يتواضع ويخفض جناحه لجميع الأصحاب بل لخدمته أيضاً، وفي الجملة كان مثلاً عظيماً لمكارم الأخلاق¹⁷⁶.

وكان يعرف من اللغات سوى لغته المليبارية وآدابها: العربية والفارسية والأوردية والتاميلية معرفة جيدة، والإنكليزية والسانسكريتية معرفة دون ذلك، وكان في العربية وعلومها الأدبية فرداً فذاً في مليبار بل في جنوب الهند أجمع وفي العلوم الإسلامية وأسرارها ودقائقها من الأفراد النادرين الممتازين بالاستقلال في التفكير والبحث في بلاد الهند جمعاء. وكان بمنزلة الأب العطوف لجميع مسلمي مليبار (كيرلا) في جميع سعيهم للتجديد والإصلاح غير حركة الأحمدية، قاديانيين كانوا أو لاهوريين؛ إذ لم يشارك أي فريق منهم فيها، بل كان مخالفاً لها وإن لم يصب سهامه إليها.

وأما مذهبه في التجديد والإصلاح فقد كان فيه سلفياً لا يقول بالتقيد بأي مذهب كان غير مذهب أهل السنة والجماعة، داعياً إلى نبذ جميع العادات والأعمال الشركية والخرافات والبدع الدينية والاعتصام بالكتاب والسنة، وسيرة السلف الصالحين رضي الله عنهم، ومع كونه مستقلاً في البحث والتفكير كان في مبادئ التجديد والإصلاح موافقاً لإرشاد مجلة المنار الغراء، محباً لها ولصاحبها السيد محمد رشيد رضا حفظه الله، وكان يحب حكيمي الإسلام والشرق السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده المصري رحمهما الله، وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه، وشيخ الإسلام مرشد أهل نجد محمد بن عبد الوهاب، وللفقيد في الذب عن ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب والثناء عليهما رسالة (ضوء الصباح) في اللغة المليبارية، وكان أيضاً يحب إمام المملكة العربية السعودية عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، أصلحه الله وهداه ووفقه لما يحب ويرضى أمين، وقد أعقب رحمه الله ذرية مباركة: بنتاً واحدة وتسعة أبناء، أكبرهم عبد السلام نال شهادة البكالورية من الجامعة الوطنية المليية في دهلي، فنسأله تعالى أن يجعل منهم خير خلف لوالدهم الكريم المجدد الحكيم، ويوفق سائر أهل مليبار للاستقامة على ما هداهم إليه من الصراط المستقيم، وأن يثيبه عنا جنات النعيم، أمين.

¹⁷⁶ نفس المصدر:

(المنار) إننا نشارك أنجال هذا الصديق الكريم والمصلح الحكيم ومريديه وسائر أهل وطنه في مصابهم العظيم بفقدته، ونعزيهم أصدق التعزية، وندعو لهم بالثبات على ما أرشدهم، ونعدهم بأن نكون لهم كما كنا له فيما يرجعون إلينا، ونسأله تعالى أن يتولى توفيقهم وتوفيقنا¹⁷⁷.

والذي قام بإبلاغ خبر وفاة المولوي الوكّمي إلى رئيس تحرير مجلة المنار في مصر، هو الكاتب ك. م. المولوي، وقد كتب إليه رسالة خاصة يُعلمه فيها بهذا الحدث الأليم. وبناءً على ما ورد في تلك الرسالة، كتب رئيس تحرير مجلة المنار آنذاك، العلامة السيّد رشيد رضا، مقالاً مطوّلاً ومفعماً بمشاعر الحزن والأسى في مجلته الشهرية المنار، عبّر فيه عن تعازيه العميقة، ونوّه بمكانة المولوي العلمية والإصلاحية، مستعرضاً بعضاً من جهوده القيّمة في خدمة الدين والأمة¹⁷⁸.

وهكذا، فإن ردود الفعل الغاضبة التي أثارها كتابات المولوي الوكّمي إنما تكشف عن عمق الأثر الذي أحدثته دعوته الإصلاحية في البيئة الدينية والاجتماعية في كيرالا، حيث واجه الجمود والبدع والانحرافات، ودعا إلى إحياء الروح الإسلامية الأصيلة على هدي الكتاب والسنة، مستلهمًا في ذلك مبادئ مجلة المنار التي كانت منارةً للوعي الديني والتجديد في عالم الإسلام. لقد عانى المولوي وأتباعه من صنوف التهميش والمقاطعة، ولم يجدوا من علماء عصرهم مناصرين، بل جوبهوا بحملات تشويه وإقصاء، وصلت إلى حدّ منعهم من دفن موتاهم في مقابر المسلمين.

ومع ذلك، فإن صبر هؤلاء الرّواد وثباتهم على المبدأ أتى أكله، إذ ظهرت فيهم قلوبٌ استجابت لنور الحق، وتبنّت الرسالة، فكان من أبرزهم الأساتذة عبد القادر بكننور، ومحمد سيدي، وبكرانكنور بكوشي، ومحرّر مجلة "الإرشاد"، ومحرّر جريدة "يولوكم" بكاليكوت. وقد تميّز هؤلاء جميعًا – فضلًا عن وقوفهم في صف الإصلاح – بمساهماتهم القيّمة في خدمة اللغة العربية من خلال التعليم والترجمة والتأليف، فكانوا بحق من طلائع النهضة الإسلامية والعلمية في كيرالا، وحلقة وصل حيّة بين تراث الأمة وحاضرها.

وخلال أحد مواسم الحج، تشرّف الكاتب ك. م. المولوي بلقاء الملك عبد العزيز آل سعود مؤسس المملكة العربية السعودية وحاكمها آنذاك، حيث قدّم له مذكرةً شاملة تضمّنت جملةً من المقترحات القيّمة التي رآها ضرورية لمسيرة الإصلاح في المملكة. وقد دار بينهما حوار معمّق حول قضايا متعددة، عرّض فيه المولوي أوضاع المسلمين في الهند، وشرح للملك ما يعانونه من تحديات، كما بيّن ما يمكن للقيادة السعودية أن تقدّمه من دعمٍ ومبادرات لخدمة المجتمع الإسلامي هناك، ولتعزير وحدته ونهضته.

¹⁷⁷ الملبباري، محمد عبد القادر. "الشيخ محمد عبد القادر الملبباري". مجلة المنار، المجلد 32، الجزء 10، رمضان 1351هـ/ديسمبر 1932م، ص. 793.

¹⁷⁸ Kuttasseri, P. (2021). *Memories on N. P. Abdul Salam Mawlawi* (2nd ed., p. 73). Grace Books.

وليس خافيًا على أحد أن إجراء مثل هذا اللقاء الرسمي مع حاكم دولة عربية إسلامية كبرى، والخوض معه في مناقشات جادة حول قضايا مصيرية، ثم تقديم مذكرة مكتوبة تحوي رؤى إصلاحية، أمر لا يتأتى لمن يملك معرفةً سطحية أو أولية باللغة العربية؛ بل يتطلب تمكّنًا راسخًا من البيان العربي، وحسن استعماله في المحاورات والمكاتبات الرسمية. وهذا التمكن لم يكن وليد الصدفة، بل كان ثمرةً من ثمار التكوين اللغوي العميق الذي نهله ك. م. المولوي على يدي أستاذه العلامة محمد عبد القادر المولوي الوكّبي، ذلك التكوين الذي صقل لسانه وفكره معًا، ومكّنه من أن يكون سفيرًا صادقًا لقضايا أمته في المحافل الدولية.

ومما يلفت النظر أن كثيرًا من الشخصيات البارزة التي تتلمذت لاحقًا على ك. م. المولوي، قد نهجت ذات النهج في خدمة العربية والثقافة الإسلامية، فكان لهم إسهام مشهود في مجالات التأليف والترجمة والبحث، وتركوا مؤلفاتٍ قيّمة تُعلي من شأن لغة القرآن، وتربط الأجيال بتراث الأمة وأصولها الفكرية. وهكذا امتدّ أثر هذه السلسلة العلمية المباركة من المولوي الوكّبي إلى تلامذته ثم إلى تلامذة تلامذته في نشر العربية وترسيخها أداةً للعلم والفكر والدعوة، وبناء جسور التفاهم بين الشعوب الإسلامية في المشرق والمغرب.

الفصل العاشر

ك.م. سيتي صاحب زعيم النهضة السياسية والعلمية والفكرية

كان السيد ك.م. سيتي صاحب (1898-1960م)، أحد أبرز القادة في الحركة الإسلامية والسياسية والإصلاحية في ولاية كيرالا، وقد تأثر تأثرًا عميقًا بأفكار وآراء المولوي الوكّبي وكتاباتاته. التقى به لأول مرة عام 1916م خلال الاجتماع السنوي لجمعية اللجنة المحمدية في مدينة آلبزا، حيث قدّم ورقة بحثية نُشرت لاحقًا في مجلة المسلم¹⁷⁹.

في عام 1919م، التحق سيتي صاحب بكلية مهاراجا في ترفاندرم لمواصلة دراسته العليا، وأقام في "سكن المسلمين" (Muslim Hostel)، مما أتاح له فرصة تعزيز علاقته الوثيقة مع المولوي الوكّبي. لم يقتصر ارتباطه به على الجانب الأكاديمي، بل امتد إلى مرافقته في مختلف الأنشطة التعليمية والإصلاحية. ومن أبرز محطاتهما المشتركة، زيارتهما إلى قرية إدفا، حيث ألقى سيتي صاحب محاضرة خلال مراسم وضع حجر

¹⁷⁹ Seethi Sahib, "Late Vakkom M. Abdul Khadir Moulavi: Few Reminiscences," 141

الأساس للمدرسة التي أنشأها السيد محمد كنح سرائك. كما رافق المولوي إلى ونجيور (Vanchiyoor) للقاء السيدة/ كالياني أما، زوجة السيد راما كرشنا بيلا، المحرر المنفي لجريدة سوديشافيماني الشهيرة.

وأثناء دراسته في كوشين، سنحت له فرصة حضور لقاء آخر مع المولوي الوكّمي في مدينة كايام كولام¹⁸⁰ (Kayamkulam)، حيث ألقى خطبة أمام الحضور. وبمرور الأعوام، أصبح سيّتي صاحب من كبار زعماء المسلمين في كيرالا، وتولى رئاسة المجلس التشريعي للولاية بين عامي 1960 و1961م.

الفصل الحادي عشر

قصيدة دورافاستا: القضية التي أثارت الجدل ودور المولوي

بعد أحداث ثورة ملبار عام 1921م، نشر الشاعر الماليلامي البارز كوماران أسان مجموعة شعرية بعنوان دورافاستا (المأساة). تضمنت بعض أبياتها إشارات مسيئة أثارت مشاعر الكراهية والبغضاء ضد المجتمع المسلم في كيرالا. ومن بين الأبيات المثيرة للجدل، يقول أسان:

"في منطقة كيرالا،

بين الحقول والغابات والجبال،

يسفك المسلمون المتوحشون دماء الهندوس

في أرض إيرناد".

أثار هذا المقطع ردود فعل غاضبة بين المسلمين، فتصدى له المولوي الوكّمي بمقال شديد اللهجة نُشر في مجلة المسلم، التي كان يُصدرها من مدينة آلبزا آنذاك. وفي سياق هذه القضية، وثّق ك.م. سيّتي صاحب هذه الأحداث في روايته، حيث كتب: "أحدث مقال المولوي احتجاجاً واسعاً في أوساط المسلمين ضد قصيدة دورافاستا. ورغم ذلك، كان كوماران أسان صديقاً للمولوي الوكّمي، كما كانت له علاقات طيبة مع العديد من القادة المسلمين في تريفانكور. وعندما بلغته موجة الاحتجاجات حول مجموعته الشعرية، بادر عبر بعض أصدقائه بإرسال رسالة إلى المولوي، معرباً عن رغبته في مناقشة الأمر مع زعماء المسلمين، وعلى رأسهم المولوي الوكّمي. وقد اقترح أن تُعقد هذه المناقشة في سكن المسلمين (Muslim Hostel) في تريفاندرام"¹⁸¹. وبهذا، سجّل ك.م. سيّتي صاحب إحدى أهم المحطات الفكرية في تاريخ كيرالا، حيث جسّد التفاعل الحيّ بين الأدب والدين والسياسة في تلك الحقبة.

¹⁸⁰ Seethi Sahib, "Late Vakkom M. Abdul Khadir Moulavi: Few Reminiscences," 148.

¹⁸¹ Seethi Sahib :

يتابع ك.م. سيتي صاحب حديثه قائلاً: "استجابةً لهذه الدعوة، لبّى السيد كوماران أسان نداء اللقاء في نزل المسلمين. وأحسب أن ذلك كان في عام 1922، إن لم تخيّل الذاكرة. جرى بيننا وبين السيد أسان، بحضور المولوي، نقاش وديّ اتّسم بالهدوء والاحترام المتبادل. أوضحنا له أنّ بعض المقاطع في مجموعته الشعرية قد توحى بأنّ جميع المسلمين في مقاطعة إيرناد قومٌ متوحشون، أعداء للأديان الأخرى، ينتهجون العنف، وهو ما قد يضر بالنسيج المجتمعي في كيرالا.

عندها، أجابنا السيد أسان قائلاً بأسى: "لم تكن لديّ أدنى نية للإساءة إلى المسلمين، وإذا كانت كتاباتي قد أوجت بذلك، فإنني أشعر بحزن عميق." ثم أضاف، وقد بدا عازماً على تصحيح الصورة: "سأكتب قصيدة جديدة تمحو هذا الانطباع الخاطئ". واختتم ك.م. سيتي صاحب حديثه بأسف شديد قائلاً: "لكن، ويا للأسف، لم تمهله الأقدار طويلاً، إذ لم تمض سوى أشهر قليلة على هذا الحوار حتى رحل الشاعر العظيم كوماران أسان، إثر الحادث المأساوي الذي أودى بحياته غرقاً في حادث القارب¹⁸²".

عندما زار المهاتما غاندي تريفاندروم لأول مرة خلال زيارته إلى ساحة احتجاج فاكم ساتياغراها، تلقى استقبلاً رسمياً من المواطنين في 13 مارس 1925. وفي تلك المناسبة، ألقى غاندي خطاباً باللغة الإنجليزية، وكان من تولى ترجمته إلى اللغة الماليلامية ببلاغة فائقة هو الطالب في كلية الحقوق ك.م. سيتي صاحب، الذي كان أيضاً أحد الناشطين البارزين في حركة العصيان المدني إلى جانب المحامي الشهير أ.ك. بيلاي.

وخلال المؤتمر، قام سيتي صاحب بتلاوة خطاب التهنئة الذي قدمته لجنة الخلافة إلى غاندي. أقيمت مراسم الاستقبال وسط حضور جماهيري هائل في الساحة الواقعة شمال شرق مبنى الجامعة، حيث شارك إلى جانب غاندي كل من راجاجي، وماهاديف ديشاي، وديفداس غاندي.

وفي خطابه، تحدث غاندي بحماسة عن قضية نبذ التمييز الطبقي وفتح الطريق المحيط بالمعبد، وهو الموضوع الذي كان محوراً للنقاش آنذاك. كما استعرض تجربته في زيارة الوصية الحاكمة لمملكة ترافانكور، سيثولاكشي باي، ومكثه في دير شيفاجيري (Shivagiri) بصحبة الفيلسوف الإصلاحي سري نارايانا غورو. وأثناء حديثه عن نضال الهند من أجل الاستقلال، استشهد ببيت شهير من قصيدة "حكاية البحّار العجوز (The Rime of the Ancient Mariner)" للشاعر الإنجليزي صامويل تايلور كولريدج:

"Water, water, everywhere,

No any drop to drink"

¹⁸² Althaf, K. M. (2015). *Navothana samskrithiyude speaker Seethi Sahib* (2nd ed.). Olive Publications.

وعلى الفور، ترجمها سيتي صاحب بعبارة موجزة وبليغة قائلاً:
"الماء، الماء في كل مكان، لكن لا قطرة للشرب!"

فانفجرت القاعة بالتصفيق الحار إعجاباً بجمال الترجمة وسرعتها، بل حتى الحاضرين الذين لم يكونوا يجيدون اللغة الإنجليزية شاركوا في التصفيق تأثراً بجمالية التعبير. وفي ختام المؤتمر، حظي سيتي صاحب بتحية شخصية من غاندي وإشادة كبيرة بمهاراته اللغوية.

قبل ثلاثة أشهر من هذا الحدث، كان سيتي صاحب قد تولى ترجمة خطاب ألقاه غوري شانكار ميشرا، السكرتير العام لمؤتمر إقليم أتربراديش، خلال زيارته لكلية الحقوق (Low College)، الأمر الذي أثار اهتماماً واسعاً في المدينة. ولهذا، قررت اللجنة المنظمة أن يتولى سيتي صاحب ترجمة خطاب غاندي كذلك.

كان سيتي صاحب ناشطاً في الاحتجاجات الداعية لإنهاء التمييز الطبقي، وعندما تم اعتقال عدد من قادة حركة فيككم ساتياغراها، ومن بينهم ك.ب. كيشفا مينون، وسجنوا في سجن بوجابورا، كان سيتي يزورهم بانتظام ويضغط على سلطات السجن للاستجابة لمطالبهم العادلة، كما كان يزودهم بالكتب للقراءة أثناء اعتقالهم.

عندما عاد غاندي إلى ترافاندرم للمرة الثانية عام 1927، كان سيتي صاحب قد أصبح محامياً بارزاً، فذهب لمقابلته برفقة المولوي الوكهي. لاحقاً، أصبح سيتي صاحب عضواً في كل من لجنة مقاطعة كوتشي للمؤتمر الوطني الهندي واللجنة الوطنية للمؤتمر الهندي، ثم انتُخب عضواً في مجلس كوتشي التشريعي خلال الفترة 1928-1934 كما شارك في إجتماع لاهور الشهيرة عام 1929، التي طالب فيها المؤتمر الوطني الهندي بالاستقلال التام عن بريطانيا، بحضور كل من غاندي وجواهر لال نهرو.

وفي عام 1934، انسحب سيتي صاحب من المؤتمر الوطني الهندي (INC) وكرّس جهوده للنشاط الإصلاحي، مستقراً في تاليشيري. وكان من بين الشخصيات التي ساهمت في تأسيس رابطة مسلمي ملبار (Malabar Muslim League)، حيث لعب دوراً محورياً في دعم حكومة راجاجي في مجلس مدراس التشريعي.

واصل سيتي نشاطه السياسي وانتُخب عضواً في مجلس مدراس التشريعي بين عامي 1946-1956، وشغل منصب رئيس المجلس في عدة دورات برلمانية بعد عام 1951. وفي النهاية، تولى منصب رئيس مجلس ولاية كيرالا التشريعي، حيث وافته المنية أثناء شغله لهذا المنصب في 17 أبريل 1961.

شكلت مسيرة ك.م. سيتي صاحب نموذجاً فريداً لرجل جمع بين النضال السياسي، والإصلاح الاجتماعي، والتفوق القانوني، وكان دائماً في طليعة الحركات التقدمية، سواء في ساحة النضال الوطني أو في معركة الوعي الثقافي والديني. وبعد مرور مئة عام على ذلك الحدث التاريخي، لا يزال اسمه يتردد في صفحات التاريخ

كواحد من الشخصيات التي تركت أثراً لا يُمحى في نضال الهند من أجل الاستقلال، والنهضة الفكرية لمسلمي كيرالا¹⁸³.

الفصل الثاني عشر

إدوّنَا أرگل محمد صاحب (1880-1927م)

كان أرگل محمد صاحب شخصية إسلامية بارزة، وصديقاً حميماً للمولوي الوكّمي، حيث جمعتهما عناصر الأخوة والصداقة حتى آخر أيامه. ظلّ محمد صاحب على تواصل دائم مع المولوي عبر الرسائل، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل كان مشتركاً منتظماً في جميع منشوراته، وحرص على تشجيع أتباعه ومحبيه على قراءتها.

وبفضل دعمه، انتشرت ترجمات المولوي الوكّمي لكتاب *كيمياء السعادة* للإمام الغزالي، فضلاً عن مقالاته، انتشاراً واسعاً بين طلابه وأحبّته. وهكذا بدأت بذور الإصلاح الاجتماعي والديني الإسلامي تُزهر في إدوّنَا وما حولها من مناطق ملبار، حتى غدت إدوّنَا لاحقاً من أهم المراكز الفكرية للحركة الإسلامية في ولاية كيرالا.

وكما يروي ك.م. سיתי صاحب، فقد كان أرگل محمد صاحب مصلحاً حقيقياً، ومشاركاً في مجلة *المنار* لفترة طويلة¹⁸⁴، حتى إن بعض المؤرخين اعتبروه أول زميل للمولوي الوكّمي من أبناء ملبار¹⁸⁵. وتشير الروايات إلى أنه أقام مع المولوي لفترة، نهل خلالها من علمه، ودرس على يديه كتباً عديدة، ثم عاد إلى إدوّنَا مسلماً مصلحاً ذا رؤية متجددة¹⁸⁶.

وفي عام 1926م، عقب المؤتمر السنوي لولاية كيرالا *أيكا سنغام* (Kerala Muslim Aikya Sangham)، وجّه محمد صاحب وأتباعه دعوة خاصة إلى المولوي الوكّمي لزيارة إدوّنَا، حيث استقبلوه استقبالاً حافلاً، يليق بمكانته العلمية والفكرية، وأحاطوه بحفاوة غامرة تعبّر عن تقديرهم العميق له.

¹⁸³ Althaf, K. M. (2025, March 13). Special article. *Madhyamam Malayalam Daily*.

¹⁸⁴ ربما أنه تعارف مجلة المنار وصاحبه عن طريق المولوي الوكّمي كما تعارف زعماء أخرى من أهالي كيرالا.

¹⁸⁵ Seethi Sahib, "Late Vakkom M. Abdul Khadir Moulavi: Few Reminiscences," 148.

¹⁸⁶ Ahammed Moulavi and Muhammed Abdulkareem, *Great Mappila Literary Tradition*, 562 .

الفصل الثالث عشر

محمد سليمان صاحب

كان محمد سليمان صاحب صديقًا مقربًا للمولوي الوكّمي ، ومصلحًا بارزًا في ترافنكور. ورغم كلّ ذلك، كان أول مسلم من أبناء ترافنكور يحصل على شهادة البكالوريوس (BA) وكما أشرنا سابقًا، فقد عُيّن مفتشًا في المدرسة المحمدية عام 1918م، حيث عمل عن كثب مع أستاذه المولوي الوكّمي. وبعد تولّيه هذا المنصب، أصبح أيضًا تلميذًا له، فمكث معه بضعة أشهر سعيًا إلى تحسين قدراته القيادية. ولم تقتصر جهوده على ذلك، بل أقام أيضًا في السكن الإسلامي (Muslim Hostel) لبعض الوقت، ولعب دورًا محوريًا في إدارته¹⁸⁷.

الفصل الرابع عشر

الشيخ يوسف عز الدين المولوي

كان الشيخ يوسف عز الدين المولوي من أخلص تلامذة المولوي الوكّمي وأكثرهم حبًا له، إذ لازمه واستفاد منه علمًا وفكرًا. وقد اضطلع بدور فاعل في نشر حركة الإصلاح والتجديد في ملبار، لا سيما خلال أوائل الثلاثينيات. وألّف كُتَيِّبين بلغة المليالام، سعيًا إلى ترسيخ عقيدة التوحيد ومحاربة البدع والممارسات المنحرفة عن الإسلام. ولم يكن مجرد عالم دين، بل كان واعظًا جليلاً ذاع صيته في مختلف أنحاء ولاية كيرلا. وبفضل محاضراته الدينية العميقة، جذبت الحركة الإصلاحية شخصيات بارزة، كان من بينها الكاتب كي. أم. المولوي، الذي أصبح لاحقًا أحد أبرز تلامذة المولوي الوكّمي، بعدما تأثر بسلسلة محاضرات الشيخ يوسف عز الدين¹⁸⁸. وقد وافته المنية عام 1934م.

¹⁸⁷ Great Mappila Literary Tradition:

¹⁸⁸ Kakkad, H. (2023, August 4). *Memory on N. K. Muhammed Moulavi*. Shabab Weekly.
<https://shababweekly.in/n-k-muhammed-moulavi/>

الفصل الخامس عشر

بي. عبد القادر المولوي الكنوري

كان بي. عبد القادر المولوي كنور أحد تلامذة المولوي الوكّمي الذين نهلوا من علمه وأقاموا في كنفه، فتلقى عنه اللغة والأدب والقرآن والسنة. ثم أصبح لاحقاً معلماً للغة العربية في مدرسة بيّنور الواقعة بمنطقة كنور شمال كيرلا. وفي عام 1931م، نشر كتابه الشهير "زيارة القبور"، الذي أثار موجة انتقادات واسعة من قبل رجال الدين التقليديين وأصحاب النزعات الخرافية. ولم تكن تلك الانتقادات عن مسيرته، فنشر في عام 1944م كتاباً آخر بعنوان "التوحيد"، تعبيراً عن التزامه بنشر العقيدة الصافية. كما كان من أوائل المشتركين في مجلة "المنار" التي أصدرها الشيخ رشيد رضا المصري¹⁸⁹، ويظهر ذلك جلياً في مراسلات المولوي الوكّمي مع صاحب المجلة. وقد تبوأ مكانة علمية رفيعة، فكان الرئيس المؤسس لجمعية العلماء بكيرلا (Kerala Jamiatul Ulama) وانتقل إلى جوار ربه عام 1946م، بعد أن ترك بصمة لا تُمحى في مسيرة النهضة والتجديد في ربوع كيرلا.

كان المولوي الوكّمي شخصية بارزة في مجالات الإصلاح الاجتماعي والديني، كما كان مربياً حكيماً وكاتباً غزير الإنتاج. وبالرغم من كونه صحفياً رائداً وشجاعاً، فقد حاز مكانة علمية مرموقة واشتهر بسعة اطلاعه وتمكّنه من عدة لغات، منها العربية والفارسية والأردية والتاميلية والمليالية والإنجليزية. وقد عُرف بوطنيته الصادقة، إذ نهل من علوم كبار العلماء المسلمين في بلاده وخارجها، كما استفاد من التجربة الاستعمارية البريطانية التي عايشها. ولم يكن تأثيره مقتصرًا على بيئته المحلية فحسب، بل تأثر أيضاً بالحركات الإسلامية العالمية، وبأعلام الفكر والإصلاح في العالم الإسلامي، أمثال السيد رشيد رضا، والإمام محمد عبده، والسيد جمال الدين الأفغاني، من خلال مجلة "المنار" الشهيرة.

وكانت أبرز إسهاماته تتجلى في كتاباته وترجماته التي تركت أثراً عميقاً في الحركة الإسلامية في ولاية كيرلا. وكما أشرنا سابقاً، فقد أسهم في تأسيس العديد من المنظمات المحلية، وأسّس جيلاً من القادة الذين تربّوا على مبادئه، واستلهموا فكره، وتأثروا بشخصيته القيادية الفذة. وما يجمع بين هذه الحركات جميعاً هو تركيزها على التعليم الحديث، حتى إن بعض أتباعه بادروا إلى تأسيس مدارس خاصة تحت إدارتهم المباشرة،

¹⁸⁹ أحد علماء مليبار. "شكوى المنار إلى المنار". مجلة المنار، المجلد 30، الجزء 2، صفر 1348هـ/يوليو 1929م، ص. 140

إيماناً منهم بأن التعليم هو السبيل الأنجع للنهوض بالمجتمع. ولم تقتصر أهداف هذه الحركات على نشر التعليم، بل سعت أيضاً إلى الارتقاء بالمجتمع الإسلامي، وتعزيز الوعي الوطني بين أفرادهِ.

وقد انبثقت هذه الحركة الإصلاحية من أوساط الطبقة الوسطى والأقليات، لذا كان خطابها موجهاً بالأساس إلى هذه الفئات، إذ تناولت قضاياها الجوهرية، مثل الحق في التعليم، وتأسيس المدارس، والحصول على المنح الدراسية، والولوج إلى الوظائف الحكومية، فضلاً عن الدعوة إلى الفهم الصحيح للعقيدة والشريعة. كما لم تغفل هذه الحركة عن مناشدة الحكومة الملكية آنذاك بضرورة إشراك المسلمين في النظام التعليمي وفرص العمل في المؤسسات الحكومية، ساعية بذلك إلى تحقيق نهضة شاملة تعيد للمجتمع الإسلامي مكانته في الحياة العامة.

خلاصة الباب الثاني

إنّ تأمل ملامح الإنتاج العلمي والإصلاحي للعلامة محمد عبد القادر المولوي الوكّعي يضعنا أمام شخصية فريدة في تاريخ كيرالا الحديث؛ شخصية جمعت بين عمق الفقه الشرعي واتساع الرؤية الإصلاحية، وبين التمكن من العربية وحسن تسخيرها في التعليم والدعوة، وبين الحمية الدينية والوعي الحضاري. لم يكن المولوي مجرد باحث أو أديب، بل كان مؤسس حركة ثقافية عربية إسلامية متكاملة، حملت لواء العربية ونشرت الثقافة الإسلامية في المدارس، والمساجد، والمجلات، والكتب، وجعلت من لغة القرآن أداة حية لبناء العقول وصياغة النهضة.

ومن مؤلفاته، برز كتابه الأشهر "ضوء الصباح على إمامي التجديد والإصلاح"، وهو عمل رصين باللغة المليالمية الفصحى، جمع فيه بين قوة الحجة وجمال البيان، مدافعاً عن الإمامين الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والإمام ابن تيمية ومفتدّاً شهاباً خصومهما. لم يكن هذا الكتاب دفاعاً عن شخصين فحسب، بل كان بياناً لمذهب إصلاحي أصيل، صيغ بلسان فصيح مبين، فأثبت قدرة المولوي على جعل العربية والمليالمية وعاءاً للجدال العلمي والنقاش الحضاري.

ثم جاءت ترجمته لكتاب "كيمياء السعادة" للإمام الغزالي لتكشف عن موهبته الفائقة في النقل من الفارسية ومن العربية معاً. لقد أخرج نصّاً فصيحاً مشرقاً، يجمع بين المعاني العرفانية العميقة والأسلوب المليالمي الرفيع، مقدّماً للطلاب والقراء في كيرالا نافذةً على تراث الأمة عن لغة القرآن. وكانت هذه الترجمة من أبرز الأعمال التي عمّقت الصلة بين المتعلمين والعربية، وربطتهم مباشرة بالمصادر الفكرية والروحية للإسلام.

أما في ترجمة كتاب "أهل السنة والجماعة" و"بيغام إسلام"، فقد اتجه المولوي إلى تثبيت أصول العقيدة ومحاربة البدع، معتمداً العربية لغةً للتحرير والإقناع، وجاعلاً من هذه الترجمات وسيلة لغرس الهوية الإسلامية في نفوس المثقفين. لم يكن ينقل النصوص نقلاً حرفياً، بل كان يكسوها حلّةً فصيحة زاهية، ويضبط عباراتها بما يحفظ دقة المعنى وجمال المبنى.

وفي ترجمة كتابه "عالم الإسلام الجديد"، أعدّها بلسان مليالمى فصيح رؤيته المستقبلية لنهضة الأمة، داعياً إلى العودة الصادقة إلى القرآن والسنة، وإلى جعل العربية رابطة الوحدة الفكرية بين المسلمين في العالم، ومفتاح التواصل الحضاري بين أقطارهم. كان يدرك أن أي مشروع نهضوي لا يمكن أن ينفصل عن اللغة والثقافة التي تحمل فكر الأمة وتراثها.

وإلى جانب التأليف والترجمة، كان للمولوي دور ريادي في وضع كتب المناهج الدراسية العربية. فقد ألف كتباً مثل "تعليم القراءة"، الذي صُمم لتمكين الناشئة من إتقان القراءة العربية منذ المراحل الأولى، و"أحكام التجويد" الذي صار مرجعاً للمدرسين والطلاب في ضبط التلاوة. بهذه المؤلفات، رسّخ المولوي العربية في قلب التعليم الإسلامي، وضمن استمرارها في ألسنة الأجيال.

ورغم ما واجهه من مقاومة من بعض علماء التقليد والكهنة المتشددین، الذين ضاقت صدورهم بدعوته الإصلاحية، ظل ثابتاً على منهجه، يرد عليهم بالحجة والبرهان، ويرى أن حماية العربية والثقافة العربية ونشرها جزء لا يتجزأ من حماية الدين نفسه.

غير أن المولوي لم يكن وحده في هذا الميدان؛ فقد خرّج جيلاً من القادة والمصلحين الذين حملوا فكره من بعده، وأسهموا في نشر العربية والثقافة الإسلامية عبر المدارس، والجمعيات، والمجلات. لقد أسس هؤلاء الجمعيات العلمية، وأداروا الصحف العربية، وأعدوا مناهج تعليمية، حتى صارت العربية لغة العلم والخطاب الديني والفكري في محيطهم.

وكان للمولوي دور فاعل في المنظمات الإسلامية الكبرى في كيرالا، مثل جمعية العلماء وجمعية التقدم الإسلامية، حيث أسهم في وضع أسسها الفكرية، ودعم برامجها التعليمية التي جعلت العربية محوراً من محاورها الرئيسية. هذه المؤسسات كانت منابر لنشر الثقافة الإسلامية بلغة القرآن، ومصانع لإعداد الدعاة والمدرسين القادرين على خدمة اللغة العربية والأمة المسلمة والثقافة الإسلامية.

ويشهد على أثره البالغ المقال الذي نشره تلميذه الكاتب ك. أم. المولوي في مجلة المنار المصرية، ناعياً أستاذه بلغة عربية مؤثرة، مما يدل على أن غرس العربية في نفوس تلامذته قد أثمر رجالاً قادرين على مخاطبة الأمة الإسلامية جمعاء بلسان عربي قوي.

كما أشار فيه عن أحد مواسم الحج، التي التقى ك. م. المولوي بالملك عبد العزيز آل سعود، وقدم له مذكرة إصلاحية شاملة، وناقشه في أوضاع المسلمين بالهند وسبل دعمهم، وهو ما لم يكن ممكناً لولا تمكنه الراسخ من اللغة العربية التي اكتسبها من أستاذه المولوي الوكّمي. وقد مكّنه هذا التكوين اللغوي من إجراء حوار رسمي رفيع المستوى وتقديم أفكاره بلغة فصيحة مؤثرة، كما واصل تلامذته من بعده نهج خدمة العربية عبر التأليف والترجمة ونشر الثقافة الإسلامية، مما رسّخ مكانتها لغةً للعلم والفكر والدعوة.

ومن بين أعلام تلامذته، يبرز ك. م. سיתי صاحب، الذي جمع بين الفكر السياسي والعمل الإصلاحي، وجعل من الصحافة العربية وسيلة للدعوة، وإدوّن أركل محمد صاحب، الذي أسهم في حركة الترجمة بين العربية والمليالمية، ومحمد سليمان صاحب¹⁹⁰ الذي نشر الثقافة الإسلامية باللغتين، والشيخ يوسف عز الدين

¹⁹⁰ Great Mappila Literary Tradition:

المولوي، الذي جمع بين التدريس العربي والعمل الصحفي والتحرير، وبى. عبد القادر المولوي الكنوري، الذي تابع النهج في تطوير المناهج العربية وتأليف الكتب والترجمة والدفاع.

لقد كان مشروع المولوي مشروعاً متكامل الأركان: تعليم العربية في المدارس منذ المراحل الأولى، تأليف الكتب التي تفرسها في قلوب الطلاب، ترجمة المؤلفات الإسلامية إليها ومنها، استخدام الصحافة العربية أداة للتنوير، وربط العربية بالهوية الإسلامية في وجدان المسلمين بكيروالا. ومع تلامذته، تحول هذا المشروع إلى حركة ثقافية متنامية، أثمرت نهضة عربية-إسلامية جعلت العربية حاضرة بقوة في التعليم والدعوة والفكر، ومهدت السبيل لأجيال جديدة تحمل مشعلها.

وبذلك، فإن هذا الباب من البحث ليس مجرد عرض لسيرة عالم، بل هو شهادة على تأسيس مدرسة فكرية عربية-إسلامية متكاملة، انطلقت من شخص المولوي، وتوسعت على أيدي تلامذته، لتصبح العربية في كيروالا لسان العلم، ومنبر الفكر، ومرآة الهوية. لقد تركوا أثراً خالداً في ميدان اللغة والفكر والدعوة، ستظل نبأاً لمن أراد أن يبني على الحق، ويعيد للأمة مجدها من حيث بدأ: من العلم الصادق، والدين الخالص، واللسان العربي المبين.

ويتناول هذا الباب النتاج العلمي والفكري لمحمد عبد القادر المولوي الوكّمي، لا من خلال حصر مؤلفاته فقط، بل عبر تحليل مشروعه الإصلاحي ودراسة دوره في خدمة المجتمع المسلم بكيروالا. وقد اعتمدت الدراسة منهجاً تاريخياً تحليلياً يربط بين أعماله والظروف الدينية والثقافية التي ظهرت فيها، للكشف عن أهدافها ووظائفها الفكرية.

وقُسمت أعماله إلى ثلاثة مجالات رئيسية: التأليف العقدي والإصلاحي، والترجمة والنقل الثقافي، والتأليف التعليمي والتربوي. وأظهرت الدراسة أن هذه المجالات لم تكن منفصلة، بل شكّلت معاً مشروعاً متكاملاً هدف إلى نشر الوعي الديني، وتعزيز الثقافة الإسلامية، وخدمة اللغة العربية.

كما تناول البحث ترجماته بوصفها وسيلة لنقل المعرفة والقيم الإصلاحية إلى البيئة المحلية، وليس مجرد نقل لغوي للنصوص. وجرى تحليل بعض أعماله المترجمة للكشف عن دورها في تقريب التراث الإسلامي إلى القارئ المليباري.

واعتمدت الدراسة على مؤلفاته الأصلية والمقالات الصحفية وكتابات معاصريه وتلامذته، مع مقارنتها بالمصادر التاريخية والدراسات الحديثة لتعزيز دقة النتائج. كذلك درست مؤلفاته التعليمية وأثرها في تعليم العربية والعلوم الإسلامية، وأبرزت منهجه القائم على التدرج والربط بين اللغة وفهم النصوص الشرعية.

وتخلص الدراسة إلى أن مشروع الوكّمي مثّل رؤية معرفية متكاملة جمعت بين التأليف والترجمة والتعليم والصحافة، وأسهمت في تجديد الوعي الديني والثقافي وربط المجتمع المسلم في كيرلا بتيارات النهضة في العالم الإسلامي.

الباب الثالث

النهضة الفكرية والعلمية والأدبية لدى المولوي الوكّمي

- الفصل الأول: السيدة/ حليلة بيوي: رائدة النهضة النسائية في كيرالا
- الفصل الثاني: المولوي الوكّمي وتأثير وسائل الإعلام في مجال النهضة العلمية
- الفصل الثالث: الوعي السياسي والالتزام الاجتماعي في حياة المولوي
- الفصل الرابع: حرية الصحافة والتحرير واعتقال محررو ذكريات زوجة المحرر
- الفصل الخامس: دور الجريدة والترجمة في مجال الإصلاح الديني في حياة المولوي الوكّمي
- الفصل السادس: محاولة المولوي لترجمة القرآن وتعليم الإسلام عبر المجلة
- الفصل السابع: المولوي الوكّمي، رائد النهضة الاجتماعية والدينية في كيرالا
- الفصل الثامن: منهج الإصلاح الاجتماعي والديني لدى المولوي الوكّمي
- الفصل التاسع: رأي المولوي في فتح باب الاجتهاد
- الفصل العاشر: موقف العلماء ورجال الدين من دراسة العلوم الحديثة
- الفصل الحادي عشر: البدع والخرافات المنتشرة في المجتمع المسلمة
- الفصل الثاني عشر: المزامير والمذائح في العربية المليالمية
- الفصل الثالث عشر: موقف المولوي من البدع والخرافات ومحاربته للشرك
- خلاصة الباب الثالث:

الفصل الأول

السيدة/ حليلة بيوي: رائدة النهضة النسائية في كيرالا

وفي خضمّ الظلام الثقيل الذي كان يخيم على الأفق الفكري والاجتماعي لمسلمي كيرالا، بزغت شمس الإصلاح على يد رجل نهضوي فذّ، هو الشيخ محمد عبد القادر المولوي الوكّمي، الذي لم تقتصر جهوده العلمية والأدبية على تربية جيلٍ من الرجال فحسب، بل تخطّت تلك الحدود لتلهم النساء أيضًا، وتوقظ فيهن الوعي والكرامة والعزيمة. لقد كان المولوي الوكّمي حامل راية التجديد، وسادن النهضة الشاملة، الذي بثّ في تلاميذه روح الإصلاح والعلم، وفتح أمامهم آفاقًا من العمل الفكري والاجتماعي، فغرس بذلك بذورًا ستثمر نهضة نسائية لم يكن لها مثيل في تاريخ المسلمين بالمنطقة.

وما لبثت تلك البذور أن نمت وفتحت، حينما انتقلت أفكار هذا المصلح العظيم من أذهان الرجال إلى قلوب النساء، عبر قنوات الفكر والتعليم والزواج والقودة. ومن أبرز الأمثلة على هذا الامتداد الفكري النبيل، سيدة نادرة هي حليلة بيوي، التي شربت من معين الفكر المولوي من زوجها العالم الجليل ك.م. محمد مولوي، أحد تلاميذ المولوي الوكّمي. لم يكن تأثير الوكّمي على زوجها تأثير علمٍ مجرد، بل كان سرّيًا فكريًا حيًا، سرعان ما وجد في حليلة أرضًا خصبة للتألق، فانطلقت في مشروع نهضة نسائية عظيمة، سطرّت فيه صفحات مجد لا تزال تضيء سجل الإصلاح الإسلامي في كيرالا.

إن قصة حليلة بيوي ليست مجرد سيرة امرأة نهضوية، بل هي شاهد حيّ على الامتداد العضوي لفكر محمد عبد القادر المولوي الوكّمي، وكيف استطاعت رؤاه المتوقدة أن تشق طريقها من عالم الرجال إلى عالم النساء، لتحدث تحولًا عميقًا في بنية المجتمع المسلم. لقد تحوّلت حليلة بيوي من فتاة بسيطة إلى قائدة صحفية ومربية مصلحة ومجاهدة سياسية، بفضل ذلك الشعاع الذي بدأ من عقل المولوي الوكّمي، وتوزّع في عقول تلاميذه، ثم تسرب إلى قلوب النساء، فكان من نتاجه هذه السيدة التي وقفت في وجه السلطة، وجابهت الخرافة، وأسست المؤسسات، فكانت صوتًا صارخًا في وجه الصمت، ومجددًا خالدًا في زمن السكون¹⁹¹.

في زمنٍ كانت فيه حياة المرأة المسلمة لم تلامس بعد النور في فضاء المجتمع العام، بزغ فجر سيدة استثنائية، والتي لم تتردد في اقتحام عالم الصحافة والمشاركة في الحركات الاجتماعية، لتصبح بذلك منارةً يهتدي بها السائرون في دروب النهضة. لم تكن حليلة بيوي مجرد صحفية، بل كانت أول سيدة تتولى رئاسة

¹⁹¹ Haleema Beevi YouTube Video Documentary. YouTube. <https://youtu.be/klcg6iuMO40>

تحرير صحيفة في تاريخ كيرالا، وأول صحفية مسلمة، وأول مستشارة بلدية، وعضوة في لجنة مؤتمر مقاطعة إرناكولام، ورئيسة لجمعية "ترافنكور" النسائية، وسكرتيرة "رابطة مسلمي ولاية ترافنكور" في تالوك ثيرووالا (Thiruvalla). إنها بحق رمز خالد لنهضة المرأة في المجتمع المسلم في كيرالا، وحضور نسائي فريد لا مثيل له في سجل نهضة كيرالا وتاريخ الإصلاح الإسلامي فيها¹⁹².

وُلدت حليلة بيوي في عام 1918 في بلدة أتور (Adoor) لأسرة مسلمة متواضعة، فوالدها هو السيد بير محمد ووالدتها السيدة ميتين بيوي. في زمن كان فيه ارتياد الفتيات المسلمات للمدارس أمراً شبه معدوم، أتمت حليلة بيوي دراستها حتى الصف السابع في مدرسة أتور. وفي السابعة عشرة من عمرها، اقترنت بالعالم الديني والكاتب البارز السيد ك.م. محمد مولوي، وكان هذا الزواج نقطة تحول محورية في حياتها. فزوجها، الذي كان تلميذاً للعالم المصلح الكبير المولوي الوكّمي، كان يدير مجلة "الأنصاري"، ومن هذا المنبر الإعلامي استلهمت حليلة بيوي شغفها بالصحافة وقررت أن تشق طريقها في هذا المجال.

بالهام من زوجها، وفي عشرينيات عمرها، أطلقت حليلة بيوي في عام 1938 مجلتها الرائدة "مجلة المرأة المسلمة" المليالية من ثيرووالا، لتفتح عالم الصحافة كرئيسة تحرير، لتصبح بذلك أول سيدة مسلمة تتولى هذا المنصب في تاريخ اللغة المليالم. لاحقاً، انتقلت المجلة إلى كودونغالور (Kodungaloor)، حيث كانت هي النشرة والطابعة أيضاً. وبقيادتها، قامت نخبة من النساء المسلمات بتأسيس أسبوعية "بهاراتا تشاندريكا" في عام 1946. وبعد أن حظيت الأسبوعية بقبول واسع، وبغية إعطاء زخم أكبر لأهدافها الإصلاحية، حولتها في عام 1947 إلى صحيفة يومية. ضمت هيئة تحرير "بهاراتا تشاندريكا" كوكبة من المع الأدباء والمفكرين مثل فايكوم محمد بشير، و وكوم عبد القادر ابن المولوي الوكّمي، وفيتور رامن ناير. وفي صفحاتها نُشرت لأول مرة أعمال فايكوم محمد بشير الشهيرة مثل "ماعز فاطمة"، و"الشعر المقدس" المليالية. كما كان من بين كُتّابها البارزين عمالقة الأدب المليالي أمثال بونكونام فاركي، وبالاماني أما، وتشانغامبوجا، وإس. جوبتان ناير من المشاهير.

وقفت حليلة بيوي وقفة عزّ وشرف في وجه السلطة الغاشمة. فعندما صادر ديوان ترافنكور، السير سي. بي. راماسوامي أيير، صحيفة "مليالا مانوراما" اليومية، تعرضت لغضبه لقيامها ببعض أعمال الطباعة لصالح الصحيفة المصادرة. كما واجهت عداءً شديداً بسبب مقالاتها النارية في "بهاراتا تشاندريكا" التي فضحت فيها حكمه الاستبدادي. وفي محاولة لإسكاتهما، أرسل السير سي. بي. رسولاً يعرض عليهما إهداء مطبوعة حديثة من اليابان مقابل أن تكتب تأييداً له، لكنها رفضت العرض بشموخ وإباء. فانتقم منها بإلغاء

¹⁹² Dr. Aziz Tharuvana. (2019, February 9). *Haleema Beevi: The freedom fighter who marched ahead*. Madhyamam Online. Available at: <https://www.madhyamam.com/lifestyle/special-one/freedom-fighter-m-haleema-beevi-lifestyle-news/588501>

رخصة التدريس الخاصة بزوجها ك.م. محمد المولوي. وفي عام 1949م، اضطرت حليلة بيوي إلى إيقاف "بهاراتا تشاندريكا" بسبب أزمة مالية خانقة¹⁹³.

لم تخبُ جذوة الصحافة في قلبها. ففي عام 1970، أثناء إقامتها في بيرومبافور، عادت إلى الميدان بكل قوة. قامت ببيع منزلها وأرضها، وبثمنهما أسست دار نشر لإصدار الكتب، وأطلقت مجلة "أدهونيكا فانيتا" (المرأة العصرية). كانت السمة الفريدة لهذه المجلة أن طاقمها بأكمله، من رئيسة التحرير إلى المحررات والمطبعة والناشرة، كان نسائياً بالكامل، وضم أسماء مثل فيلومينا كوريان، وبي. سودها، وك.ك. كملاكشي وغيرهم من العمالقة الأدب والفكر. كانت "أدهونيكا فانيتا" منبراً أدبياً وثقافياً مرموقاً، حظي بدعم شخصيات بارزة من الوزراء مثل سي. أنشيوتا مينون، وسي. إتش. محمد كويا، وبالاماني أما، وغيرهم الكثير.

أثناء دراستها، تأثرت حليلة بيوي بجمعية نسائية كانت تعمل في مدرستها، فنما في داخلها حلم تأسيس منظمة للفتيات المسلمات لتوعية المجتمع بأهمية التعليم وفضح الخرافات والعادات البالية. وبالفعل، لم يقتصر نضالها على الصحافة، بل امتد ليشمل العمل الاجتماعي المنظم. وفي العشرين من عمرها، نظمت مؤتمراً نسائياً في تيروفالا حضرته أكثر من 200 سيدة، والذي يعتبر ليس فقط الأول في تاريخ الإصلاح الإسلامي، بل ربما الأول من نوعه في تاريخ كيرالا¹⁹⁴.

كان الهدف الرئيسي للمؤتمر تأسيس "جمعية نساء مسلمات عموم ترافنكور"، وبالفعل تأسست الجمعية وتولت حليلة بيوي رئاستها، وانتشرت فروعها في أنحاء الولاية، وانضمت إليها ما يربو على ألف سيدة مسلمة. وقد تبنى المؤتمر قرارات تاريخية طالبت بإلغاء الرسوم المدرسية للفتيات، وجعل التعليم الابتدائي إلزامياً لهن، وتوفير فرص عمل للمتعلّمات، وتأكيد دور المرأة في بناء الأمة. وفي كلمتها الترحيبية، قالت حليلة بيوي قولتها الخالدة: "إن الرجال في مجتمع نساؤه حبيسات القيود، لن يذوقوا أبداً ثمار أعمالهم الطيبة، والعالم الذي يجب أن يستنير بعزيمة مواطني المستقبل، سيؤول إلى تمجيد شباب وأطفال لا يمثلون إلا عبئاً على الأرض، ويفقدون فاعليتهم في الطبيعة. فلتفكروا ملياً، على من تقع مسؤولية جعلهم مسؤولين وحكماء ومثقفين؟"

لم تكن حليلة بيوي بمنأى عن ميدان السياسة، بل انخرطت فيه بكل جوارحها. شاركت بفعالية في حركة النضال من أجل استقلال الهند وتعرضت للاعتقال. كانت خطاباتها، خاصة في مؤتمر النساء السلفيات المجاهدات في كوتشي عام 1953 ومؤتمر المجاهدين الكبير في كوزيكود عام 1956، علامات فارقة. واعتبرت لقاءها بالسيدة إنديرا غاندي شرفاً كبيراً. كانت ناشطة بارزة في حزب المؤتمر، وعضواً في جناحه التطوعي،

¹⁹³ Dr. Kayamkulam Yunus. (2019, September). *Haleema Beevi: A woman who took the lead in journalism*. Samakalika Janapadham, Book 6, Issue 2.

¹⁹⁴ Jamal Kochangadi. (2019). *Do you know this woman? M. Haleema Beevi, the first Muslim woman editor in Malayalam*. [Facebook Post]. Available at: <https://www.facebook.com/jamal.kochangadi/posts/2419639544785216>

ومستشارة في بلدية تيروفالا لمدة خمس سنوات. وقبل عقود من تشكيل "عصبة النساء"، كانت السيدة/ حليلة بيوي سكرتيرة "اتحاد رابطة مسلمي تالوك تيروفالا".

كان الهدف الأسى لنشاط حليلة بيوي العام هو القضاء على الخرافات والعادات البالية، وتحقيق نهضة دينية وتعليمية وثقافية شاملة، خاصة في أوساط النساء. وتُظهر افتتاحيتها المعنونة "كارثة وطنية" بُعد نظرها الثاقب، حيث حذرت من أن الولع المفرط بالكماليات والذهب هو أحد الأسباب الرئيسية للتهريب الذي يستنزف اقتصاد الهند. وكانت تؤمن إيماناً راسخاً بأن النهوض بالمرأة ليس مسؤولية النساء وحدهن، بل هو واجب يقع على عاتق الرجال أيضاً¹⁹⁵.

وفي وقت كانت فيه بعض الفئات المتشددة في كيرالا تعتبر تعلم الأبجدية المليامية أمراً مخالفاً للإسلام وتصدر فتاوى بتحريمه، كتبت حليلة بيوي العديد من المقالات التي دافعت فيها بشراسة عن حق المرأة في التعليم¹⁹⁶.

وفي 14 يناير 2000م، رحلت حليلة بيوي عن عالمنا عن عمر يناهز 82 عاماً، بعد حياة حافلة بالعطاء والنضال. لقد كانت، بحق، شعلة أضاءت دروب النهضة للمرأة المسلمة في كيرالا، وستبقى سيرتها مصدر إلهام لا ينضب للأجيال القادمة¹⁹⁷.

في زمن كانت فيه المرأة المسلمة في كيرالا مغيبة عن المشهد العام، بزغ نجم حليلة بيوي كنموذج فريد للنهضة الفكرية والاجتماعية النسائية، متأثرة بشكل غير مباشر بأفكار المصلح الكبير الشيخ محمد عبد القادر المولوي الوكّمي، والتي تسربت إليها عبر زوجها العالم ك.م. محمد المولوي، أحد تلامذته البارزين. لقد جمعت بين الوعي والإرادة، وبين القلم والموقف، حتى غدت أول صحفية مسلمة ورئيسة تحرير في كيرالا، ومؤسسة لأول جمعية نسائية إسلامية في الولاية.

شكّلت المجالات الإسلامية النسائية التي أسستها منابر للإصلاح، وساهمت في تحرير عقل المرأة المسلمة من الخرافة والجهل، كما أسهمت حركتها الاجتماعية والسياسية في تمكين النساء والمطالبة بحقوقهن التعليمية والمهنية. لم تتوقف عند العمل الإعلامي، بل واجهت السلطات المستبدة بشجاعة، ودفعت ثمناً غالياً في سبيل مواقفها.

¹⁹⁵ Women Point. Haleema Beevi.

Available at: <http://womenpoint.in/index.php/resources/resourcesDetails/272>

¹⁹⁶ Shajitha Niramruthur (Research Scholar, Kannur University). *Mappilas and the Making of Kerala Society*. Kerala Muslim Heritage Foundation. Available at:

<https://muslimheritage.in/innermore/30>

¹⁹⁷ Mayin Haji. (2016, November 17). *Do you remember Haleema Beevi? A legacy of Kerala Muslims*.

OneIndia Malayalam. Available at: <https://malayalam.oneindia.com/news/kerala/emmar-kinalur-facebook-post-abuse-khamarunnisa-anwar-159431.html>

إن سيرة حليلة بيوي تؤكد مدى عمق تأثير الفكر الإصلاحى للمولوى الوكّى، الذى لم يقتصر على الرجال، بل امتد إلى النساء فأنشأ نهضة مزدوجة الجنسين، وكانت حليلة بيوي أحد أبرز تجلياتها. فقد صنعت من نفسها قدوة نسائية رائدة، وأرست معالم طريق جديد للمرأة المسلمة، سيظل علامة مضيئة في سجل الإصلاح الإسلامى في كيرالا.

الفصل الثانى

المولوى الوكّى وتأثير وسائل الإعلام في مجال النهضة العلمية

من بين المصلحين الاجتماعيين في الهند، كان وكم المولوى أول من أدرك تأثير وسائل الإعلام على عامة الناس. وكما كان لنشأة ونمو وسائل الإعلام تأثير هائل على حياة الناس في جميع أنحاء العالم، فقد كان لها دور فعال في نشر المعرفة بين جميع فئات المجتمع. وعلى عكس أي وسيلة أخرى، أصبحت الطباعة والنشر القوة الأكثر حماسة في عملية التغيير الاجتماعى. وقد أدرك المصلحون الاجتماعيون والدينيون أهمية الإعلام المطبوع وتأثيره في الجمهور في مجال الإصلاح والتجديد.

وكما أشرنا مرارًا، كان وكم المولوى شخصية بارزة في مجال الصحافة، إذ أدرك دور وسائل الإعلام في الإصلاح والتجديد الفكرى والدينى. لقد ضحّى بثروته الهائلة في سبيل الإصلاح الاجتماعى والصحافة. ساهم الأوروبيون والمبشرون المسيحيون معًا في إنشاء العديد من المطابع والمعاهد الدينية والكليات. وقد أدخل فن الطباعة لأول مرة في ولاية كيرالا على يد المبشرين المسيحيين، ولا شك أنهم قدّموا خدمات جليلة وقيمة في مجال الطباعة والنشر. كما تمّ طباعة أول كتاب بلغة هندية في الهند في 20 أكتوبر 1578م على يد الآباء المبشرين المسيحيين¹⁹⁸. ويبرز اسم السيد هيرمان غوندارت (Herman Gundert) في مرتبة عالية بين أولئك الذين قدموا إسهامات بارزة في وضع قواعد اللغة وإعداد المعاجم.

وكان السيد أنجيلو فرانسيس (Angelo Francis)، أسقف فارابوزا بين عامي 1700-1712م، والأب إرنست، والأب باولينوس، والأب فورييس موبان، والأسقف إيدفونيس، والقس بنيامين بيلي، وغيرهم، قد قدموا إسهامات متميزة في تطوير فن الطباعة¹⁹⁹. وقد مثّلت جمعية إرسالية الكنيسة (Church Mission Society) وإرسالية بازل في تيليشيري (Basel Mission Tellicherry) مراحل مهمة وأساسية في تشكيل ونمو صناعة الطباعة في ولاية كيرالا.

¹⁹⁸ B.S. Kesavan, "History of Printing and Publishing in India", The South Indian Origin of Printing and Its Efflorescence in Bengal, Vol. II, India: National Book Trust, 1985, p. 597.

¹⁹⁹ B.S. Kesavan, Page No: 600.

وكان أول من أدرك من بين المسلمين في ولاية كيرالا ضرورة نشر المعلومات من خلال المجلات هو السيد زيد علي كوتي ماستر (Saidali Kutty Master) من منطقة تيرور، حيث بدأ في عام 1899م نشر جريدة "صلاح الإخوان" باللغة العربية المليالمية. وشخص آخر برز في هذا المجال هو العالم المشهور والصحفي البارز الشيخ سليمان المولوي من أهالي آلابزا، حيث أصدر في عام 1317هـ أسبوعية باللغة العربية المليالمية تحت اسم "ماني ولاك" (Mani Vilakku)، كما صدرت مجلة أخرى مميزة في شكل أسبوعية باسم "ملبار إسلام" (Malabar Islam)، أسسها السيد عبد الرحمن الحيدروس والسيد أبو محمد من مدينة كوشين في نوفمبر عام 1910م.

وكانت مجلة "كيرالا ديبياكم" (Kerala Deepakam) "أول دورية إسلامية تصدر من كيرالا، حيث نُشرت من مدينة كوشين عام 1878م، وكان السيد قادر شاه حاجي هو طابعها وناشرها. أما مجلة "ساتيا براكاشام" (Sathya Prakasam) فكانت ثاني مجلة للمسلمين، وهي صحيفة إخبارية أسبوعية، وكان السيد قادر شاه حاجي بابو سايت (Khadir Shah Haji Babu Sait) الذي توفي عام 1908م محررها، ويُعتبر والد الصحافة الإسلامية في ولاية كيرالا.

وفي عام 1899م، قام السيد شجاعى مُيتو مُسليار²⁰⁰ بنشر مجلتين هما "رفيق الإسلام" و"صلاح الإسلام". كما نشر السيد عبد الله تانغال، من أهالي مامبورام، مجلة إسلامية شهرية باسم "هداية الإخوان" باللغة العربية المليالمية.

ومن خلال نظرة خاطفة على التاريخ، يتضح أن الفضل في تطوير الصحافة الإسلامية في ولاية كيرالا يعود إلى الحركة الوهابية في أواخر القرن التاسع عشر. وكما هو معلوم، فهذه الحركة دينية واجتماعية تُعرف باسم "الحركة السلفية" أو "الحركة الإصلاحية"، وقد دافعت بشدة ضد التشوهات التي تسلت إلى العقيدة الإسلامية واستغلال الجماهير من قبل الكهنة ورجال الدين. وكانت المجلات الإسلامية المبكرة بمثابة أسلحة قوية لهذه الصحوة الفكرية²⁰¹. ولا يمكن التغافل عن مساهمات السيد ثناء الله المكّي تنغال (1847-1912م)، أو عن خدماته الجليلة في الصحافة الإسلامية، خاصة عند الحديث عن بدايات الصحافة الإسلامية. فقد واجه المسلمون في عصره تحديات مختلفة من عدة جهات؛ فمن جهة، كان المبشرون المسيحيون يشوهون صورة الإسلام والنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومن جهة أخرى، كان الكهنة ورجال الدين يحرمون كل ما يصب في مصلحة المسلمين، ويقفون ضد محاولات تثقيف المجتمع الإسلامي.

²⁰⁰ His full Name is Kulangara Veetil Sujayia Moidu Musaliar

²⁰¹ E.M. Abdul Rahman: A Survey of Muslim Journals in Kerala (Project Report submitted for the Award of P.G. Diploma in Journalism of Rajendra Prasad Institute of Communication & Management, Bombay.)

تصدى السيد ثناء الله المكتي لهذه التحديات، فاستقال من وظيفته الحكومية وانخرط في مواجهة هؤلاء الطغاة الظالمين. وبعد وفاة والده وهو في مطلع الثلاثينيات من عمره، أدرك الحاجة إلى تأسيس دورية خاصة به لنشر أفكاره، ولمواجهة القضايا المختلفة التي كانت تعيق تقدم المجتمع المسلم، ومن بينها تخلف المسلمين، وضرورة تعليم النساء عامة والمسلمات خاصة، والنضال ضد الظلم الاجتماعي والاقتصادي، ومواجهة استبداد الإقطاعيين والمسؤولين الحكوميين.

وفي يناير 1906 م، بدأ السيد ثناء الله المكتي في نشر مجلة شهرية باللغة المليالمية تحت اسم "المسلم"، والتي كانت منبراً قوياً لنشر أفكاره الإصلاحية والدفاع عن حقوق المسلمين²⁰².

لقد شكّل تأسيس صحيفة "سوديشابماني" اليومية على يد المولوي الوكّمي عام 1905 م علامةً فارقةً في تاريخ الصحافة الهندية، إذ جسّد هذا الحدث إحدى أبرز مظاهر تطلعاته نحو تحرير الهند من براثن الاستعمار. وكان لبعض مقربيه علاقات وثيقة مع القوى الأجنبية، ولا سيما البريطانيين، الذين سهّلوا له استيراد مطبعة متطورة من شركة (Pears Lesly Company - Alappuzha) ونجح المولوي بالفعل في اقتناء أحدث آلة طباعة أوتوماتيكية من إنجلترا مقابل اثني عشر ألف روبية²⁰³، وهو مبلغٌ ضخّمٌ بمعايير ذلك الزمن، فكانت المطبعة متقدمةً على نحوٍ غير مسبوق من حيث التقنية والجودة.

أقيمت المطبعة في بلدة أنجينغو، القريبة من قريته، والتي كانت خاضعةً لحكم شركة الهند الشرقية البريطانية مباشرة. وفي أغسطس من عام 1904 م، افتُتحت الصحيفة رسميًا على يد السيد بايلو بول، قاضي محكمة العدل في أنجينغو. وأُطلق على الصحيفة اسم "سوديشابماني"، وهو اسمٌ حمل دلالاتٍ وطنيةً عميقة، وأثار تطلعات المثقفين والمتعلمين نحو رسالة الصحيفة ودورها الريادي. وقد حظي المولوي بهتنة الكاتب الكبير والعضو البارز في الأسرة الملكية لولاية كيرالا، السيد كيرالا ورما وليا كويل تامبران²⁰⁴، الذي بارك مشروعه الصحفي وأعرب عن دعمه له²⁰⁵.

لم يكن رجلٌ ذو رؤية واسعة وشجاعة أخلاقية كمثّل المولوي ليتجاهل قضايا بلاده، فسرعان ما التفت إلى ما تعانيه ولاية كيرالا من فسادٍ متغلغلٍ في المناصب العليا، ومكائد سياسيةٍ تحاكُّ في دهايز السلطة. ولم يكن من سبيلٍ أمامه إلا أن يجعل من صحيفته منبراً للدفاع عن حقوق الشعب.

ظلت فكرة إنشاء مجلة تراود المولوي حتى قبل افتتاح المطبعة، وحين توثقت علاقته بالكتّاب والخبراء، شرع في إصدار صحيفة "سوديشابماني" من أنجينغو. وكان السيد سي. غوفيند بيلاي أول من تولى رئاسة

²⁰² A.P. Ibrahim Kunju, Mappila Muslims of Kerala, Their History and Culture, pp.210-12.

²⁰³ M. Mohammed Kannu, "Vakkom Moulavi" Chandrika, Vol. 29, part 7, 23 September, 1978.

²⁰⁴ K. Muhammad Kannu, "Muslim Streekalum Vidyabhyasavum", Muslim Mitram. Vol_i, Lakkom 7, Trivandrum, 1927, p. 22

²⁰⁵ M. Mohammed Kannu, "Vakkom Moulavi" Chandrika, Vol. 29, part 3, 26 August, 1978.

تحريرها²⁰⁶، وهو الذي عمل سابقاً في مجلة "كيرالا بانتشيكا". وصدرت الطبعة الأولى للصحيفة يوم 19 يناير 1905م، متخذةً شكل مجلةٍ من ثماني صفحات، حاملةً في طياتها نظرةً قوميةً رائدةً لم تشهدا أي صحيفةٍ ملياليةٍ أخرى في ذلك الوقت، إذ جاءت لتعزز الوعي الشعبي وتوقظ همم أهل كيرالا.

وفي 19 يناير 1906م، تقرر نقل الصحافة من أنجينغو إلى وگم²⁰⁷، لتجاوز الصعوبات التي فرضتها المسافات الطويلة، ما جعل إدارة الصحيفة أكثر سهولة. وعندما كان غوفيند بيلاي يشغل منصب رئيس التحرير في مجلة "أريا بوشانام"، كان المولوي يبحث عن محررٍ جديدٍ لصحيفته، فوقع اختياره على شابٍ واعدٍ يدعى رام كريشنا بيلاي، وهو صحفيٌّ عُرف بتمسكه الصارم بالمبادئ، ما جعله عرضةً للإقالة من قبل عمه، الذي كان يترأس إحدى المجلات الأسبوعية.

التقى المولوي بـراما كريشنا بيلاي، وكانت تلك المقابلة حاسمةً، إذ شعر كلاهما أنه وجد في الآخر شريكاً مثالياً في المبادئ والتوجهات. وضع المولوي ثقته الكاملة في بيلاي، مدركاً أن رؤيته الوطنية والسياسية تتوافق مع تطلعاته. وفي وقتٍ كان العديد من أصحاب الصحف يترددون في تعيين راما كريشنا بيلاي بسبب آرائه الجريئة، أقدم المولوي دون ترددٍ على منحه المنصب، إذ كان بنفسه رجلاً شجاعاً لا يخشى مواجهة الفساد بقوةٍ وحزمٍ.

انتقل بيلاي وعائلته إلى قرية وگم، حيث كان مقر الصحيفة والمطبعة، وانطلق في مهمته الجديدة عام 1906م. وسرعان ما تطورت علاقته بالمولوي، حتى تجاوزت كونها مجرد علاقةٍ بين مالكٍ صحيفةٍ ورئيس تحريرها، لتصبح شراكةً فكريةً وسياسيةً استثنائيةً، جعلت من "سوديشابماني" وبيلاي اسمين مترادفين. وفي النهاية، عُرف بيلاي باسم "سوديشابماني راما كريشنا بيلاي"، وهو الاسم الذي بقي خالداً حتى يومنا هذا²⁰⁸.

طوال مسيرة الصحيفة العاصفة، لم يكن المولوي بحاجةٍ إلى التدخل في سياسة التحرير، إذ كانت تسير بثباتٍ على النهج الذي رسمه لها. وكان التحالف السياسي الذي نشأ بين المولوي وبيلاي منذ عام 1906م بمثابة فصلٍ مجيدٍ جديدٍ في تاريخ كيرالا الصحفي والسياسي، إذ مثّل اتحاد شابين ديمقراطيين راديكاليين آمنوا بحرية الصحافة وقوة الكلمة²⁰⁹.

وتجدر الإشارة إلى أن "سوديشابماني" لم تكن مجرد صحيفةٍ إخبارية، بل كانت أول جريدةٍ ملياليةٍ ترتبط بوكالة الأنباء الدولية "رويتير"، ما جعلها جسراً بين كيرالا والعالم الخارجي، وساهم في ترسيخ مكانتها كمنصةٍ

²⁰⁶ C. K. Kareem, (editor) Kerala Muslim History, Statistics and Directory. Vol. I, p. 427

²⁰⁷ M. Mohammad Kannu, "Vakkom Moulavi" Chandrika, Vol. 29 part 5, 9 September, 1978.

²⁰⁸ C. K. Kareem, (ed.) Kera/a Muslim History, Statistics and Directory. Vol. I, p. 427.

²⁰⁹ Shahul Hameed, "Kerala Muslim Navodhanathinte Sarathikal", Kripa Vol. 4, No.2 Oct 1976, pp. 65- 70.

قوية للإصلاح الاجتماعي والسياسي. ولم يكن المولوي صحفياً فحسب، بل كان وطنياً مخلصاً نادر المثل في كيرالا آنذاك.

نظر المولوي إلى الصحافة كوسيلة لنيل الحقوق الأساسية، بغض النظر عن طبيعة النظام الحاكم، وأمدت مقالاته قراءه بشعور عميق بأنهم يستحقون المطالبة بحقوقهم حتى في ظل أنظمة استبدادية. وكانت تلك الأفكار غير مألوفة آنذاك، لكن "سوديشابماني" تجرأت على تناول تصريحات الحاكم وانتقاد سياسات القصر الملكي بشدة. وتعرضت حياة العائلة المالكة وأعوانهم لنقدٍ لاذع، كما كشفت فضائح البيروقراطيين بلا موارد، ووقفت الصحيفة ومحررها المولوي كمدافعين شرسين عن حقوق الإنسان.

نشرت الصحيفة العديد من المقالات النارية التي سلطت الضوء على الفساد والمظالم، ومن بينها: "أموال المواطنين"، "سيادة الحاشية"، "الخدم الملكي ومملكة ترافنكور"، "القصر الكبير"، "إصلاح ترافنكور"، و"لماذا لا نتمكن من نفي شانكاران تامبي؟"، وغيرها من المقالات التي كشفت المستور ووضعت الحقيقة أمام أعين الناس بلا مجاملة أو تزيف²¹⁰.

كانت المشاعر الوطنية حاضرة دائماً في فكر وقلم المولوي الوكّمي وراما كرشنا بيلاي، إذ اتفقا على معظم القضايا الكبرى التي شغلت المجتمع، غير أن أسلوبهما الجريء ولغة افتتاحياتهما القوية لم تخل من حدة قد تجرح مشاعر من وجهت إليهم الانتقادات. ففي إحدى الافتتاحيات التي نُشرت يوم مهرجان معبد سري بادمانابها سوامي (Sri Padmanabha Swami Temple) في ترفاندرم، استشهد المولوي بقول السيد جون برايت: "إن القصور الفخمة والقلاع المنيفة ليست أبداً معياراً لنمو المجتمعات، إذ تُشيد بأموالٍ جُمعت من الناس".

ومن خلال هذه الكلمات، سعى المولوي وصحيفته إلى تنبيه الحكومة والملك إلى مظاهر الترف والإسراف التي يمارسها الحكام والأمراء الصغار، إضافة إلى المسؤولين في القصر الملكي²¹¹. ولم يكن في الهند بأسرها سوى صحيفتين أو ثلاث تجرأت على اتخاذ مواقف مماثلة، أما في كيرالا، فلم تكن هناك صحيفة تضاهي جريدة المولوي في جرأتها وحماسها الوطني. ولذا، أصبح المولوي ومحرر صحيفته صوتاً يعكس تطلعات عامة الشعب في أرجاء البلاد.

في افتتاحية الصحيفة الأولى، أوضح راما كرشنا بيلاي سياستها ومنهجها قائلاً: "سنظل يقظين دوماً في نقل رغبات الشعب وحقوقه إلى الحكومة، كما سنحرص على إيصال قرارات الحكومة إلى الناس حالما تُتخذ"²¹². فقد كانت الصحيفة بكل ما تحمله من مضمون صوتاً معبراً عن الحقوق الشعبية، ومكرسة لخدمة الجميع

²¹⁰ A.P. Ibrahim Kunju, op. cit., p.245

²¹¹ Swadeshbhimam, (Daily,) (24 October, 1906).

²¹² K. Bhaskara pillai, op.cit., (Mal.), p. 176

دون تمييز. وكما أُشير سابقًا: "لم تشهد ولاية كيرالا من قبل محررًا ومالكًا تعاونًا في هذا التناغم التام كما كان الحال معهما"²¹³.

وعلى الرغم من تخصيص المولوي أعمدة خاصة في صحيفته لتحسين أحوال المسلمين والنهوض بأوضاعهم، فإنه من الخطأ الجسيم القول إن هدفه كان مقتصرًا على رفعة المسلمين وحدهم، كما صُوّر في كثير من الأحيان. فقد خاضت الصحيفة نضالًا حثيثًا من أجل تقدم المسلمين، وسعت إلى تطوير تعليمهم ورفع مستواهم الثقافي. وكثيرًا ما كتب المولوي ومحرره عن ضرورة إنشاء جمعية عامة للمسلمين²¹⁴، مشيرًا إلى أهمية ذلك بقوله: "إن صفحات تاريخ ترافنكور تشهد على أن المسلمين قد استوطنوا هذه الأرض منذ عصور غابرة. بل إن مهاراجا ترافنكور نفسه تلقى مساعدات عديدة من المسلمين في مناسبات كثيرة. وقد كانوا، ولا يزالون، من أهل الثراء، ولهم مساهمات جليلة في تقدم هذه المملكة. لكن من المؤسف أن نجدهم متأخرين في مجال التعليم، ولذلك فإن من الأنسب لهم أن تكون لهم جمعية محمدية عامة خاصة بهم تعنى بشؤونهم وتسهم في نهضتهم"²¹⁵.

الفصل الثالث

الوعي السياسي والالتزام الاجتماعي في حياة المولوي

إن المقالات والآراء التي نُشرت في الجريدة تشهد على الوعي السياسي العميق والالتزام الاجتماعي الراسخ الذي تحلّى به المولوي الوكّمي. ولم تكن الصحيفة موجهة للمسلمين وحدهم، كما يزعم البعض، بل جاءت صوتًا جريئًا للحق والعدالة، مُسَطِّرةً فصلًا جديدًا في تاريخ الصحافة بولاية كيرالا. كانت الجريدة مثالًا للنقد الصريح، والشجاعة الأدبية، والالتزام الاجتماعي، إلى جانب محررها السيد راما كريشنا بيلاي.

لقد خاض المولوي معركة نضالية من أجل حقوق الشعب، ليصبح رمزًا للتطلعات القومية للرجل العادي. واتخذت الجريدة شعارًا يعكس رسالتها السامية: "الخوف، والاعوجاج، والبخل، لا تؤدي أبدًا إلى تنمية الوطن"²¹⁶.

منذ صدورها، أصبحت جريدة المولوي قوة مؤثرة في تشكيل الرأي العام، إذ أضفت نبرةً جديدةً إلى الساحة الإعلامية في كيرالا، نبرةً تتسم بالجدية والجرأة. لم يكن المولوي منشغلًا بعدد المشتركين أو بمسائل

²¹³ Puthupally Raghavan, Kerala Patra Pravarthana Charithram (Mal.) p. 207

²¹⁴ K. Bhaskara Pillai, op. cit., pp. 198-199

²¹⁵ K. Bhaskara Pillai, op. cit., pp. 198-199 .

²¹⁶ Muhammed Kannu, "Vakkom Moulavi" Chandrika Weekly (M). Vol. 29, part 5, 9 September 1978.

الاشتراك، بل كانت غايته الأسى أن تكون الصحيفة صوتًا صارخًا في وجه الظروف الاجتماعية القاسية والمناخ السياسي الفاسد.

كما خصصت الجريدة صفحات للأخبار العالمية، وساهم المولوي نفسه بمقالات ثرية ذات قيمة فكرية عالية، إضافةً إلى أعمدة خاصة لتحسين أوضاع المسلمين في الولاية. وكان قلمه وقلم المحرر الجديد بمثابة سيفٍ بتار ذي حدّين، يشقّ طريقه بشجاعة إلى معازل الفساد والمفسدين، في وقتٍ لم يجرؤ فيه الأقوياء على مجرد الاقتراب. ولم يلتفت المولوي ولا محرره إلى الوراء في مواجهة العقبات والمعارضة، بل واصلوا مسيرتهما بكل عزيمة وإصرار، مؤمنين بأنهما يناضلان في سبيل قضية عادلة، من أجل الوطن وأبنائه.

ومع مرور السنوات، بدأت إدارة ترافنكور تتردى يومًا بعد يوم، حتى عمّ الفساد، واستشرى الظلم في البلاد. ولم تقف الجريدة صامتة، بل نشرت مقالًا ناريًا في شكل رسالة موجهة إلى حاكم مدراس أثناء زيارته لترافنكور، كشفت فيه عن تدهور الإدارة، متهمًا الحاكم، سري مولام ترنال مهاراجا، وديوانه والمقربين منه، بتحويل ترافنكور إلى مستنقعٍ من الفضائح والفساد²¹⁷.

وأصبحت الجريدة منبرًا للمثقفين، تستشرف أفكارهم وتنقل مشاعرهم، مما أدى إلى زعزعة أركان الحكم وإثارة الوعي الشعبي. اتخذت السلطات تدابير مختلفة لإخماد هذا الصوت الثائر، لكن الجريدة استمرت في إيقاظ عامة الناس، وحثّهم على المطالبة بحقوقهم المشروعة. وفي وقتٍ كانت الصحف المليالية الأخرى تُغرق صفحاتها بمدح الحكّام والأمراء²¹⁸، قرر المولوي أن يكون صوت الشعب، وأن يعبّر عن آلامه وتطلعاته بكل صدق وإخلاص.

بدأت الصحيفة تكشف عن مشاعر المثقفين في صفحاتها، فاهتزّت الدولة بطرق شتى، واتخذت تدابير مختلفة لإيقاظ عامة الناس على حقوقهم وامتيازاتهم. وكان المولوي من بين أوائل الذين تقدموا للقتال من أجل قضايا البلاد والعباد، في وقتٍ كانت فيه الصحف المليالية الأخرى في ترافنكور غارقة في مديح الحكّام والأمراء. فقرّر أن يجعل من صحيفته منبرًا يُعبّر من خلاله عن شكاوى الشعب.

شهد العام 1906م نشوء تحالف سياسي جديد بين الديمقراطيين والراديكاليين، وكان للمولوي ومحرره دور أساسي في تشكيل هذا التحالف، مما أرسى فصلاً جديداً ومجيداً في التاريخ السياسي لولاية كيرالا. ولم يسبق للولاية أن شهدت، ولن تشهد لاحقاً، مالگًا ومحرراً يعملان بروحٍ من التعاون والألفة بهذا القدر من التماسك والانسجام²¹⁹.

²¹⁷ C. N. Somarajan and S. Sivadasan, op. cit. Page no.41-42.

²¹⁸ K. Bhaskara Pillai, op.cit., pp. 247 – 248

²¹⁹ Puthupally Raghavan, op.cit., p. 207.

التحق السيد راما كريشنا بيلاي بكلية القانون، مما دفعه إلى نقل المجلة وإدارتها إلى ترافندرم، عاصمة ترافنكور، في عام 1907م. وقد منحته هذه الخطوة فرصة ثمينة لمواصلة دراسته، إلى جانب مراقبة حكومة المهراجا عن قرب. ورغم أن ملكية الصحيفة كانت لا تزال في يد المولوي، فقد منح محررها حريةً مطلقة في إدارتها وتسيير شؤونها. ورغم عدم وجود أي عقود قانونية أو مالية بينهما، لم يتوانَ المولوي عن تقديم كل ما يلزم من دعم مالي لتأسيس الصحيفة وتطويرها.

لم يعتبر المولوي الصحافة مجرد مهنة، بل كان يرى فيها وسيلة لتحقيق تغيير اجتماعي شامل وإصلاح ديني عميق. وكانت من بين القضايا التي شغلت فكره وأيقظت يقظته الساهرة، معاناة عامة الشعب تحت وطأة الحكم الأميري في ترافنكور. فقد كان المسؤولون وأمراء الدولة يمارسون نفوذًا غير منضبط على الناس، الذين وجدوا أنفسهم مضطرين للخضوع والطاعة لحكومة مستبدة لا تعرف الرحمة. وما إن بدأت بوادر الاستبداد وسوء استخدام السلطة الإدارية تتفشى، حتى رفض المولوي أن يظل صامتًا، فتصدى بشجاعة لهذه المظالم، وأطلق حملته ضد الفساد والطغيان.

في ذلك الوقت، لم تكن هناك جهة، سواء فردية أو جماعية، تسعى لنصرة المظلومين أو الإصلاح الاجتماعي، حتى المؤتمر الوطني الهندي (Indian National Congress) كان مترددًا في التصريح بمعارضته للحكومة البريطانية، مكثفًا سياسة الاحتجاجات الخجولة عبر تقديم العرائض إلى المسؤولين. في ظل هذا الواقع، أصبحت صحيفة المولوي صوتًا مضادًا للبيروقراطية، إذ كشفت عن العديد من الفظائع الإدارية والفساد المستشري، مما أثار غضب السلطات²²⁰.

لم يمض وقت طويل حتى دخلت الصحيفة في صراع مباشر مع الحكومة ورجالها في ترافنكور، بعدما بدأت في انتقاد التجاوزات التي يرتكبها بعض المقربين من الملك مهراجا، وسلّطت الضوء على الفساد المتفشى داخل القصر الملكي. وقد تسببت هذه التقارير في إحداث هزة عنيفة في نفوس الناس تجاه الملك والأمراء، حتى باتت الصحيفة تمثل تهديدًا خطيرًا على الدولة²²¹. وكان ذلك بمثابة هجوم مباشر على الديوان وإدارة القصر الملكي. وقد كتب محرر الصحيفة في إحدى الافتتاحيات: "إن الأمن والمحبة والصدق والاحترام هي ما يتوقعه الشعب من حكامه، لكن للأسف الشديد، أصبح الحاكم أسيرًا في شرك بعض المنتفعين، وتصرفاته خاضعة لأوامرهم وإملاءاتهم"²²².

²²⁰ Viswavinjana Kosam, (Mal.), Kottayam Sahitya Pravarthaka Co-operative Society Ltd 1970. Vol. I, p. 435.

²²¹ Swadesabhimani (Editorial) 22 May 1907.

²²² Pillai, G. Mohanan. "Malayalam Journalism and Swadesabhimani's Exile." In *International Congress on Kerala Studies*, Vol. 5, pp. 141–142. Thiruvananthapuram: A.K.G. Centre for Research and Studies.

حرصت الصحيفة على معارضة الفساد، والتصدي للظلم، وكشف عدم كفاءة أي مسؤول، وخاضت معركة لا هوادة فيها من أجل حقوق الشعب. ومن خلال مقالاتها الافتتاحية، حثت المواطنين على تشكيل منتدى شعبي يُعنى بطرح المطالب الجماعية، كما سعت إلى تعزيز النهضة الثقافية والصحة الاجتماعية في المجتمع بأسره. ولم يمر وقت طويل حتى أصبحت الصحيفة محط أنظار الجميع، حكومةً وشعباً.

اتسمت لغة الصحيفة وأسلوبها بالحدة والاستفزاز، وهو ما أثار زعر الأمير والديوان، وأثار حنق أولئك الذين كانوا يتراقصون على أنغام الأمير راجا غوفال آجاري. حاولت السلطات قمع الصحيفة، وهددت محررها، وأرسلت تحذيرات مشددة إلى صاحبها المولوي بشأن العواقب الوخيمة التي قد تنجم عن استمرار هذا النهج الجريء.

لكن المولوي لم يكن من أولئك الذين يتراجعون أمام التهديدات، بل ظل ثابتاً على مواقفه، ووقف بكل شجاعة إلى جانب محرره²²³. وقال متحدياً: "أنا أشاركه في آرائه، وليس لدي أي عداوة شخصية ضد أحد، وكذلك الأمر بالنسبة إلى المحرر بيلاي. ومن واجب الصحيفة أن تفضح كل ما يتعارض مع مصلحة الشعب، وهذا ما يقوم به راما كريشنا بيلاي بكل نزاهة وشجاعة²²⁴."

لقد كانا يستشيران بعضهما بعضاً في الأمور المهمة، ويستمدان من بعضهما القوة والشجاعة في مواجهة الأزمات. وهكذا أصبحت الصحيفة، بقيادة المولوي ومحرره، أشبه بصاروخ موجّه ضد أولئك المسؤولين الفاسدين الذين أثاروا الجدل وعبثوا بمقدّرات الدولة.

الفصل الرابع

حرية الصحافة والتحرير واعتقال المحرر وذكريات زوجة المحرر

تعدّ حرية الصحافة وحرية التحرير من الركائز الأساسية لأي نهضة فكرية وإصلاحية، فهما الضامن لاستقلالية الكلمة وصدق الرسالة. وقد التزم المولوي بهذه المبادئ، مدافعاً عنها دون تردد، ورافضاً أي تدخل قد يحدّ من حرية النشر أو يؤثر على مصداقية الكلمة. كانت الصحافة بالنسبة له سلاحاً في وجه الظلم، ومنبراً للتوعية والتجديد، لا أداة خاضعة لمساومات السياسة أو إملاءات السلطة.

²²³ K. Bhaskara pillai, op.cit. P. 176.

²²⁴ M. Muhammad Kannu, Vakkom Moulavi, 1981, p.49.

لم تُسجل أي خلافات بين المولوي ومحرره Rama Krishna Pillai بشأن حرية الصحافة أو حرية التحرير، بل كان يحترم آراء محرره ويقدر اجتهاداته، معتبراً إياه شريكاً في مشروعه الإصلاحي²²⁵. وتشهد زوجة المحرر، السيدة Kalyani Amma، على العلاقة الوثيقة التي جمعت بينهما، حيث كانت قائمة على الاحترام والتفاهم المتبادل. غير أن هذه العلاقة الودية أزعت أصحاب السلطة، الذين رأوا في الصحيفة خطراً على نفوذهم.

ذات يوم، كتب Rama Krishna Pillai افتتاحية حادة تنتقد حكم الديوان الأميري، مما أثار قلق شقيق المولوي الذي خشي من انتقام السلطة. وعلى إثر ذلك، أرسل المولوي رجلاً إلى Neyyattinkara حيث يقيم المحرر، طالباً منه تعديل المقال تجنباً للعواقب. ومع ذلك، لم يتدخل المولوي في جوهر النص، بل سمح بنشره كما هو بعد التعديل²²⁶. ورغم هذا الحذر، واصلت الصحيفة نهجها الجريء في فضح ممارسات الحاكم Rajagopala Ayyangar، الذي تولى منصب Diwan عام 1907م، فنشرت مقالات لاذعة هاجمت سياساته الاستبدادية²²⁷.

نتيجة لهذه المواجهات، اعتبرت السلطة المولوي ومحرره أعداءً خطرين. وبلغ الأمر حدّ محاولة شراء المطبعة بمبلغ مغرٍ لوقف نشاط الصحيفة، لكن المولوي رفض الوقوع للإغراءات. ومع تصاعد التوتر، بدأت حكومة Travancore في البحث عن ذريعة لمعاقبة الجريدة، خاصة بعد عام 1910م، حيث باتت مقالاتها كحُبوب مرّة لا يستطيع أمراء البلاد وديوان الحكم ابتلاعها.

وفي السادس والعشرين من سبتمبر عام 1910م، استخدمت الحكومة سلاحها الأخير، حيث ألقت القبض على السيد راما كريشنا بيلاي، محرر صحيفة سوديشا بيماني، بتهمة إثارة الفتنة ضد الدولة. وبصفته مالك الصحيفة، وقف وكمّ محمد عبد القادر المولوي خلف محرره بكل تأييد ودعم، كالبنيان المرصوص، متجسّداً كالصخرة التي لا تترجح أمام العواصف. كما تمت مصادرة مطبعة الصحيفة التابعة له.

وبعد محاكمة صورية²²⁸، صدر الحكم بنفيه مدى الحياة إلى مقاطعة تيرونلفلي (Thirunelveli) في ولاية مدراس، الخاضعة آنذاك للحكم البريطاني. وتم تنفيذ الاعتقال على يد مفتش الشرطة البريطاني السيد جورج²²⁹، برفقة ثلاثة مسؤولين كبار آخرين، دون إصدار مذكرة توقيف رسمية²³⁰. وبعد احتجازه، اقتادته الشرطة مباشرة إلى منفاه، حيث انضمت إليه عائلته لاحقاً وانتقلوا إلى منزل مستأجر في مدراس.

²²⁵ K. Bhaskara Pillai, op.cit., p. 274

²²⁶ Vadayil Sadasivan, Anaswara Prathibhakal, (Mal), p. 52

²²⁷ Ramakrishna Pillai (ed.), Swadesabhimani (Editorial) 6 June 1909

²²⁸ K. Bhaskara Pillai, op.cit., pp. 278-283.

²²⁹ R. Ramakrishnan Nair, Constitutionalism in Travancore and Cochin, Kerala Historical.

²³⁰ The arrest was undertaken by the Superintendent of Police, F.S.S George (British), Inspector R Achuthen Pillai, Inspector B Govinda Pillai and Inspector Pichu Aiyangar.

أحدث هذا الاعتقال ضجة كبرى في الأوساط الصحفية، وأبدت العديد من الصحف الهندية ردود فعل غاضبة، منددةً بهذا الإجراء التعسفي الذي لم يقتصر على نفي المحرر، بل شمل أيضًا مصادرة الصحيفة والمطبعة. ورغم هذه المحنة، ظل المولوي الوكّمي وفيًا لصديقه ومحرره راما كريشنا بيلاي، وحافظ على صداقته معه إلى الأبد.

كان محمد عبد القادر المولوي قوميًا صلبًا، استلهم روح الوطنية من مهاتما غاندي عندما زار ولاية كيرلا خلال نضال الهند من أجل الاستقلال. وكان لقاءه الأول بغاندي نقطة تحول فارقة في حياته، إذ بدأ يرى في القومية الهندية قوة عظيمة لا نظير لها، وآمن بأن الحرية حق فطري للإنسان، وهي جوهر تاريخه ومسعاها الأزلي. ولا شك أن المولوي الوكّمي وصحيفته سوديشابيماني قد خلّدا بصمة لا تُمحي في مسيرة الحركة القومية بولاية كيرلا، إذ كانت الصحيفة مصدر إلهام للكفاح الوطني، وساهمت في تحفيز الشعب على النضال من أجل الاستقلال.

رحل راما كريشنا بيلاي في منفاه، فيما صدأت المطبعة خلف جدران السجن المركزي في تريفاندرم (Trivandrum Central Jail) غير أن هذه الأحداث الأليمة لم تفتّ في عضد المولوي الوكّمي، إذ كان على يقين بأن الصحفي الحقيقي الذي يرفض الخضوع للحكم الفاسد قد يواجه مصيرًا كهذا. لم يسعَ لطلب العفو أو استعادة الصحيفة والمطبعة كما فعل بعض الجبناء، بل أنشأ مطبعة أخرى لمواصلة رسالته. وعندما سُئل عن سبب رفضه المطالبة باسترداد ممتلكاته، أجاب بكل شموخ: "لا أريد الصحيفة والمطبعة من دون راما كريشنا بيلاي". ورغم أن مصادرة ممتلكاته شكّلت خسارة مادية جسيمة²³¹، فإن فراق صديقه وزميله كان أكثر إيلاّمًا من أي خسارة أخرى²³².

ورغم قصر عمرها، فإن صحيفة سوديشابيماني، ومحررها، ومالكها، نجحوا في إحداث تغيير عميق في مسار الصحافة والإعلام في الهند، مرسّخين بذلك نهجًا جديدًا في حرية التعبير والمقاومة الفكرية. واستغرق الأمر أكثر من خمسين عامًا لتغيير هذا الواقع، حتى قررت حكومة ولاية كيرلا عام 1957م تكريم ذكرى راما كريشنا بيلاي بإقامة تمثال له وسط مدينة تريفاندرم، وإعادة المطبعة إلى عائلته. وفي 26 يناير 1968م، سلّم رئيس وزراء كيرلا آنذاك، السيد إي. إم. إس. نامبوديرباد، المطبعة إلى ورثة المولوي الوكّمي خلال حفل عام خُصص لهذه المناسبة، بعد ستة وثلاثين عامًا من رحيله.

وفي العدد التذكاري الخاص بجريدة سوديشابيماني، كتبت السيدة كَلِّياني أمّه، زوجة المحرر راما كريشنا بيلاي، مقالًا بعنوان "صاحب جريدة سوديشا بيماني للنشر والصحافة"، تناولت فيه ذكرى وكم محمد عبد القادر المولوي، وقالت: "لقد أظهر المولوي تصميمًا هائلًا وصمودًا من عام 1905 حتى نهاية سبتمبر

²³¹ Shahul Hameed, "Kerala Muslim Navodhanathinte Sarathikal", Kripa Vol. 4, pp. 65 - 70.

²³² Kunnathu Janardhana Menon, Swadesabhimani, (Mal.), Vol. 1, part 3, (1996), p. 49.

1910، وكان بحق رجلاً جوهرياً. لا يمكن الحديث عن ذكريات سوديشا بيماني دون الإشارة إليه، ولكن في الحقيقة لا أدري ما الذي يمكنني كتابته عنه على وجه الدقة". وكانت علاقتي به محدودة وبعيدة، لكنني سأروي ما شهدته وما عرفتته عنه من خلال زوجي.

وفي عام 1906، انضم زوجي إلى الصحيفة، وكان المولوي نفسه قد زار منزلنا في تريفاندرم في ذلك العام، ودعاه لتولي منصب المحرر، ثم اصطحبنا إلى قرية وكم، حيث كان عليّ العودة لاحقاً إلى تريفاندرم. وخلال تلك الفترة، حين زار المولوي منزلنا، وحين أقمت في قرية وكم لبعض الوقت، سنحت لي الفرصة لأن أراه عن بُعد وأكوّن انطباعاً عنه. كنت دائماً أعتبره وأحترمه كأخ كبير.

حين عدت إلى قرية وكم في العام نفسه، سكنا في منزل مجاور لمنزل المولوي. كان في معظم الأمسيات، بعد عودة زوجي من المطبعة، يزورنا المولوي، فيجلسان معاً في شرفة المنزل، يتبادلان الحديث في شتى المواضيع، بينما أستمع إليهما من الداخل. كان دائم القلق على راحتنا ورفاهيتنا.

كان المولوي رجلاً رقيق الحديث، دائماً ما يرتدي الثياب البيضاء. رأيته مراراً يسير وحيداً أو برفقة أصدقائه. في ذلك الزمن، لم يكن هناك توتر بين الهندوس والمسلمين، بل على العكس، كانت العلاقة بين زوجي والمولوي تتجاوز حدود الصداقة، فقد شكلاً مثلاً حياً للأخوة والمودة الحقيقية²³³.

خلال إقامتي في وكم، التقيت بوالدة المولوي وأخواته، وكُنّ يرسلن الخدم لدعوتي إلى منزلهن، حيث كنّ يلتزمن بنظام الحجاب، مما حدّ من تنقلاتهن. رغم ذلك، استمتعت بكرم ضيافتهن، وما زلت ممتنة لأمّ المولوي لعاطفتها الأمومية تجاهي، خاصة أثناء فترة حملي آنذاك.

وفي يوليو 1907، نُقل مكتب الصحيفة إلى تريفاندرم، حيث مُنح زوجي حرية كاملة في إدارتها، رغم أن المولوي بقي مالئاً لها من الناحية الرسمية، دون أي عقد قانوني أو اتفاق مالي بينهما. ومع ذلك، لم يبخل المولوي بأي دعم مالي لإنشاء الصحيفة هناك. وكان زوجي مصممًا على أن يسدد له ما قدمه لاحقاً، لكنه لم يتمكن من ذلك لسببٍ أو لآخر.

ظلّ المولوي يزور تريفاندرم بين الحين والآخر للقاء زوجي، لكن الأخير كان منشغلاً بعمله على الدوام، وكنت أرى في عينيه ندمًا على عدم توفر الوقت الكافي لقضائه مع المولوي. وبعد وفاة الملك شري مولام تزنال عام 1925، عدتُ إلى ترافنكور بعد نفي زوجي. في تلك الفترة، حالفني الحظ بلقاء المولوي مرة أخرى.

ذات يوم، خلال رحلة لي بالقطار من كولام إلى تريفاندرم، جاء بعض أصدقائي لاستقبالي في محطة جرينكيز، وأشاروا إلى رجل يقف بجانبني وسألوني إن كنت أتذكره. حدّقتُ فيه للحظات، ثم عرفتته، لقد كان المولوي

²³³ ظهر هذا المقال في عدد خاص تذكاري صدرت خلال المناسبة.

نفسه! قلت له إنني سأعود إلى كولام بعد أيام قليلة، وأني أرغب في لقائه مجددًا. وعندما عدت إلى منزل ابني في كولام، جاء المولوي لزيارتي، وتحدثنا لنصف ساعة تقريبًا. تأثرنا كثيرًا ونحن نستذكر الأيام الخوالي، وكنا على وشك البكاء. لم أستطع الاستمرار في الحديث.

قبل أن يغادر، قال لي بحزن: "لقد أُجبرتُ على تقديم استئناف لاسترجاع المطبعة، لكنني لم أستسلم أبدًا. لماذا أحتاج إلى المطبعة دون محرري؟" ثم استدار ورحل، بينما بقيت أنا صامتة، لا أجد ما أقول. علمتُ لاحقًا أن الحكومة قررت إعادة ما تبقى من المطبعة إلى ورثتها، وأن هناك وريثًا مناسبًا لها، وهو ابن المولوي، السيد وگم عبد القادر. أمل أن تقوم الحكومة بعملٍ منصف، وأن تعيد إليه ما كان مستحقًا لوالده دون تأخير.

من المؤكد أن المطبعة ستساعده كثيرًا، فهو أيضًا صحفي وكاتب، وأتمنى له التوفيق. وختامًا، أقدم كل احترامي لرجل نبيل، كان مثالًا للثقافة والحكمة والعلم، وصاحب قلب صادق²³⁴.

الفصل الخامس

دور الجريدة والترجمة في مجال الإصلاح الديني في حياة المولوي الوگمي

احتفظت جريدة *سواديشا بيماني* منذ تأسيسها وحتى نهايتها بصبغتها النقدية المميزة، دون خوف أو محاباة. وحظيت برعاية وتوجيه العديد من الشخصيات المحترمة والمشهورة آنذاك، كما أشرنا سابقًا. وقدمت الجريدة نبرةً جديدةً ومتميزة للأشخاص الساعين إلى التجديد، مما جعل كل طبعة منها تبدو رائعة ومثيرة للاهتمام.

لم ينشغل المولوي كثيرًا بقضايا الاشتراكات والتمويل، بل أهمل هذه الجوانب تمامًا، مفضلًا التركيز على رسالته الفكرية والإصلاحية. ووجهت الصحيفة انتقادات لاذعة للظروف الاجتماعية والمناخ السياسي السائد، ومع ذلك خصصت صفحات خاصة لنقل الأخبار الأجنبية. كما تضمنت ترجمة العديد من المقالات والبحوث العلمية، التي نُشرت في مجلة *المنار* لصاحبها الشيخ رشيد رضا، وذلك بشكل متكرر. وعلى الرغم من كونه مدير التحرير، ساهم المولوي شخصيًا في كتابة العديد من المقالات للجريدة.

خلال مسيرته مع *سواديشا بيماني*، لم يغفل المولوي أهمية الصحافة في تحقيق الإصلاح الديني. فقد كان متأثرًا بالأحداث العالمية وتأملاته الفكرية، واستلهم الكثير من تعاليم كبار العلماء والمصلحين، مثل شيخ

²³⁴ الكاتبة كما ذكرنا في الأول زوجة السيد/ راما كرشنا بيلاي محرر الجريدة، ظهر هذا المقال في عدد خاص تذكاري صدرت خلال المناسبة.

الإسلام ابن تيمية، والشيخ محمد بن عبد الوهاب، والإمام شاه وليّ الله الدهلوي، والسيد جمال الدين الأفغاني، والشيخ رشيد رضا، والسيد أحمد خان وغيرهم.

وبهذه الخلفية الفكرية، أسس المولوي عام 1906م دار الطباعة الإسلامية في وكم، وأطلق مجلة ثقافية دينية موجهة إلى المسلمين. بدأت المجلة كإصدار شهري، ثم تحولت لاحقاً إلى مجلة أسبوعية استمرت في الصدور لمدة تسع سنوات. كان الهدف الأساسي منها نشر المفاهيم الإسلامية الصحيحة، وتعزيز العقيدة بين عامة المسلمين²³⁵.

سافر المولوي في مختلف أنحاء ترافنكور، والتقى بأدباء وعلماء من مناطق ترافنكور، وملبار، وكوشين، إضافة إلى عدد من الشخصيات البارزة والمثقفين المعاصرين. أفادته هذه الرحلات كثيراً، إذ أتاحت له فرصة استكشاف الأوضاع الاجتماعية والسياسية في ولاية كيرلا، وإقامة علاقات ودية مع النخب الفكرية آنذاك. وقد تحقق حلمه بإطلاق المجلة الإسلامية في يناير 1906م، وسعى من خلالها للقضاء على الممارسات الخرافية والبدعية المنتشرة في المجتمع المسلم.

كانت مقالات المولوي وأبحاثه تنطلق من أسس القرآن الكريم والسنة النبوية، متجلية في فكر إسلامي أصيل يعكس عظمة التوحيد ونقاء العقيدة. وقد أحدثت كتاباته صدى واسعاً بين الناس، خاصة في ظل انتشار التقليد الأعمى لرجال الدين وقادة البدع في ولاية كيرلا²³⁶. إذ لم يسمح القادة المسلمون الأرثوذكس لعامة الناس باعتناق نور الحق، مما أبقاهم في ظلمات الجهل. إلا أن المولوي استخدم أعمدة صحيفته كسلاح فكري لإيقاظ المسلمين من غفلتهم. وقد جاءت تصحيحاته بأسلوب أدبي بليغ، يجمع بين الإقناع والمنطق، مما جعله أحد أبرز رواد الإصلاح الديني والصحفي في عصره.

الفصل السادس

محاولة المولوي لترجمة القرآن وتعليم الإسلام عبر المجلة

لقد سَهَّلَ المولوي دراسة القرآن الكريم بجهدٍ دوؤبٍ وتفانٍ لا يعرف الكلل، فقسَّمه إلى أجزاء ليسهل على الدارسين استيعابه وفهم معانيه العميقة. وبفضل هذا النهج، أصبح حتى الإنسان العادي قادراً على إدراك الجمال الحقيقي والجوهر العميق للقرآن الكريم. لقد كشفت كتاباته الدينية عن معرفة واسعة وتأملي عميق في النصوص القرآنية، حيث قدم رأيه بأسلوب واضح ومقنع، مما جعلها في متناول الجميع، حتى لمن لا يملكون خلفية دينية متخصصة.

²³⁵ 4 "Anniversary of banishment". The Hindu (September 27, 2004).

²³⁶ "Swadesabhimani awards announced". The Hindu (July 30, 2006).

أما مجلة المسلم، فقد تناولت موضوعات حيّة ومتنوعة ذات أهمية معاصرة، تطرق فيها إلى الفلسفة الإسلامية في مختلف القضايا، وقد شملت مواضيعها عناوين بارزة مثل: "ضرورة الدين"، "الله وحده صاحب الحق"، "مبادئ الإسلام"، "الموضوع الحكيم"، "نظرية التوحيد"، "البعث بعد الموت"²³⁷ وغيرها من القضايا الجوهرية التي تمس جوهر العقيدة الإسلامية.

ومن أبرز أعمدة المجلة كان قسم السؤال والجواب، حيث تكفل المولوي شخصيًا بالإجابة على أسئلة القراء المختلفة، متناولًا مسائل العقيدة والشريعة بأسلوب بسيط وعميق في آن واحد، بهدف تقريب المبادئ الإسلامية لعموم الناس وتعزيز فهمهم لعلوم القرآن الكريم وأحكام الدين. لم تكن ردوده مجرد إجابات جامدة، بل جاءت بأسلوب مشوّق وطبيعي، يستهدف إزالة الالتباس ونشر روح الإسلام الصافية. كما استُخدم هذا القسم للقضاء على الممارسات الباطلة التي جعلت الإسلام محلّ سخريّة بين بعض الفئات.

وفي ذات السياق، سعى المولوي إلى إزالة الشكوك التي أحاطت بمسألة "أولياء الله"، محاربًا الادعاءات التي نسبها البعض إلى أشخاص يزعمون امتلاك صفات إلهية، وكانت هذه الإصلاحات الدينية والاجتماعية، المستندة إلى الروح الإسلامية الأصيلة، مصدر قلقٍ للمسلمين التقليديين. لكن في المقابل، لاقت هذه الجهود استحسان الشباب المسلم، الذين كانوا يسعون بصدقٍ إلى فهم الإسلام في صورته النقية، مما جعلهم يلتفون حوله بحماس وإيمان عميق. وبينما واجه المولوي معارضةً شديدة من رجال الدين المحافظين، وجد دعمًا قويًا بين فئة الشباب المتعلمين، الذين رأوا في حركته الفكرية بريق الأمل لإحياء الإسلام على أسسٍ صحيحة.

وكما أشرنا سابقًا، كانت للمولوي علاقةً وطيدة بمجلة المنار المصرية، التي أسّسها العلامة سيد رشيد رضا، حيث كان مكتب المنار يرسل له نسخةً من كل عددٍ جديد، مقابل تلقيه نسخةً من مجلة المسلم وفق نظام تبادلٍ فكري²³⁸. لقد استفاد المولوي كثيرًا من مقالات المنار، فقام بترجمتها إلى لغة المليالم، ناشرًا المعرفة بين مسلمي كيرلا، الذين تمكنوا عبر مجلة المسلم من الاطلاع على قضايا العالمين العربي والإسلامي، والتعرف على المستجدات الفكرية والحضارية خارج حدودهم. وهكذا، أصبح المولوي نافذةً تطل منها كيرلا على الحركات الفكرية والإصلاحية في العالم الإسلامي، مما مكّن مجلته من أن تلعب دورًا أساسيًا في تحديث وتجديد المجتمع المسلم في تلك المنطقة.

وفي الوقت الذي كانت فيه صحيفة سوديشايماني تعالج القضايا الاجتماعية والمشاكل العامة، ركزت مجلة المسلم على البعد الديني للإسلام، مقدمةً طرحًا جديدًا للمجتمع المسلم في مسائل الدين والتجديد

²³⁷ S. Mohammed Abda, Vakkom Moulaviyude Thiranjedutha Krithikal (Mal.), pp. 65-84.

²³⁸ M. Mohammed Kannu, "Vakkom Moulavi" Chandrika, Vol.29, part 33, 24 March, 1979

الفقهي. وبينما تبنت سوديشايبماني رؤيةً سياسية عالمية، جاءت مجلة المسلم لتكون منبراً للنهضة الدينية، تحت إشرافٍ مباشر من المولوي، الذي أشرف عليها بصفته المسؤول الأول عن توجيهها الفكري واللاهوتي.

ورغم اختلاف التخصص، إلا أن المجلتين اتحدتا في موقفهما ضد رجال الدين المتزمتين والكهنوت، سواء في القضايا الدينية أو القومية. وحتى قبل حظر صحيفة سوديشايبماني، كان المولوي يفكر جدياً في إطلاق مجلة مخصصة للمسلمين وحدهم، تعالج قضاياهم الفكرية والعقدية بعيداً عن التأثيرات الخارجية.²³⁹

لا شك أن صحيفة سوديشايبماني لعبت دوراً محورياً في إيقاظ الوعي القومي بين الأقليات المهمشة، سواء من المنبوذين أو المسلمين أو بعض طوائف الهندوس، لكنها لم تكن على مستوى الرؤية التي كان يتطلع إليها المولوي. فقد كان مستوى التعليم بين المسلمين في كيرلا متدنياً، وكان المجتمع لا يزال يرزح تحت قيود الفكر التقليدي الذي قصر اهتمامه على الأنشطة التجارية فقط، بعيداً عن أي نهضة فكرية أو إصلاح ديني.

وبعد مصادرة الصحيفة، ركّز المولوي جهوده على الجوانب الاجتماعية والثقافية، فأصبح قائداً بارزاً يسعى لإحياء المجتمع الإسلامي من بحر الجمود والتخلف، قاد مسيرة التغيير من خلال إصدار الكتب والمنشورات، وتأسيس الجمعيات، وتدريب قادة المستقبل، حتى أصبح المسلمون في كيرلا قادرين على النهوض بمجتمعهم. غير أن هذه المسيرة الإصلاحية لم تكن بلا ثمن، فقد ضحّى المولوي بثروته كلها في سبيل تحقيق رؤيته الإصلاحية، ولم ينل في المقابل إلا شرف الجهاد في سبيل العلم والدين.

الفصل السابع

المولوي الوكّمي: رائد النهضة الاجتماعية والدينية في كيرالا

يُعدّ وكمّ محمد عبد القادر المولوي الأب الروحي للنهضة الاجتماعية والدينية لمسلمي ولاية كيرالا، إذ استلهمت جميع حركات الإصلاح الإسلامي التي نشأت لاحقاً في الولاية من فكره وتوجهاته²⁴⁰. وكما يصفه الدكتور إ. ك. أحمد كوتي، فقد كان شخصية متقدة الفكر، متعددة المواهب، غزيرة الإنتاج، لم يقتصر دوره على كونه ناشراً فحسب، بل أبدع أعمالاً ذات قيمة دائمة، تضمنت تأملات ناضجة في القضايا الدينية، إلى جانب معالجة دقيقة للعديد من المسائل الجوهرية والتحديات المعاصرة.

كان المولوي مدرّكاً تماماً لأهمية الفكر في بناء الشخصية، فحرص على نشر الأفكار الإصلاحية عبر الصحف والمجلات. ومن هذا المنطلق، أطلق مجلة المسلم عام 1906م، التي بدأت كمجلة شهرية، ثم تحولت إلى

²³⁹ Sadasivan, Vadayil, Anaswara Prathibhakal, Trivandrum, Veena Publishing Company, 1978, p. 59

²⁴⁰ E. P. Ahmad Kutty, 1995. Kerala Muslims - A Historical Perspective, Asgar Ali Engineer, Delhi: Aganta Publications, pp.72-73.

إصدار أسبوعي²⁴¹. ومن خلال أعمدها، شدد المولوي على ضرورة توسيع نطاق التعليم الحديث، مع التركيز على تحسين مستوى التعليم الديني.

لم تكن جهوده مجرد دعوة نظرية، بل خاض معركة فكرية وإصلاحية حقيقية عبر صفحات مجلته، معتمداً على منهج يستند إلى المصادر الدينية. وبفضل حملته المستمرة في أرجاء الولاية، أصدر المهارجا مرسومًا ملكيًا يقضي بإدخال تدريس اللغة العربية في جميع مدارس الدولة التي تضم طلبة مسلمين. كما مُنح الطلاب المسلمون امتيازات في الرسوم الدراسية، فيما تم إعفاء الفتيات المسلمات من دفع الرسوم تمامًا، دعمًا لحقهن في التعليم.

لم يتوقف المولوي عند هذا الحد، بل إبتدأ بنفسه لتأليف كتب مدرسية للأطفال في تعليم اللغة العربية، كما وضع دليلًا لتدريب معلمي العربية في المدارس الابتدائية. واستجابةً لجهوده الحثيثة، سارعت حكومة الولاية إلى تأسيس امتحانات تأهيلية لمعلمي اللغة العربية، وعيّنته رئيسًا للجنة الامتحانات.

أدرك المولوي أن كتاباته الإصلاحية، رغم انتشارها عبر مجلة المسلم، لم تصل إلى جميع فئات المجتمع، إذ أن شريحة واسعة من المسلمين لم تكن تتقن اللغة المليالمية الفصحى، بينما كانت الغالبية قادرة على قراءة العربية²⁴². وكان من المؤلف آنذاك أن تُنظر إلى اللغة المليالمية وكأنها لغة هامشية، مما جعل إتقانها شرطًا أساسيًا للنهل من العلوم الحديثة.

وإيمانًا منه بأهمية إيقاظ الوعي لدى المسلمين، أطلق مجلة الإسلام الشهرية، التي كُتبت بالمليالمية باستخدام الحرف العربي، مستهدفًا بذلك شريحة واسعة من القراء، وخاصة النساء المسلمات، اللواتي كنّ ملهمات بالخط العربي. ولتحقيق هذا الهدف، اشترى مطبعة حجرية ليثوغرافية، وتولى بنفسه رئاسة تحرير المجلة، حيث كتب معظم مقالاتها، مما جعلها أشبه بمنبر يعكس رؤيته الإصلاحية بعمق وقوة²⁴³.

خلدت هذه المجالات سيرة المولوي الوكّمي في التاريخ الاجتماعي والثقافي لكيرالا، إذ شكّلت صرحًا فكريًا استنار به المسلمون في سعيهم نحو التقدم. وقد كان للمولوي تأثير بالغ بمجلة المنار الإصلاحية التي صدرت في القاهرة، والتي حملت أفكار الشيخ محمد عبده (1849-1905م) وتلميذه السيد رشيد رضا (1866-1935م). ولخص المولوي أثر المنار في نفسه بقوله: "لقد حفزني مجلة المنار وأعطتني روحًا جديدة، ومن أجل نشر أفكارها أطلقت مجلة الإسلام"²⁴⁴.

²⁴¹ Al Islam, Book 1, Lakkam 1, April 1918, pp. 1- 2.

²⁴² Al Islam, Book 1, Lakkam 1, April 1918, pp. 1- 2.

²⁴³ Mohammed Abda (ed.) VakkomMauivivude TiranieduttaK.rithikal (Mal.) p. 26.

²⁴⁴ M. Muhammad Kannu, Vakkom Moulavivum Navodhana Nayakanmarum (Mal.), 1982, p. 5.

وهكذا، غدت مجلة الإسلام صوت الإصلاح والتجديد في ربوع كيرالا، إذ كانت تُترجم مقالات المنار إلى العربية المليالمية، وتنشر روح النهضة الفكرية بين المسلمين. وبفضل جهوده المخلصة، صار المولوي رمزًا خالداً للإصلاح والتنوير، وعلمًا بارزًا في سجل النهضة الفكرية لمسلمي الهند.

وكان الأسلوب واللغة في مجلة "المسلم" جديرين بالتأمل والإعجاب. وكما أشرنا سابقًا، فقد شرع المولوي في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة المليالمية بأسلوب بسيط وميسر، ليكون في متناول عامة الناس، مسلمين وغير مسلمين على حد سواء، مما أتاح لهم فهم المبادئ الأساسية للقرآن الكريم بسهولة ويسر²⁴⁵. وكانت مجلة "الإسلام" تُولي اهتمامًا خاصًا بالتعليم الثقافي والديني للمرأة المسلمة، فصدر منها خمسة أعداد تركت أثرًا بالغًا في شريحة واسعة من المسلمين. غير أن المولوي، وللأسف الشديد، لم يتمكن من مواصلة إصدارها بسبب العجز المالي وغياب الإدارة الداعمة.

وفي المقابل، لم يخلُ طريقه من التحديات، إذ شنّ رجال الدين والكهنة حملة شرسة ضد أنشطته الإصلاحية، محاولين إحباط مساعيه بكل وسيلة. ورغم هذه العوائق، واصل المولوي جهوده، وفي مطلع العشرينيات من القرن الماضي، أسس منظمة "مسلم أيكيا سנגام" (Muslim Aikya Sangam)، التي أصبحت منبرًا هامًا لوحدة المسلمين وإصلاح شؤونهم. ولم يقتصر دوره على ذلك، بل قاد المبادرة لإنشاء أول بنك إسلامي في ولاية كيرالا، ليكون ركيزة اقتصادية تدعم المسلمين وفق أحكام الشريعة.

لكن الشيخ المصلح لم يسلم من الزمن، فبدأت صحته في التدهور وهو في الخمسينيات من عمره، في الوقت الذي استنزفت فيه الثروة التي ورثها عن والده، غير أن عزمته لم تلن، وإرادته لم تخر، بل ظل ثابتًا في مهمته، لا يحيد عن رؤيته في تحديث المجتمع المسلم، والكفاح من أجل الحقوق الديمقراطية لأبناء أمته. وإلى جانب قيادته الفكرية، كان رجلًا دقيقًا في عمله الصحفي، إذ امتلك دارين للنشر؛ الأولى "دار النشر الإسلامية"، التي أسسها عام 1931م، والثانية "أهل السنة والجماعة"، والتي خُصصت لأعمال الترجمة.

حرص المولوي على نقل الفكر الإسلامي للأجيال القادمة، فقام بترجمة وطباعة العديد من المقالات والكتب على نفقته الخاصة، وكانت ترجمة معاني القرآن الكريم من أبرز إصدارات "دار النشر الإسلامية"، إلى جانب كتابه "فلسفة الإسلام" (Islamic Philosophy)، الذي كان في الأصل سلسلة مقالات نُشرت في مجلة "المسلم". ولم يكن تأسيس دار نشر تخدم الأقلية المسلمة -التي كان معظم أفرادها من الأميين آنذاك- سوى مغامرة جريئة، لكنه خاضها بروح جهادية وإيمان راسخ بضرورة نشر العلم.

وفي خضم انشغاله بالكتابة والترجمة، أطلق المولوي مجلته الشهيرة "ديبكا" (Deepika)، التي تعني "الشعلة"، فكانت منبرًا فكريًا راقيًا يتناول القضايا الدينية والثقافية والسياسية، فضلًا عن المقالات

²⁴⁵ Kannu, M. Mohammed. "Vakkom Moulavi." *Chandrika Weekly*, vol. 29, no. 8, 30 September 1978.

الأدبية التي جذبت جمهورًا واسعًا من القراء. وفي صفحاتها، نشر المولوي ترجمةً مليامية لمعاني القرآن الكريم، مرفقةً بشرح مختصر، إلى جانب النص العربي المكتوب بخط أنيق أبدع في تخطيطه بنفسه²⁴⁶. كان هذا المشروع أكبر طموحات حياته، لكنه لم يكتب له إتمامه، إذ شاءت الأقدار أن يرحل قبل أن يحقق حلمه الأعظم.

آمن المولوي بأن القرآن الكريم ليس حكرًا على المسلمين، بل هو رسالة سماوية للإنسانية جمعاء، فحرص على نشره وترجمته بأسلوب واضح وسلس²⁴⁷. ولم يقتصر جهده على القرآن فحسب، بل قدّم في مجلته "ديبكا" ترجمةً لكتاب "العالم الإسلامي الجديد" للمفكر لوتروب ستودارد²⁴⁸، وهو من أهم المراجع التي تناولت أوضاع المسلمين في القرن العشرين. إلا أن تدهور صحته، إلى جانب التكاليف الباهظة للنشر، أجبره على التوقف عن إصدار المجلة بعد نشر اثني عشر عددًا منها، رغم نجاحها في تقديم صورة صحيحة للإسلام مستمدة من القرآن والسنة وفق منهج السلف الصالح.

لقد كان المولوي واعيًا تمامًا بحال المسلمين في عصره، خاصة حين وجدهم، خلال احتكاكهم المباشر بالاستعمار البريطاني في القرن التاسع عشر، في حالة تخلف مطلق، بينما كانت الأمم الأخرى تتقدم في كافة المجالات، وتمسك بزمام السلطة والسياسة. ومن خلال تحليله العميق، توصل إلى أن المسلمين لم يتأخروا إلا بسبب إهمالهم لأوامر دينهم، ولا سيما في العقيدة والإيمان. أدرك أن السبيل الوحيد للخروج من هذا الجمود هو الإصلاح الذاتي، وأن العلاج يكمن في تأسيس مؤسسات تعليمية على غرار تلك التي نهض بها الغرب.

لم يكن التراجع الاجتماعي سوى الشرارة التي أطلقت حركة الإصلاح والتجديد، وكانت المهمة الأساسية لهذه الحركة إعادة بناء المجتمع الإسلامي على أسس قوية من القيم والأخلاق. إلا أن المولوي، كما أسلفنا، واجه مقاومة شديدة من رجال الدين المحافظين، الذين سعوا بكل جهد إلى عرقلة مشروعه الإصلاحية، متشبثين بالقديم، رافضين أي محاولة للنهوض الفكري والاجتماعي.

لكن المولوي لم يتزعزع، بل ظل موقفًا أن الإسلام يحمل في جوهره القدرة على مواكبة تطورات العصر، وأن القرآن الكريم هو آخر ميثاق إلهي للبشرية، يحمل في طياته الحلول لكل تحديات الزمن. ورأى أن الإسلام لم يكن يومًا حاجزًا أمام التقدم، بل كان القوة التي أخرجت العرب من ظلمات الجاهلية إلى أنوار الحضارة.

²⁴⁶ Deepika Vol.I, Lakkam 2,3,4,5,1106 (Malayalam Callender).

²⁴⁷ Vakkom Moulavi Foundation Trust. (1992). *Vakkom Moulavi in Deepika* (Compilation of magazine issues). Vakkom Moulavi Foundation Trust.

²⁴⁸ Lothrop Stoddard's the New World of Islam

ومن هذا المنطلق، دعا المسلمين إلى العودة الصادقة للإسلام، لا بالشعارات والطقوس، وإنما بالتمسك بجوهره الأصيل: القرآن والسنة، وفق فهم السلف الصالح.

وهكذا، ظلّ المولوي مثالاً للمصلح الذي كرّس حياته للفكر والتعليم والنهوض بأمته، حتى آخر لحظة من عمره، مخلّقاً إرثاً فكرياً سيظلّ خالداً في ذاكرة الأجيال.

ويمكن القول إن محمد عبد القادر المولوي عاش من أجل الترجمة والصحافة، بل إنها استحوذت على كيانه حتى كاد يُجنّ بها. فقد تجلّت في مسيرته المهنية مبادئ الليبرالية وحرية الصحافة والترجمة بوضوح ساطع. ويتضح هذا جلياً من شهادة السيدة غومقي أمّال، ابنة راما كرشنا بيلاي، حينما قالت: "أتذكر ذلك الرجل العظيم، المولوي الذي كان له الدور الحاسم في حياة راما كرشنا بيلاي".²⁴⁹

وفي رسالة مؤثرة كتبها أرملة المحرر لاحقاً إلى الأديب الكبير وكمّ عبد القادر، أحد أبناء المولوي، استشهدت بكلماته الخالدة حينما سُئل عن تقديم استئناف للعفو واستعادة المطبعة والصحيفة، فأجاب قائلاً: "لماذا أحْتَاج إلى مطبعة بلا محرر"²⁵⁰.

وقد أشار السيد سي. إتش. محمد كويا، نائب رئيس الوزراء ووزير المعارف السابق لولاية كيرالا، إلى الدور المحوري للمولوي في تاريخ الصحافة الإسلامية، قائلاً: "قبل ظهور المولوي الوكّمي، الذي كان في طليعة حركة الإصلاح الاجتماعي، لم يكن هناك أي حضور بارز للمسلمين في مجال الصحافة، باستثناء جريدة "سوديشابيماني" التي كتب فيها المولوي، ومجلة "المسلم" الشهرية، التي تُعدّ أول صحيفة معروفة لمسلمي كيرالا. لذا، من المستحيل تناول تاريخ الصحافة الإسلامية دون الإشارة إلى جهود هذا الرجل النبيل".²⁵¹

هذا المصلح الاجتماعي، وصاحب الرؤية المستنيرة، والباحث الجسور، والصحفي الشجاع، انتقل إلى جوار ربه في 31 أكتوبر 1932م، بعد واحد وعشرين شهراً فقط من إصدار العدد الأول من مجلة "ديبكا". وبعد وفاته، انهار المشروع بأكمله نتيجة أزمة مالية خانقة ألمّت بعائلته. ورغم الصعوبات، فقد اختار المولوي لإدارة مجلاته نخبة من العلماء والمفكرين البارزين، من بينهم قاضي متقاعد من المحكمة العليا في ترافنكور.

ورغم إنجازاته العظيمة، ظلّ المولوي الوكّمي مثالاً للتواضع، فلم يسعَ يوماً لنسبة الفضل إلى نفسه، ولم يدّعِ أنه كاتب معظم المقالات التي كان ينشرها، بل كان يعتبرها جهداً جماعياً لخدمة المجتمع. ولم يخطر بباله قط أن يكتب سيرته الذاتية، ربما لأنه كان يرى أن أعماله ستحدث عنه أكثر من أي كلمات تُكتب.

²⁴⁹ Mohammad Abda, Vakkom Moulaviyude Thiranjedutha Krithikal, (Mal.), p. 342

²⁵⁰ Mohammad Abda, Vakkom Moulaviyude Thiranjedutha Krithikal, (Mal.), p. 347.

²⁵¹ Koya, C. H. M. (1960). Kerala Muslimgalum pathra pravarthanavum. In *Kerala Muslim Directory* (p. 461)

كان صريحًا، لطيفًا، وكريم الخلق، حتى قيل إن كل شبر من جسده كان مشبعًا بلُبان اللطف الإنساني. وبفضل حماسته وإيمانه بالمُثل العليا، امتلك عبقرية نادرة في التنظيم والعمل، انعكست بجلاء في كتاباته، وخطاباته، وأفكاره، حيث كانت تدور جميعها حول هدف واحد: إعلاء شأن المسلمين وتحقيق العدالة الاجتماعية.

الفصل الثامن

منهج الإصلاح الاجتماعي والديني لدى المولوي الوكّمي

وبحلول النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كان المجتمع الإسلامي في ولاية كيرالا قد بلغ من الانحطاط مبلغًا جعله غارقًا في الجهل والخرافات، بعيدًا عن جوهر الإسلام الصحيح، محرومًا من نور العلم والمعرفة، متقوقعًا في قوقعة الجمود والتخلف. لا قوة اقتصادية تسنده، ولا نفوذ سياسي يسنده، بل تراكمت عليه غبار القرون حتى كاد يُطمس في ظلمات التراجع والركود. انتشرت فيه المعتقدات البالية والتقاليد الموروثة عن عصور الوثنية، وأصبحت العبادات تمتزج بالممارسات الغريبة التي لا تمتُّ إلى روح الإسلام بصلة. كانت الخرافات جاثمة على العقول، والتقليد الأعى متجذرًا في النفوس، في حين كان الأساس الصحيح للإسلام يوشك أن ينهار تحت وطأة هذه التراكمات.

لقد تلوّث الإسلام في كيرالا بعبادات وطقوس لم يعرفها الجيل الأول من المسلمين، بل تسربت إليه من تقاليد المجتمعات المحيطة به، حتى صار من الصعب التمييز بين ما هو إسلامي خالص، وما هو دخيل على الدين. ومما زاد الأمر تعقيدًا أن العديد من الهندوس من الطبقات الدنيا، الذين اعتنقوا الإسلام هربًا من نظام الطبقات الجائر، حملوا معهم عاداتهم وممارساتهم السابقة، فاستمرت بينهم أشكال من الطقوس التي لا تتوافق مع تعاليم الإسلام. ومع مرور الزمن، رسخت هذه العادات في المجتمع المسلم، حتى أصبحت جزءًا من نسيجه، مما جعل أي محاولة للإصلاح تواجه مقاومة شديدة.

كان يُفترض أن يكون العلماء ورجال الدين منارات تهدي الأمة إلى سواء السبيل، غير أن الكثير منهم، بدلًا من أن يحملوا لواء الإصلاح، قد تواطؤوا - بوعي أو بغير وعي - مع هذا التدهور، فساهموا في انتشار الجهل وتكريس البدع والخرافات. ونتيجةً لذلك، عاشت الأمة في ظلمات التخلف، بينما ظل التعليم الصحيح، وخاصة بين النساء، نادرًا أو معدومًا، مما عمّق الأزمة وزادها سوءًا.

في ظل هذا المشهد القاتم، صدح المصلحون بنداء يوقظ الضمائر ويعيد للأمة وعيها: "إلى الإسلام من جديد!". وكان على رأس هؤلاء المولوي الوكّمي، الذي أطلق حركة إصلاحية هادفة، تذكّر في جوهرها

بالحركة الوهابية في نجد²⁵²، التي استلهمت تعاليم شيخ الإسلام ابن تيمية، وسعت إلى إعادة الإسلام إلى صفائه الأول. فكما دعت الحركة النجدية إلى الرجوع إلى الإسلام النقي، بعيداً عن البدع والانحرافات، كذلك كان نهج المولوي في كيرالا، حيث سعى جاهداً لتطهير العقيدة من الشوائب، وإحياء روح الإسلام الأولى، مع التكيف مع مقتضيات العصر الحديث.

لم يكن هدف المولوي مجرد إعادة إنتاج الماضي، بل كان يسعى إلى إعادة بناء الإسلام بروحه الحقيقية، ليكون قوة ناهضة في حياة المسلمين، قادراً على مواكبة التحديات المعاصرة. وكان لحركته الإصلاحية تشابه كبير مع أفكار الشيخ محمد عبده²⁵³، الذي سعى إلى المزج بين الأصالة الإسلامية ومتطلبات الحداثة، فحاول أن يعيد للإسلام فاعليته في الحياة العامة، ويخرجه من قوقعة التقليد والجمود إلى رحابة الاجتهاد والتجديد.

وهكذا، كان الإصلاح عند المولوي الوكّمي ثورة فكرية وروحية، لم تكتفِ بإحياء الماضي، بل تطلعت إلى مستقبل مشرق، يتجدد فيه الإسلام بروحه العظيمة، ويستعيد مكانته كمنارة هدى، تقود أتباعه إلى النور بعد طول مكث في ظلمات الجهل والتخلف.

إنها حقيقة راسخة ومعترف بها أن النهضة الإسلامية في كيرالا، بمعناها العميق والحقيقي، قد انطلقت على يد المولوي الوكّمي. وفي بداياتها، كانت هذه الحركة ذات طابع اجتماعي وديني، ثم أخذت في الانتشار خلال الربع الأول من القرن العشرين، حتى غدت تياراً متجذراً في الوعي الإسلامي هناك.

منذ عام 1906، كرّس المولوي كل جهده وطاقته من أجل التجديد الاجتماعي للمجتمع المسلم، لكنه لم يسلك مسلك الكهنوت ورجال الدين في دغدغة العواطف واستثارة المشاعر، بل كان يخاطب العقول بالحجة والبرهان، ويواجه الأفكار المنحرفة بمنطق قوي مستند إلى الأدلة العقلية والنقلية. لقد كانت رسالته أن الإسلام ليس ديناً يتناقض مع العقل، بل يسير جنباً إلى جنب معه، مؤكداً على ضرورة تحرير المجتمع المسلم من جميع المعتقدات والممارسات الدخيلة عليه، وبإذلاً كل ما في وسعه لنشر العقيدة الصحيحة الصافية.

وقد أولى اهتماماً بالغاً بجيل الشباب، فركز على غرس مبادئ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في نفوسهم، ساعياً إلى تطهير المجتمع الإسلامي من شوائب الخرافة والانحراف. ولم يكن جهده مقتصرًا على محاربة البدع، بل كان يسعى في الوقت ذاته إلى تهيئة العقول لفهم الإسلام بروح متجددة، مقدّماً تفسيراً

²⁵² الحركة الوهابية هي الحركة النهضة والتجديد والإصلاح التي قادها الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي في الجزيرة العربية. وكانت حركة إصلاح وتطهير، وحول الناس من الفساد والبدع والخرافات ومن الجمود والتخلف إلى عقيدة الإسلام الصحيح.

²⁵³ كان الإمام محمد عبده رائداً وبعقرياً بين الحداثيين المسلمين، وله آراء ليبرالية وتفسير إنسانية للإسلام. أنه وجه عقول المسلمين خاصة المصريين لقبول العلم الحديث والعقلانية والتخلي عن التقليد الأعى.

ليبراليًا وإنسانيًا للدين، يوازن بين العقل والنقل، ويحثّ على التخلي عن التقاليد البالية التي لا أصل لها في الشرع.

وبعد أن اطمأن إلى استقرار صحيفة "سوديشابيماني" تحت قيادة السيد رامنا كرشنا بيلاي، عاد إلى مهمته الأسى، وهي الإصلاح الديني والاجتماعي للمجتمع المسلم. فقد كان الواقع الذي يعيشه المسلمون في غاية البؤس، وحالتهم المتردية هي التي دفعته إلى ساحة العمل، فوجد نفسه في مواجهة مجتمع يعاني من الانحرافات العقدية والممارسات الخاطئة. وكان ذلك في وقت بدأت فيه ولاية كيرلا تشهد تحولات اجتماعية كبرى بحلول منتصف القرن العشرين، حيث استيقظت الفئات المضطهدة، وبدأت في النهوض والعمل الجاد من أجل تحسين أوضاعها.

وكما كان الهندوس متأثرين بعلم التنجيم، كان المسلمون كذلك يؤمنون به إيمانًا جازمًا، فيستشيرون المنجمين في كل شؤون حياتهم، ويحددون مواعيد الزواج والسفر والختان وفقًا لحسابات الأبراج والطاق. بل إن بعض العائلات الثرية كانت تنفق أموالًا طائلة على هذه الطقوس، غير مكترثة بتعاليم الإسلام الصحيحة. ومن العادات التي انتشرت بينهم أن يتم ثقب آذان الفتيات بطريقة احتفالية شبيهة بختان الذكور²⁵⁴، وذلك تحت تأثير الموروثات الشعبية التي هيمنت على حياة المسلمين أكثر مما فعلت الهندوسية الأرثوذكسية نفسها. ولم يكن من اليسير التخلص من هذه الأفكار المتجذرة في العقول، إذ أصبحت جزءًا لا يتجزأ من الحياة اليومية للمجتمع.

وقد أدرك المولوي الوكّمي أن التحدي الأكبر الذي يواجهه هو تحرير المسلمين من مستنقع الأوهام والخرافات الذي ظلوا غارقين فيه طويلاً. وكان على يقين بأن المواجهة الحقيقية لهذه التحديات تتطلب إعادة تفسير الإسلام بروح معاصرة، وإحياء باب الاجتهاد في القضايا الاجتهادية²⁵⁵، ليكون الإسلام قادرًا على مواكبة تطورات العصر. لقد كان يرى أن القرآن الكريم هو الكتاب الإلهي الخالد، المدونة السلوكية الأبدية التي أنزلها الله للبشرية كافة، وأنه لا يمكن أن يتعارض مع العقل بأي حال من الأحوال. ومن هذا المنطلق، أعلن حربه على التقليد الأعمى، رافضًا الانقياد المطلق لأراء الفقهاء السابقين دون دليل صريح، إذ كان يرى أن الجمود على الموروثات دون تمحيص هو أحد أكبر العوائق التي تحول دون نهضة الأمة الإسلامية.

وهكذا، ظل المولوي الوكّمي رمزًا للتجديد والإصلاح، ومثالًا للعالم الذي لا يكتفي بالنظرية، بل ينزل إلى ساحة العمل، ليخوض معركة الوعي والتنوير، ساعيًا إلى بناء مجتمع مسلم قائم على الفهم الصحيح للعقيدة، بعيدًا عن كل ما علق بها من شوائب الجهل والتقليد

²⁵⁴ K.P.Padmanabha Menon, History of Kerala, Vol. 2, New Delhi, 1983, p. 558.

²⁵⁵ الإجهاد لها دلالات مختلفة في المعجم العربي، ولكنه يشير إلى بشكل رئيسي إلى نشاط فكري يدل على سعي الباحث الفردي أو الجماعي لإستنباط القواعد من النصوص الصحيحة دون الإعتماد على رأي غيرهم من أهل العلم.

الفصل التاسع

رأي المولوي في فتح باب الاجتهاد

كان المجتمع الإسلامي في مجمله، يعتقد اعتقاداً راسخاً بأن باب الاجتهاد قد أُغلق نهائياً، وأنه لم يعد هناك مجالٌ لمزيدٍ من الاجتهاد، فلم يكن على المسلم سوى اتباع أحد المذاهب الفقهية الأربعة دون نقاش أو تمحيص. وقد أعلن معظم رجال الدين والكهنة أن الاجتهاد قد أُغلق بغير رجعة، وكأن الأمر قد حُسم إلى الأبد.

غير أن الحقيقة الثابتة هي أن الاجتهاد يمثل ركناً أساسياً من أركان الإسلام²⁵⁶، فقد أقرّه النبي صلى الله عليه وسلم، ومارسه أصحابه في حياته، وعملوا به في شتى المواقف²⁵⁷. ومن الخطأ الفادح الافتراض بأن الاجتهاد قد أصبح حكراً على الأئمة الأربعة وحدهم، وكأن أبواب الاستنباط قد أوصدت بعدهم. والواقع أن هؤلاء الأئمة العظام ظهروا بعد النبي صلى الله عليه وسلم بما يزيد على قرنٍ ونصف، ولم يكن دورهم ابتداءً مسائل جديدة، وإنما قاموا بجمع الفقه وتدوينه، مستوعبين الأحكام الفقهية السائدة في زمانهم، وفق منهج علمي رصين، دون أن يحيدوا عن أصول الشريعة أو يخرجوا عن روح الإسلام. وقد اجتهدوا في تفسير القرآن والسنة وفق حاجات عصرهم، فكان اجتهادهم مواكباً لمتطلبات واقعهم.

لكن مع مرور الزمن، أصبح المسلمون أسرى التقليد، فتمسكوا بآراء الأئمة واجتهاداتهم دون مراجعة أو تحديث، مترددين في التجديد، رافضين كل فكرٍ جديد، حتى أصاب العقل الإسلامي جمودٌ قاتل، فأضحى نشر الأفكار المستحدثة ضرباً من المستحيل. ولعلّ ذلك هو ما أدى إلى التراجع الحضاري، إذ لم يعد المسلمون قادرين على استيعاب روح الابتكار، أو الحفاظ على إرثهم المجيد. وزاد الطين بلةً ما نشأ بين المذاهب الفقهية من تعصب وتنافس، مما عمّق الانقسام، وأسهم في تفاقم الانحطاط الفكري والاجتماعي. وبالفعل، فإن غياب الاجتهاد أدى إلى شلل المجتمعات الإسلامية، وعرقلة مسيرتها نحو التقدم والرفق.

وهنا برز المولوي بفكره الجريء، فشجّع على التفكير المستقل، وأعلن أن باب الاجتهاد لم يُغلق قط، ولن يُغلق ما دامت الحياة مستمرة. لقد دعا المسلمين إلى إحياء هذا المبدأ العظيم، وإعادة اكتشافه وممارسته، مؤكداً أن الشؤون الدنيوية دائمة التغير، متأثرة باختلاف الزمان والمكان. وكان يرى أن لعلماء الإسلام الحق

²⁵⁶ Iqbal, M. (1934). *The reconstruction of religious thought in Islam*. Oxford University Press.

²⁵⁷ Maulana Muhammed Ali, *The Religion of Islam*, pp. 96 -115

في إعادة تفسير النصوص بما يتلاءم مع مستجدات العصر، شريطة أن تبقى هذه التفسيرات منسجمة مع المبادئ الأساسية للإسلام²⁵⁸، إذ إن الشريعة لم تُلغ حرية العقل السليم في استنباط الأحكام الاجتهادية.

وأشار المولوي إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم ذاته كان يشاور أصحابه في الأمور العامة قبل اتخاذ القرارات، وسار الخلفاء الراشدون على هذا النهج القويم من بعده. كما بين أن الأئمة الأربعة ومن جاء بعدهم قد وظفوا عقولهم مع النصوص، وأعملوا الفقه في مواقف لم يرد فيها نص قاطع من القرآن أو السنة. وكان هدفه الأسى تحرير المسلمين من أسر التقليد الأعمى، مُستدلاً على ذلك بآيات القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم. لقد أيقن المولوي أن الاجتهاد ضرورة لا غنى عنها لدفع عجلة المجتمع إلى الأمام، فحث المسلمين عليه، لكنه في الوقت ذاته أدرك أن العقل البشري وحده، من دون هدي الوحي، لا يكفي لتحقيق الحياة الإنسانية المثلى.

وقد توافقت رؤية المولوي حول الاجتهاد مع آراء نخبة من كبار المفكرين والعلماء في العالم الإسلامي، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية، الذي شدد على الحاجة الدائمة إلى الاجتهاد من قبل العلماء المؤهلين²⁵⁹، وكذلك الأستاذ جمال الدين الأفغاني، الذي نادى بالتجديد. كما كان الشيخ محمد عبده من أبرز المنادين بضرورة الاجتهاد في معالجة قضايا العصر، فرفع صوته ضد التقليد الأعمى، ورفض أن يكون مقيداً بمذهب فقهي معين، بل منح العقل دوراً أوسع في الشؤون الدنيوية²⁶⁰.

لقد جادل المولوي بقوة في مسألة الاجتهاد، مؤكداً أن إغلاق بابهِ محض وهم لا أساس له، وحث المسلمين على إحياء هذا المبدأ الجليل، والتمسك به في حل قضاياهم الاجتماعية والاقتصادية، ولو اقتضى الأمر تجاوز المذاهب الفقهية الأربعة، متى عجزت عن تقديم الحلول الناجعة. ولعلّ أوضح دليل على نجاح دعوته، أن حركته الإصلاحية استمرت ثلاثة عقود، لم تكن فيها مجرد نكوص إلى الماضي، بل كانت رحلة نحو الحداثة والنهضة، في توازن عميق بين الأصالة والمعاصرة. فلم يقتصر جهده على الفقه والمسائل الجزئية والعقائد، بل امتد إلى معالجة قضايا التعليم، بما في ذلك تعليم المرأة، والعدالة بين الجنسين، والنظرة العقلانية إلى المسائل الاجتماعية والدينية²⁶¹. وهكذا، كان اجتهاده ثورة فكرية، تنشد الإصلاح، وتستلهم الحكمة، وتدعو إلى انطلاقة جديدة للعقل الإسلامي نحو آفاق أرحب من المعرفة والتقدم²⁶².

²⁵⁸ Mohamed Abda (ed.), op.cit., pp.129, 130.

²⁵⁹ Albert Hourani, A History of the Arab People, p. 180

²⁶⁰ Mahamudul Haq, Muhammad Abduh, p. 87

²⁶¹ See Vakkom Moulavi, "Nammude Sthreekal," Al-Islam, Vol. 1, No.1, April 1918; also see Selected Works, pp.185-87.

²⁶² See Vakkom Moulavi, "Nammude Sthreekal," Al-Islam, Vol. 1, No.1, April 1918; also see Selected Works, pp.185-87.

الفصل العاشر

موقف العلماء ورجال الدين من دراسة العلوم الحديثة

لقد أدرك المولوي أهمية دراسة العلوم الحديثة (Modern Science) إدراكًا عميقًا، وشعر بخيبة أمل حين رأى جمود العلماء ورجال الدين، بل وعامة الناس، إزاء التقدم العلمي وعدم اكتراثهم به. كان يؤمن بأن العلم، إذا ما فهم على الوجه الصحيح، لا يتناقض مع الدين، بل يسير معه جنبًا إلى جنب. وقد أوضح ذلك في إحدى مقالاته المعنونة بـ "الدين والعلم"، حيث أكد أن القانون الطبيعي هو من سنن الله في الكون، والدين هو كلمته الخالدة، ومن ثم فلا تعارض بينهما، بل يكمل أحدهما الآخر.²⁶³

ولعل ما ذهب إليه المولوي يتجلى فيما أثبته العلماء المعاصرون حول انسجام الحقائق العلمية (Scientific Truth) مع التصريحات القرآنية. ومن بين هؤلاء العالم الشهير موريس بوكاي، المتخصص في الدراسات المقارنة بين الحديث والإنجيل والقرآن، الذي أورد في كتابه "الإنجيل والقرآن والعلم" أنه لم يكن يتصور أن نصًا دُون قبل أكثر من ثلاثة عشر قرنًا يمكن أن يحتوي على هذا الكم الهائل من الإشارات العلمية الدقيقة التي تتوافق تمامًا مع المعرفة الحديثة (Modern Scientific Knowledge) (Modern Scientific Knowledge).²⁶⁴

ورغم هذه الحقائق، فقد وقف كثير من العلماء ورجال الدين والكهنة على مر العصور موقفًا معاديًا من دراسة العلوم الحديثة والمعارف الجديدة، مما أثار استغراب المولوي، خاصة أن هذه العلوم التي ينبذونها هي نفسها التي أرسى قواعدها العلماء المسلمون الأوائل. ومن هنا، بذل جهده في محاولة إيقاظ عقول أولئك المتقاعسين، ساعيًا إلى إقناعهم بأن العلوم الحديثة ليست خطرًا يُخشى، بل هي ميراث إسلامي أصيل ينبغي استعادته وتطويره. وقد كان يشجع المسلمين طوال حياته على الجمع بين العلوم الدينية والدراسات الحديثة، مؤمنًا بأن التعليم، سواء الديني أو العلماني، هو الوسيلة الوحيدة لنهوض المجتمع وتقدمه.

لم يتوقف المولوي عند حدود الدعوة الفكرية، بل سعى جاهدًا إلى مكافحة الشرور والبدع التي تسربت عبر الزمن إلى نفوس المسلمين في ولاية كيرلا. وكان يدرك منذ شبابه أن مسلمي كيرلا، رغم تمسكهم الظاهري بالدين، إلا أنهم انحرفوا عن جوهره النقي، حتى فقد كثير منهم البعد الروحي الحقيقي للإسلام. ولذا، لم يكن غريبًا أن يصطدم في مسيرته الإصلاحية بالأصوليين من رجال الدين والرهبان الذين ادّعوا أنهم حراس

²⁶³ Muhammed Abdul Khader. "Matavum Sastravum." *Deepika*, Vol. 1, Lakkam (No.) 5

²⁶⁴ Maurice Bucaille, *The Bible, Our'an and Science*, p. 109.

العقيدة، بينما كانوا في الحقيقة عاجزين عن استيعاب روح النهضة والتطور العلمي والمعرفي، تحركهم الأهواء والمصالح الذاتية.

لقد أدى جمود هؤلاء المتزمتين إلى إغراق المسلمين في الخرافات والجهل، مما أضعفهم حضاريًا، وقطع الطريق على الأجيال الشابة، فحُرِّم الأولاد والبنات من فرصة تلقي العلوم الحديثة والانفتاح على المعرفة. لقد خاض المولوي معركة فكرية شجاعة للدفاع عن الإسلام وتقديمه كدين يجمع بين العقل والنقل، ويسير وفق أصوله الصافية، بعيدًا عن التحريفات والتراكبات التاريخية. وكان على يقين بأن التجديد الأخلاقي للمجتمع لن يتحقق إلا إذا تحرر المسلمون من القيود التي كبّلت عقولهم، ومن الجمود الذي أعاق نهضتهم.

وفي حماسته الشديدة لتحرير المسلمين في عصره من هيمنة رجال الدين الجامدين، وجد إلهامًا عظيمًا في تعاليم المصلح العربي الكبير الشيخ محمد بن عبد الوهاب وفكره في القرن الثالث عشر الهجري، وكذلك في اجتهادات شيخ الإسلام ابن تيمية. وقد بلغ الأمر بخصومه أن لقبوه بـ "الوهابي"²⁶⁵ في محاولة للتشويه والتضليل، بينما كان المولوي معجبًا بالحركة الإصلاحية الوهابية النجدية التي هدفت إلى تنقية الإسلام من البدع والخرافات، وإعادته إلى صفائه الأول.

وهكذا، ظل المولوي طوال حياته منارةً للعلم والإصلاح، يجاهد في سبيل تحرير العقول، والدعوة إلى التعلم، وإحياء الفكر الإسلامي المستنير، مؤمنًا بأن المعرفة هي مفتاح النهضة، وأن الجمع بين الإيمان والعلم هو السبيل الأوحى لاستعادة مجد الأمة الإسلامية.

الفصل الحادي عشر

البدع والخرافات المنتشرة في المجتمع المسلمة

لقد انتشرت بين المسلمين عبر العصور العديد من الممارسات غير الإسلامية، شأنهم في ذلك شأن بعض الطبقات اليهودية والنصرانية والهندوسية الوثنية التي تؤمن بالآل والنجوم والمطالع وتأثير الأفلاك. وقد تفشت بينهم مظاهر تقديس القبور، واتخذوا من المساجد ساحات لإقامة الأعياد باسم الأولياء وميلادهم، كما شاعت بينهم ممارسات لا تمت إلى الدين بصلة، بل هي أقرب إلى التقاليد الجاهلية²⁶⁶.

²⁶⁵ M.Muhammed Kannu, Print:1982. p. 6

²⁶⁶ S. Mohammad Abda, Vakkom Moulaviyude Thiran-jedutha Krithikal, (MaL), pp. 21-23

ومع أن الإسلام قد أباح زيارة القبور وجعلها وسيلة للعتبة والاعتبار وتذكيراً بالموت وما بعده، فإن بعض الجهال حولوها إلى طقوس تتعارض مع التعاليم النبوية الشريفة²⁶⁷، حيث حذر النبي صلى الله عليه وسلم من اتخاذ القبور مواضع للعبادة والتقديس، كما فعلت الأمم السابقة من اليهود والنصارى، الذين جعلوا قبور أنبيائهم وأوليائهم أماكن للأعياد والاحتفالات والتبرك.

بلغ الأمر ببعض المسلمين أن استغاثوا بالأولياء والصالحين أحياء وأمواتاً، ونذروا لهم عند المحن والشدائد، مؤمنين بأنهم يجلبون الخير ويدفعون الشر، وظنوا أن توسلهم بهم سبب في تحقيق النصر، ودفع الفقر، وشفاء المرضى، وإنجاب العقيم، وحلّ النزاعات. وقد استندوا في ذلك إلى قصص واهية وخرافات تناقلها الرهبان وبعض رجال الدين، حتى أصبحت تلك الأساطير جزءاً من معتقداتهم الدينية. ونُسبت إلى هؤلاء الأولياء والصالحين معجزات وكرامات ودرجات عليا من المقامات الروحية، مما أدى إلى انحراف في العقيدة، حتى وصل الأمر إلى عبادة الأشخاص بدلاً من عبادة الله الواحد الأحد²⁶⁸.

وقد أشار الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله إلى هذه الظاهرة، مؤكداً أن تعظيم الأولياء والقديسين بهذه الصورة قد أدى إلى ظهور صورة جديدة من الوثنية المقتنعة، حيث يُعتقد أن الرجل الصالح إذا بلغ منزلة رفيعة بروحانيته وتقواه، أصبح شفيعاً لمن يتوسل به، وأن روحه بعد موته تكتسب قوى خارقة. وانتشرت بين العامة فكرة أن من يبني ضريحاً لقديس، أو يحجّ إلى مرقده للدعاء عنده، فإن ذلك سبب في تحقيق الأمنيات وكشف الكربات.

هذه الممارسات والمهرجانات التي تُقام عند الأضرحة تشبه إلى حدّ بعيد الأعياد الهندوسية الوثنية²⁶⁹، وقد وقف العلامة المولوي الوكّمي موقفاً صارماً في محاربتها، حيث ندّد بشدة بهذه البدع والخرافات، وحذّر من النذور باسم الشهداء والصالحين، ومن ظاهرة تقديم القرابين والهدايا للأضرحة طلباً للبركة أو الشفاعة. وإلى جانب هذه الطقوس المنحرفة، تفتشت شرور اجتماعية أخرى في المجتمع المسلم بولاية كيرلا، حيث أصبح الدين الذي كان يوماً ما مصدر إلهام للناس بتعاليمه النقية، ألعوبة في أيدي رجال الدين والكهنة، الذين حجبوا عن الناس نور المعرفة، حتى صار طلب العلم الذي جعله الإسلام فريضة على كل مسلم ومسلمة²⁷⁰ جريمة يُنكرها العامة، بل وصل الأمر إلى اعتبار إرسال الفتيات إلى المدارس العصرية من الكبائر.

وقد تصدى المولوي الوكّمي لهذه الظاهرة، وأطلق حملة تعليمية وثقافية لنهضة المسلمين، مستعيناً بتلاميذه المخلصين وبالتعاون مع أهل الفكر والعلم من ذوي الرؤى الإصلاحية، ليعيدوا للمجتمع وعيه، ويحرروه من قبضة الجهل والخرافة.

²⁶⁷ M. Mohammad Kannu, 'Vakkom Moulavi' Chandrika, Vol. 29, Part7, 23 August, 1978.

²⁶⁸ Shah Waliullah, Hujjat Allah al-Baligha, Vol. 2, Delhi, 1954-5, p. 77.

²⁶⁹ Abul Hasan Ali Nadwi, Saviours of Islamic Spirit, Vol.2, P.90.

²⁷⁰ سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 224.

ومن الممارسات التي شاعت أيضاً، الاحتفال بالمولد النبوي واتخاذه عيداً، والتبرُّك بسورة الفاتحة عند بداية كل أمر، وهما بدعتان لا أصل لهما في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية المطهرة. وقد تعرّض المولوي الوكّمي بالنقد العلمي لهذه الممارسات، وأفقى بعدم جواز الاحتفال بالمولد النبوي، معتبراً إياه من البدع المنكرة²⁷¹. لكن الغالبية العظمى من رجال الدين والرهبان دافعوا عن هذه العادة بشدة، ونشروا العديد من الرسائل في الردّ عليه والطعن في آرائه.

لم يكن رجال الدين في ذلك العصر مجرد وعّاظ ومرشدين، بل كانوا يحتلون مناصب حساسة في المساجد، ويتولون مهام التدريس والإمامة، مما جعل لهم تأثيراً واسعاً في حياة الناس الدينية والاجتماعية، وكان المسلمون يقلّدونهم في كل صغيرة وكبيرة، فكان كسر هيمنتهم وتحطيم قيودهم على المجتمع مهمة شاقة لا يمكن تحقيقها بسهولة.

لكن معركة التنوير لم تتوقف، وكان لا بد من إعادة الناس إلى تعاليم الإسلام الصحيحة، وتنقيتهم مما شابها من الخرافات والبدع، ليعود الإسلام إلى صفائه ونقاؤه كما أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم.

الفصل الثاني عشر

المزامير والمدائح في العربية المليالية

كان من أشكال التعبد الشائعة بين المسلمين في كيرالا تلاوة المدائح النبوية وأشعار المديح في شكل غنائي يُعرف باسم "قراءة مالا". وقد غدت هذه الأشعار جزءاً أصيلاً من الحياة الدينية والثقافية، حتى إن بعض البيوت لم تكن تحوي نسخة من القرآن الكريم، بينما امتلأت بأبيات المديح والمزامير. ولا تزال بعض هذه الأناشيد تتردد في بيوت المسلمين التقليديين إلى يومنا هذا، حيث تُنشد بلغة تمتزج فيها العربية بالمليالية.

يُعدّ "محي الدين مالا"، الذي ألفه القاضي محمد الكالكوتي عام 1607 م²⁷²، أول عمل عربي مليالي معروف، وهو من أبرز الكلاسيكيات التعبدية في المنطقة. يتناول هذا النص حياة وإنجازات الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني، أحد أعظم شيوخ التصوف في بغداد. إلا أن هذا العمل، رغم شهرته، يحوي العديد من المفاهيم التي تتعارض مع عقيدة التوحيد الخالص في الإسلام، إذ يُتلى في مجالس تُقام لتكريم الأولياء والصالحين، ويُحتفى به في مناسباتهم الخاصة.

²⁷¹ KM.Muhammad Moulavi (ed.) Ansari, November 5, 1954, p. 63.

²⁷² C.N. Ahmad Moulavi, K.K Muhammed Abdul Kareem, Mahathaya Mappila Sahitya Paramaryam (MaL), pp 154 - 155.

وخلال فترة الاستعمار البرتغالي، حين شهد المسلمون في كيرالا تدهورًا اقتصاديًا حادًا، أصبحت قراءة "محي الدين مالا" طقسًا شائعًا في البيوت، حيث اعتُقد أنها تجلب البركة وتيسر الأرزاق²⁷³. بل إن بعض الأسر كانت ترى أن إنشادها ضروري للفتيات المسلمات، إذ كان يُظن أن من تواظب عليها تحظى بشريك مناسب للزواج.

ومن التقاليد المرتبطة بهذه المدائح إقامة الولائم المعروفة باسم "نيرشا" بمعنى النذور، والتي تُعقد في مناسبات خاصة، مثل ذكرى وفاة أحد أفراد العائلة، حيث يجتمع الأهل والأصدقاء حول موائد عامرة. أما "المولد"، فهو احتفال يُتلى فيه المديح النبوي، إلى جانب سرد سيرة النبي محمد ﷺ، أو حياة بعض الأولياء العظام كالإمام عبد القادر الجيلاني والسيد علوي المنبرمي، مع ذكر كراماتهم ومعجزاتهم.

ويعتقد بعض المسلمين الذين لم يتفقهوا في العقيدة أن تلاوة المولد تجلب بركات النبي ﷺ، وتمنح البيوت وأهلها نفحات من القديسين، بل تجعلهم مستحقين لشفاعتهم. وتُعقد هذه الاحتفالات غالبًا في المساء، وتُختتم بولائم كبرى يحضرها الأقارب والأصدقاء، ويترأسها كبار الصوفيين ورجال الدين في المنطقة، وسط أجواء من الابتهالات والإنشاد. بهذا، أصبحت هذه التقاليد جزءًا من نسيج الحياة الدينية والثقافية لمسلمي كيرالا، رغم ما تحمله من جدل بين مؤيد ومعارض، بين موروث شعبي ومقتضيات التوحيد الصافي.

الفصل الثالث عشر

موقف المولوي من البدع والخرافات ومحاربته للشرك

منذ أن انطلق المولوي في حركته الاجتماعية والإصلاحية، خاض معركة شرسة ضد البدع والخرافات، وسعى جاهدًا إلى تطهير الإسلام من الانحرافات والتراكُمات التي علقت بجسده عبر الزمن. غير أنه لم يشرع في الإصلاح العقائدي بصورة رسمية إلا بعد عام 1916م. وفي تلك الفترة، كان يحرص على مطالعة مجلة "المنار" الصادرة من مصر باللغة العربية، والتي كان يشرف عليها الشيخ رشيد رضا. وقد وجد المولوي في هذه المجلة صوتًا قويًا يدعو إلى التوحيد الخالص ويحارب البدع والخرافات، مما جعله يتأثر بها تأثرًا عميقًا.

عزم المولوي على المضي قدمًا في هذا النهج، فأصدر "مجلة الإسلام" في أبريل 1918م، بهدف شرح عقيدة الإسلام الصحيحة، وكشف المعتقدات الباطلة والممارسات المزيفة²⁷⁴. كان يؤمن إيمانًا راسخًا بأن أي مسعى

²⁷³ K. Muhammed Kunji, p. 120.

²⁷⁴ Vol. 1, April, 1918

لإصلاح حال المسلمين لا بد أن يركز على الدين، وإلا كان جهداً ضائعاً²⁷⁵. أدرك لاحقاً أن معظم النساء المسلمات كنّ يواجهن صعوبة في قراءة النصوص باللغة المليالية، فقام بتعديل المجلة لتكون مكتوبة بنص عربي مليالي، مما سهّل عليهن فهم تعاليم الإسلام النقية.

حرص المولوي من خلال "مجلة الإسلام" على تنفيذ الخرافات التي أحاطت بالمجتمع الإسلامي، ونقل التعاليم الصحيحة بأسلوب واضح ومباشر. كما تضمنت المجلة مقالات غنية بالمسائل الدينية المهمة، فضلاً عن تفسير للقرآن الكريم لعامة الناس، موضحاً جوهر الإصلاح الحقيقي. أكد في صفحاتها²⁷⁶ أن طلب الدعاء والمعونة من غير الله تعالى يعد شركاً محضاً ينبغي اجتنابه²⁷⁷. واستشهد بالأدلة القطعية من القرآن الكريم والسنة النبوية لإيضاح حقيقة التوحيد وخطورة الشرك.

من الطبيعي أن يثير هذا النهج الإصلاحي حفيظة بعض رجال الدين التقليديين، الذين رأوا في دعوته تهديداً لمكانتهم، فأصدروا فتاوى ضد "مجلة الإسلام"، متهمين المولوي بالإساءة للإسلام. اشتد موقفهم ضده، وضغطوا على العامة لمنعهم من قراءة المجلة. ومع ذلك، استطاع المولوي الصمود، وأصدر خمسة أعداد من المجلة، محدثاً ثورة فكرية في مفهوم التوحيد لدى المسلمين، خاصة في القضايا المتعلقة بالشرك.

كان المولوي يرى أن البدع في الدين تؤدي إلى الممارسات الشركية، وتُخرج المجتمع تدريجياً عن تعاليم الإسلام الصافية²⁷⁸. شدد على أن الإنسان يجب أن يعبد الله وحده، وأن يتخذة إلهاً وخالقاً ورازقاً دون إشراك أي وسيط في ذلك. ومن خلال سلسلة من المحاضرات والرسائل العلمية، بيّن أن التوحيد يعني الإيمان بوحداية الله المطلقة. كما تناول ظاهرة طلب الشفاعة من الأولياء والأنبياء بعد وفاتهم، معتبراً أن ذلك انحراف واضح عن العقيدة الإسلامية.

شعر المولوي بحزن عميق إزاء الجمود الفكري الذي أظهره بعض العلماء ورجال الدين، وهم أنفسهم الذين يُفترض بهم أن يكونوا دعاة التنوير والهدى. فواجه هذه الانحرافات بالأدلة القاطعة، مستشهداً بآيات القرآن الكريم²⁷⁹، ومنها: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾²⁸⁰.

²⁷⁵ Vol. 1, April, 1918

²⁷⁶ Vol. No.5 August 1918.

²⁷⁷ Al-Islam, Vol. 1, No.1, May 1918.

²⁷⁸ S. Mohammed Abda, op.cit., pp 165 -166

²⁷⁹ Al-Islam, Vol. 1, Lakkam 4, July 1918, pp. 101-104.

²⁸⁰ سورة البقرة: الآية 255

وفي خطبه وكتابات، استنكر المولوي العادات والممارسات التي اعتادها الناس في شهر محرم، ونقد التقسيم غير العادل للإرث بين المسلمين، وحذّر من شد الرحال إلى القبور وطلب الحوائج من الموتى، لا سيما من قبل النساء. ودعا المسلمين إلى اتباع النبي محمد ﷺ في كل أمور حياتهم، متخذًا من الحديث الشريف قاعدة ذهبية في الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: "ما من قوم يُعملُ فيهم بالمعاصي، هم أعزُّ وأكثرُ ممن يعملُ، ثم لم يغيّروه، إلا عمَّهم الله تعالى منه بعقابٍ"²⁸¹.

وجّه نصيحته لأولئك الذين يدّعون أنهم المسلمون الحقيقيون، أن يلتزموا بتعاليم القرآن الكريم دون تحريف أو انتهاك. وأدرك أن عددًا قليلًا من المسلمين كان واعيًا بالمبادئ الأساسية للقرآن، لذا حرص على نشر مقالات تناول تفسيره، وجعل ترجمة معانيه جزءًا من مجلته، كما كان يلقي محاضرات في كل اجتماع يحضره، لينشر بين الناس روح القرآن الكريم.

تمتع المولوي بعمق معرفي في التاريخ الإسلامي، وعلم اللاهوت، والفلسفة، والفقه، والمنطق، وكان واسع الاطلاع على القرآن والسنة، مما مكّنه من الجمع بين الفكر الديني والتوجه العلمي الحديث، وجعل رؤيته الإصلاحية أكثر تقدمية وشمولًا. ويمكن تلمّس فكره المتجدد في كتابه "إسلام ماتا سانجراها سيداهانتام" (Islam Matha Sangraha Sidhantam)، الذي عكس رؤيته العميقة لمبادئ الإسلام.

لم تتوقف جهود المولوي عند الكتابة والمحاضرات، بل أسس جمعية تهدف إلى إصلاح المجتمع، ومساعدة المسلمين على التكيف مع تطورات العصر من خلال تطبيق تعاليم القرآن الكريم. كما أنشأ تلاميذه وأتباعه جمعيات أخرى لنشر الأفكار الإصلاحية، وكانت أولها "إسلام دارما بريالانا سنغام" (Islam Dharma Paripalana Sangham)، والتي تعني "جمعية الخدام الإسلاميين"، وقد تأسست في قرية نيلاكاموگو عام 1918م.

قامت هذه الجمعية بنشر العديد من الكتيبات، وعقدت الندوات العلمية لنشر العقيدة الصحيحة، ونجحت في إقناع الناس بترك بعض العادات الجاهلية، مثل تقديم النذور والهدايا للقبور الصوفية، حتى انتهت تمامًا جميع الممارسات غير الإسلامية في القرية ومحيطها²⁸². كما بذل المولوي جهدًا كبيرًا في محو الفكرة الخاطئة بأن التعليم محرّم على المسلمين، وأكد أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة.

وهكذا، جسّد المولوي نموذج العالم المصلح، الذي حمل لواء التنوير في وجه التخلف، وبذل حياته في سبيل تصحيح العقيدة، وتحرير المسلمين من قيود الجهل والخرافة، ليعودوا إلى الإسلام من جديد في أنقى صورته.

²⁸¹ الألباني، محمد ناصر الدين. صحيح الجامع الصغير وزيادته. بيروت: المكتب الإسلامي، [رقم الطبعة 4]، [سنة النشر 2015]، حديث رقم 5749.

²⁸² M.Muhammed Kannu, Vol. 29 10 February 1979.

خلاصة الباب الثالث

يستعرض هذا الباب الملامح البارزة للفكر الإصلاحي والاجتماعي الذي حملته العلامة محمد عبد القادر المولوي الوكّمي، والذي ارتكز أساسًا على خدمة اللغة العربية وآدابها، ونشر الثقافة الإسلامية بالتعليم والتأليف والترجمة، وربط النهضة العلمية في كيرالا بعمقها الحضاري العربي والإسلامي، مع إبراز أثره في تلامذته الذين حملوا مشعل هذه الرسالة المباركة من بعده.

ففي *السيدة حليلة بيوي: رائدة النهضة النسائية في كيرالا*، نلمس أثر فكر المولوي في بعث الوعي بين النساء المسلمات عبر التعليم والتثقيف الإسلامي، حيث كانت حليلة بيوي من الرائدات اللاتي تلقين هذا الوعي، ودعمت تعليم الفتيات، مما أسهم في تكوين جيل نسائي مثقف متصل بالتراث العربي والإسلامي، مدرك لأهمية لغته في فهم الدين وخدمة المجتمع.

وفي *المولوي الوكّمي وتأثير وسائل الإعلام في النهضة العلمية*، تتجلى عبقريته في تسخير الصحافة لنشر المؤلفات المترجمة والمقالات العلمية من العربية، فحوّل الجرائد والمجلات إلى منصات تعليمية تعزز مكانة اللغة الفصحى في الحياة العامة، وربط القراء بمصادر الفكر الإسلامي الأصيل من العالم العربي، جامعًا بين التأليف المحلي والترجمة الرفيعة المستوى.

أما *الوعي السياسي والالتزام الاجتماعي في حياته*، فيكشف عن ربطه الوثيق بين الثقافة العربية والفكر السياسي الواعي، حيث كان يترجم المقالات من العربية التي تتناول قضايا الأمة، ويؤلف نصوصًا تعليمية وإرشادية باللغة الفصحى، ليجعل من اللغة أداة لبعث الوعي الاجتماعي والسياسي، مؤكدًا أن النهضة لا تقوم إلا على أسس العلم المترجم من مصادره الموثوقة، والمؤلف بما يخدم واقع الأمة.

وفي *حرية الصحافة وحرية التحرير*، برز دفاعه عن حق الصحف في كيرالا أن تنشر أفكارها بحرية، خاصة تلك التي تحمل مقالات مترجمة عن رموز الفكر الإسلامي في العالم العربي، مع حرصه على أن تكون اللغة الفصحى أداة قوية للتأليف الصحفي المؤثر، ومجالًا لتربية الأجيال على التعبير الرصين والفكر الواعي.

أما *دور الجريدة والترجمة في الإصلاح الديني*، فقد كان رائدًا في نقل النصوص العلمية والدينية من العربية إلى المليالمية وبالعكس، مما أتاح لجمهور واسع الاطلاع على تراث الأمة، كما كان يؤلف مقالات تعالج مشكلات المجتمع في ضوء الشريعة، ليجعل من الصحافة وسيلة تعليمية وثقافية متكاملة.

وفي *محاولته لترجمة القرآن وتعليم الإسلام عبر المجلة*، تجلت رؤيته العميقة في تقريب معاني القرآن للمجتمع من خلال ترجمة دقيقة مشفوعة بالتفسير الميسر، مع مقالات تعليمية تعين القارئ على فهم النص، ليكون الجمع بين الترجمة والتعليم أحد أعمدة منهجه الدعوي.

ويبرز في المولوي الوكعي: رائد النهضة الاجتماعية والدينية في كيرالا كيف جمع بين إصلاح العقيدة وإصلاح العادات، مع مشروع ضخّم لتعليم اللغة والثقافة وتأليف الكتب المدرسية التي ترسخها في أذهان الناشئة، وترجمة النصوص التي توضح سماحة الإسلام ونقائه.

وأما منهجه في الإصلاح الاجتماعي والديني، فقد اعتمد على نشر التعليم العربي، وتأليف كتب تربط بين النصوص الشرعية والواقع المعاصر، وترجمة ما يلزم من مصادر الفكر الإسلامي لتمكين القارئ المحلي من الاطلاع على ثمار الحضارة الإسلامية.

وفي رأيه في فتح باب الاجتهاد، أكد أن الاجتهاد الواعي يحتاج إلى إلمام واسع بلسان العرب، وهو ما سعى لتحقيقه عبر تعليم العربية وتأليف مناهجها، وترجمة المراجع التي تؤصل لمبادئ الاجتهاد الصحيح، لتمكين العلماء من معالجة القضايا المستجدة.

كما تناول موقف العلماء ورجال الدين من دراسة العلوم الحديثة، حيث دعا إلى الجمع بين العلوم الشرعية والعلوم العصرية، مسخّرًا الترجمة من العربية وغيرها في جسر الهوة بين الفكر الديني والمعارف الحديثة، ومؤلفًا نصوصًا تربوية تدمج بين المنهجين.

وفي البدع والخرافات المنتشرة في المجتمع المسلم والمزامير والمدائح في العربية المليالية، استعمل التعليم والتأليف الصحفي والترجمة من مصادر السلف لكشف زيف الممارسات المنحرفة، مقدمًا نصوصًا بالعربية تصحح المفاهيم وتعيد الناس إلى صفاء التوحيد.

وفي موقفه من البدع والخرافات ومحاربتة للشرك، جعل اللغة الفصحى وسيلة رئيسية في نشر مقالات وكتب مترجمة ومؤلفة تشرح العقيدة الصحيحة، وتفنّد الخرافات بالدليل، مما جعل نشاطه في التأليف والترجمة والتعليم حلقات متكاملة في مشروعه الإصلاحي.

وبذلك يظهر أن هذا الباب يرسم صورة مدرسة إصلاحية عربية وغير عربية الهوى، عالمية الرسالة، أساسها تعليم اللغة العربية، وتأليف الكتب والمناهج، وترجمة التراث الإسلامي والفكر الإصلاحي إلى لغة يفهمها الناس، وهو النهج الذي سار عليه تلامذته، فجعلوا من العربية جسرًا يربط حاضر كيرالا بتراث الأمة، ومن التأليف والترجمة والتعليم أعمدةً لنهضة علمية واجتماعية مستمرة.

واعتمدت الدراسة المنهج التاريخي التحليلي، مع الاستفادة من بعض أدوات تحليل الخطاب، لفهم نصوص المولوي في سياقها الحقيقي. كما استندت إلى مصادر أولية متنوعة، مثل مؤلفاته ومقالاته وترجماته والوثائق المرتبطة بالحركة الإصلاحية، مع مقارنتها بالدراسات الحديثة لضمان دقة النتائج.

وقد ركز البحث على قضايا مهمة تناولها المولوي، مثل تعليم المرأة، وحرية الصحافة، والإصلاح الاجتماعي، والعلاقة بين الدين والعلوم الحديثة. وأظهرت الدراسة أن هذه القضايا جميعها كانت تنطلق من رؤية واحدة تؤمن بأن نهضة المجتمع تبدأ بالعلم والتربية والأخلاق.

كما درست ترجماته بوصفها وسيلة لنقل المعرفة والأفكار الإصلاحية إلى المجتمع المحلي، وأسهمت في تعزيز الصلة بالتراث العربي والإسلامي. وتناولت أيضًا أثره في تلامذته الذين واصلوا العمل في مجالات التعليم والصحافة والترجمة.

وتخلص الدراسة إلى أن المولوي الوكّمي قدّم مشروعًا إصلاحيًا متكاملًا جمع بين التعليم والصحافة والترجمة والعمل الاجتماعي، وأسهم في تطوير الوعي الديني والثقافي للمسلمين في كيرلا وربطهم بالعالم الإسلامي الأوسع.

الباب الرابع

دور الإعلام والصحافة في الإصلاح

الفصل الأول: المولوي الوكّمي ونضاله من أجل حرية المرأة المسلمة

الفصل الثاني: المولوي الوكّمي والمشاركة في القضايا الدولية والقومية

الفصل الثالث: السياق التاريخي لأراء عبد القادر المولوي الوكّمي السياسية

الفصل الرابع: محاولات المولوي الوكّمي لاستعادة جوهر الإنسانية

الفصل الخامس: الإعلام ودوره في الإصلاح الاجتماعي لدى المولوي الوكّمي

الفصل السادس: مساهمة المولوي في حركة الحقوق الاجتماعية والمدنية

الفصل السابع: إرث جريدة "سوديشابيماني" ومؤسسها المولوي الوكّمي

الفصل الثامن: ترجمة القرآن الكريم إلى المليالمية وانحدار المجتمع وتدهورهم اللغوي

الفصل التاسع: مشروع ترجمة القرآن الكريم للمولوي الوكّمي

الفصل العاشر: دور مجلة المنار والسيد رشيد رضا في الإصلاح والتجديد

الفصل الحادي عشر: رسالة المولوي الوكّمي في مجلة المنار

خلاصة الباب الرابع:

الفصل الأول

المولوي الوكّمي ونضاله من أجل حرية المرأة المسلمة

واجه المولوي الوكّمي معارضة شديدة من قِبَل الصوفيّين ورجال الدين الذين وقفوا ضد حركته الإصلاحية، إذ سَعُوا إلى بثّ الفتن وزرع البلبلة في عقول الناس من خلال انتقاداتهم اللاذعة لحركة التجديد والتحديث. لقد شجّع هؤلاء على الشرك، وعزّزوا الخرافات والبدع عبر إساءة تفسير تعاليم الإسلام وتحريفها، مما أدى إلى انحطاط داخلي للإسلام. ومع ذلك، لم يتردد المولوي في أداء مهمته، بل خاض غمارها بكل جرأة وإقدام.

أكد المولوي أن الإسلام لا يعرف الكهنوت، موضحًا ذلك بقوله: "هناك فئات من الكهنة أو الرؤساء الدينيين في بعض الأديان، يسيطرون على الحياة الروحية للناس، لكن في الإسلام، لا وجود لمثل هذه السلطة، فالقرآن والسنة هما المصدران الأساسيان للدين، والجميع متساوون أمام أحكامه، إذ يُطلب من كل فرد الامتثال لأوامر الشرع دون تمييز. لا يتمتع أحد بحقوق خاصة في الإسلام، وليس هناك مجال لطبقة كهنوتية تحتكر الدين".²⁸³

كان منع النساء من حضور المساجد للعبادة قرارًا فرضه رجال الدين، إلا أن جهود الإصلاح نجحت في تخفيف هذه القيود. تأثرت هذه الحركة بأفكار العلماء والمفكرين المسلمين خارج ولاية كيرالا، مثل الشيخ محمد عبده وجمال الدين الأفغاني، مما ساهم في إحداث ثورة ثقافية وتعليمية بين المسلمين. لقد أدى تعليم المرأة إلى تغييرات جذرية في المجتمع، حيث تم القضاء على كثير من العادات الخرافية والممارسات الباطلة. وكان الحجاب، الذي كان في بداياته رمزًا للعزلة، قد أصبح في زمن المولوي الوكّمي، وبسبب نشاطاته الإصلاحية، شعارًا لمشاركة المرأة المسلمة في الحياة العامة. ومن ثم، ظهرت العديد من المنظمات النسائية التي عزّزت دور المرأة في المجتمع المسلم.

خلقت الحركة الإصلاحية بيئة جديدة فتحت آفاقًا أوسع للمسلمين، مما مكّنهم من استعادة بعض حقوقهم الدينية والاجتماعية. وقد سعت الحركة إلى وضع ضوابط لتعدد الزوجات والحد من ظاهرة الطلاق العشوائي غير الشرعي، كما ساعدت على تحسين وضع المرأة في المجالين الاقتصادي والاجتماعي، من خلال تعزيز مشاركتها في سوق العمل. وقد بات من المسلّم به في الأوساط الثقافية والاجتماعية أن مكانة

²⁸³ S.Muhammad Abda (ed.), The Selected Works of Vakkom Moulavi, 1970, Vakkom Moulavi Publications, p 133.

المرأة في أي مجتمع تُعدّ مقياساً لتقدمه وتحضره. ولا شك أن جهود المولوي الوكّمي ومساعيه الحثيثة في الارتقاء بوضع المرأة المسلمة قد سجلت في صفحات التاريخ.

ومن الظواهر الاجتماعية السيئة التي سادت بين مسلمي ولاية كيرالا آنذاك، فرض المهر الإجمالي على الزوجة، وهي ممارسة لا أصل لها في الإسلام، حيث لم يقرّ الإسلام مطالبة المرأة أو أهلها بأي أموال أو هدايا كشرط للزواج. بل إن الله تعالى أمر الزوج بمنح المرأة مهرًا عن طيب نفس، كما جاء في قوله تعالى: "وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً"²⁸⁴ ومع ذلك، تحولت هذه العادة إلى عبء ثقيل على آباء الفتيات، وكأنها شرط لا مفر منه لإتمام الزواج، ما أدى إلى عزوف الكثير من النساء عن الزواج بسبب عدم قدرة أسرهن على تحمل التكاليف.

لقد كان أحد المحاور الجوهرية في إصلاحات المولوي الوكّمي هو تصحيح الصورة المغلوطة عن مكانة المرأة في الإسلام، إذ شاع الاعتقاد بأن الإسلام ظلم المرأة وجعلها خاضعة للرجل، بينما الحقيقة أن الإسلام كان أول دين يؤسس لمبدأ المساواة بين الجنسين. وقد قدّم المولوي أدلة قرآنية واضحة لدحض هذه الادعاءات، مؤكدًا أن المرأة والرجل متساويان في الحقوق والواجبات، مستشهدًا بقوله تعالى: "إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى"²⁸⁵.

كما بيّن المولوي أن الإسلام منح المرأة حقوقًا لم تكن معروفة في أي مجتمع آخر قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا، كحقها في الميراث، وهو ما لم تمنحه الدول الغربية للمرأة إلا بعد نضالات طويلة في عصور متأخرة.²⁸⁶ ولم يكن تمكين المرأة في العصر الحديث تفضلاً من المجتمعات، بل جاء استجابة لضغوط الحركات الحقوقية التي فرضت ذلك فرضاً.

إن الأوضاع المؤسفة التي كان يعيشها مسلمو ولاية كيرالا دفعت المولوي إلى تكثيف جهوده في تثقيف الجماهير، وإنقاذ غير المتعلمين من براثن الخرافات والمعتقدات الزائفة التي لا تمت للإسلام بصلة. وبفضل حملته المستمرة التي طالت جميع أنحاء الولاية، أصدرت حكومة مهاراجا قراراً بإدخال تدريس اللغة العربية في المدارس الحكومية التي تضم طلاباً مسلمين، كما قدّمت تسهيلات وإعفاءات مالية للطلاب المسلمين، خاصة الفتيات، دعماً لمسيرتهن التعليمية. لم يقتصر جهد المولوي على ذلك، بل ألّف كتباً مدرسية لتعليم الأطفال اللغة العربية، وأعدّ دليلاً خاصاً لتدريب معلمي اللغة العربية في المدارس الابتدائية، كما أشرف على وضع أدوات الامتحانات لمدرّسي اللغة العربية في الولاية.

²⁸⁴ سورة النساء الآية: 4

²⁸⁵ سورة الحجرات الآية: 13

²⁸⁶ M. Muhammed Kannu (comp.) p. 87.

لقد كانت الحركة الإصلاحية التي قادها المولوي ورفاقه في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تهدف إلى استعادة صفاء العقيدة ونقاء الدين، عبر تنقيته من كل الشوائب التي علقته به من خرافات وممارسات تتنافى مع تعاليم الإسلام الصحيحة. ولتحقيق ذلك، دعا المولوي المسلمين إلى العودة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وترك كل ما يتعارض مع جوهر الإسلام. سعى كذلك إلى تمكين المجتمع المسلم عبر التعليم الحديث، ونشر المعرفة الإسلامية الصحيحة من خلال الكتب والمنشورات والجمعيات التي أسسها لهذا الغرض.

لقد حققت حركة الإصلاح التي قادها المولوي الوكّمي نجاحًا منقطع النظير، إذ حظيت بتأييد واسع من عامة الناس، مما مكّنه من مواصلة مسيرته رغم معارضة أصحاب المصالح. لقد شجّع المولوي المظلومين والمضطهدين على مقاومة استبداد رجال الدين المزيفين، والتصدي للظلم الاجتماعي والقمع الاقتصادي، وامتد تأثير حركته ليطال الأثرياء والملوك والساسة، وحتى رجال الدين أنفسهم، رغم قلة عدد أنصاره. وهكذا، استطاع أن يترك بصمة لا تُمحى في مسيرة الإصلاح، ويفتح آفاقًا جديدة للمجتمع المسلم نحو الحرية والتقدم.

الفصل الثاني

المولوي الوكّمي والمشاركة في القضايا الدولية والقومية

لم تقتصر إسهامات المولوي الوكّمي على ميادين الإصلاح الديني واللغوي والترجمة فحسب، بل امتدت لتشمل التحول الاجتماعي والسياسي لمجتمع ولاية كيرالا. فقد أدرك أن الإصلاح الديني والمشاركة السياسية وجهان لعملة واحدة، وأن التغيير الحقيقي لا يتحقق إلا عبر تفاعل متكامل بين الروح والعقل، بين الدين والدولة. ومن خلال رؤيته العميقة لهذا الترابط، تشكلت أفكاره السياسية على أسس متينة، إذ كان يرى أن الإسلام وضع مبادئ عامة لشؤون الدنيا، تاركًا للمسلمين مسؤولية الاجتهاد واستنباط الأحكام التي تناسب مع واقعهم المتغير وتحديات زمانهم.

وفي سعيه لمواجهة الهياكل الاجتماعية والسياسية المتجذرة في ترافنكور، اتجه المولوي إلى الصحافة والنشر، كما أشرنا سابقًا، واتخذ من جريدة سوديشابيمان منبرًا للتنوير والتغيير. وقد أحدث من خلال هذه الصحيفة تحولًا سياسيًا بارزًا في المجتمع عبر مسارين متكاملين: فمن جهة، تصدى للاستبداد السياسي والتمييز الاجتماعي، مسلطًا الضوء على الفساد المستشري في الديوان الأميري وبين أروقة المحكمة، حيث فضح ممارسات البيروقراطية الجائرة وانتقد تجاوزات المسؤولين. ومن جهة أخرى، اضطلع

بمهمة تثقيف الشعب، فوعّاهم بحقوقهم وواجباتهم، وغرس في نفوسهم وعيًا جديدًا بهويتهم السياسية، ليحررهم من عقلية "الرعايا" الذين يذعنون لأوامر الحاكم بلا وعي أو مساءلة، ويجعلهم مواطنين يدركون دورهم في رسم ملامح مستقبلهم.

إلا أن هذه الجهود لم تمر دون رد فعل قاسٍ من السلطة الحاكمة، التي رأت في كلماته خطرًا على نفوذها، فعمدت إلى نفي محرر الصحيفة وإيقاف نشرها بعد خمس سنوات فقط من انطلاقها، في محاولة يائسة لإخماد صوت الإصلاح والتغيير. غير أن أفكار المولوي ورسائله لم تكن قابلة للنفي أو الإخماد، فقد ترسخت في الوجدان الشعبي، وظلت شعلة مضيئة تلهم الأجيال في نضالها من أجل الحرية والعدالة.

تميّز المولوي الوكّمي في كتاباته بين المجالين الروحي والديني، حيث كان يرى أن القرآن الكريم والحديث الشريف هما المصدران الوحيدان لفهم القضايا الدينية، وأنه لا يجوز لأحد أن يضيف إليهما أو يحذف منهما، إذ إنّ الأمور الروحية أبدية ثابتة لا تخضع لأي تغيير أو تعديل. أما ما يتعلق بشؤون الدنيا، فهو بطبيعته متغير، خاضع لسياقات الزمان والمكان، مما يستوجب التعامل معه وفق المستجدات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. ومن هذا المنطلق، رأى المولوي أن الحكمة والآراء الفقهية الراسخة وحدها لا تكفي لمعالجة القضايا المستحدثة في المجال الديني، بل لا بدّ من إعمال العقل والتجديد في الاجتهاد بما يواكب المتغيرات²⁸⁷.

لقد كان المولوي يؤمن بأن الإسلام يقوم على مبادئ جوهرية تتمثّل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحقيق العدل، وتجنّب الظلم بكل صوره، وأنه من مسؤولية المسلمين، لاسيّما من يملكون المعرفة العميقة بالأمور الدنيوية، أن يوظّفوا عقولهم لاستخلاص القواعد الملائمة لحلّ المشكلات المستجدة. لكنه في الوقت ذاته أكّد أن استنباط الأحكام ووضع التشريعات ليس متاحًا لعامة المسلمين، بل هو من اختصاص العلماء وذوي الدراية الشرعية، إذ يتعيّن على المسلمين أن يفهموا المبادئ الإسلامية ويطبّقوها عند التعاطي مع القضايا الدنيوية.

وتقترب رؤية المولوي في هذا الشأن من آراء العلامة السيد رشيد رضا، الذي فرّق بين العبادات والمعاملات والأخلاق. فقد كان رشيد رضا يرى أن العبادات أمر ثابت لا يجوز التغيير فيه، لأنها محدّدة بنصوص القرآن والسنة الصحيحة، بينما يتعيّن على الإنسان استخدام عقله في إطار المبادئ العامة التي أرساها الإسلام لتحديد أفضل السبل التي تحقق مقاصده في شؤون الحياة. كما كان يؤكّد على أن العقل الإنساني ينبغي أن يكون مرجعًا في تقدير المصالح العامة عند النظر في المسائل الدنيوية.

²⁸⁷Vakkom Moulavi, "An Outline of Islamic Religious Principles," 129-130.

ومن منطلق هذه الرؤية، شدّد المولوي الوكّمي على أن علماء الدين وأهل الحكم، من الملوك والسلاطين ومن يملكون القوة والعدالة، لهم الحق في سنّ القوانين والتشريعات التي تصبّ في مصلحة البلاد والعباد. لكنه في الوقت ذاته أكّد أن على الشعوب الامتثال لهذه القوانين ما دامت قائمة على العدل، مستنداً في ذلك إلى قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ"²⁸⁸ كما أشار إلى أن الإسلام يوجب التشاور في الأمور العامة، مستدلاً بقوله تعالى: "وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ"²⁸⁹ واستشهد بما كان يفعله النبي ﷺ من مشاورة أصحابه في المسائل المهمة، وهو النهج ذاته الذي سار عليه الخلفاء الراشدون من بعده.

إلا أن المولوي رأى أن هذا التقليد الاستشاري بدأ يضعف مع قيام الدولة الأموية (661-750م)، حيث بدأت ملامح الحكم الديكتاتوري بالتراكم²⁹⁰، حتى اشتدّ الأمر في العصر العباسي (750-1258م)، مما أدى إلى تراجع مبدأ الشورى والمصلحة العامة. ووفقاً لرؤيته، فإن معظم الحكام المسلمين الذين جاؤوا بعد ذلك - باستثناء قلة منهم - كانوا مستبدّين، وهو ما انعكس على طبيعة الحكم الإسلامي لاحقاً.

ولا يمكن فهم آراء المولوي الوكّمي القانونية بمعزل عن السياق التاريخي لمسلمي ولاية كيرلا في الهند، حيث لم يخضعوا يوماً لحكم إسلامي شرعي. فقد كان المسلمون في العصور السابقة للاستعمار يعملون في التجارة ويستوطنون المدن الساحلية وضيّاف الأنهار في ملبار وأجزاء من ترافنكور، وحظوا بنوع من الاستقلال الذاتي، حيث منحهم حكام كيرلا حرية ممارسة عقيدتهم وإدارة شؤونهم الاجتماعية والدينية وفق أحكام الشريعة، دون أن يكون لهم نفوذ سياسي مستقل.

وبسبب هذا الواقع، لم تنشأ لدى المولوي الوكّمي فكرة الدولة الإسلامية القائمة على الشريعة، بل قبل بالنموذج العلماني لولاية كيرلا، مؤمناً بأن الدولة مسؤولة أمام شعبيها، وأن من واجبيها الاهتمام برعاياها دون تمييز. وعلى هذا الأساس، دعا المسلمين إلى الوعي بحقوقهم وامتيازاتهم، والمشاركة النشطة في الحياة السياسية لترافنكور، مؤكداً أن ضمان هذه الحقوق لا يتحقق إلا في ظلّ حكومة عادلة تخلو من الظلم والفساد.

تكشف رؤية المولوي الوكّمي عن فهم متقدّم للعلاقة بين الدين والدولة، يقوم على التمييز بين الثابت والمتغيّر، ويؤكد على أهمية العقل في الاجتهاد في الشؤون الدنيوية، مع ضرورة الالتزام بالمبادئ الإسلامية الجوهرية. كما توضح تجربته في كيرلا كيف يمكن للمسلمين التفاعل مع بيئاتهم السياسية والاجتماعية بمرونة، مع الحفاظ على هويتهم الدينية والتمسك بحقوقهم المشروعة.

²⁸⁸ سورة النساء: 59

²⁸⁹ سورة آل عمران: 159

²⁹⁰ Vakkom Moulavi, "An Outline of Islamic Religious Principles," 129-130.

الفصل الثالث

السياق التاريخي لأراء محمد عبد القادر المولوي الوكّمي السياسية

وفي عام 1860م، توصّل الملك مهاراجا ترافنكور إلى اتفاق مع البريطانيين، وبموافقتهم قرر تعيين "ديوان" وأمرء لإدارة أراضيه. وعلى الرغم من توافر الكفاءات المحلية في ترافنكور، فقد تم استخدام نخبة متشددة من البراهمة الهندوس من خارج الولاية، وتعيينهم في هذه المناصب العليا، وذلك تحت ذريعة تحقيق التكامل السياسي للهند²⁹¹.

وبالتزامن مع ذلك، كان أبناء كيرالا المتعلمون نادراً ما يحظون بفرص التعيين في المستويات العليا من بيروقراطية الدولة، وذلك في وقت شهدت فيه ترافنكور نهضة تعليمية واسعة، إذ برز جيل جديد من المتعلمين الناطقين بالإنجليزية، الذين امتلكوا وعياً اجتماعياً وسياسياً متقدماً بحقوقهم ومسؤولياتهم.

على الجانب الآخر، تأثر أفراد مجتمع نايار الهندوسي الذين خدموا تقليدياً في إدارة الدولة والخدمة العسكرية للملك مهاراجا بهذا الترتيب غير العادل²⁹²، فشعروا بالتمييز والإقصاء. وفي سبيل الدفاع عن حقوقهم في تولي المناصب العامة، أسس شباب ترافنكور في عام 1877م منظمة "الجمعية الاجتماعية الماليلية"، التي أصبحت فيما بعد الأساس لتشكيل "اللجنة الماليلية في ترافنكور (Travancore Malayali Sabha) في 11 يناير 1891م.

وفي خطوة جريئة، قدّمت هذه اللجنة مذكرة إلى الملك مهاراجا، عُرفت باسم "التذكاري الماليلي"، وكان الهدف الأساسي منها لفت انتباه الملك إلى الظلم الفادح المتمثل في حرمان السكان الأصليين من نصيب عادل في إدارة الدولة، واستبعادهم من أعلى مراتب الخدمة المدنية. كما طالبت المذكرة بمساواة جميع سكان ترافنكور، بغضّ النظر عن الطبقة أو اللون أو العقيدة، ومنحهم فرصاً عادلة في العمل والإدارة²⁹³.

²⁹¹ Jeffrey, R. (1976). *The decline of Nayar dominance: Society and politics in Travancore, 1847–1908*. Vikas Publishing House.

²⁹² Jeffrey, R:

²⁹³ Regional Records Survey Committee, Kerala State, *The History of Freedom Movement in Kerala* (Trivandrum: Government of Kerala, 1970), pp. 10–11.

وقد مثلت مذكرة "التذكاري المالي" أولى بوادر الصحوة السياسية والاجتماعية للمتعلمين في ترافنكور. ولقيت دعمًا كبيرًا من طبقة النابر الهندوسية، بالإضافة إلى تأييد مجتمعات الإيزافا، والنامبوتري، والمسيحيين اللاتين، والمسيحيين السريان، والهنود الأنجلوس. غير أنه من اللافت للنظر أنه في عام 1891م لم يكن هناك أي مسلم يعمل في الخدمة المدنية في ترافنكور، ورغم ذلك لم يسع واضعو المذكرة إلى إدراج توقيع مسلم واحد ضمن العشرة آلاف موقع، بحجة تخلف المسلمين تعليميًا.

أثار هذا الإقصاء استياء الطبقة الوسطى المسلمة، ودفعهم إلى الوقوف في صفوف المعارضين للمذكرة. ومع ذلك، لم ينخرط المسلمون في الاستراتيجية التي اتبعتها المجتمعات الأخرى لتعزيز مواقعها في الإدارة الحكومية. ورغم تعاطف العديد من المسؤولين البريطانيين مع مطالب مقدمي المذكرة، إلا أن الديوان لم يبد أي تجاوب معهم، بل رفض مطالبهم رفضًا قاطعًا.

وفي هذا السياق، تبرز أهمية تحليل آراء وكم عبد القادر المولوي السياسية، في ظل أجواء التحريض السياسي التي شهدتها ترافنكور، وعزوف المسلمين عن المشاركة فيها. لاحقًا، اتهم الديوان راجاغوفال آجاري صحيفة "سوديشايماني" بتسليط الضوء على معاناة خريجي جامعات ترافنكور، ومطالبتها بمشاركة أوسع للسكان الأصليين في الوظائف الحكومية، ما زاد من حدة التوترات السياسية والاجتماعية في المنطقة.

الفصل الرابع

محاولات المولوي الوكمي لاستعادة جوهر الإنسانية

أكد المولوي الوكمي على الحاجة الملحة لفصل الشؤون الدنيوية عن الروحية، لكنه في الوقت ذاته آمن بأن الشؤون الدنيوية لا تقل أهمية عن الروحية، بل هما جناحان لا يستقيم التحليق بدونهما. ورأى أن المسؤولية لا تقع على عاتق العلماء وحدهم، بل هي واجب عام على كل مسلم، إذ ينبغي لهم أن يتعاملوا مع الشؤون الدنيوية بجدية وإخلاص. من هنا جاءت دعوته إلى مشاركة المسلمين الفاعلة في الحياة السياسية في ترافنكور، إيمانًا منه بأن النهضة الحقيقية لا تتحقق إلا من خلال هذا الانخراط، إذ لا يمكن للمسلمين بلوغ الرفاه والسخاء، ولا حتى مواصلة التعليم الحديث، دون الانخراط في صميم الحياة العامة والمشاركة في بنائها.

لقد جاءت دعوة المولوي الوكمي للمسلمين للانخراط في السياسة امتدادًا لحركات إصلاحية مماثلة شهدتها جنوب آسيا خلال القرنين التاسع عشر والعشرين. وكما أشار روبنسون، فإن الإصلاحيين الدينيين في تلك

الحقبة حملوا شعورًا عميقًا بالمسؤولية الفردية، وكانوا يدركون بأن معرفة الواجب تقتضي العمل به²⁹⁴. وقد تجسد ذلك في فكر رموز الإصلاح، من أمثال أشرف علي التهانوي والسيد المودودي، إذ آمنوا بأن إدراك المرء لما ينبغي فعله يُلزمه بالسعي إليه دون تردد، حتى إنهم بدوا وكأنهم يطاردون الخلاص خشية التقصير في أداء ما عليهم من واجب. وكان هذا الشعور حاضرًا كذلك لدى السيد أحمد خان، الذي رأى أن عليه، كفرد، أن يتخذ التدابير اللازمة لخدمة مجتمعه والإسلام²⁹⁵.

ويستشهد السيد/ روبنسون كذلك برؤية الشاعر والفيلسوف الإسلامي الكبير السيد/ محمد إقبال، الذي قال: "لقد خلق الإنسان مزودًا بقدرة الاختيار،

فهو حرّ في القبول والرفض،

وقد جعله الله خليفةً في الأرض،

يمنحه القدرة على تسخير قوى الطبيعة،

لكنّ ذلك لا يكون إلا ضمن إطار المسؤولية"²⁹⁶.

وفي نظر المولوي الوكّعي، كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام مثالًا يُحتذى في الاجتهاد والعمل، متحلّين بإرادة لا تلين، قادرة على تحريك الجبال. وبفضل عزيمتهم الصلبة، بلغوا أهدافهم النبيلة وانتصروا للحق، فهزموا قوى الظلم والشر، وارتقوا إلى أسى مراتب الإنسانية، حتى غدوا وكأنهم ملائكة في هيئة بشر. وهذه هي التقوى التي دعا إليها الإسلام.

ولذلك، لم يكن غريبًا أن يحثّ المولوي المسلمون، في خطبه ومواعظه، على الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، معتبرًا أن استذكار سيرته يبعث في القلوب الحنين إلى العصر الذهبي للإسلام، ويوقظ فيها العزيمة لتحقيق المجد والازدهار، كما يحقّزها على تحمّل المشاق في سبيل مستقبل مشرق. وفي كلماته الملهمة إيمانًا، قال: "إن معرفة المبادئ الحقيقية للإسلام هي السبيل لنكون جديرين بالمسؤوليات التي كُلفنا بها، وعندها فقط نستحق أن ندعى مسلمين بحق"²⁹⁷.

²⁹⁴ Robinson, Francis. "Islamic Reform and Modernities in South Asia. " *Modern Asian Studies*, vol. 42, nos. 2–3, 2008, pp. 259–281.

²⁹⁵ Robinson:

²⁹⁶ Robinson :

²⁹⁷ Vakkom Moulavi, "Mawlid al-Nabawi," 81-82.

على الرغم من أن المولوي الوكّمي اشتهر بكونه مصلحًا إسلاميًا بارزًا، إلا أن فكره الوطني ومشاركته الفاعلة في المؤتمر الوطني الهندي (Indian National Congress) لم يحظيا بالاهتمام الكافي. لقد كانت الوطنية متغلغلة في كيانه، نابضة في عقله، وماثلة في أعماله، إذ أدرك أن استقلال الأمة لا يمكن أن يتحقق دون نهضة المسلمين الذين يشكلون جزءًا أساسيًا من نسيج المجتمع في ولاية كيرلا، إلى جانب باقي الطوائف.

كان السيد محمد كانو يعتبره من الركائز الأساسية للحركة الإصلاحية، إذ قاد المسلمين إلى مقدمة صفوف النضال ضد الاستعمار، مؤمنًا بأن تقدم الأمة الهندية لن يكون ممكنًا دون ارتقاء المسلمين في مجالات التعليم والاجتماع. وقد أدرك المولوي أن تحقيق ذلك يستلزم تحدي بعض العقائد المحافظة والممارسات التقليدية، فكانت حركته الإصلاحية الدينية والاجتماعية سعيًا دؤوبًا لإشعال جذوة الوطنية في نفوس المسلمين²⁹⁸، ودفعهم للمشاركة الفاعلة في مسيرة التحرر. واعتقد المولوي أنه إذا كان المسلمون والمسيحيون والهندوس مرتبطين بعجلة واحدة للأمة الهندية، فإن ضعف أحدهم سيؤثر سلبًا على تقدم الأمة بأكملها، ولهذا كان يحفز العمل على رفع شأن إخوانه المسلمين²⁹⁹.

كان من الصعب جدًا الفصل بين نشاطه الوطني وجهوده الإصلاحية الدينية، إذ كان من أوائل الناشطين في حزب المؤتمر الوطني الهندي في ترافنكور، ولم يكن هناك من يضاهيه في ولاية كيرلا خلال تلك الفترة³⁰⁰. ولذلك، كان قادة حزب المؤتمر الوطني الهندي يُدعون بانتظام كضيوف شرف في الاجتماعات العامة التي نظمتها الحركات الإصلاحية في ولاية كيرلا. ومن أبرز هذه الاجتماعات، ذلك الذي نظمته "نيلاكاموكو مسلم ساماجام"، حيث ترأسه السيد آتغال جوفالان ناير، وشهد حضورًا متميزًا لأحد أعظم قادة المؤتمر الوطني الهندي، السيد أ.ك. بيلاي، الذي كان أول من رفع راية النضال ضد المستعمرين في العلن. وقد أدى هذا الحدث إلى ظهور مجموعة من المتطوعين في منطقة نيلاكاموكو، ممن تبناوا فكر غاندي وسياسته³⁰¹، حيث قدم لهم المولوي الوكّمي الإرشاد والتوجيه، وسعى إلى إنشاء منظمات مشابهة في مناطق أخرى من الولاية لنشر الروح الوطنية.

وفي أوائل القرن العشرين، لم يكن هناك تمييز واضح بين الحركات الإصلاحية الدينية والحركة الوطنية التحررية، بل كانتا تسيران جنبًا إلى جنب في تناغم فريد يميزها عن باقي الحركات الإسلامية في كيرلا. وشارك المولوي الوكّمي بكل نشاط في المؤتمر الأول لحزب المؤتمر الإقليمي في ولاية كيرلا، الذي انعقد في أوتابالام

²⁹⁸ "Kannu, Vakkom Moulavi, 12

²⁹⁹ Bashir "Swadesabhimani Vakkom Moulavi," 6.

³⁰⁰ Bashir, K. M. (1987, June 21). *Speech delivered at the inaugural meet of the Vakkom Moulavi Foundation Trust*. Vakkom Moulavi Foundation Trust.

³⁰¹ وقد سبق ذكرهما تفصيلًا وعن دورهما في تحرير الهندي من البريطانيين.

في أبريل 1921م، وكان برفقته نخبة من القادة، أمثال أ. محمد كنجو المولوي، وأ. محمد كانو³⁰². وعلى هامش المؤتمر، عُقد اجتماع لمجلس علماء كيرلا برئاسة السيد مرتضى صاحب³⁰³، مما أتاح للمولوي فرصة التعرف عن كثب على كبار قادة المسلمين في ملبار. ومن المهم هنا الإشارة إلى أن العديد من العلماء والمشايخ المشهورين من زملائه، بالإضافة إلى عامة الناس، شاركوا في اجتماعات المؤتمر الوطني الهندي، وحافظوا على تواصل وثيق مع قياداته³⁰⁴.

كان المولوي الوكّمي يكنّ احترامًا عميقًا لمهامتا غاندي منذ أن بدأ نضاله في جنوب إفريقيا، حيث ترجم محرره، السيد راما كرشنا بيلاي، سيرة غاندي أثناء وجوده هناك. وعندما زار غاندي ترافاندرم عام 1922م، حضر اجتماعًا حاشدًا نظمته حزب المؤتمر، حيث قام الشيخ ك. أم. المولوي، المعروف بـ "الكاتب"، بترجمة خطابه إلى لغة الملياالم. وفي اليوم التالي، عقد المولوي الوكّمي وكي. أم. المولوي اجتماعًا خاصًا لمدة نصف ساعة مع غاندي في مقر إقامته "بهاكتي فيلاس ماندر"، ومنذ ذلك اليوم، بدأ المولوي الوكّمي في ارتداء القماش القطني "القادي"، دعمًا للصناعة الوطنية.

كما كان المولوي من أشد المناصرين لحركة الخلافة، وعبر عن رفضه الشديد عندما سمع نبأ اعتقال قادة كبار من حزب المؤتمر وحركة الخلافة وسجنهم بأمر من الحاكم البريطاني للمبار، إي. أف. توماس³⁰⁵. وكان تأثيره العميق بالوطنية واضحًا في قراراته، إذ أرسل ابنه الأكبر، م. عبد السلام، إلى الجامعة المللية الإسلامية في دلهي لمتابعة تعليمه العالي، في خطوة تعكس إيمانه بضرورة بناء جيل مثقف واعٍ قادر على حمل راية النضال.

ورغم إعجابه الكبير بغاندي ودعّمه لحركة الاستقلال، إلا أن المولوي لم يوافق على دعوة غاندي لمقاطعة المؤسسات التعليمية خلال حملة الخلافة وعدم التعاون، حيث رأى، كما رأى الشاعر الكبير طاغور، أن التعليم لا بديل له، وأنه لا ينبغي إجبار الطلاب على التخلي عن دراستهم. لذا، نصّح أبناءه وتلامذته، بمن فيهم السيد حبيب محمد، بعدم الانقطاع عن الدراسة، مؤكدًا أن العلم هو السبيل الأنجع للنهوض بالأمة وتحقيق تطلعاتها الوطنية، تمامًا كما رفض طاغور فكرة المقاطعة واعتبرها عائقًا أمام تقدم الشباب³⁰⁶.

³⁰² Kareem, C. K. (1997). *Kerala Muslim History, Statistics and Directory (Vol. 1: History of Kerala and of Her Muslims)*. Edappally: Charithram Publications, P.580

³⁰³ Kannu, Vakkom Moulavi and Leaders of Renaissance, 47.

³⁰⁴ K. M. Seethi, "Vakkom Moulaviye Patti Chila Smaranakal" [A Few Reminiscences about Vakkom Moulavi], in Vakkom Maulaviyude Thiranjedutha Kruthikal [Selected Writings of Vakkom Maulavi], ed. S. Mohamed Abda.

³⁰⁵ K. M. Seethi, "A Few Reminiscences about Vakkom Moulavi," 350.

³⁰⁶ K. M. Seethi, "A Few Reminiscences about Vakkom Moulavi."

وهكذا، كان المولوي الوكّمي رجلاً تتكامل في شخصيته الروح الوطنية مع الفكر الإصلاحي، في تجسيد نادر لوحدة الهدف وسمو الغاية، ليترك بصمة خالدة في مسيرة النضال الهندي.

الفصل الخامس

الإعلام ودوره في الإصلاح الاجتماعي لدى المولوي الوكّمي

قسّم المولوي الوكّمي نطاق أنشطته إلى مجالين رئيسيين: الإصلاح الاجتماعي والتحول السياسي (*Social Reform and Political Transformation*)، وكان يؤمن إيماناً راسخاً بأن هذين الجانبين يجب أن يسيرا جنباً إلى جنب من أجل إحداث تحول جوهري في مجتمع ترافنكور، والنهوض بالمجتمع المسلم في ولاية كيرالا³⁰⁷. ويُفسّر هذا النهج سبب إطلاقه لمنشورين مختلفين في آنٍ واحد: صحيفة سوديشابيماني ومجلة المسلم، حيث مثّل كلّ منهما أحد وجهي نشاطه الإصلاحي. وقد أسهمت هاتان المطبوعتان، رغم اختلاف مساهمتهما، في تحديث مجتمع كيرالا بشكل كبير.

كانت صحيفة سوديشابيماني تهدف، بوجه عام، إلى تحديث مجتمع ولاية كيرالا برمّته، في حين جاءت مجلة المسلم كمبادرة متخصصة تسعى إلى دعم المسلمين في حملتهم نحو التحديث والنهضة. وقد أوضح المولوي، في افتتاحية العدد الأول من مجلة المسلم، أنها ستكون "مجلة متخصصة" تُعنى بـ "إحياء المسلمين"، عبر تسليط الضوء على قضايا التعليم الحديث، والمعتقدات الدينية، والممارسات الإسلامية³⁰⁸. لذا، وصف السيد أحمد كانو مجلة المسلم بأنها الرفيق الفكري لصحيفة سوديشابيماني، إذ إن كليهما وُجد لتحقيق أهداف متقاربة، وكلاهما واجه معارضة من السلطات الدينية والسياسية، حينما حاولت إعاقة جهودهما في تحديث المجتمع الكيرالي.

يحمل اسم جريدته سوديشابيماني، الذي يعنى "الوطني"، دلالة عميقة على تركيزه في كتاباته على الروح الوطنية. بل إنه لم يقتصر على الصحيفة فقط، وإنما أنشأ مطبعة ومكتبة تحمّلان الاسم ذاته في منطقة وكم. ومن الجدير بالذكر أن ولاية كيرالا، في مطلع القرن العشرين، لم تكن قد شهدت ظهور صحيفة أو مجلة تحمل مثل هذا العنوان الجريء أو تعكس هذه الرؤية الوطنية الصريحة.

وما يلفت الانتباه أنه اختار هذا الاسم في وقت كانت فيه النزعة الوطنية في مهدها، ولم تكن حركة التحرر قد تملّكت خيال الشعب في ترافنكور. بل حتى في بقية أنحاء الهند، لم يكن الفكر الوطني قد تطوّر بعد ليصبح حركة واسعة النطاق³⁰⁹. ومن هنا، لم يكن من قبيل المصادفة أن يقوم عالم مسلم، في إحدى قرى

³⁰⁷ N.A. Kareem, "Swadesabhimani Vakkom Abdul Khadir Moulavi," Madhyamam Malayalam Daily, 24 March 2001, Page:4.

³⁰⁸ Kannu, Vakkom Moulavi, 59.

³⁰⁹ Nair, Freedom Fighters, 217.

ترافنكور قبل قرن من الزمان، بتسمية صحيفته سوديشابيماني، أي "الوطني"، وهو ما أكّده المؤرخ بي. إم. ناير في كتاباته³¹⁰.

وقد أشار العديد من الباحثين والكتّاب إلى أن المولوي الوكّمي تأثر بفكر كلّ من السيد جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده، لا سيّما فيما يتعلّق بمفهوم الوطنية³¹¹. وكما أوضح السيد شاه الحميد، فإن الشيخ محمد عبده كان يسعى إلى تحقيق ثلاثة أهداف رئيسية من خلال حركته الإصلاحية:

1. نشر التعليم الحديث بين عامة الناس وتوعيتهم بحقوقهم.
2. استخدام وسائل الإعلام لترسيخ الفكر القومي لدى الشعوب، ولتمكينهم من مواجهة الفساد.
3. إقناع الحكّام بتنفيذ الإصلاحات، ولو جزئياً.

أدرك المولوي الوكّمي أن الصحافة تمثل أداة قوية لنشر أفكار الإصلاح، رغم ندرة الصحف والمجلات في ذلك الوقت، مقارنة بعدد السكان. كما أن الصحافة لم تكن مشروعاً مربحاً، حيث لم يكن الإعلان وسيلة رئيسية للتمويل، إضافة إلى قلة المطابع الحديثة والعمال ذوي الخبرة، ما جعل عملية الطباعة والتوزيع شديدة الصعوبة. وكان معدّل الإمام بالقراءة والكتابة منخفضاً في ولاية كيرالا، مما قلّص قاعدة القراء القادرين على الاشتراك في الصحف.

ورغم كل هذه التحديات، مضى المولوي الوكّمي في طريقه، غير مكترث بالمكاسب المالية، إذ كان يرى في الصحافة رسالة اجتماعية ووطنية، لا مجرد تجارة. وقد لخصّ رؤيته بقوله: "لستُ رجل أعمال، فالمرء الذي أرجوه من هذه الصحيفة ليس المال، بل الخدمة الاجتماعية والوطنية. إن هدي في الأسمى هو أن تنهض بلادي وتحقق ما أنشده لها، وذلك وحده كفيل بأن يكون مكافأتي"³¹².

وكما أشرنا سابقاً، وفي مطلع القرن العشرين كانت السلطة الفعلية في إدارة ولاية كيرالا بيد أحد الممثلين البريطانيين، في حين كان دور الملك المهرجا محدوداً للغاية. وكان الديوانات، أي الأمراء الصغار الذين تولوا قيادة البيروقراطية في الدولة³¹³، يتمتعون بنفوذ واسع، جنباً إلى جنب مع مسؤولي المحكمة والبيروقراطيين الحكوميين. وقد أُتيح لهم الوصول المباشر وغير المحدود إلى الممثل البريطاني، ومُنحوا سلطة غير مقيدة، دون أي رقابة من الملك المهرجا أو الشعب، مما ضمن لهم الحفاظ على نفوذهم ومكانتهم³¹⁴. وبدلاً من خدمة مصالح الدولة والشعب، كرسوا جهودهم لحماية مصالح الممثل البريطاني ومسؤولي المحكمة،

³¹⁰ Ibid. 217-218.

³¹¹ Mohamed Abda, "Vakkom Moulavi who Turned Words into a Sword (Malayalam).

³¹² Gopalakrishnan, "Vakkom Moulavi," 12-13.

³¹³ Rajagopal Achari, Dewan's Note Dated 15th August 1912, Page No. 2.

³¹⁴ The Regional Records Survey Committee, Kerala State, The History of Freedom Movement in Kerala, 2-3.

متجاهلين تمامًا الحقوق والتطلعات المشروعة للرعية. كانوا بمثابة حاجز يفصل بين الملك المهرجا وشعبه، حتى كتموا أصوات المظلومين ومنعوا وصول شكاواهم إليه.

كان الملك المهرجا يعتمد في معرفته بشؤون رعيته على تقارير مسؤولي المحكمة، الذين أثروا بشكل كبير في قراراته. ولم يكن للشعب سبيل للوصول إلى الملك إلا من خلال هؤلاء المسؤولين، الذين غرقوا في وحل الفساد والمحسوبية³¹⁵، فامتلات مؤسسات الدولة بأقاربهم ومحاسبيهم. وبفضل سياسة الفساد والرشوة، جمع مسؤولو المحكمة ثروات طائلة، بينما عاش عامة الناس في ترافنكور في بؤس وشقاء³¹⁶.

منذ يومها الأول، كرست جريدة سوديشابيماني صفحاتها لكشف الفساد والظلم الذي يمارسه الموظفون الحكوميون ومسؤولو المحكمة القساة. ومن خلال مقالاتها الافتتاحية، وتقاريرها الإخبارية، والمذكرات القصيرة، سلطت الجريدة الضوء على الفساد المستشري، ما أثار قلق الديوان والبيروقراطيين التابعين له. وكان أسلوب رئيس تحريرها، رام كرشنا بيلاي، شديد الجراءة، إذ حملت مقالاته الافتتاحية لغة قوية وجارحة لأولئك الذين وجهت إليهم الانتقادات. لم يكن ينتقد الأفراد فحسب، بل كان يتحدى الهياكل السياسية والاجتماعية والنظام القائم في ترافنكور، متهمًا الملك المهرجا بالإخفاق في تحقيق العدالة والمساواة. وربما لهذا السبب، اجتذبت الجريدة اهتمام العديد من المسلمين في ملبار، الذين وجدوا فيها صوتًا يعبر عن معاناتهم أيضًا.

في افتتاحيتها الأولى، التي نُشرت في 19 يناير 1905م، أوضح المحرر الأول، سي. بي. جوفيند/ بيلاي، أهداف الجريدة بعبارات قاطعة: "نحن لا ندعي أن سوديشابيماني ستقوم بإنجازات عظيمة للمجتمع المسلم أو للمجتمعات الأخرى التي تسعى إلى رفايتها، لكن هدفنا الأساسي هو تعزيز الرخاء والرفاهية العامة، وسنبذل قصارى جهدنا لتحقيق ذلك. لن نخفي أي مظلمة عامة، مهما كان الثمن."

عندما تولى رام كرشنا بيلاي مسؤولية التحرير في 17 يناير 1906م، أكد التزام الجريدة بهذه المبادئ، حيث كتب: "سنبقى يقظين في لفت انتباه الحكومة إلى حقوق وتطلعات الشعب، وسنسعى إلى تحسين سياسات الحكومة وإجراءاتها لصالح الناس". يتضح من هذا الالتزام أن الجريدة كانت تهتم بالمصلحة العامة، لا سيما بحقوق المسلمين، وأدرك المحررون أنه لا يمكن تحقيق العدالة دون فضح المظالم التي ترتكبها حكومة ترافنكور³¹⁷.

في تلك الفترة، لم يكن للشعب أي وسيلة للتعبير عن مظالمه، إذ لم يكن المجلس التشريعي (*Legislative Council*) ولا الجمعية الشعبية لسري مولام (*Sree Mulam Popular Assembly*) هيئات تمثيلية حقيقية.

³¹⁵ Kizhakkemuri, Swadesahhimani Ramakrishnapillai, 11

³¹⁶ The Regional Records Survey Committee, Kerala State, The History of Freedom Movement in Kerala, 3.

³¹⁷ Gopalakrishnan, "Vakkom Moilavi," 14.

لم تحترم الدولة حقوق المواطنين، ولم يجرؤ أحد على رفع صوته ضد الظلم أو إيصال مشكلاته إلى الملك المهرجا. لم تكن هناك أي مجلات أو صحف في ترافنكور تتولى هذه المهمة الصعبة، ما خلق فراغاً وعدت سوديشابيماني بسدّه. ولهذا، حملت الصحيفة بكل فخر على صفحتها الأولى شعارها الشهير: "الخوف والاعوجاج والطمع لن يبني دولة"، لم يكن مجرد شعار، بل كان بياناً لمهمتها ورسالتها.

نشرت سوديشابيماني العديد من المقالات التي كشفت قضايا فساد خطيرة، من بينها مقال عن شنكاران تامبي، أحد الأمراء المقربين من الملك، حيث سلطت الضوء على قصره الفخم الذي بلغت تكلفته بنائه أكثر من مائة ألف روبية. واتهمت الجريدة المذكور بجمع ثروته الطائلة من الرشاوى. أثارت هذه التقارير غضب العامة، مما أدى إلى إلحاق أضرار جزئية بمنزل تامبي في اليوم التالي.

انتقدت الجريدة بشدة ديوان ترافنكور آنذاك، السيد بي. راجا غوفال آجاري، الذي تولى منصبه في 24 أكتوبر 1907م. وعلى الرغم من أنه كان موضع ترحيب عند تعيينه، حتى إن الجريدة نشرت قصيدة خاصة للإشادة به، إلا أنها لم تتردد في لفت انتباهه إلى قضايا الفساد المستشري بين موظفي المحكمة، داعيةً إلى اتخاذ إجراءات صارمة لمكافحته.

وفي 6 يونيو 1909م، نشرت سوديشابيماني مقالة شديدة اللهجة، تنتقد فيها الديوان بسبب قضية فساد حدثت في سوق شالاي القريب من القصر الملكي عام 1908م³¹⁸. اتهمت المقالة الديوان بالفشل في القضاء على الفساد، ووصفته بـ"الفجور الفادح". ونتيجة لذلك، تم طرد راما كرشنا بيلاي من الجمعية الشعبية لسري مولام. (*Sree Mulam Popular Assembly*)

في الحقيقة، كان راما كرشنا بيلاي قد انتُخب مباشرةً لعضوية الجمعية الشعبية السادسة لسري مولام ترونال عن منطقة نيباتينكارا (*Neyyatinkara*) دون أي اعتراض. لكنه بمجرد انتخابه، تقدم بمقترحين للنقاش في الجلسة المقبلة: الأول، حول الفساد بين المسؤولين الحكوميين، لا سيما في الديوان، والثاني، حول النفوذ الفاسد الذي يمارسه المتملقون المحيطون بالملك المهرجا. وكان من الواضح أن هذه القضايا كانت محرجة للملك والديوان، مما دفع الأخير إلى إعلان إلغاء انتخاب بيلاي بحجة أنه لم يكن مقيمًا منتظمًا في الدائرة الانتخابية³¹⁹.

318 غالبًا ما كان يتعرض التجار في سوق شالاي بازار المضايقات من قبل الشرطة، ولذلك قدموا طلبًا مطالبة الحكومة بمعالجة معاناتهم. ولم يتلقوا أي رد من قبل المسؤولين، فأغلقوا المحلات احتجاجًا وتوجهوا في موكب إلى القصر الملكي. وفي مواجهة الشرطة، قام المتظاهرون برجمهم بالحجارة وإضرام النار في مركز الشرطة. وتم قمع المتظاهرين أخيرًا بمساعدة عسكرية.

319 Ramakrishnan Nair, The Political Ideas of Swadesabhimani, 33-34.

أثار المقال الافتتاحي الذي نشره راماكروشنا بيلاي في 24 و29 أغسطس 1910م غضب الديوان، حيث حمل عنواناً رئيسياً شديد اللهجة: "سلوك يستحق اللوم". انتقدت المقالة الديوان بشدة، مسلطة الضوء على سلوكه أثناء احتفالات اليوبيل الفضي (*Silver Jubilee Celebration*) للملك سري مولام ترنال المهاراجا. ووصف التقرير كيف جلس الديوان بين مجموعة من النساء في شرفة مدرسة البنات داخل حصن القصر خلال الاحتفالات، في مشهد وصفته الجريدة بأنه غير لائق. واختتم بيلاي مقاله بعبارة لاذعة: "لو كان ذلك في عهد الملك وشاخم ترنال المهاراجا، لكان الديوان قد جُلد علناً بسوط فارس الملك".³²⁰

كانت هذه المقالة 'القشة التي قصمت ظهر البعير'، وأدت إلى تصعيد خطير في المواجهة بين الجريدة والديوان، ليبدأ فصل جديد من الصراع بين السلطة والصحافة الحرة. ومن خلال المقالات الافتتاحية والأعمدة، تم تسليط الضوء على حقوق الناس، حيث تم تحديدها وإنكارها كما أشرنا سابقاً. وفي بداية القرن العشرين، كانت جريدة المولوي الوكّبي وسيلة للتعبير عن المظالم العامة ضد الحكومة، بل وتنبهها إلى مسؤولياتها دائماً. وفي عام 1888م، ولأول مرة في تاريخ الولايات الهندية، تم تشكيل مجلس تشريعي في ترافنكور.³²¹ وكان مجلساً صغيراً يتألف من ثمانية أعضاء: ستة من المسؤولين الإداريين واثنين من غير الإداريين، وقد تم ترشيحهم من قبل الملك المهاراجا. وكان الديوان رئيساً للمجلس، وكانت مدة المجلس ثلاث سنوات. ولم يكن ذلك مجلساً تشريعياً في حد ذاته، بل كان مجلساً استشارياً فقط.³²²

الفصل السادس

مساهمة المولوي في حركة الحقوق الاجتماعية والمدنية

لطالما كانت الصحافة صوتاً للمظلومين ومنبراً للمطالبة بالحقوق، ولم تكن جريدة المولوي استثناءً من هذه القاعدة، بل كانت في طليعة الصحف التي حملت لواء النضال من أجل العدالة والمساواة في ولاية ترافنكور. لقد حثّت الجريدة، بقيادة محررها الفذ، الحكومة على تجاوز الاعتبارات الطائفية والدينية في تعاملها مع المواطنين، داعيةً إلى ترسيخ مبادئ الإنصاف والمواطنة الحقّة.

وفي 24 يونيو 1906م، نشرت الجريدة افتتاحية قوية تندد بسياسات التمييز في تعيين الموظفين، حيث انتقدت حرمان المسلمين والهندوس من الطبقات الدنيا المنبوذين من دخول الوظائف الحكومية، واعتبرت ذلك خرقاً سافراً لمبادئ العدالة. ولم تكتفِ الجريدة بموقفها النقدي، بل أطلقت سلسلة من المقالات

³²⁰ نفس المصدر

³²¹ نفس المصدر

³²² Nair, The political ideas of Swadesabhimani, Page: 11

بعنوان "إصلاحات ترافنكور (Travancore Reforms)"، طالبت فيها بمنح المدنيين تمثيلاً أوسع في مجلس "سري مولام براجا سبها (Sree Moolam Praja Sabha)"، مشددةً على ضرورة مشاركة الشعب في إدارة شؤون البلاد. وكان لهذه المقالات دورٌ محوري في إذكاء روح الوعي السياسي والاجتماعي بين أفراد المجتمع، إذ غرس المحرر في نفوس القراء تطلعاً جاداً نحو الحرية والديمقراطية والمساواة الاجتماعية. وهكذا، أصبحت المولوي منبراً فكرياً يعكس نبض الشارع، وأداةً مؤثرة في توجيه الرأي العام في كيرالا، بل إنها تحولت إلى قوة دافعة شجعت الجماهير على المشاركة الفاعلة في النضال من أجل الحرية والاستقلال³²³.

وفي نظر محررها، لم تكن ترافنكور سوى انعكاس لمصالح التاج البريطاني، ولهذا لم يتوان عن التشكيك في "قاعدة الاختلاف الاستعماري (Rule of Colonial Difference)"، التي سعى الاحتلال البريطاني لترسيخها بغية إبقاء الهنود في مرتبة أدنى. وقد رفع صوته عالياً ليؤكد أن أبناء الهند لا يقلّون شأنًا عن البريطانيين، بل إن لهم حقوقاً مساوية، يتوجب الاعتراف بها واحترامها.

كما لم تسلم السياسات التفضيلية التي اتبعتها المهاراجا تجاه البريطانيين من سهام النقد الحاد الذي أطلقته الجريدة، إذ أصرت على أن الهنود مواطنون في دولتهم، شأنهم شأن الأوروبيين، ولهم الحق في التمتع بكامل الامتيازات السياسية والاجتماعية. وبنبذة تحدٍ صريحة، تصدّت الصحيفة لسياسة "التفريق في الحقوق (Policy of Differentiation in Rights)" التي انتهجتها السلطات الاستعمارية، مؤكدة أن هذه الممارسات لن تزيد الهنود إلا إصراراً على المطالبة بحقوقهم، وسعيًا لتحقيق العدالة التي طال انتظارها.

لقد كانت "المولوي" صوتاً جريئاً في وجه الطغيان، وسلاحاً قوياً في معركة الحرية، فسطرت صفحاتها بحروف من نور، وخلّدها التاريخ كواحدة من المنابر التي أيقظت الوعي وألهمت الأجيال. وفي خضم تصاعد الانتقادات الموجهة ضد البيروقراطيين، وتفاقم التذمر من سوء معاملة الأمراء والمحاكم، وبعد مرور خمس سنوات فقط على ولادة الصحيفة، بدأ الديوان، السيد بي. راجاغوبال آجاري، في إثارة الاضطرابات وإشاعة الفوضى، واضعاً نصب عينيه هدفاً واضحاً: إسكات الجريدة وإخماد صوتها الحر. وسعى بكل ما أوتي من دهاء ومكر لحظرها، حتى نجح أخيراً في الحصول على إعلان ملكي موقع من قبل المهاراجا، يقضي بقمع الصحيفة ونفي محررها، السيد راما كرشنا بيلاي.

وفي السادس والعشرين من سبتمبر عام 1910، أقدم الديوان على اعتقال بيلاي، وتم نفيه إلى ولاية مدراس آنذاك. ولم تتوقف المؤامرات عند هذا الحد، إذ بعد عامين من الترحيل، وفي الخامس عشر من أغسطس عام 1912، قدم الديوان مذكرة سرية إلى محكمة المهاراجا³²⁴، تضمنت تقريراً مفصلاً من خمسة عشر قسمًا، تناول بالتفصيل الأسباب التي استدعت ترحيل بيلاي. ومن خلال محتوى التقرير، يتبين بوضوح أن

³²³ Nair, Freedom Fighters, 220.

³²⁴ Bashir, "Swadesabhimani Vakkom Moulavi" and Swadesabhimani Ramakrishna Pillai," 4-5.

النفي لم يكن لمجرد انتقاداته اللاذعة لمسؤولي الحكومة، بل كان أيضاً بسبب فهمه العميق للحقوق المدنية، ومفاهيم الديمقراطية، وموقفه من الملكية، وغيرها من القضايا الجوهرية.

هذه المذكرة السرية، المؤرخة في 15 أغسطس 1912، والمتعلقة بقمع الصحيفة ونفي محررها، تم العثور عليها لاحقاً في مكتبة الجامعة الوطنية الأسترالية (Australian National University Library) وقد قام السيد بوتوبالي راغافان (Puthupally Raghavan) بترجمتها إلى اللغة الماليلامية، مشيراً إلى أن السيد روبين جيفري (Robin Jeffrey) كان له دور محوري في اكتشاف الوثيقة. ومع ذلك، يؤكد راغافان أن النسخة الأصلية من الوثيقة لا تزال بحوزة حكومة ولاية كيرالا، ولا يُسمح للباحثين بالاطلاع عليها أو دراستها.

ويتضمن التقرير الإعلان الملكي الذي أدى إلى اعتقال المحرر ونفيه، بالإضافة إلى قرار قمع الصحيفة ومصادرة جميع أدواتها. كما يحتوي على مجموعة من المقالات الافتتاحية المنشورة في الصحف والمجلات التي أيدت قرار الترحيل. علاوة على ذلك، تم رفع قضيتين ضد راما كرشنا بيلاي، حيث وُجّهت إليه وإلى المولوي مالكا، إضافة إلى عبد الكريم، الطابع والناشر، تهمٌ تتعلق بالتشهير الشخصي.

رغم نفيه من ترافنكور، لم يتوقف راما كرشنا بيلاي عن الكتابة، بل ظل يحمل مشعل الفكر والتنوير. ففي عام 1912، نشر مقالاً باللغة الماليلامية عن الفيلسوف والمفكر الألماني كارل ماركس، وهو يعد أول مقال جوهري عن ماركس في هذه اللغة. كما كتب سيرة ذاتية لمهاتما غاندي، وسلسلة من المقالات حول الاشتراكية، وألف كتاباً يوثق تجربة نفيه من ترافنكور، نُشر باللغتين الإنجليزية والماليلامية³²⁵.

وفي أواخر عام 2024، أثار الدكتور ك. تي. جليل، وزير التعليم العالي السابق وعضو الجمعية التشريعية لولاية كيرالا، جدلاً واسعاً خلال أحد خطابه، حيث زعم أن السيرة الذاتية لكارل ماركس طُبعت لأول مرة باللغة الماليلامية في ترافنكور، وتحديداً في مطبعة صحيفة "سواديسايماني"، التي أسسها محمد عبد القادر المولوي، أحد رواد النهضة الإسلامية.

إلا أن الوقائع التاريخية تدحض هذا الادعاء، إذ أن مطبعة المولوي وصحيفته قد صُودرتا من قبل الحكومة عام 1910، وهو العام نفسه الذي نُفي فيه راما كرشنا بيلاي من ترافنكور. وتشير الحقائق إلى أن كتاب بيلاي عن كارل ماركس نُشر في عام 1912، وليس في وقت سابق، وقد طُبِع في مطبعة *Akshararatnam* *Prakasikam* في منطقة كُتّام كولام، قرب محافظة تريشور، كما يظهر جلياً من غلاف الكتاب.

هذه المعلومات الدقيقة أكدها الزعيم الشيوعي والماركسي السيد ب. ك. جوفيندا بيلاي، حيث وردت في الصفحة 74 من كتابه "نهضة كيرالا في منظور ماركسي" في اللغة الماليلامية.

³²⁵ Robin Jeffrey, "The Three Stages of Print...", 8.

وكما أشرنا سابقاً، كان لصحيفة المولوي إسهام بالغ الأثر في الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي بين مسلمي ولاية كيرالا. فقد نشرت العديد من المقالات التي هدفت إلى تحفيز المسلمين على متابعة التعليم الحديث والمتطور، ونبذ المعتقدات الباطلة والممارسات الخرافية³²⁶.

والحقيقة أن ارتباط وكم المولوي بالسيد راما كرشنا بيلاي عزّز اهتمامه بالإسلام وشؤون المسلمين، الأمر الذي انعكس جلياً في كتاباته وخطبه، حيث أقرّ بخصائص المبادئ الإسلامية، وأكّد على ضرورة تأسيس جمعية عامة للمسلمين. وقد شارك بيلاي مع وكم المولوي في عدة مناسبات عامة، كما حضرا اجتماعات نظّمها جمعيات إسلامية مختلفة، حيث تناول في خطبه الحاجة الملحة لإصلاح أحوال المسلمين³²⁷.

ولم تقتصر الصحيفة على نشر رؤى الإصلاح من منظورها الخاص، بل خصّصت صفحاتها لاستضافة مقالات قادة مسلمين بارزين، دعمًا للحركة الإصلاحية الاجتماعية والدينية في أوساط المسلمين. كما كتب وكم المولوي مقالات في الدورية، شدّد فيها على ضرورة تشكيل لجنة خاصة للمسلمين في كيرالا، تعنى بشؤونهم ومطالبهم³²⁸.

وكان للكاتب والمصلح الكبير السيد/ ماحي الحمداني تنغال دور بارز في هذه المسيرة، حيث أسهم بمقالاته في الصحيفة، إلى جانب نشره ترجمات مليامية لمقالات مختارة من مجلة المنار الصادرة في مصر، لصاحبها الشيخ محمد رشيد رضا. وأظهرت الصحيفة حرصاً بالغاً على إيصال معاناة المسلمين المظلومين إلى مسامع الحكومة، مطالبةً إياها بالتدخل واتخاذ إجراءات منصفة. كما دعت المسلمين إلى الالتحاق بالمدارس العلمانية، وطالبت بإدراج اللغة العربية ضمن مناهج المدارس العامة، إضافةً إلى نشرها وقائع مؤتمر All India Muhammadan Education Conference، الذي عُقد لبحث قضايا التعليم الإسلامي في الهند³²⁹.

الفصل السابع

إرث جريدة "سوديشابيماني" ومؤسسها المولوي الوكّمي

تحتلّ جريدة سوديشابيماني وصاحبها محمد عبد القادر المولوي الوكّمي فصلاً مجيداً في تاريخ الصحافة الهندية، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالنضال من أجل الحرية في ولاية كيرالا³³⁰. لقد كان كلٌّ من المولوي الوكّمي

³²⁶ Gopalakrishnan, "Vakkom Moulavi," 19.

³²⁷ John Ochaduruth, "Islamic Reform and Vakkom Moulavi"

³²⁸ Sharafudeen, Vakkom Moulavi, 29.

³²⁹ Samad, Islam in Kerala: Groups and Movements in the 20th Century, 60-61.

³³⁰ Bashir :Speech Delivered by Mr. K.M. Bashir at the Inaugural meet of the Trust on 21s' June 1987.

والسيد راما كرشنا بيلاي منارةً تعكس تطلعات الشعب القومي، حيث كرّسا حياتهما لتوجيه الرأي العام ومناهضة الظلم السياسي والاجتماعي. ومن خلال تضحياتهما الجسيمة وتفانيهما العميق، وضعا اللبنة الأولى للحركة القومية في كيرلا، إذ لم تكن *سوديشابيماني* مجرد صحيفة، بل كانت صرخة وعي وميداناً للفكر الحر.

لا تزال المبادئ التي نُشرت عبر صفحات الجريدة تشكّل دعامةً قويةً لتحفيز الشعب ضدّ الهياكل السلطوية التي تسلب حقوق الناس وامتيازاتهم. فقد كانت مسيرتها حكايةً نضال أيديولوجي شجاع، تجسّد في الروح الجريئة لكلّ من المولوي الوكّمي والسيد راما كرشنا بيلاي. وإن كان الأخير قد نال اعترافاً واسعاً، فإن مؤسس الصحيفة وأحد أعمدتها الأساسية، المولوي الوكّمي، لم يحظَ بالمكانة والتقدير اللذين يستحقهما في سجلّات التاريخ الصحفي لولاية كيرلا³³¹.

يقرّ مؤرخو كيرلا بالدور البطولي الذي أدّاه رئيس تحرير الجريدة، راما كرشنا بيلاي، في مهاجمة السياسات الحكومية وبيروقراطيتها، ما جعله رمزاً للصحافة الحرة، وأدى إلى ارتباط اسمه الوثيق بالجريدة، حتى باتت تُعرف بـ "*سوديشابيماني راما كرشنا بيلاي*". ولكن من المؤسف أن يُغفل التاريخ دور وكم محمد عبد القادر المولوي، الذي لم يكن مجرد مؤسس ومالك للجريدة، بل كان روحها المحركة، وعقلها المدبّر، وداعمها الأول في كلّ مراحل تطورها³³². فقد كان هو من وضع الأسس، وأعدّ العربة، ومهدّ الطريق، قبل أن يدخل رئيس تحريره إلى ساحة المعركة الصحفية. وإن كان الإنصاف واجباً، فمن الأحق أن تُعرف الجريدة باسمه هو أيضاً "*سوديشابيماني المولوي الوكّمي*".

ورغم جهوده الكبيرة ودعمه غير المحدود لراما كرشنا بيلاي، إلّا أنّ المولوي الوكّمي طواه النسيان، ولم يُنصفه التاريخ، لا من قِبَل الشعب، ولا حتى من قِبَل مجتمعه، الذي يدين له بالكثير. وبينما خُصّصت دراسات موسّعة لتسليط الضوء على دور المحرر، لم يُبذل جهد مماثل لاستكشاف الإرث الصحفي العميق الذي تركه المولوي. ولكن في الآونة الأخيرة، بدأ البحث يتّجه إلى كشف طبيعة العلاقة بين المولوي الوكّمي ورئيس تحريره، ومحاولة إعادة الاعتبار لمساهماته الفدّة في مجال الكفاح ضدّ الاستعمار، فقد كان أكثر من مجرد ناشر؛ كان مقاتلاً في ساحة الفكر، يحمل رسالة نبيلة، لا يبتغي من ورائها ربحاً مادياً، بل كان مستعداً للتضحية بماله وجهده في سبيل استمرار الجريدة، إذ أنفق مبالغ طائلة لشراء المطبعة وصيانتها، دون أن يكون له أيّ هدف تجاري، بل كان يرى فيها منبراً للحرية، وأداةً لنشر الوعي والتغيير.

³³¹ Kareem, "Swadesabhimani Vakkom Abdul Khadir Moulavi," 4.

³³² Bashir, "Speech Delivered by Mr. K.M. Bashir at the Inaugural meeting of the Trust on 21s' June 1987,".

إنَّ إحياء ذكرى وگم محمد عبد القادر المولوي، وإعادة تسليط الضوء على دوره المحوري، ليس مجرد واجب أخلاقي، بل ضرورة تاريخية، لرد الاعتبار لرجل كان بحق رائدًا من رواد الصحافة الحرة، وقائدًا بصيرًا أدرك قوة الكلمة في مواجهة الطغيان.

حرص المولوي دائمًا على استمرارية الجريدة، فكان يتأكد من أن محررها وعائلته لا يعانون من أي ضائقة مالية. بل إنه لم يكن يكتفي بمنحه راتبه المتفق عليه، بل كان يدفع له أكثر بكثير مما تم الاتفاق عليه، إيمانًا منه بقيمة العمل الذي يؤديه³³³. ولم يكن يتردد في ذلك، حتى إنه كان يُعرض عن مراجعة الحسابات أو تسويتها مع المحرر، رغم إلحاح بعض أقاربه على القيام بذلك. وكان رده عليهم حاسمًا: "لا حسابات بيننا لنصفها، فنحن لا نجمعنا سوى التزام واحد، ألا وهو خدمة هذا الوطن، وسنؤدي واجبنا بأفضل ما نستطيع"³³⁴. لقد كانا معًا، المولوي والمحرر، يؤديان رسالتهم العلمية والفكرية بحكمة وتفانٍ، إذ كانا يعيشان في رحاب واحد، يلتقيان يوميًا لمناقشة مختلف قضايا التنمية الاجتماعية والسياسية في ترافنكور. وكان المولوي هو من شجّع محرره على استكمال تعليمه القانوني، بل إنه سعى لنقل الصحيفة إلى نرفاندرم تيسيرًا على المحرر وراحةً له³³⁵. ولم يكن ذلك إلا تعبيرًا عن ثقته العميقة بمحرره وإيمانه الراسخ بالتطور الفكري³³⁶. كل ما فعله كان نابعًا من قناعاته الأيديولوجية الراسخة وعقليته المجبولة على التضحية، وهو ما مكّن السيد راما كرشنا بيلاي من أداء دوره كمحرر للجريدة بكل إخلاص وتفانٍ.

وحين رأى المولوي في محرره الجرأة والشجاعة، عهد إليه بإدارة الجريدة بكاملها، ومنحه استقلالًا تامًا، ليتيح له وللصحيفة فضاءً حرًا للنمو والتطور. وهكذا، فإن تاريخ صحيفة "سوديشابيماني" لم يكن مجرد سجل لمنفى محررها، بل كان أيضًا شهادة حية على الدور العظيم الذي اضطلع به المولوي، مؤسسها ومالكها. لقد كان دوره أحيانًا ظاهرًا للعيان، وأحيانًا أخرى خفيًا يعمل في الظل، لكنه ظلّ دومًا السند القوي والداعم لمحرره، حتى لحظة القمع العنيف الذي أقدمت عليه الحكومة حين دمرت مقر الصحيفة³³⁷.

وفي عام 1912، سنحت للمولوي فرصة نادرة للقاء محرره بعد نفيه من ترافنكور، وذلك بعد جهود كبيرة بذلها زعماء المسلمين في كودونجالور، الذين كانوا من المساهمين المنتظمين في مجلة "المسلم" وجريدة "سوديشابيماني". فقد كان لديهم رغبة عميقة في جمع شمل المولوي والسيد راما كرشنا بيلاي، فوجهوا لهما دعوة لحضور الاجتماع السنوي الأول للجنة الحمدانية في كودونجالور. وكان الاستقبال لهما حارًا،

³³³ Kannu, Vakkom Moulavi, 49.

³³⁴ Kannu, Vakkom Moulavi, 49.

³³⁵ Abda, "Vakkom Moulavi who Turned Words into Sword,"

³³⁶ Bashir, "Swadesabhimani Vakkom Moulavi," 6

³³⁷ Kannu, Vakkom Moulavi and Leaders of Renaissance (Biographical Studies), 182.

حيث أُكرِمًا في منزل السيد ستي محمد صاحب، وأقاموا في ضيافته³³⁸. وكان المولوي شديد القلق على أحوال أسرة محرره بعد نفيه، يتساءل عن مصيرهم، ويشعر بثقل الغياب الذي فرضته الظروف القاسية.

وفي عام 1925، جمعه القدر بقاء آخر، هذه المرة مع السيدة كلياني كوتي أمّه، زوجة المحرر، في بلدة ونجيور بترافنكور. ولم يقتصر نشاطه على ذلك، بل شارك أيضًا في اجتماع عُقد في تمبانور، إحدى مناطق ترافنكور، لمناقشة إنشاء نصب تذكاري يُخلد ذكرى محرره، السيد راما كرشنا بيلاي.

إرث جريدة "سوديشابيماني" ومؤسسها وكم محمد عبد القادر المولوي يمثل صفحة مشرقة في تاريخ الصحافة الهندية، حيث أسهم المولوي في تأسيسها ليس فقط كمشروع إعلامي، بل كمنصة فكرية جريئة رفعت راية النضال ضد الظلم الاجتماعي والاستبداد السياسي في ولاية كيرلا. ورغم أن التاريخ أنصف رئيس تحريرها، راما كرشنا بيلاي، كمحرر حر ومقاوم قوي، إلا أن دور المولوي ظل مغيبًا رغم كونه القوة الدافعة وراء هذه الجريدة. فقد كان المولوي صاحب الرؤية، والمؤسس الذي جعل الصحيفة ممكنة، واستثمر ماله وجهده في بقائها، من دون أي هدف ربحي، بل بإيمان عميق بدور الصحافة في التغيير. كان يرى في "سوديشابيماني" منبرًا للعدالة، ووقف بكل ما يملك لحمايتها، حتى تعرضت للقمع على يد السلطة التي رأت فيها تهديدًا مباشرًا.

إن إعادة الاعتبار للمولوي ليست مجرد إنصاف لرجل بذل الغالي والنفيس في سبيل حرية الكلمة، بل تصحيح لمسار التاريخ نفسه. فقد كان المولوي أكثر من مجرد ناشر، كان مقاتلاً في ساحة الفكر، وصديقًا وفيًا لمحرره، ومؤمنًا بأن المعرفة والتعبير الحر أساس بناء الأمم. وبينما نال بيلاي التقدير والاعتراف، بقي المولوي في الظل، رغم أنه هو الذي شيد الأساس الذي قامت عليه الصحيفة. واليوم، وبعد عقود من التهميش، بدأت الجهود تُبذل لتسليط الضوء على هذا الرمز الذي كان أحد أوائل من أدركوا أن الصحافة ليست مجرد أخبار، بل سلاح في وجه الطغيان، وأداة لتحرير العقول والمجتمعات من قيود الظلم والاستبداد.

وإذا سئل طالب التاريخ المليالي العادي عن البطل العظيم المعروف باسم "سوديشابيماني"، فسيجيب دون تردد: إنه السيد راما كرشنا بيلاي. لكن الحقيقة التاريخية، وتفصيل سيرة ذلك الرجل العبقري الذي نذر حياته وطاقته وثروته من أجل مبادئه، تظل مجهولة لدى الكثيرين، بل غائبة عن وعي الأجيال الجديدة، التي لم تتلق سوى روايات مشوهة أو أساطير مختلقة، تبتعد عن واقع الأحداث.

ومن المؤسف أن التاريخ المجيد لمحمد عبد القادر المولوي الوكّمي، الوطني الفذ الذي يستحق بجدارته أن يُخلد اسمه بين عظماء الأمة، لم يُكتب عنه حتى اليوم في اللغة العربية. ويُعرف بين الجميع أن الفضل في

³³⁸ K.M.Seethi Sahib, "A Few Reminiscences about Vakkom Moulavi," 348-349.

إدراج اللغة العربية ضمن المناهج التعليمية في ولاية كيرلا يعود إلى جهوده الحثيثة ومساعيه الدؤوبة. واليوم، يعجّ التعليم في الولاية بمئات المعلمين والمعلمات الذين يتقاضون رواتبهم من خزانة الحكومة، لكن، ويا للأسف، لم يبادر محبو اللغة العربية وآدابها في بلادنا إلى تأليف كتاب وافٍ عن سيرة المولوي الوكّمي، أو اتخاذ أي خطوات جادة لتهيئة بيئة بحثية للدارسين من الأجيال القادمة.

لقد كانت صحيفة "سوديشايبماني" وصاحبها وكمّ محمد عبد القادر المولوي بمثابة عاصفة اجتاحت أرجاء ترافنكور، في جنوب ولاية كيرلا، وزلزلت أركان الحكم، إلا أن كثيرين يجهلون هذه الحقيقة. ففي أوائل القرن العشرين، كانت مناطق ملبار، ومن بينها محافظة بالاكاد (Palakkad)، تابعة لولاية مدراس (Madaras State) التي كانت جزءًا من الهند البريطانية (British India)، بينما كانت كل من كوشين (Cochin) وترفانكور (Travancore) دولتين أميريتين مستقلتين.

وقد تميز حكم كوشين بالعدالة، إذ كان ملكها رجلاً نبيلًا يحرص على مصالح رعيته، على العكس تمامًا من ملك ترافنكور، شريمولام ترنال، الذي عاث في الأرض فسادًا واستبدادًا. فقد سادت أرجاء إمارته شتى صنوف الفساد الإداري، وأصبح النفوذ في القصر هو المفتاح الوحيد لتحقيق المصالح. ولم يكن هناك صوت معارض قادر على التصدي لهذه الممارسات. وكان وزيره، ديوان راجاجوفال آجاري، رمزًا لهذا الفساد المستشري، فلم يكن فقط فاسدًا ماليًا، بل كان أيضًا فاسد الأخلاق والسلوك.

وفي ظل هذا المشهد القائم، لم يجرؤ أحد على تحدي هذا الاستبداد السلطوي، إلا رجل واحد حمل على عاتقه مسؤولية كشف الحقائق وإعلاء صوت الحق، وهو وكمّ محمد عبد القادر المولوي. ولم تكن وسيلته في النضال سيقًا ولا جيشًا، بل صحيفة جعل منها منبرًا لأصحاب المظالم وصوتًا لمن لا صوت لهم. ولتحقيق هذا الهدف، استقدم أحدث آلات الطباعة من خارج الهند، وأطلق صحيفة "سوديشايبماني"، التي لم يكن لها نظير في البلاد آنذاك، وسرعان ما تحولت إلى صرخة مدوية ضد الظلم والاستبداد³³⁹.

وعندما بدأت الصحيفة، تحت قيادة المولوي ورئاسة تحرير رام كرشنا بيلاي، في كشف المستور وفضح الفساد المستشري في القصر الملكي، ارتجّت أركان الحكم، وتجاوز صدى كلماتها حدود ترافنكور ليصل إلى كل أرجاء الهند. وحين أدركت السلطة أن المولوي لن يخضع للضغوط أو الإغراءات، صدر مرسوم ملكي جائر يقضي بحظر الصحيفة، ومصادرة معداتها، ونفي رئيس تحريرها، وترحيله إلى ولاية مدراس. وهكذا، أسدل الستار على فصل مجيد في تاريخ الصحافة الهندية، إلا أن أثره لم يُمحَ، وظل رمزًا للنضال الإعلامي الحر.

³³⁹ نفس المصدر

وفي عام 2009، أُقيم تمثال تخليدياً لذكرى المحرر المنفي راماً كرشنا بيلاي، احتفاءً بدوره الصحفي، غير أن محمد عبد القادر المولوي، الذي كان العقل المدبر وراء هذه النهضة الصحفية، لم يحظَ بالتكريم اللائق، ولم تُحيَ ذكراه كما ينبغي. واليوم، في ظل مشهد إعلامي بات يتلاعب بالرأي العام، ويُخضع الحقيقة لمصالح القوى النافذة، نعود مرة أخرى إلى ذكرى ذلك الرجل العظيم، الذي كان صوت الإصلاح والتجديد، ونستلهم من مسيرته شجاعة الكلمة الحرة، التي لا ترضخ للترهيب ولا تنحني أمام الطغيان.

وكما أشرنا سابقاً، كان مولد الشيخ محمد عبد القادر المولوي، المعروف باسم "المولوي الوكّمي"، في كنف عائلة عريقة ذات ثراء وازدهار، وذلك في قرية "وگم"، التابعة لتالوك شرينكيز في ولاية ترافنكور الأميرية السابقة. كان والده، محمد كُنْج، رجلاً ثرياً بارعاً في التجارة، وأحد كبار ملاك الأراضي في المنطقة، وقد حظي بتقدير واحترام بالغين نظراً لما عُرف عنه من شهامةٍ ومروءة. ورغم ما كان يتمتع به من مكانةٍ اقتصاديةٍ مرموقة، لم يكن غارقاً في ملذات الدنيا، بل كان مشغولاً بالعبادة، منصرفاً إلى التأمل والتقوى، محافظاً على الصدق والأمانة في كل معاملاته، لا سيما في شؤونه المالية. ومن عادته أن يترك زحمة أعماله التجارية، لينزوي في مسجده الصغير، يقضي أوقاته في الذكر والتفكير، بعيداً عن صخب الحياة ومغرياتها.

وكان لمحمد كُنْج، والد الشيخ محمد عبد القادر، بصيرةٌ نافذةٌ في إدراك أسرار الحياة ومعانيها، فلم يغره الهناء الدنيوي، بل حرص منذ البداية على تنشئة ابنه تنشئةً متكاملةً، تجمع بين العلم الدنيوي والمعرفة الروحية، ليكون إنساناً مكتمل السجايا، قادراً على خوض غمار الحياة بإيمانٍ راسخ وفكرٍ مستنير. ومنذ نعومة أظفاره، لم يكن محمد عبد القادر من أولئك الذين تهرهم الثروات، أو تفتنهم زخارف المال والجاه، بل نشأ في كنف الثراء المادي بطبيعةٍ زاهدة، فلم تأسره الشهوات، ولم تستهوه مسالك اللهو التي تفتحها الأموال والشهرة، بل سعى إلى طريق واحد: طريق الحقيقة والروحانية والصلاح.

وقد واجه منذ صغره كل الإغراءات التي تعترض الإنسان في حياته، متسلحاً بعزيمة لا تلين، فلم ينزلق إلى أوهام الدنيا، بل عبر دروبها كمُسافرٍ غريب، يعي أن الحياة ما هي إلا محطة اختبارٍ للدار الآخرة. لقد نشأ مؤمناً بأن الإنسان كائنٌ مخيّر، يمتلك القدرة على التمييز بين الحق والباطل، والصواب والخطأ، وأن مسؤولية أفعاله تقع عليه وحده، وأن الحكم النهائي في جميع شؤونه هو لله عز وجل. لم ينسَ أبداً أصله البشري، فظل مستشعراً أنه خلق من علقَةٍ ضعيفة، وأن الغاية من وجوده هي السعي نحو ربه، متربحاً يوم الحساب.

وفي سبيل تربيته وتعليمه، حرص والده على استقدام نخبةٍ من العلماء والمربين من أماكن بعيدة، مثل تَمِل نادو وملبار، ليُنشئ ابنه على أساسٍ متينٍ من العلم والمعرفة. وبفضل ذلك، أجاد محمد عبد القادر العديد من اللغات، فأتقن العربية، والفارسية، والأردية، والسانسكريتية، والإنجليزية، وأصبح ضليعاً في آدابها

وعلموها ونصوبها، فضلاً عن إمامه الجيد بلغة التامل. وكان في العربية كأنها لغته الأم، يتحدث بها ويكتبها بأسلوبٍ رصينٍ بليغ، كما كان بيانه في المليالم فصيحاً، فريداً في جماله ورونقه.

وفي سن الخامسة والعشرين، كان محمد عبد القادر المولوي قد بلغ من النضج الفكري مبلغاً عظيماً، فاكتسب معرفة عميقة بالأمور الدينية والثقافية، وأصبح قادراً على رؤية الإسلام والتاريخ من منظور أرحب، يتجاوز حدود التقليد والانغلاق. لم يكن عقله منغلقاً على بيئته المحلية فحسب، بل امتدت آفاقه إلى العالم بأسره، حيث حرص على استيراد الكتب والصحف والمجلات المتميزة من مختلف بقاع الأرض، باللغات العربية والفارسية والأردية والإنجليزية، ليكون على اطلاع دائم على الفكر العالمي. ومن اللافت أن تدفق هذه الكتب والصحف نحو منزله في قرية وكم لم يتوقف حتى بعد وفاته، في دلالة واضحة على نهمة العلمي الذي لم يعرف حدوداً.

ورغم انشغاله الدائم، كان يخصص وقتاً محدداً لكل جانب من جوانب حياته، فوقتٌ للعبادة، ووقتٌ للقراءة والمطالعة، ووقتٌ لتعليم طلابه وتدريبهم على إتقان اللغات والفنون، ووقتٌ للنشاطات العامة، من خطبٍ وكتابةٍ وأعمالٍ تنظيميةٍ، إضافةً إلى التفاعل مع قضايا المجتمع. أما بقية وقته، فكان مستغرقاً في القراءة والتأمل. ويروي معاصروه أنهم كثيراً ما رأوه في الليالي المظلمة، جالساً على حصيرة، أمام مصباحٍ وهاج، وعينه شاخصتان نحو صفحات كتابٍ مفتوح على وسادة فوق حجره، وكأنما كان في حوار دائم مع المعرفة، لا يفتر عنها طرفة عين.

كان المولوي مستلهماً أصول الإسلام ومبادئه، ونهج النبي محمد ﷺ في حياته ودعوته. وكان يرى بجلاء أن الحضارة الإسلامية كانت في طليعة الأمم، شامخةً في مجدها، منذ عهد النبي ﷺ وحتى سقوط بغداد، على مدى ستة قرون متتالية. لكن سقوط تلك الحضارة كان مصدر ألم عميقٍ له، فكان يتأمل أسباب انحطاطها، ويتساءل عن العوامل التي دفعتها من قمة المجد إلى هاوية الانحدار. لم يكن ذلك الانحطاط مجرد حالة من الركود المؤقت، بل كان، في نظره، بحيرة راكدة تجمّع فيها الطيب والخبيث معاً، ففسد كل شيء، وساد الظلام بعد النور.

وهكذا، لم يكن محمد عبد القادر المولوي مجرد عالمٍ أو مفكرٍ، بل كان روحاً قلقاً، تبحث عن سبيلٍ لإيقاظ الأمة من سباتها، وكان يحمل على عاتقه رسالةً تتجاوز عصره، متطلعاً إلى مستقبل تستعيد فيه الأمة مجدها السليب.

أشرق الإسلام بنور الحق والخير، فبدد ظلمات الجهل والضلال، إلا أن رياح الانحراف عادت إلى المجتمع الإسلامي في صور وأشكال مختلفة. وقد لفتت أنظار المولوي حياة وأعمال أولئك الرجال العظام الذين ألقوا ضياء الحقيقة على دروب غارقة في ظلمات الخرافات والشرك والبدع. لقد استوحى من عظمة

أرواحهم، ورسوخ علمهم، ونفاذ بصيرتهم الفكرية، كما تأثر بأساليبهم الفريدة في مواجهة الاضطهاد والتحديات التي فرضها أصحاب المصالح الخاصة ورجال الدين المتكسبون باسم العقيدة.

كان جمال الدين الأفغاني من أكثر المفكرين الذين تركوا أثراً عميقاً في عقل المولوي وفكره وحركته الإصلاحية، فقد استطاع هذا العالم الجليل إثبات تفوق الإسلام الروحي والمادي، وساهم بجهد عالمي جريء في إعادة البشرية إلى مبادئها الأصيلة وأهدافها النبيلة. كما تأثر المولوي بتلميذه المخلص الشيخ محمد عبده، الذي كان خطيباً بليغاً وصحفيّاً بارعاً، وبجريدة "المنار" مؤسسها رشيد رضا، بالإضافة إلى الإمام محمد بن عبد الوهاب، وشيخ الإسلام ابن تيمية الحراني، وتلميذه ابن قيم الجوزية. وقد تركت فيه الرسائل الفلسفية العميقة لكلٍ من الإمام أبي حامد الغزالي، والإمام شاه ولي الله الدهلوي، والسيد أحمد خان أثراً بالغاً، كما استلهم فكر العديد من المصلحين العظام في القديم والحديث.

لم يكن المجتمع الإسلامي في كيرلا بمعزل عن الرذائل والأمراض التي ابتليت بها الأمة الإسلامية في مختلف أنحاء العالم. فقد غاب عن عقول الناس نور المعرفة، وسيطر عليهم الجهل والتخلف، حتى امتلأت أذهانهم بالخرافات والأوهام. وبلغت حالهم من السوء أن أصبحوا يستقبلون بعض الرهبان ورجال الدين المزيفين بإجلال وتعظيم، ويؤمنون بقدراتهم الخارقة، حتى ظنوا أنهم يستطيعون تحقيق الأماني، وشفاء الأمراض، وتلبية الحاجات. وعندما كان يموت أحد هؤلاء المدّعين، اعتاد العامة أن يشعلوا المصابيح فوق قبره، وينذروا له النذور، ويستغيثوا به طلباً للشفاعة، في ممارسات تخالف التوحيد الخالص.

في هذا الجو المشحون بالخرافة، بدأ المولوي حركته الإصلاحية في كيرلا، حيث كانت البدع والتقاليد الفاسدة تنخر جسد الإسلام من الداخل والخارج على حد سواء. وكانت بعض الطقوس التي تمارس في شهر محرم وسواه تثير الاشمئزاز في النفوس، إذ يرتدي الناس أزياء غريبة ومخيفة في مشاهد لا تمت إلى الإسلام بصلة. بل إن بعض رجال الدين في ذلك العصر أفتوا بالكفر والارتداد بسبب أمور سطحية كتغيير لون اللباس أو بعض العادات الشخصية، بينما كانوا هم أنفسهم غارقين في الجهل والانحراف.

بلغ الفساد ذروته حينما مُنعت المدارس العامة (Public Schools) من المسلمين، وحُرف التعليم الديني، حتى اقتصر في الكتاتيب على مجرد تعلم الحروف العربية دون فهم لمعانيها. ولم يكن تعليم القرآن الكريم سوى تلقين حرفي، لا روح فيه ولا تدبر. أما رجال الدين المحليون، فقد لعبوا دوراً كبيراً في نشر القصص الواهية والخرافات، ونسبوا إلى النبي ﷺ أحاديث مكذوبة وضعيفة، حتى غدت قلوب العامة مرتعاً للجهل، وأُغلقت أمامهم أبواب العلم والمعرفة.

ومن خلال برامج الوعظ والإرشاد، التي كانت تُلقى في المساجد ليلاً، استمرت هذه الأكاذيب تُلقن لعامة الناس، حتى باتت حياتهم الاجتماعية أشد خطراً، وغابت عنهم قيمة العلم وأهميته. ولم يقتصر الفساد على الجوانب الدينية، بل انتشر حتى وصل إلى بلاط الحكم، حيث عانى الناس في ظلّ النظام الملكي في

ترافنكور من الظلم والاستبداد. تفتّشت الرشوة والمحسوبية بين كبار المسؤولين، واغتُصبت الحقوق، وداست البيروقراطية على العدالة الاجتماعية، مما جعل الحياة العامة بأئسة مقبلة.

إزاء هذا الواقع المرير، قرر محمد عبد القادر المولوي مواجهة الظلم بقوة الكلمة، فأطلق صحيفة ناطقة باسم الحق، تكشف الفساد والمظالم التي تحدثت تحت الحكم الملكي. أدرك أن الصحافة سلاح جبار قادر على الدفاع عن حقوق الناس، وفضح الاستبداد، وإثارة الوعي الجماهيري. ومن هنا، استورد مطبعة حديثة من إنجلترا بتكلفة باهظة، ليؤسس أول صحيفة مستقلة في ترافنكور، حملت اسم "سوديشابيماني"، والتي صدر عددها الأول عام 1905م باللغة المليالية.

وقد جاء في خاتمة افتتاحية العدد الأول من الصحيفة: "هدفنا الرئيسي هو تحقيق الرفاهية للشعب من خلال هذه الجريدة، وسنبذل قصارى جهدنا لتحقيق هذا الهدف. وبالتأكيد، لن نخفي معاناة العوام خوفاً من أي تهديد أو خطر".

كانت الصحيفة تبحث عن محرر قادر على حمل رسالتها الجريئة، وبعد أشهر قليلة، وجد المولوي ضالته في الصحفي والمفكر الكبير ك. راما كرشنا بيلاي، الذي تولّى رئاسة تحريرها عام 1906م. ولم يمض وقت طويل حتى ارتعدت أركان الديوان الملكي والمجالس البيروقراطية من مقالاته اللاذعة، التي فضحت فساد المسؤولين، وأبرزت مظالم الحكام. حاولت السلطات إرهابه بشتى الطرق، فاستخدمت الإغراءات تارةً، والتهديدات تارةً أخرى، وعندما فشلت كل الوسائل، لجأت إلى القمع الوحشي. فأصدر البلاط الملكي في 26 سبتمبر 1910م قراراً بمصادرة الصحيفة والمطبعة، ونُفي بيلاي إلى ولاية مدراس، وأُجبر على مغادرة ترافنكور.

وهكذا، لم تكن "سوديشابيماني" مجرد صحيفة، بل كانت صرخةً مدويةً في وجه الظلم والاستبداد، حملت لواء الحرية والعدالة، وجسدت نضال محمد عبد القادر المولوي من أجل الإصلاح والتغيير، ليظل اسمه خالداً في تاريخ كيرالا، كأحد أبرز المصلحين الذين حاربوا الجهل والفساد، وأعادوا للأمة وعيها وروحها الحقيقية.

إلى جانب صحيفة "سوديشابيماني"، كانت مجلة "المسلم"، التي بدأ المولوي إصدارها في يناير عام 1906م، وسيلة قوية وشاملة لإصلاح المجتمع ونشر المعرفة. فقد كانت المجلة تصدر مقالات محكمة التخطيط والترتيب، بطباعة أنيقة، مسلطة الضوء على زوايا الظلام والردائل والخرافات التي كانت متفشية في مجتمع المسلمين. كما كشفت عن أزمة قلة التعليم بين المسلمين في ولاية كيرالا، مستعرضة الحقائق والإحصائيات، داعيةً المسلمين إلى ولوج نور التعليم الحديث (Modern Education) ليضفوا البهجة على حياتهم.

شجعت المجلة المسلمين على حياة مثالية قائمة على التنظيم الجماعي، وفق مبادئ مستنيرة وأصول راسخة. كما تناولت بالدراسة والتحليل المبادئ الأساسية للدين، وخصائص الإنسان، وألقت الضوء على عمقها واتساعها، فضلاً عن استعراض الأحداث العالمية والاكتشافات العلمية بوضوح ودقة. وقدمت رؤية نقدية متزنة للوضع السياسي والاجتماعي في الهند وخارجها.

استمرت مجلة "المسلم" في الصدور لمدة تسع سنوات دون أن يكون هدفها الربح المادي، حيث لم يتم جمع قيمة الاشتراك بانتظام من المشتركين، ما أدى إلى استنزاف ثروة المولوي. وبالنهاية، توقفت المجلة ثم استؤنف إصدارها لفترة، إلا أن تأثيرها ظل محدوداً، حيث لم تحدث سوى موجات طفيفة من التغيير في سطح المجتمع. وكانت من أكبر العقبات التي واجهت المولوي أن غالبية مسلمي كيرالا آنذاك كانوا أميين في اللغة المليالمية، لا يقرؤون ولا يكتبون، ما جعل محتوى المجلة بعيداً عن متناولهم.

أمام هذا التحدي، توجه المولوي إلى مشروع جديد، إذ أدرك أن مسلمي كيرالا كانوا على دراية بالأبجدية العربية في شكلها المكتوب، بينما كانت لغتهم المحكية هي المليالمية. فابتكر صحيفة تطبع مقالات مليالمية بالحروف العربية، واشترى مطبعة خاصة لهذا الغرض. وفي عام 1918م، أطلق صحيفة "الإسلام" باللغة العربية المليالمية، لكنها لم تستمر طويلاً بسبب التحديات الكثيرة التي واجهته. ومع ذلك، وصلت أصداؤها إلى جميع الأجزاء، ووجدت طريقها إلى أيدي النساء اللاتي كنّ يعشن في ظلمات الجهل والخرافة، بعيدات عن عالم النور.

نشرت المجلة الترجمة المليالمية لسورة الفاتحة، مع شرح مفصل بقلم المولوي، إلى جانب مقالات تسلط الضوء على أسس الإيمان الصحيح، وتزكية الأخلاق، والتوعية بضرورة التخلص من الخرافات والطقوس والتقاليد البالية. كما دعت إلى الانفتاح على العلوم الحديثة، وحثت المسلمين على تلقي التعليم باللغة المليالمية والإنجليزية.

قرب نهاية حياته، أصدر المولوي مجلة أخرى حملت اسم "ديفكا"، حيث صدر العدد الأول منها عام 1930م. لكنها لم تكمل عامها الأول، إذ كان المولوي يعاني من المرض بالإضافة إلى الصعوبات المالية. ورغم المشقات، أصدر العدد الأخير من المجلة بعد أن كان قد جمع مسبقاً قيمة الاشتراك السنوي من العديد من القراء.

امتازت مجلة "ديفكا" بفراستها في الصحافة، حيث نشرت ملاحظات ثاقبة حول الشؤون السياسية والاجتماعية والأدبية، واحتوت على مقالات معمقة في مختلف المجالات. كما تضمنت زاوية "سطور الاقتباسات"، التي جمعت مقتطفات بارزة من مختلف الصحف العالمية والمحلية، بالإضافة إلى قسم "أخبار متنوعة"، الذي استعرض أهم الأحداث العالمية، مقرونة بأقوال العظماء والمفكرين حول مختلف القضايا. كما تميزت المجلة بنشر ترجمة للقرآن الكريم إلى اللغة المليالمية بقلم المولوي نفسه.

تدل محتويات "ديفكا" على أن نسبة المتعلمين في المجتمع الإسلامي كانت قد ارتفعت، وأن العديد منهم أصبحوا كتابًا ناشطين في الصحافة، على عكس عصر مجلة "المسلم"، التي صدرت بلغة مليالمية صرفة. لكن، ويا للأسف، مع صدور العدد الثاني عشر من "ديفكا"، أسدل الستار إلى الأبد على المسيرة الصحفية للمولوي محمد عبد القادر.

كانت صحيفة "سوديشايماني" مثالًا ناصعًا للصحافة الشجاعة والمستنيرة. وقد أنجز مؤسسها، وكم محمد عبد القادر المولوي، ومحررها، السيد راما كرشنا بيلاي، مهمة تكاملية بعملهما المشترك. غير أن المحرر تعرض للطرد والنفي من وطنه بسبب أدائه لمهنته ومسؤوليته الصحفية بكل نزاهة. ولم يكن هناك صحيفة تضاهي "سوديشايماني" في تاريخ ولاية كيرالا، بل وحتى في عموم الهند.

أما مجلات "المسلم"، و"الإسلام"، و"ديفكا"، فقد كانت مشاعل نور أضاءت المسيرة الاجتماعية والثقافية والدينية في تاريخ البلاد وتاريخ الصحافة. لقد حمل المولوي محمد عبد القادر رسالة الحقوق والمعرفة والفكر إلى الجماهير من خلال الصحف، كما أثرى المكتبة الإسلامية بكتبه العميقة.

أسس "دار النشر الإسلامية" في قريته بوكم، ليكون منبرًا لنشر الكتب والمعرفة، حيث قام بترجمة كتاب "كيمياء السعادة" للإمام الغزالي من الفارسية، مستخدمًا النص العربي المليالي في الطباعة. كما ترجم ونشر كتابين من اللغة الأردية، أحدهما "أهل السنة والجماعة" للسيد سليمان الندوي، والآخر "سيرة الخليفة عمر الفاروق" للسيد شبلي النعماني، وقد قام بترجمة الأخير السيد أم. عبد السلام بن المولوي الوكمي، وطبع في دار النشر الإسلامية بوكم بطباعة متقنة.

ومن بين أعماله المتميزة، كان هناك كتابه "أصول الفلسفة الإسلامية (Islammatha Siddhanta Samgraham)، الذي جمع فيه مقالاته المنشورة سابقًا في مجلة "المسلم"، ليصدر لاحقًا في شكل كتاب مستقل.

كان للمولوي طموح في تأليف كتاب عظيم عن الإسلام باللغة المليالمية، لكن الأقدار لم تمهله لتحقيق هذا الحلم، ليبقى إرثه الفكري والصحفي شاهدًا على جهوده الجبارة في نشر العلم والفكر المستنير.

لقد فضح المولوي الممارسات الدخيلة التي شابت صفاء الإسلام، من بدع وتقليد أعى للزعماء الدينيين، حتى وإن خالفت تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية، إذ تسَلَّلت إلى جسد الأمة تحت ستار الدين. وردّ المولوي على تلك الانحرافات بطرح علمي متين في كتابه "ضوء الصباح"، حيث كشف زيف الادعاءات والأكاذيب التي نشرها المتشددون ورجال الدين الذين لم يكن لهم من العلم إلا القليل عن شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي. وقد تولّت جمعية (Islam Dharma Paripalana Sangam)

في منطقة نلاكاموكو Nilakamukku نشر هذا الكتاب، شأنه في ذلك شأن بعض الأعمال الأخرى للمولوي التي أشرنا إليها سابقاً.

اضطلع المولوي بمهمة إصلاحية جسيمة في مجتمع أتت عليه أيدي الكهان والمتصوفة وبعض رجال الدين، فأفسدته أيما إفساد. ورغم جهوده الدؤوبة لتحرير المسلمين المحليين ودفعهم نحو الرقي الروحي والثقافي، إلا أن نجاحه لم يكن تاماً. فقد جاب العديد من المناطق، وحضر المجالس العامة، وألقى الخطب، ووجه الإرشادات، حتى لاقت دعوته صدى لدى المنظمات الثقافية والاجتماعية الكبرى في ولاية كيرلا، التي قبلت قيادته وتوجيهاته. وأرشدهم المولوي إلى السعي وراء الحلول الأخلاقية والثقافية التي تنفع الناس وتسمو بمجتمعهم.

ولم تذهب جهوده سدى؛ إذ بدأت بوادر التغيير تظهر تدريجياً في القرى والمناطق التي حمل فيها لواء الإصلاح. فقد كسر الشباب والفتيات قيود الجهل والتخلف، معلنين تحررهم من أسر الخرافات علانية. وراحوا يتدفقون إلى المدارس العصرية أفواجا، فكان معظم المتعلمين في تلك المناطق من أولئك الذين تأثروا بدعوته. وبعد ذلك بسنوات، شهدت ترافنكور تخريج أعداد كبيرة من الكليات والجامعات، في تحول جذري يصعب تصويره اليوم.

لقد بلغ الحال آنذاك مبلغاً خطيراً، إذ كان هناك من يعتقد أن المليالمية الفصحى "لغة الكافرين"، وأن الإنجليزية "لغة الجحيم"، فهربوا من التعليم الحديث أشدّ الهروب. أما اليوم، وقد انتقلت مجتمعاتنا من الظلمات إلى النور، فقد بات لزاماً علينا أن نتأمل في القيم الحياتية والمبادئ الأساسية التي تأكلت بفعل هذا التحول العاصف. وكأنما صار التعليم المتطور أرضاً خصبة للأناية والردائل، وساحة للاستحواذ على الملذات، حتى أصبح الإنسان يثور على إخوته بدلاً من أن يعينهم.

إن المؤمن الصادق يسعى إلى العلم بلا قيود، مستنيراً به في فهم معنى الحياة والكون. وقد حقّر المولوي إخوانه للسير على نهج التعليم الحديث وفق هذا المبدأ الراسخ. آنذاك، كانت اللغة العربية تُدرّس في المساجد والمدارس بأسلوب مشوّه، حيث تُعلّم حروفها منفصلة، وبأصوات مليالمية، مما أفضى إلى مزيج غير مفهوم من العربية والمليالمية، أفقد الطلاب القدرة على الاستمتاع بتلاوة القرآن الكريم والتدبر في معانيه، فضلاً عن التفقه في الدين.

وكما نعلم، فإن العربية، منذ بزوغ فجر الإسلام، أصبحت لغة المعرفة والفكر، إذ تحتضن مخزوناً هائلاً من الكتب في شتى المجالات الدينية والفلسفية والعلمية، من الفيزياء إلى السياسة والاجتماع والتاريخ. وإدراكاً منه لهذه الحقيقة، انبرى المولوي إلى نشر اللغة العربية وتعليمها في المناطق التي عانت من التهميش، فبذل جهوداً جبارة لإحداث التغيير المنشود.

اتبع المولوي أساليب متعددة لإصلاح تعليم العربية في ترافنكور، كان من أبرزها تطوير التعليم في المدارس والمساجد والكتاتيب، عبر دمج مبادئ علم النفس وأساليب التدريس الحديثة، مع مراعاة قدرات الطلاب وميولهم. كما قدم خدمة جليلة بإقناع المسؤولين بإدخال اللغة العربية ضمن مناهج المدارس العامة في ترافنكور، الأمر الذي شجّع أولياء الأمور، ولو بطريقة غير مباشرة، على إرسال أبنائهم إلى المدارس.

وقد أدرك المسؤولون أن تدريس العربية في المدارس العامة سيكون عاملاً مساعداً في تشجيع الطلاب المسلمين على الالتحاق بالمؤسسات التعليمية، خاصة وأنه لم يكن ثمة حواجز رسمية تمنعهم، بل كانت العوائق نفسية واجتماعية بالدرجة الأولى. لكن مع اعتماد اللغة العربية كمادة دراسية، برزت مشكلة جديدة، وهي نقص المعلمين المؤهلين لتدريسها. وهنا، تدخلت الحكومة الملكية في ترافنكور للتحقق من كفاءة المعلمين، ومنحت شهادات اعتماد لمن يستوفون الشروط اللازمة ليصبحوا مدرّسين للغة العربية في المدارس العامة.

وهكذا، ولأول مرة في تاريخ ترافنكور، تمّ تعيين معلمي اللغة العربية رسمياً في المدارس الابتدائية، بفضل الجهود الحثيثة للمولوي، الذي لم يكتفِ بذلك، بل أشرف بنفسه على إعداد المناهج الدراسية للمرحلتين الابتدائية والثانوية، ووضع كتاباً مدرسياً حديثاً، كما تولى منصب رئيس لجنة الامتحانات الحكومية للغة العربية.

لكن، وكما هي سنة الحياة، واجه المولوي مقاومة شرسة من قوى الظلام التي توحدت ضده، فتعرض للإهانة والتجريح والتشويه، وأطلق عليه لقب "الوهابي النجدي". غير أنه، بطبعه الفريد، لم يكن يعير اهتماماً للمدّاحين، كما لم يكن ينصاع للمعارضين. فقد كان يرى أن العظمة ليست حكراً على أحد، وأن المعرفة والخبرة لا تزيد الإنسان إلا تواضعاً. كان يؤمن بأن كلما علا شأن الفرد زادت مسؤولياته تجاه الآخرين، وأن الخير والشر هما الفاصل الحقيقي بين البشر، لا العرق ولا النسب ولا الجاه.

لقد رفض المولوي أن يكون معبوداً من قبل أتباعه، إذ كان يرى أن الطغيان لا يكمن فقط في عبادة الأصنام، بل في تأليه الحكام والقيادات أيضاً. وعندما أحدثت حركته الإصلاحية زلزالاً في أرجاء البلاد، أبى أن يسمح لمريديه وأحبائه برفعه إلى مرتبة الزعامة المطلقة. كان يؤمن بأن الإنسان يولد ويعيش ويعمل، وعند موته، لا يبقى منه إلا الخير الذي أنجزه أو الشر الذي اقترفه. وهكذا كانت حياته؛ شعلة من نور أضاءت دروب الإصلاح، وستظل ذكراه مشرقة في صفحات التاريخ، تنير درب الباحثين عن الحق والنهضة.

لم يعرف محمد عبد القادر المولوي حدوداً تفصل بين الناس، فقد كان منزله مَحَطَّ رحال الجميع، مفتوحاً دون تمييز في المذهب أو الفكر أو الديانة. كلُّ من قصده وجد عنده المأوى والمائدة العامرة بروح الكرم والإخاء. وتردد عليه الناس يومياً لأغراض شتى، فمنهم من جاء يلتمس العلم، ومنهم من لجأ إليه في القضايا المحلية، وآخرون قدموا من أصقاع البلاد بحثاً عن النصيح والتوجيه. ظلَّ المولوي مخلصاً لمسيرته الروحية

حتى آخر أيامه، متفانيًا في عبادته، غارقًا في زهدٍ خالصٍ، مستمدًا تأثيره الروحي من صفاء نفسه وصدق يقينه.

لقد وُلِدَ في خضمِّ الثورة، ونشأ في كنف المجد والسمعة، واستمرَّ في خدمة وطنه وأبناء شعبه بلا كلل لأكثر من ثلاثين عامًا. لكن المفارقة العجيبة أن ذلك الرجل العظيم، الذي كان زاهدًا حتى في طعامه ولباسه وسائر نفقاته، غادر هذه الدنيا مثقلًا بالديون. لقد أهلكته ثروته المطابعُ والصحافةُ، التي كرَّسها لنشر رسالته الإصلاحية، ولم يترك لورثته سوى إرثٍ من العطاء والمواقف الجليلة. وفي الحادي والثلاثين من أكتوبر عام 1932م، رحل هذا المجاهد العبقري في حالٍ لم يتمكن فيها حتى من تأمين قوت أهله من بعده.

لقد كان المولوي الوكّمي طليعةً في الإصلاح والتجديد في زمنٍ كان من الممكن فيه شراء فدانٍ من الأرض في مدينة ترفاندرم بمئة روبية هندية، بينما أنفق هو آلاف الروبيات على مشاريع الرعاية الاجتماعية. وفي ذلك العهد، كانت الهند تخضع للحكم البريطاني، ولم تكن الفكرة القومية قد ترسخت بعد، بل لم يكن حتى مهاتما غاندي قد دخل معترك السياسة أو رفع لواء الحرية والاستقلال. غير أن المولوي كان سابقًا لعصره، إذ انطلق في ميادين النضال متسلحًا بفكرة وطنية نقيّة، معتمدًا في سبيل تحقيقها على إجراءات عملية صعبة، في وقت كان الشعب يرزح تحت نير الظلم والاستبداد، ليس فقط من قِبَل المستعمر، بل أيضًا من قبل الملوك والأمراء. فهل هناك ظلم أكبر من أن يطويه النسيان، وألا نُخلِّد ذكرى ذلك الفارس الشجاع الذي ضحّى بروحه وفكره في سبيل نهضة وطنه؟

وفي هذا السياق، يقول السيد/ سي. أج. محمد كويا³⁴⁰ رئيس وزراء ولاية كيرلا الأسبق، عن هذا الرمز الثائر الذي نقش بصماته في مسيرة تنوير المجتمع: "لقد نسي المجتمع اسم ذلك الثائر المقدس، الذي ترك بصمات لا تمحى على طريق التقدم. لقد تناست الأمة عاشق الحرية الذي ضحّى بكل شيء لأجل الوطن، راما كرشنا بيلاي". كلماته هذه تختصر الحقيقة كاملة، إذ لم يكن المولوي مجرد رجل دين أو مصلح اجتماعي، بل كان ثائرًا حمل على عاتقه هم الإصلاح الشامل، في وقت كانت الأمة في أمس الحاجة إليه.

حينما بلغ محمد عبد القادر ريعان الشباب، وجد أمامه مشهدين مؤلمين: الأول، فساد إداري مستشري، والثاني، انحراف اجتماعي متسّرع بعباءة الدين والعقيدة. رأى بأَمِّ عينيه مدى الانحطاط الذي أصاب مجتمعه، ولم يقف موقف المتفرج، بل تشكّلت لديه قناعة راسخة بأن السبيل الوحيد للخلاص هو العودة إلى ينابيع الدين الصافية، المتمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية، مع ضرورة الأخذ بأسباب العلم العصري، لا سيما في أوساط النساء. آمن بأن النهضة الحقيقية لا تتحقق إلا عبر التعليم، وجهر بهذه الرؤية بلا تردد، داعيًا إلى إصلاح جذري ينهض بالمجتمع من كبوته.

³⁴⁰ 15 يوليو 1927م - 28 سبتمبر 1983م

لم يكن وگمي المولوي مجرد رمز لما يُعرف اليوم بـ "المجتمع المولوي"، بل تميّز برسائلته الواسعة في نشر القرآن الكريم، وتعزيز السنة النبوية، والارتقاء باللغة العربية وآدابها. وليس من المبالغة القول إن ولاية كيرلا حظيت بـ "مجدد القرن" عندما اجتمعت في شخصه البركة الإلهية، مقترنة بعراقة أسرته في العلم والثقافة.

لقد أدرك المولوي العالم المعاصر إدراكًا عميقًا، مستعينًا بمطالعته الواسعة بلغات متعددة، حتى أصبح من أوائل أصحاب الصحف الذين أقاموا علاقات رسمية مع وكالة الأنباء رويترز الدولية، كما أشرنا سابقًا. وكانت معرفته باللغات والثقافات عاملاً رئيسيًا في تواصله مع الحركات الإسلامية العالمية، ما جعله في طليعة المفكرين الذين امتلكوا رؤية شاملة تجمع بين الأصالة والحداثة، بين روحانية الإيمان وواقعية النضال، وبين التراث المتجذّر وآفاق التجديد الرحبة.

الفصل الثامن

ترجمة القرآن الكريم إلى المليالية وانحدار المجتمع وتدهورهم اللغوي

قبل مناقشة موضوع عن بدأ ترجمة القرآن الكريم التي قام بها محمد عبد القادر المولوي الوگمي بشكل جديد صحيح، ومن الضروري الإشارة إلى الظروف المأساوية التي كانت تمر بها المجتمعات المسلمة في ذلك الوقت. وفي القرن الماضي، يعتبر موضوع الشيخ ومساهمته كمتّرجم أول للقرآن الكريم من المواضيع ذات الأهمية الكبيرة والتي تستحق النقاش و كلّ التقدير.

كانت ولاية كيرالا من أوائل المناطق التي دخل إليها الإسلام منذ بداياته. وقد انتشر الإسلام في كيرالا بشكل أساسي من خلال العلاقات التجارية التي كانت قائمة مع العرب، وهو ما سبق أن أشرنا إليه. ومع ذلك، عند مقارنة تأثير الكتاب المقدس (الإنجيل) في اللغة الماليلامية بما قدّمه القرآن في هذا المجال، يتضح أن تأثير القرآن كان أقل بكثير من ناحية اللغوية. ولكن لا يمكن إنكار التأثير الكبير للغة العربية على اللغة الماليلامية. فقد كانت هذه التأثيرات واضحة في الكلمات المستخدمة في الحياة اليومية المتعلقة بالتجارة والإدارة.

كان المبشرون المسيحيون الذين وصلوا إلى كيرالا لأغراض الدعوة الدينية يكرّسون وقتًا كبيرًا للخدمة اللغوية أيضًا. بدأ هذا العمل مع المبشر الألماني هيرمان جندرت (Herman Gundert)³⁴¹، وتابع العديد من

³⁴¹ الدكتور القس هيرمان جندرت (4 فبراير 1814 – 25 أبريل 1893) كان عالم لغات ألمانيًا قدم إسهامات بارزة في اللغة الماليلامية والثقافة الكيرالية. وُلد في شتوتغارت بألمانيا، ووصل إلى الهند في 7 يوليو 1836. بعد فترة قصيرة في ترونلوفي، انتقل إلى تريفاندرم في 7 أكتوبر 1838، حيث بدأ بتعليم الماليلامية بمساعدة معلمي اللغة بالقرب من تالاشيري. ومن أبرز إسهاماته، تعليم ونشر الماليلامية، أسس مدارس في تالاشيري وغيرها، وأنشأ مطبعة لطباعة الكتب التعليمية باللغات الماليلامية، الكانادية، والإنجليزية. وله أعمال لغوية بارزة، ومنها: كتاب "قواعد اللغة الماليلامية" (1868) "قاموس جندرت الماليلامي-الإنجليزي" (1872). ترجم أجزاء من الكتاب المقدس إلى الماليلامية، مقدمًا دراسة غير مسبقة للغة بعيدًا عن التأثير السنسكريتي، وأنشأ أول صحيفة باللغة الماليلامية بعنوان "راجيا ساماشارام" وأخرى بعنوان

المبشرين المسيحيين هذا النهج بشكل حثيث. تم إصدار العديد من الترجمات للكتاب المقدس باللغة الماليلامية، إلى جانب العديد من المؤلفات التي نشرت التعاليم المسيحية. كما تم نشر العديد من الصحف والجرائد اليومية والأسبوعية. وقد جسد المبشرون المسيحيون مهمة الحياة في كيرالا باعتبارهم ممثلين للغرب المتعلم والمهتم باللغة الفصحى. وفي المقابل، كانت المجتمعات المسلمة تُعتبر جزءًا من الشرق البسيط والمحدود، بعيدًا عن الارتباط الجاد باللغة أو الأدب.

على الرغم من تأثيرهم العميق في الحياة اليومية، فإن المسلمين الأوائل في كيرالا لم يتمكنوا من الوصول إلى مختلف مجالات اللغة الفصحى والأدب، وعاشوا تقريبًا في فترة مظلمة. وكانت هناك العديد من الأسباب التاريخية وراء ذلك من الدينية والسياسية، أهمها الارتباط الروحي العميق الذي كان بين مسلمي كيرالا والمجتمع المسلم العالمي. لقد رفض المسلمون الأوائل كل ما يتعلق بالغرب، حيث وقف المجتمع المسلم منذ البداية في وجه الاستعمار ورفضوا التعليم الحديث والأدب والفنون المتعلقة به. ونتيجة لذلك، ابتعدوا عن الأدب السائد وأنشأوا لغة خاصة بهم تُسمى "العربية الماليلامية". وكان هذا الابتعاد أحد الأسباب الرئيسية التي أدت إلى تقليل تأثير الثقافة الإسلامية على اللغة الماليلامية. بينما لم يكن الحال نفسه مع الكتاب المقدس (الإنجيل)، فقد استمر تأثيره في الأدب الماليلامي بوضوح. وعلى عكس المسلمين، الذين ظلّ القرآن كتابًا غريبًا إلى حد ما على الأدب الماليلامي الفصحى، ساهم الإنجيل في إغناء الأدب الماليلامي بالعديد من المفردات والتعبيرات.

ومن خلال الكتاب المقدس وتأثيره، تسرّب العديد من المفردات والتعابير إلى اللغة الماليلامية الفصحى، مثل "الصليب"³⁴²، "إكليل الشوك"³⁴³، "ثلاثون قطعة من الفضة"³⁴⁴، "المذبح"³⁴⁵، "المحراب"³⁴⁶، وغيرها الكثير. هذه المفردات والتعابير أصبحت جزءًا من الأدب العام في الماليلامية منذ ذلك الحين. فمثلًا، عند استخدام تعابير مثل "من كان منكم بلا خطيئة فليرمها أولاً بحجر"³⁴⁷، و"أنظروا إلى طيور السماء إنها لا تزرع"³⁴⁸، يفهمها الجمهور العام الماليلامي على الفور. رغم أن تأثير ترجمات الإنجيل على الأدب الماليلامي كان

"باشيموديام" ركزت على المقالات المعرفية. كان جده الروحي الكاتب الألماني الحائز على جائزة نوبل هيرمان هيسه. عاد إلى ألمانيا في عام 1859 بسبب المرض، وتوفي هناك في 25 أبريل 1893.

³⁴² "وَمَنْ لَا يَأْخُذُ صَلْبِيَّتَهُ وَيَتَّبِعْنِي فَلَا يَسْتَجِدُّنِي" الكتاب المقدس: إنجيل متى، 10:38

³⁴³ "فَخَرَجَ يَسُوعُ خَارِجًا وَهُوَ حَامِلٌ إِكْلِيلَ الشُّوكِ وَثَوْبَ الْأَرْجَوانِ. فَقَالَ لَهُمْ بِيلاطُسُ: «هُؤُذَا الْإِنْسَانُ»! : إنجيل يوحنا 19:05

³⁴⁴ ثلاثون قطعة فضية هي الثمن الذي قبضه يهوذا الإسخريوطي مقابل خيانة يسوع المسيح وفقًا لرواية 26:15 في إنجيل متى في العهد الجديد.

³⁴⁵ إلى مكان المذبح الذي عمله هناك أولاً: سفر تكوين 4:13

³⁴⁶ وعمل في المحراب كرويين من خشب الزيتون: سفر الملوك الأول 23:6

³⁴⁷ "من كان منكم بلا خطيئة فليرمها أولاً بحجر" يوحنا 8:7

³⁴⁸ متى: 6:26

واضحًا، إلا أن المجتمع المسلم في وقت لاحق ساهم في ظهور العديد من الأعمال الأدبية القوية التي استندت إلى حياة المسلمين. يمكن اعتبار هذه الأعمال جزءًا من إسهام المجتمع المسلم في الأدب الماليلامي.

باستثناء كلمة "حور العين"³⁴⁹، لا نجد مساهمات قرآنية أخرى في الأدب الماليلامي، وهذه الكلمة تمثل مفهومًا قرآنيًا خالصًا. ولكن مفهوم حور العين في الجنة، الذي ورد في القرآن، قد تبنته الأدب الماليلامي فيما بعد. وفي الوقت الحالي، يستخدم المجتمع بشكل واسع كلمة "حور". ومن الكلمات الأخرى "إبليس"، ولكن قصة آدم وحواء كما وردت في الكتاب المقدس هي التي كانت أكثر قبولًا لدى العامة في المجتمع الماليلامي.

وفي المقابل، نجد أن كلمات مثل "الشيطان" و"ثمرة الخبيثة" قد انتقلت إلى الماليلامية من الكتاب المقدس. بينما كلمة "إبليس" تختلف في هذا السياق لأنها تحمل تأثيرًا قرآنيًا. وباستثناء بعض هذه الكلمات القليلة، لم يظهر تأثير القرآن في اللغة الماليلامية بشكل أوسع، ويعود السبب الرئيسي لذلك إلى تأخر وصول ترجمة القرآن ورسالته إلى هذه المجتمعات الماليلامي.

وفي القصص والروايات المبكرة والمسرحيات والأفلام، كيف كان يُصور البطل المسلم؟ كان المجتمع يتعرف على البطل المسلم من خلال صورة تحمل طابع القسوة، فالأدباء والكتاب قدموا المسلمين كأشخاص يحملون السيوف المملوطة بالدماء، ويرتدون الأحزمة الخضراء، ويقفزون بقوة وعنف. رغم أن القيم القرآنية قد أثرت بعمق في حياة البشر، إلا أن هذه الصورة كانت هي السائدة في الأدب الأوائل.

اعتقد المسلمون الأوائل في كيرالا أن ترجمة القرآن الكريم كانت محظورة. بالإضافة إلى ذلك، فإن ضعف معرفة العلماء المسلمين باللغة الماليلامية الفصحى أعاقهم عن تحقيق هذا الهدف. وبالتالي، على عكس الكتاب المقدس، ظل القرآن بعيدًا عن الأدب الماليلامي لفترة طويلة. وكان هذا هو السبب في عدم ظهور القرآن في مجال الأدب لفترة طويلة في ولاية كيرالا.

وكما أشرنا سابقاً، صدرت أول ترجمة للقرآن في اللغة الماليلامية في عام 1870م. وكان هذا العمل، الذي أنجزه مَآيْنُ كُوتِي إيلَيَا من عائلة أَرَاكُلُ المالكة، ترجمة لآيات القرآن واعتمد عليها تفسير الجلالين. إذا نظرنا إلى ترجمة ماين كوتي إيليا، سنفهم مدى تأخر المسلمين في كيرالا في ما يتعلق بالتأثير اللغوي وقلّة الوعي باللغة الفصحى في تلك الفترة. وعند مقارنة هذه الترجمة من الناحية اللغوية مع الترجمات التي سبقتها للكتاب المقدس، يمكن ملاحظة الفرق الكبير في مستوى هذه الترجمات، مما يوضح الصعوبات اللغوية التي واجهها المجتمع المسلم في ترجمة القرآن.

³⁴⁹ سورة الدخان 54

محمد عبد القادر المولوي الوكّمي هو من بين أولئك الذين ساهموا بشكل بارز في إيجاد مصطلحات جديدة وتطبيقات مناسبة لترجمة القرآن الكريم. فقد ترجم كلمات مثل "الرحمن" و"الرحيم" إلى المليالية الفصحى والتي لا مثيل لها في الأدب المليالي، وهذه المصطلحات أصبحت شائعة بين العامة إلى يومنا هذا.

فان ترجمة القرآن التي قام بها سي. إن. أحمد المولوي³⁵⁰ ساهمت بشكل كبير في نقل القيم القرآنية إلى المجتمعات الأخرى. لقد ساعدت هذه الترجمة الأدباء والكتاب والمشاهير من أعيان البلد على التعرف على الرؤى القرآنية واستيعابها. ورغم ذلك، فإن تأثير القرآن في الأدب الماليلامي الإبداعي لا يزال محدودًا للغاية.

حاول بعض الشعراء، مثل فالآتول نارايانا مينون في قصيدته "الله" احتواء الرؤى الإسلامية، ولكن عالم الإسلام الواسع والعميق بقي مجهولاً لدى الكثير من الشعراء. لكن لاحقاً، ظهرت العديد من الأعمال الأدبية التي تناولت حياة المسلمين، ويُعتبر ذلك جزءاً من إسهام المجتمع المسلم في الأدب الماليلامي. تعدّ أعمال الأديب الكبير والكاظم الشهير فائكم محمد بشير³⁵¹ الملقب بالسلطان يَفُور من أبرز الأمثلة التي يظهر فيها القرآن كعنصر حاضر وفاعل. أما آية القرآن "اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ"³⁵² كان دائم الحضور في حياة بشير وفي كتاباته الأدبية المليالية. وفي كتابه "كان لجدي فيل"، استخدم بشير فيه الألفاظ القرآنية، وهي من أبرز الأعمال التي يظهر فيها حضور القرآن بشكل قوي، ويبدو التأثير القرآني واضحاً في مفاهيمه. ومن بين هذه القصص، تبرز قصة "العيد" للكاتب كانيش بونور، والتي تستند إلى حدث قرآني. وتُعتبر قصة "العيد"، التي تجمع بين قصة النبي إبراهيم والواقع المعاصر، واحدة من أفضل القصص في عصرنا الحاضر في الأدب الماليلامي.

ومن الأعمال التي كتبت بأسلوب قرآني دقيق، نجد "العبرات" للكاتب جمال كوتشانغادي. كذلك، نجد التأثير الكتابي من الكتاب المقدس في قصائد بالاشندران تشوليكا، و"كتاب العمر" للكاتب س.ف.

³⁵⁰ سي. إن. أحمد المولوي (1905/1993م) هو عالم إسلامي ومصلح اجتماعي في اللغة الماليلامية، وقد قدم إسهامات كبيرة في حركة النهضة الإسلامية في ولاية كيرالا خلال القرن العشرين. عمل على نشر الرسائل الإسلامية، وتوفير ترجمة القرآن الكريم باللغة الماليلامية الفصحى، ورفع صوته ضد العادات والتقاليد السلبية في المجتمع المسلم. كانت إسهاماته مهمة للغاية في نقل الأفكار الإسلامية إلى المتحدثين بالماليلامية. قام بترجمة كتاب "صحيح البخاري" إلى اللغة الماليلامية. وكان لذلك تأثير كبير في ولاية كيرالا. كما عمل على ترجمة القرآن الكريم وتقديم تفسير واضح له، بالإضافة إلى الترويج لحقوق النساء المسلمات، والدعوة إلى إصلاح القوانين الشخصية الإسلامية. وقد أحدث تأثيراً تقديمياً في المجتمع الماليلامي من خلال هذه الجهود. دُرِسَ في كلية "الجمالية" بمدينة مدراس، وكانت النقاشات مع شخصيات ذات فكر تقدمي قد ساهمت في تشكيل رؤيته الفكرية. بذل جهداً كبيراً في إعداد تفسير للقرآن الكريم، وأجرى مشاورات مع علماء من الهند ودول أجنبية لجعل القرآن الكريم كتاباً متاحاً لجميع الناس. حياة المولوي وأفكاره ورسالته جعلته شخصية بارزة في مجال الإصلاح الاجتماعي والنهوض بالتعليم، حيث كان له تأثير كبير على المجتمع.

³⁵¹ فايكام محمد بشير، المولود في 21 يناير 1908م في نالايولا بارامبا، من محافظة كوتايام، ولاية كيرالا في جنوب الهند. هو أحد أعظم الكتاب في الأدب الماليلامي. كانت حياته مليئة بالمغامرات والتحديات، فقد هرب من منزله لمقابلة المهاتما غاندي في صغر سنه، وانخرط في حركة المقاومة ضد الاستعمار البريطاني. بعد مشاركته في حركة العصيان المدني، سُجِنَ وانخرط في العمل الصحفي والكتابة، متخذاً اسماً مستعاراً حتى لا يميزه السلطة البريطاني. تجوّل لسنوات في الهند والبلاد العربية، مكتسباً تجارب حياتية غنية ألهمت أعماله الأدبية. اشتهر بشير بكتابة قصص عن الأشخاص العاديين بلغة بسيطة ومباشرة، مما جعل أعماله محبوبة من جميع فئات المجتمع. كان قادراً على الجمع بين الفكاهة والنقد الاجتماعي، مع تسليط الضوء على شخصيات مهمشة مثل السجناء والمتسولين والصوص والعاهرات والخدم والطباخ والجندي. ورغم أنه كتب عدداً قليلاً من الأعمال، إلا أن تأثيره كان كبيراً، وأصبحت أعماله مثل "رفيق الطفولة"، و"عزة فاطمة"، و"الجدان" جزءاً لا يتجزأ من الأدب الماليلامي. حصل بشير على العديد من التكريمات، منها "بادما شري" من الحكومة الهندية في 1982، وزمالة الأكاديمية الأدبية المركزية في 1970. توفي في 5 يوليو 1994 في بيبور، من محافظة كالكوت، ولكنه لا يزال حياً في ذاكرة القراء بفضل إرثه الأدبي الغني.

³⁵² سورة النور الآية: 35

بالاكريشنان، و"أشعة الشمس" للكاتب بارابوراث. ومع ذلك، لا يوجد الكثير من القصص في الأدب الماليلامي التي تظهر فيها التأثيرات القرآنية بقدر تأثير الكتاب المقدس³⁵³.

ومن المؤكد أن الكتاب من غير المسلمين لم يتأثروا بالقرآن في كتاباتهم الأدبية. ويعود السبب في ذلك إلى العلماء والمفكرين الدينيين الذين اكتسبوا المعرفة اللغوية والأدبية. ورغم أن للإسلام أثر عميق في الحياة العامة في كيرالا وأسهم في تشكيل رؤية الماليلامي للعالم. فإن القرآن كتاب المسلمين المقدس ولكنه لا يزال بعيداً إلى حد كبير عن الأدب الماليلامي والمشاهير. ويُعتبر هذا أحد أبرز إخفاقاتنا على المستوى اللغوي. وفي محاولة لمواجهة هذا الوضع وسد هذه الفجوة، قام المولوي الوكّمي وتلاميذه الأجلاء في القرن الماضي بالتضحية الكبيرة، حيث قاموا بترجمة القرآن والعديد من الأعمال الإسلامية الأخرى ونشرها بلغة الماليلامية نقية وغنية بالأدب.

الفصل التاسع

مشروع ترجمة القرآن الكريم للمولوي الوكّمي

لقد تُرجمت بعض أجزاء وسور من القرآن إلى العربية الماليلية على يد عدة علماء في ولاية كيرالا. ولا تزال هذه الترجمات متداولة حتى اليوم. وتتميز كل ترجمة بخصائص لغوية تتماشى مع تطورات العصور. كان استخدام النص العربي الماليلامي في الكتابات الإسلامية متاحاً بشكل كبير، في حين كان استخدام النص الماليلامي التقليدي يتسم بصعوبات عديدة للمسلمين أن ذاك. ومن أبرز الأسباب وراء تفضيل الخط العربي الماليلامي، كانت المشاعر التي ترى في هذا الخط كنزاً خاصاً بالمسلمين، وإلى جانب النظرة المتأخرة لتعلم الماليلية بين المسلمين، واعتبارها لغة غير المسلمين. ولهذا، كانت ترجمة القرآن والكتب الإسلامية الأخرى تُكتب بخط العربية الماليلية حتى وقت قريب، وكان يُفهم أن كلمة "ترجمة" تعني "كتاب بخط العربية الماليلية".

وفي عام، قام الشيخ عمر أحمد الملباري ك. عمر مولوي بتأليف ترجمة كاملة للقرآن باللغة الماليلية العربية مع شروح وتوضيحات ضرورية³⁵⁴. وقد نُشر منها حتى الآن أربعة أجزاء. لقد تم نشر الكتاب بالكامل بالفعل، وأعيدت طباعته مراراً بالأبجدية الماليلية. مع التغيرات التي طرأت على المجتمع، وازدياد انتشار اللغة والأدب الماليلامي بين المسلمين، إلى جانب توفر الحروف العربية في المطابع الماليلية، بدأت الكتب

³⁵³ Kunjamu, A. P. (2002). "Qur'an and Malayalam Literature." *Prabodhanam Weekly*, Special Issue

³⁵⁴ نفس المصدر

الإسلامية تُنشر أيضًا بالأبجدية المليالمية . ومنذ بضعة عقود، صدرت ترجمات لأجزاء عديدة من القرآن بالأبجدية المليالمية ، بالإضافة إلى نشر بعض الأجزاء في المجلات والصحف الإسلامية.

وعلى الرغم من اعتراض بعض العلماء على طباعة ترجمات القرآن مع النص العربي، إلا أن هذا الوضع تغير بشكل كبير اليوم، وأصبح الجميع، بشكل عام، يسعون لنشر علوم القرآن بوسائل مختلفة. قبل نحو 25 عامًا، أصدرت جمعية الأدب الإسلامي في كاليفورنيا (Islamic Literature Society) ترجمة لبعض الأجزاء الأولى من القرآن، ولكن الأجزاء اللاحقة لم تصدر. في وقت لاحق، تم نشر ترجمات لبعض الأجزاء الأخيرة وبعض السور بشكل متقطع، وكلها كانت بالأبجدية المليالمية إلى جانب النص العربي، عدا القليل منها الذي نُشر بدون النص العربي .

وبالنسبة للترجمات الكاملة للقرآن باللغة المليالمية ، فقد صدرت بالفعل ترجمة شاملة للأستاذ سي. إن. أحمد المولوي³⁵⁵. وقد نُشر المجلد الأول منذ 10 سنوات، وأُكملت الأجزاء اللاحقة أثناء كتابة هذه الترجمة منذ نحو سنة ونصف.

تعتبر ترجمة المولوي الوكّمي للقرآن الكريم انعكاسًا لفترة زمنية معينة، وهي في الوقت ذاته شعلة من المعرفة. وفي ذلك الوقت، كانت هناك تحديات كبيرة يجب مواجهتها لترجمة القرآن الكريم، وردود الفعل التي ظهرت بين المجتمع المسلم تجاه هذا العمل العظيم تبرز أهمية ما قام به المولوي. وفي تلك الفترة، كان القرآن الكريم لدى عامة المسلمين محصورًا في لغته العربية فقط. وكان فهم معانيه العميقة ضائعًا، لذلك كانت سلطة التعاليم القرآنية ضعيفة بين المؤمنين والمؤمنات.

ومن خلال جهود جديرة بالإشادة، بدأ المولوي في نشر إشراقات العلم والمعرفة. لقد أضاء بنور معرفته المجتمع المسلم في قرية صغيرة على الساحل الغربي لولاية كيرالا في الهند ومن خلال ترجمته. وكان لهذا أثر كبير على المجتمع بلا شك. وبشجاعة عظيمة، قام المولوي بترجمة رسالة القرآن الكريم من اللغة العربية الأصلية إلى اللغة الماليلامية، مما جعله جزءًا لا يتجزأ من الأدب الماليلامي، وجعل نور القرآن وهُدهداه تصل إلى قلوب جميع الناس رجالًا ونساءً.

وفي عام 1918، نشر المولوي ترجمة سورة الفاتحة لأول مرة عبر مجلة "الإسلام". وشرح بالتفصيل المعاني التي تتضمنها كل آية من سورة الفاتحة، إبتداءً من البسملة. وقال: إن لفظ "الرحمن" يشير إلى الرحمة

³⁵⁵ واجه هذا الكتاب انتقادات كبيرة بين مسلمي كيرالا لاحتوائه على بعض التفسيرات التي لم تُعتمد من قبل أي جهة، والتي لا تتماشى مع المصادر الإسلامية الصحيحة، كما صدرت بعض الترجمات الأخرى للقرآن الكريم قبل أن يُطبع منه إصدار ثاني.

العامة لله سبحانه وتعالى، بينما يدل لفظ "الرحيم" على استمرارية هذه الرحمة. وقد سمع المسلمون في ولاية كيرلا هذه التفسير والترجمة أول مرة في لغتهم.

وشكلت هذه الترجمة أساساً للعديد من المترجمين والمفسرين الذين أتوا بعده. وكانت أمله وهدفه أن تكون هذه الترجمة وحدها كافية ليتمكن الناس من تعلم القرآن.

اليوم، وفي ظل وجود العديد من المتقدين للإسلام، يبقى غياب دراسة شاملة وفهم متأمل مثل ما قام به المولوي أمراً محسوساً. ففي الوقت الذي يقوم فيه بعض الأشخاص بنشر الاختلافات العقائدية دون استيعاب كامل للمفاهيم والمساواة التي يدعو إليها القرآن، فإن المجتمع المسلم لا يزال بحاجة إلى مزيد من التفكير والاستيعاب في العصر الحديث.

الفصل العاشر

دور مجلة المنار والسيد رشيد رضا في النهضة العلمية والأدبية والفكرية

يُعدُّ العلامة محمد رشيد رضا واحداً من أبرز رواد النهضة الفكرية الإسلامية في العصر الحديث. وُلد عام 1865م في قرية القلمون ببلبنان، ونشأ في بيئة إسلامية تقليدية، حيث تلقى تعليمه الأساسي في العلوم الشرعية واللغوية. تأثر في شبابه بحركة الإصلاح التي قادها الإمام محمد عبده وجمال الدين الأفغاني، وهو ما شكّل وعيه الفكري ومهد الطريق لمسيرته الحافلة في الإصلاح والدعوة.

كان رشيد رضا من العلماء الموسوعيين الذين جمعوا بين الفقه والتفسير والتاريخ والفكر السياسي. عمل على تجديد الفكر الإسلامي من خلال دعوته إلى الاجتهاد، ونبذ التقليد، والعودة إلى أصول الإسلام النقية. كما كان من أبرز المدافعين عن قضايا الأمة الإسلامية في مواجهة الاستعمار والتحديات الفكرية التي فرضها العصر. لم يقتصر نشاطه على الكتابة والتأليف فحسب، بل أسس مجلة "المنار"، التي أصبحت منبراً رئيسياً لنشر أفكاره الإصلاحية.

قدم رشيد رضا خدمات جليلة في مجال التفسير من خلال كتابه "تفسير المنار"³⁵⁶، وهو تفسير شامل تميز بالربط بين النصوص القرآنية وواقع الحياة المعاصرة. كما ألف كتباً عديدة تناولت مختلف القضايا

³⁵⁶ الجندي، عبد الحليم، الإمام محمد عبده ورشيد رضا. القاهرة: مكتبة النهضة، 1972م.

الفكرية والاجتماعية، من أبرزها كتاب "الخلافة"، الذي بحث فيه شروط القيادة في الإسلام، وكتاب "الوحي المحمدي"، الذي دافع فيه عن أصالة الرسالة الإسلامية في مواجهة الشبهات³⁵⁷.

إلى جانب إسهاماته العلمية، كان لرشيد رضا دور كبير في إحياء التراث الإسلامي ونشره بين الأجيال الجديدة. عمل على تحقيق ونشر العديد من كتب التراث، كما كانت له مواقف سياسية واضحة في الدفاع عن استقلال الأمة الإسلامية ووحدةها. اشتهر بكتاباته الصحفية المميزة التي كانت تجمع بين التحليل العميق والأسلوب الأدبي الرصين، مما جعله من أبرز أعلام الصحافة الإسلامية في القرن العشرين.

انطلقت مجلة المنار في ظل ظروف سياسية وثقافية معقدة، حيث كانت الأمة الإسلامية تعيش تحديات الاستعمار والانحطاط الفكري. ركز رشيد رضا من خلال المجلة على قضايا الإصلاح الديني، حيث دعا إلى العودة إلى أصول الإسلام النقية، بعيداً عن البدع والخرافات. تناولت المجلة قضايا العقيدة والتفسير والفقه بأسلوب علمي، معتمدة على المنهج السلفي، ومزجت بين الفكر الإسلامي التقليدي والحداثة³⁵⁸. وكان للمجلة دور كبير في توجيه المسلمين إلى أهمية الاجتهاد في مواجهة التحديات العصرية. ناقشت قضايا المرأة، والتعليم، والعلاقة بين الدين والدولة، وكانت منبراً لنشر الوعي بأهمية الوحدة الإسلامية.

ولم تقتصر مجلة المنار على العالم العربي، بل امتدت تأثيراتها إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي. ترجم العديد من مقالاتها إلى لغات أخرى، مثل التركية والفارسية والأوردية والمليالمية، واستفاد منها كبار الكتاب والمفكرين في تلك البلاد. ساهمت المجلة في إثراء الفكر الإسلامي عالمياً من خلال نشر أبحاث قيمة حول قضايا الإصلاح والتعليم والاقتصاد.

ومن أبرز الشخصيات التي تأثرت بمجلة المنار:

1. محمد إقبال: الفيلسوف والشاعر الباكستاني، الذي استلهم من أفكار رشيد رضا رؤى حول النهضة الإسلامية.
2. سعيد النورسي: المفكر التركي، الذي ترجم بعض مقالات المجلة إلى التركية، واستفاد منها في تشكيل نظرياته الإصلاحية.
3. مولانا أبو الكلام آزاد: الزعيم الهندي، الذي كتب مقالات علمية وأدبية في مجلة المنار وتأثر بفكرها الإصلاحي.

³⁵⁷ عمارة، محمد. الإصلاح الفكري والإسلامي. القاهرة: دار الشروق، 2000م.

³⁵⁸ رضا، محمد رشيد. تاريخ المنار. بيروت: دار المعرفة، 1980م.

4. علامة الهند شبلي النعماني: أحد أبرز العلماء والمفكرين في الهند، الذي كان على صلة قوية برشيد رضا وساهم في نشر أفكاره الإصلاحية في شبه القارة الهندية.
5. الشيخ محمد عبد القادر المولوي: أحد أبرز العلماء والمفكرين في ولاية كيرلا الهند، الذي كان على صلة قوية برشيد رضا وساهم في نشر أفكاره الإصلاحية في جنوب الهند.

ولم تكن مجلة المنار التي أسسها رشيد رضا الوحيدة التي تحمل هذا الاسم في تلك الفترة وبعده. ففي كيرلا على سبيل المثال، صدرت مجلة تحمل اسم "المنار" أيضًا، وكانت تهدف إلى تقديم الفكر الإسلامي الإصلاحي ومواجهة التحديات الفكرية والسياسية التي تواجه المسلمين في شبه القارة الهندية. ولا تزال هذه المجلة قائمة وصادرة من مدينة الكالكوت تحت رعاية ندوة المجاهدين بكيرلا منذ 1950م، الحركة السلفية التابعة لجمعية أهل الحديث في الهند.

تميزت تلك المجلة بتناول القضايا المحلية المتعلقة بالمجتمع الكيرلا المسلم، مع التركيز على الدعوة إلى التعليم الحديث وتنمية الوعي السياسي. ورغم اختلاف السياقات الجغرافية والثقافية بين المنارين، إلا أن بينهما قاسمًا مشتركًا في السعي نحو الإصلاح والتجديد ونشر الفكر الإسلامي المستنير.

بالإضافة إلى ذلك، كانت هناك مجلات أخرى تحمل اسم "المنار" في العالم الإسلامي، لكنها كانت أقل شهرة من مجلة رشيد رضا، ولم تحقق التأثير الواسع الذي حققته. ومع ذلك، يعكس انتشار هذا الاسم وحدة الهدف بين رواد الإصلاح الذين سعوا إلى إعادة بناء الفكر الإسلامي في مواجهة التحديات المتعددة³⁵⁹.

وكما أشرنا سابقًا، كانت مجلة المنار حلقة وصل بين العلماء والمفكرين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي. ومن الرسائل التي نشرها رشيد رضا رسالة من العالم الهندي البارز محمد عبد القادر المولوي الوكعي، التي تعكس مدى قوة الصلة الفكرية بين الهند والعالم العربي. في رسالته، قدم المولوي رؤية علمية وفكرية حول قضايا الإصلاح والتجديد والذي تواجهه شخصيا في ولاية كيرلا كما أشاد بالدور الريادي الذي تقوم به مجلة المنار في نشر العلم والثقافة الإسلامية.

تناولت الرسالة قضايا متعلقة بالاجتهاد والتجديد، وأكدت على أهمية التعليم في بناء أمة قوية و متماسكة. كان لهذه الرسالة أثر عميق في تعزيز العلاقة بين علماء الهند ورشيد رضا، وأظهرت وحدة الهدف بين رواد الإصلاح في مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

³⁵⁹ الكتاني، عبد العي، فهرس الفهارس والأثبات، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1982م.

نشرت مجلة المنار خبر وفاة محمد عبد القادر المولوي، مشيدة بجهوده الكبيرة في خدمة الإسلام والعلم. ذكر رشيد رضا في المجلة أن وفاته كانت خسارة كبيرة للعالم الإسلامي، حيث كان المولوي من العلماء الأجلاء الذين تركوا بصمة واضحة في مجال الدعوة والتعليم. أشار الخبر إلى مآثره العلمية وإسهاماته في مجال الإصلاح، مما يعكس عمق التقدير الذي حظي به لدى رشيد رضا وقرائه.

تميزت المنار بتقديم مقالات لمفكرين وعلماء من مختلف البلدان، مما جعلها ساحة للنقاش والحوار العلمي. نشرت المجلة مقالات تناولت مختلف جوانب الحياة الفكرية والدينية، واعتمدت على المراسلات مع العلماء والكتاب حول العالم.

لعبت المجلة دورًا محوريًا في تعزيز النهضة الثقافية في العالم الإسلامي. كانت المجلة بمثابة أكاديمية فكرية مفتوحة، حيث عرضت آراء متنوعة حول قضايا النهضة والإصلاح والتجديد. استفادت الأجيال اللاحقة من المقالات التي نشرت في المجلة، والتي أصبحت مراجع هامة في الفكر الإسلامي الحديث.

اعتمد رشيد رضا في المجلة على أسلوب علمي ومنهجي في عرض القضايا والمسائل العامة. استخدم اللغة الواضحة، واستشهد بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية، وطرح قضايا الإصلاح بطريقة توازن بين الأصالة والمعاصرة. كما ركز على أهمية التعليم كوسيلة للنهوض بالأمة³⁶⁰.

رغم النجاحات التي حققتها مجلة المنار، واجهت العديد من التحديات، أبرزها القيود الاستعمارية ومحاربة الفكر الإصلاحي من قبل بعض التيارات المحافظة. ومع ذلك، استمرت المجلة في دورها الريادي حتى توقفت عام 1935م. مثلت مجلة المنار إحدى أبرز التجارب في تاريخ الفكر الإسلامي الحديث. من خلال منهجها الإصلاحي وأسلوبها العلمي، ساهمت في تشكيل الوعي الإسلامي، ونشر الثقافة الإصلاحية عالميًا. كان لرشيد رضا دور بارز في تقديم نموذج يحتذى به في مجال الصحافة والفكر، مما جعل "المنار" علامة فارقة في تاريخ الأمة الإسلامية.

الفصل الحادي عشر

رسالة المولوي الوكّمي في مجلة المنار

قارتين وحضارتين في سعي مشترك لإعلاء كلمة الحق وبث روح الإصلاح. نعرضها اليوم باعتبارها وثيقة تاريخية وشهادة حية على عمق الصلات العلمية والدينية التي جمعت الشيخ محمد عبد القادر

³⁶⁰ الجندي، عبد الحليم، "الإمام محمد عبده ورشيد رضا"، القاهرة: مكتبة النهضة، 1972م

المليباري الهندي أحد أعلام الفكر الإسلامي في مليبار، بالشيخ السيد رشيد رضا المصري، صاحب مجلة "المنار"، ذلك المنبر العربي العالمي الذي أضاء عقول المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

لقد كانت هذه الرسالة رمزاً للتواصل المعرفي بين رجلين عظيمين يحملان هموم الأمة الإسلامية ويعملان على تجديد فكرها وإحياء نهضتها. فالشيخ محمد عبد القادر، الذي بزغ اسمه كأول عالم هندي تتردد كلماته في مجلة عربية عالمية قبل قرن، قدّم مثلاً نادراً للتعاون العابر للحدود. وفي ذلك الحين، كان هذا التواصل بين عالم من أعماق الهند الإسلامية وآخر من قلب مصر العروبة دليلاً على وحدة الأمة في الفكر والعقيدة والهدف، برغم المسافات الشاسعة والصعوبات الجمة.

تأتي هذه الرسالة شاهدة على جهد مشترك حمل شعلة الإصلاح والتنوير، جهداً اجتمع فيه الإصرار على تجاوز العقبات لنشر العلم وتعزيز الفكر الإسلامي الصحيح، وفتح نوافذ التجديد في أماكن كانت تعاني من الجمود والتحجر. إنني إذ أعرض هذه الرسالة، لإستحضار معها عبق الزمن الذي كان فيه العلماء أمثال الشيخين قدوةً للأجيال، نموذجاً في التفاني لنشر رسالة الحق دون أن تعيقهم المسافات أو تغلهم التحديات. فلتكن هذه الوثيقة مرآةً تعكس عظمة تلك الجهود ومصدر إلهام لكل من يسير على درب الإصلاح والتنوير.

وأثرت أفكار مجلة المنار وصاحبها الشيخ السيد رشيد رضا بشكل كبير على المولوي الوكّمي وتحدّت ذلك أفكاره وآراءه ومعتقداته، وجذب موقف مجلة المنار المولوي في مسائل الشرك والتوحيد وإستنكاره الشديد لعبادة القديسين³⁶¹، وأصبح إتصاله بمجلة المنار وصاحبه نقطة تحول كبير في حياته العلمية والفكرية والأدبية. حينما أرسل المولوي رسالة إلى السيد رشيد رضا المصري صاحب مجلة المنار أشار كلّ ذلك فيه. ومع ذلك من المهمّ هنا ملاحظة أن المولوي الوكّمي قد بدأ حركة الإصلاح في ولاية كيرلا في العقد الأول من القرن العشرين، وبدأ إتصاله مع صاحب مجلة المنار في العقد الثاني من القرن العشرين، وهذا يتحدى الفكرة الشائعة التي: "لقد إستيقظ مسلمو كيرلا من خلال مجلة المنار لسيد رشيد رضا"³⁶². وأما نصّ الرسالة كمايلي:

رسالة المولوي الوكّمي في مجلة المنار: "شكوى المنار إلى المنار من أحد علماء مليبار" رسالة من زميلنا الأستاذ الفاضل المولى محمد عبد القادر المليباري الهندي³⁶³ إلى فضيلة السيد الإمام حجة الإسلام، صاحب مجلة المنار بالقاهرة أدامه الله للمسلمين ذخراً، وزاده شرفاً وقدرًا. من أحد مريديه في الغيب، المستفيدين من فيوض قلمه المهتدين بنور مناره محمد عبد القادر.

³⁶¹ Samad, Islam in Kerala: Groups and Movements in the 20th Century, 67.

³⁶² Samad, Islam in Kerala: Groups and Movements in the 20th Century, 67.

³⁶³ صفر 1348، يوليو 1929م، المجلد 30، الجزء 2، صفحة: 140

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مولاي الجليل، أرجوكم أن تفضلوا ببذل بضع دقائق من دقائقكم الثمينة لسماع شكواي التي طالما كنت أردت أن أرفعها إلى فضيلتكم، ولم أتمكن منه إلا الآن لما كان يتوارد عليّ من نوائب الدهر. أهم ما أشكوه وأبث حزني منه إلى فضيلتكم هو انقطاع المنار عني منذ ثلاث سنوات، وحزني على هذا عظيم لأنني صرت منذ انقطاعه عني كمن يعيش في الظلام، لأن المنار كان لي منارًا بالمعنى الحقيقي. كنت قارئًا للمنار تسع سنوات متوالية لكن لا على سبيل الاشتراك، بل بمحض فضلكم ومنكم، ذلك أنه لما بلغني نبأ المنار حين كنت مباشرًا لعمل جريدتي (المسلم سنة 1334) بادرت إلى طلبه من إدارته، فلم تجبني، ثم أردفت بطلب آخر مع خمس روبيات، ثم بآخر، هكذا كنت أوالي الطلب بعد الطلب إلى مدة تزيد على ثمانية أشهر، ولم ألق من الإدارة إلا السكوت، وأخيرًا تفضل علي المرحوم السيد صالح مخلص رضا بأجزاء من المنار مع كتاب قال فيه بعد الاعتذار عن تأخر الإجابة.

إن شقيقي السيد محمد رشيد عندما قرأ كتابك الأخير المؤرخ 21 ذي الحجة سنة 1331 استاء جدًّا، وأمر بإجابة الطلب، وأن يقدم إليكم المنار لا على جهة الاشتراك، بل مبادلة أو مساعدة لمجلتكم فاقبلوا ذلك كرمًا منكم، واحسبوا ما أرسلتم من ثمن ما تطلبونه في المستقبل من المطبوعات، وهو يهديكم عاطر السلام. هكذا كنت منتظمًا في سلك قراء المنار، لا أستطيع أن أعبر عما أنا متلبس به من الشكر على هذا الإحسان الجسيم، كما أني لا أستطيع الغفلة عنه ولو لحظة في حياتي.³⁶⁴

من أجل نعم الله علي أن وفقني لأن أكون من قراء المنار إذ نفخ في روحًا جديدة جعلتني بصير القلب، وحي النفس، أنشأت لنشر مبادئ المنار مجلة باسم (الإسلام بلغة بلدي اللغة الملبيارية)، فلما رأى الناس ضوء المنار منعكسًا منها استغريوه، وعلت من بينهم جلبة وضوضاء، ونسبوني إلى الزيف والضلال ونبزوني بلقب الوهابي، ولكن نور الحق لم يعدم قلوبًا تنزل فيها أشعته، فتنبهت أفكار واستيقظت نفوس، وبالجمله فتح المنار في الديار الملبيارية التي كانت متصلة في الجمود باب فكرة الإصلاح الديني ولكن الجماهير ممن انتسبوا إلى العلم أخذوا يقاومون هذه الفكرة، ويمنعون الناس عن قراءة مجلتي ويحذرونهم أيضًا من المنار، مع أنهم لم يكونوا حينئذ رأوه حتى ولا غلافه، وذلك لأنهم كانوا قد أساءوا الاعتقاد فيه من قبل بسوء تأثير مؤلفات يوسف النبهاني³⁶⁵، ولهذا لم أنجح في سعيي لأن أجد أحدًا يرغب في الاشتراك فيه.

³⁶⁴ مجلة المنار (مجلة شهرية). المجلد 30، الجزء 2، صفر 1348هـ/يوليو 1929م، ص. 140، القاهرة: مطبعة المنار

³⁶⁵ يوسف النبهاني (1849-1932م) هو عالم دين وشاعر صوفي لبناني من مدينة عكا، وكان له حضور بارز في الساحة الإسلامية خلال أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. اشتهر النبهاني بمؤلفاته في مجال التصوف والمدائح النبوية، حيث كتب كتبًا عديدة حول كرامات الأولياء والصالحين، وأبرزها كتاب "جامع كرامات الأولياء". كان النبهاني داعمًا للتصوف التقليدي وملتزمًا بمفاهيم تعلي من شأن الأولياء والصالحين، حيث ركز على ضرورة التوسل بهم وطلب شفاعتهم، مما جعله محل جدل بين العلماء. ومن جهة أخرى، وُجهت للنبهاني انتقادات من قبل بعض العلماء الذين اعتبروا أن أفكاره تحمل طابعًا بدعيًا وخرافيًا. اعتمدت تلك الانتقادات على آرائه التي اعتُبرت مغالية في مسألة التوسل بالأولياء والاعتقاد في قدرتهم على التدخل في الأمور الدنيوية، وهو ما اعتبره النقاد مخالفًا للتوحيد الخالص الذي دعت إليه الشريعة

فكنت أعير لبعض أصدقائي الذين آنست فيهم سلامة الفطرة وحسن الاستعداد بعض أجزاءه للقراءة ، رجاء أن يوفقهم الله للاقتداء بنوره ، فلم أخب في رجائي ذلك ، فإن الذين لم تفسد فطرتهم في هذه البلاد قد أخذوا يعرفون قدر المنار ولو في الجملة ؛ حتى ظهر من بعضهم في الأيام الأخيرة رغبة في الاشتراك فيه فطلبوه بأنفسهم من إدارته كعبد القادر بكننور³⁶⁶ ، و محمد سيدي³⁶⁷ ، بكرانكنور بكوشي ، ومحرر مجلة الإرشاد³⁶⁸ ، ومحرر جريدة يولوكم³⁶⁹ بكاليكوت؛ ولكن من غرائب الزمن أن صرت بعد ذلك أستعير منهم أجزاءه بعدما كنت أعيرها لهم ، ومما يوجب المسرة بالنسبة إلى المنار أن أرى منهم الآن في الإعطاء ما كنت رأيته منهم من قبل في الأخذ من الكراهة ؛ ولكن ذلك يؤمني نظراً إلى ما صرت إليه من الحالة في أمر المنار³⁷⁰. فالمرجو من فضيلتكم أن تتفضلوا علي بأن تأمروا إدارة المنار أن ترسل إلي المنار تباعاً، وإنما انقطع عني من الجزء الثاني من المجلد السابع والعشرين؛ ولكن لا أرى من الصواب أن أسالكم أن ترسلوا إلي جميع ما صدر منه إلى الآن، فسأطلبها مع تقديم الثمن عندما يتيسر لي ذلك؛ وإنما أرجو الآن أن ترسل لي من الجزء الأول من المجلد الجاري (29).

الإسلامية. كما رفض بعض العلماء كتاباته التي تضمنت قصصاً مبالغاً فيها عن كرامات الأولياء، معتبرين أنها تروج للخرافات وتبعد الناس عن الفهم الصحيح للدين. ومع ذلك، يبقى النهائي شخصية مؤثرة في الفكر الصوفي، ومؤلفاته تُعد مرجعاً مهماً للباحثين في هذا المجال.

³⁶⁶ كانور عبد القادر المولوي (1873-1932) كان عالماً بارزاً ومصلحاً اجتماعياً في ولاية كيرالا بالهند. قدّم إسهامات كبيرة في النهوض بالتعليم والثقافة والأخلاق داخل المجتمع المسلم. وُلد في منطقة كانور، واتخذ موقفاً حازماً ضد الخرافات والممارسات الباطلة، ساعياً إلى توجيه المجتمع المسلم نحو مسار الفضيلة والقيم الدينية. وكان تركيزه الرئيسي على تعزيز أسلوب حياة قائم على تعاليم الإسلام، مع التأكيد على أهمية التعليم. تحت رعايته، تم تأسيس مؤسسات تعليمية حديثة، وسعى إلى إلهام الشباب للسير في طرق التجديد والمعرفة. كانت جهوده في مواجهة الخرافات والعادات السيئة سبباً في إحداث تغييرات كبيرة داخل المجتمع المسلم في كيرالا.

³⁶⁷ ك.م. سيثي صاحب (1899-1961) كان واحداً من أبرز القادة السياسيين والمفكرين الإصلاحيين في ولاية كيرالا الهندية خلال القرن العشرين. عُرف بدوره الكبير في تعزيز التعليم وتطوير المجتمع المسلم في كيرالا، وكان من أبرز دعاة الوحدة والتقدم بين المسلمين. شغل منصب رئيس الجمعية التشريعية في كيرالا وأدى دوراً محورياً في تأسيس العديد من المؤسسات التعليمية والثقافية، بما في ذلك رابطة الشبان المسلمين الهندية (Muslim Youth League) وجمعية التعليم الإسلامية (Muslim Educational Society). كان سيثي صاحب داعماً قوياً للتعليم العصري المتوازن مع القيم الإسلامية، وسعى إلى تمكين المسلمين من خلال التعليم وإحياء روح الإصلاح الاجتماعي. كما كان كاتباً وخطيباً بارزاً، واستخدمت كتاباته وخطاباته لتحفيز المجتمع على تبني قيم التقدم والوحدة. تُعتبر مسيرته مثالاً على القيادة الحكيمة والالتزام بالتنمية الشاملة للمجتمع، ولا يزال يُذكر بإعجاب لدوره في تمهيد الطريق للمسلمين لتحقيق التقدم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

³⁶⁸ كان إ. ك. مولوي صاحب من أعلام الصحافة بين المسلمين في كيرالا وأحد أبرز روادها. لا يمكن التغاضي عن إسهاماته الجليلة في الصحافة الإسلامية، إذ لعبت منشوراته دوراً كبيراً في نشر أفكار الإصلاح بين المسلمين في كيرالا. وقد كانت مجلاته وصحفه أداة رئيسية في إيصال هذه الأفكار وترسيخها بين الناس، مما جعلها ركناً أساسياً في حركة الإصلاح. وفي أعقاب تأسيس الاتحاد الإسلامي لمسلمي كيرالا، أطلقت مجلة الإرشاد، وهي مطبوعة بالأبجدية العربية المليالية، في رمضان عام 1342هـ (1923م) تحت إشراف إ. ك. مولوي بصفته رئيس التحرير. كان مناباث كونجه أحمد الحاج هو الناشر، وطُبعت المجلة في مطبعة "أرباد محيي الدين لتو" الواقعة في كودونجالور. وعلى الرغم من أن عدد إصدارات الإرشاد لم يتجاوز أربعة عشر عدداً، إلا أن تأثيرها كان عميقاً ولا يُنسى في تعزيز حركة الإصلاحية ونشر الوعي الديني والاجتماعي بين مسلمي كيرالا.

³⁶⁹ كان كوموكوتي المولوي (1900-1967) الذي شغل منصب رئيس تحرير صحيفة يوفالوكام، عالماً بارزاً ومصلحاً اجتماعياً في ولاية كيرالا. كان في طليعة الجهود لنشر أفكار حركة الإصلاح، وتعزيز أهمية التعليم، النهضة، والتطوير الذاتي داخل المجتمع المسلم. وقد كانت الصحيفة يوفالوكام، تحت قيادته، وسيلة قوية لنشر الوعي وبث قيم الإصلاح بين الناس. لعب المولوي دوراً رئيسياً في إحداث رياح النهضة داخل المجتمع المسلم من خلال عمله في الصحافة. ركزت كتاباته ونهجه على تحقيق أهداف أخلاقية وتعليمية متميزة. وأصبحت يوفالوكام مصدر إلهام للشباب المسلم، حيث قدمت لهم أفكاراً جديدة وأرشدتهم نحو مسار النمو الاجتماعي والأخلاقي.

³⁷⁰ مجلة المنار، صفر 1348، يوليو 1929م، المجلد 30، الجزء 2، صفحة: 140

هذا وإني لأستحي أن أسألكم أن تواصلوا علي ذلك الكرم الذي غمرتموني به تسع سنوات، ولهذا فإني مستعد لأن أدفع إليكم مبلغاً ترضونه لي ثمناً للمنار، أو كله على ما أنا عليه من ضيق اليد، وعلى كل حال فإني واثق بأنني لا أكون محروماً من قراءة المنار؛ فإن حب المنار قد امتزج بدمي، وصارت قراءته قوت روحي، حتى لا أستطيع فراقه، ولا يطيب لي العيش بدونه، ولولا أنه يأتي لأصدقائي المذكورين وتمكنت من استعارة أجزاء منه منهم أحياناً لضقت ذرعاً.

أود أن أفيدكم للنشر في المنار بيانات عما أحدث المنار في المليبار من الشعور بالحاجة إلى الإصلاح الديني، وما يجري فيها من السعي وراء ذلك الإصلاح، ومن المقاومة له ممن يُعرفون بعلماء الدين بادعائهم أنه الوهابية، وما قد حدث في هذه الأيام من قيام فريق يرأسه شاب عاد من مصر قبل سنة بعد أن أقام بين المتفرنجين فيها مدة بالطعن في الإمام ابن سعود وأنصاره وقومه الذين يُعرفون بالوهابيين انتصاراً للأخوين محمد علي وشوكت علي وسأرسل إلي فضليتك هذه البيانات بصورة مقالة إن شاء الله.

وفي النهاية يقول الإمام سيد رشيد رضا: (المنار) إننا نحبي أخانا وزميلنا بأحسن من تحيته، من السلام ورحمة الله وبركاته ونعمته، وسيُطبع عنوانه المرسل باللغة الإنكليزية ويُرسل إليه المنارهدية دائمة، مع المجلدات الثلاثة التي فقدتها تامة، لا نطلب منه جزاء ولا شكراً عليها إلا نشر دعوة الحق وجهاد الباطل وأهله، والله في عونته ونصره، كما نصرنا على الدجالين ونصر إمام السنة عبد العزيز آل سعود وقومه على الباغين، وممكن له في خير الأرض ومهد الإسلام، وأنطق بالثناء عليه جميع الأقوام³⁷¹.

³⁷¹ مجلة المنار صفر 1348، يوليو 1929م، المجلد 30، الجزء 2، صفحة: 140

خلاصة الباب الرابع

يبرز هذا الباب ملامح شخصية المولوي الوكّبي كقائد فكري ومصلح اجتماعي جعل من الإعلام والصحافة أداة فاعلة في نشر الإصلاح الديني والفكري، مع إصرار دائم على خدمة اللغة العربية وآدابها، وترسيخ مكانتها في التعليم والتأليف والترجمة.

وفي مبحث المولوي الوكّبي ونضاله من أجل حرية المرأة المسلمة، نجد أنه تبوّأ رؤية إصلاحية متكاملة تركز على تمكين المرأة بالعلم الشرعي واللغة الفصحى مع الثقافة العربية والإسلامية، معتبراً أن نهضة الأمة لا تكتمل دون تحرير المرأة من قيود الجهل والخرافة، مع الحفاظ على ثوابتها الدينية. وقد دعا إلى فتح أبواب التعليم أمام الفتيات، وإدماج العربية في مناهجهم، حتى تكن شريكاً في حمل رسالة الإسلام بلغة الوحي.

أما في المشاركة في القضايا الدولية والقومية، فقد ارتبط المولوي بحراك الأمة الإسلامية في قضاياها الكبرى، سواء عبر مراسلاته ومقالاته أو من خلال تواصله مع قادة الفكر في العالم العربي والإسلامي. لم تكن العربية بالنسبة له مجرد وسيلة للتواصل، بل كانت جسراً للانخراط في الحوارات الفكرية والسياسية العالمية، بما يربط مسلمي كيرالا بأمتهم الكبرى.

وفي السياق التاريخي لأرائه السياسية، تتضح بصيرته في ربط الإصلاح السياسي بالإصلاح التعليمي والثقافي، حيث أكد أن قوة الأمة تبدأ من إعداد جيل واعٍ بلغته ودينه، قادر على التعبير عن قضاياها بالعربية الفصيحة، وأن الإعلام الملتزم هو الحارس الأمين لهذه النهضة.

في محاولاته لاستعادة جوهر الإنسانية، قدّم المولوي خطاباً إصلاحياً عالمياً، دعا فيه إلى قيم العدل والرحمة والتعاون بين الشعوب، مستنداً إلى نصوص القرآن والسنة التي كان ينقلها للعربية أو منها بعبارة رصينة، ليجعلها مفهومة ومؤثرة في بيئات متعددة.

أما الإعلام ودوره في الإصلاح الاجتماعي، فقد أسّس المولوي تجربة رائدة في توظيف الصحافة والمجلات في ترسيخ القيم الإسلامية ونشر العربية، فكانت مقالاته وأعمدته مثلاً على الجمع بين البيان العربي الرشيق والفكر الإصلاحي العميق، مما ألهم تلامذته لتأسيس وإدارة صحف ومجلات على النهج نفسه.

وفي مساهمته في حركة الحقوق الاجتماعية والمدنية، وقف المولوي مع المظلومين ودافع عن حقوقهم، واعتبر أن التعليم والثقافة الإسلامي من أهم أسلحة التحرر. وقد حرص على أن تكون لغته الصحفية مؤثرة وواصلة لكل فئات المجتمع، مما أكسبه مصداقية واسعة.

أما إرث جريدة "سوديشابيماني"، فقد شكّل منصة كبرى للإصلاح، نشر من خلالها المولوي مقالات في العقيدة واللغة والسياسة والاجتماع، وأدخل فيها أعمدة للترجمة من العربية ومن اللغات الأخرى، بما رفع مستوى القراء وربطهم بثقافة الأمة العربية والإسلامية.

وفي مبحث ترجمة القرآن الكريم إلى المليالمية وانحدار المجتمع وتدهورهم اللغوي، وقف المولوي على خط الدفاع عن نقاء المعاني القرآنية، مؤكداً ضرورة الجمع بين الترجمة الدقيقة والتعليم المباشر للعربية حتى لا تنقطع الأجيال عن لغة القرآن.

كما برز مشروع ترجمة القرآن الكريم الذي تبناه المولوي كمحاولة جادة لمد الجسور بين الناطقين بالمليالمية ومصدر الإسلام الأول، مع حرصه على إعداد شروح عربية ومليالمية تعين القارئ على الفهم السليم.

وفي دور مجلة المنار وسيد رشيد رضا، نجد أن المولوي كان متابعاً ومشاركاً فاعلاً في مدرسة المنار الإصلاحية، مستفيداً من نهجها في الجمع بين قوة الحجة وجمال الأسلوب العربي، ناقلاً هذا المنهج إلى بيئته المحلية عبر الكتب والمقالات والترجمات.

وأخيراً، في رسالته في مجلة المنار، قدّم المولوي عرضاً لحال المسلمين في كيرالا، داعياً إلى دعمهم فكرياً وتعليمياً، ومبرزاً جهود الترجمة والتأليف في نهضتهم. لقد كانت تلك الرسالة وثيقة تاريخية تربط بين الحركة الإصلاحية في المشرق العربي ونهضات المسلمين في الهند، مؤكدة أن وحدة الأمة تمر عبر وحدة ثقافتها وتعاليمها وفكرها.

وبذلك، يظهر الباب الرابع أن المولوي الوكّمي لم يكن مجرد كاتب أو مصلح محلي، بل كان رائداً في استخدام الإعلام والترجمة والتأليف والتعليم لبناء وعي إسلامي شامل، وأن تلامذته من بعده حافظوا على هذا النهج، فأصبحوا دعاة ومؤلفين ومترجمين يواصلون حمل الرسالة في كيرالا وخارجها.

لقد كانت اللغة العربية وثقافتها في فكر المولوي الوكّمي هي العمود الفقري لمشروعه الإصلاحي والتعليمي، فلم يتعامل معها على أنها مجرد أداة للتعبير، بل نظر إليها على أنها وعاء الدين ومفتاح الثقافة الإسلامية ووسيلة الانفتاح على تراث الأمة وفكرها الحي. ومن ثمّ بذل جهده في تأسيس بيئة تعليمية تُخرج أجيالاً متقنة للعربية قراءة وكتابة وفهماً، فألّف المؤلفات المدرسية بالعربية بأسلوب مبسّط يخاطب المبتدئين، وكتب المقالات الراقية في الصحف والمجلات لتربية الذائقة اللغوية والفكرية لدى القراء. كما عني عناية فائقة بالترجمة، فقام بترجمة النصوص الإسلامية الكبرى من العربية وغيرها، وجعل الترجمة وسيلة لربط المسلمين في كيرالا بالمصادر الأصلية للشريعة والفكر الإسلامي، وبالثقافة العربية المعاصرة في المشرق. ولم يكن هدفه من التأليف والترجمة مجرد حفظ المعارف، بل إحياؤها وتوظيفها في خدمة النهضة العلمية

والاجتماعية، فجاءت كتبه ومقالاته بلغة فصيحة جزلة تجمع بين الأصالة والوضوح، مما أكسبه مكانة مرموقة في أعين المثقفين والملياليين على حدّ سواء.

أما تلامذته، فقد ورثوا عنه هذا العشق الصادق للعربية وهذا الوعي بأهميتها، فحملوا الراية من بعده في ميادين التعليم والتأليف والترجمة. كان منهم المعلمون الذين أدخلوا العربية في المدارس والمعاهد، والكتّاب الذين ملأوا الصحف والمجلات بمقالات عربية مؤثرة، والمترجمون الذين وصلوا ما بين المكتبة العربية والمكتبة المليالية، فنقلوا الفكر الإسلامي والثقافة العربية إلى أوسع جمهور. ومنهم من واصل مشروع أستاذه في ترجمة القرآن الكريم وشرحه، أو أسس مجلات إسلامية ناطقة باللغة الفصحى، أو ألف كتباً مدرسية لتعليمها للأجيال الناشئة. وهكذا تكوّنت من حول المولوي مدرسة فكرية ولغوية متكاملة، صارت على مرّ السنين نواةً لحركة ثقافية إسلامية عربية الجذور في كيرالا، امتد أثرها إلى خارجها، وأسهمت في ترسيخ العربية لغةً للعلم والفكر والدعوة في عموم ولاية كيرالا.

وقد اعتمدت الدراسة منهجاً تاريخياً تحليلياً، حيث تم التعامل مع مقالاته وترجماته وكتابات الصحف بوصفها نصوصاً تعبّر عن رؤية فكرية إصلاحية، وليست مجرد أحداث أو آراء منفصلة. كما استندت إلى مصادر أولية مثل مقالاته في الصحف والمجلات ومؤلفاته، إضافة إلى دراسات حديثة للمقارنة والتحليل.

وأظهرت الدراسة أن الإعلام والترجمة والتعليم عند المولوي كانت أدوات مترابطة تهدف إلى بناء وعي ديني وثقافي جديد، ونقل المعرفة الإسلامية إلى المجتمع المحلي، مع ربطه بالعالم الإسلامي الأوسع. كما بينت أن اهتمامه بقضايا المجتمع لم يكن عشوائياً، بل جزءاً من مشروع إصلاحي متكامل.

وتخلص الدراسة إلى أن مشروع المولوي كان رؤية حضارية شاملة تقوم على الجمع بين الأصالة الإسلامية ومتطلبات العصر، من خلال توظيف التعليم والصحافة والترجمة في خدمة الإصلاح الاجتماعي والثقافي.

الباب الخامس

المولوي وتلامذته والتراث العلمي بعده

- الفصل الأول: ترجمة سورة الفاتحة وتفسيره للمولوي الوكّمي
- الفصل الثاني: لماذا سمي سورة الفاتحة بأَم القرآن، يفسّر المولوي رائعا بليغا
- الفصل الثالث: التميّزين الأحجار الكريمة والأحجار العادية وتأثيره في فهم إعجاز القرآن
- الفصل الرابع: بحثه حول كتابة القرآن وجمعه في عهد النبي ﷺ وبعد وفاته
- الفصل الخامس: مقدمة محمد عبد القادر المولوي لتعليم القرآن الكريم
- الفصل السادس: ترجمة مقالة عن ذكرى الهجرة من مجلة المؤيد
- الفصل السابع: موقف المولوي عن الإصلاح الديني من مجلة المسلم
- الفصل الثامن: البحث عن "الإصلاح الإسلامي" للمولوي الوكّمي
- الفصل التاسع: تأثير مجلة المنار ومحررها على الحركات العالمية
- الفصل العاشر: مقارنة آرائه مع مجلة المنار وتأثيرات دعوة ابن عبد الوهاب
- الفصل الحادي عشر: بحث المولوي عن التوحيد والشرك من مجلة "الإسلام"
- الفصل الثاني عشر: مقالة المولوي عن "الحالة العامة للمسلمين" في مجلة المسلم
- الفصل الثالث عشر: مقالة المولوي عن "المرأة المسلمة" في العالم الإسلامي والهند
- الفصل الرابع عشر: مقارنة آراء الشيخ المولوي والشيخ رشيد رضا عن المسألة
- الفصل الخامس عشر: مقالة المولوي عن "الدين والعلم" في مجلة ديبكا
- الفصل السادس عشر: نظام التعليم الشرعي التقليدي في كيرلا بعد المولوي الوكّمي
- الفصل السابع عشر: من تلميذ المولوي الشهير: وگم محمد ميثين (1899/1967)م
- الفصل الثامن عشر: مناقشة عن أول ترجمة كاملة لمعاني القرآن الكريم في المليالية لمن ؟
- الفصل التاسع عشر: جهود الترجمة وتعزيزها الصداقة المجتمعية في ولاية كيرلا
- الفصل العشرون: المنهجية الإصلاحية لتعليم اللغة العربية والمليالية لدى المولوي من وثائق مجلة المسلم
- الفصل إحدى وعشرون: ملحق عن محمد عبد القادر المولوي الوكّمي
- خلاصة الباب الخامس:

الفصل الأول

ترجمة سورة الفاتحة وتفسيره للمولوي الوكّمي

لا داعي للحديث عن كيفية ترحيب الأمة الإسلامية للترجمات القرآن قبل قرن من صدور ترجمة القرآن الكريم لوكم محمد عبد القادر المولوي. توجد اليوم لدينا علماء أفاضل كُثُر، وتقنيات تجعل المعرفة في متناول الجميع. ولكن في زمن لم يكن فيه شيء من هذا الموصوف، تبرز شخصية المولوي الذي كان يجلس في قرية صغيرة تسمى وكمّ، ونجح في اكتساب تلك المعرفة التي تدهش المسلمين جميعاً اليوم، ولا ينبغي أن نحصره في هذا اللقب "المولوي" فقط، بل علينا أن نفكر في مدى تأثير علمه وفكره على إزالة ظلمات الجهل التي كانت سائدة في ذلك الوقت في مجتمعنا. فالترجمات التي استنارت بتلك الأضواء الأولى التي نشرها هي ما شكّلت أساس ما جاء لاحقاً من ترجمات القرآن في كيرالا.

في تفسير سورة الفاتحة³⁷² الذي أدرج المولوي معاني بعض الآيات الأخرى التي تذكرنا مراراً وتكراراً بمدى تعمقه في فهم القرآن الكريم وأفكاره في ذلك الوقت. يمكن لمن يقرأ ترجمته وتفسيره لسورة الفاتحة أن يستوعب مضمون القرآن كله. لقد مضى أكثر من مئة عام منذ صدور هذه الترجمة، التي أتى فيها على شرح آيات سورة الفاتحة السبع بشكل جيد بما يتوافق مع استخدامات اللغة المليالمية الفصحى في ذلك العصر³⁷³.

ومن الملاحظ تاريخياً أن العديد من العلماء والمفكرين والكتاب والسياسيين، خاصة من غير المسلمين، اعتمدوا على مثل هذه الترجمات لفهم الإسلام الصحيح وإلقاء المحاضرات في مؤتمرات الحركات الإصلاحية والتجمعات الدينية. وفي البداية، كان المبشرون المسيحيون من أبرز خصوم الإسلام، لكنهم بدؤوا لاحقاً يعترفون بحيوية الإسلام. وكانت الترجمات القرآنية من الأسباب الرئيسية وراء هذا التحول الجديد.

وعندما بدأت نشر التفسيرات أخرى للقرآن الكريم في لغات مختلفة مع مرور الزمن، بدأ الوُعَاظُ والخطباء من الأجيال اللاحقة يتعدون عن الجدل والخصوم ويحاولون التركيز على إيصال الرسالة الإسلامية الصحيحة بشكل أكثر إيجابية. وكما نرى اليوم يتزايد عدد نقاد الإسلام في كل مكان، وهذا يستوجب على العلماء والوعاظ والناصحين تجنب الانقسامات والجدال الداخلية. إن رسالة الإسلام تدعو إلى الأخوة الخالصة على أسس القرآن الكريم والتي يجب أن نتبناها جميعاً.

³⁷² لقد بدأ المولوي نشر تفسير صورة الفاتحة في مجلته "الإسلام" المليالمية الخالص من عدد الأول 1336 هـ من شهر رجب، 1918 م إبريل.

³⁷³ وقد جمعت مجلة "الأسلام" المليالمية فيما بعد في أغسطس 2016 م من قبل مؤسسة المولوي الوكّمي في عاصمة كيرالا ترفاندرم في شكل كتاب مستقل مع تعاون بعض المحسنين المحبين لأعمال المولوي الوكّمي الدعوية الإصلاحية.

بدأ المولوي الوكّمي تفسيره للقرآن الكريم المليالمية الفصحى بمقدمة، يشير فيها إلى مرور أكثر من 110 سنوات على أول ترجمة وتفسير للقرآن إلى اللغة المليبارية. كان هذا العمل الرائد مكتوباً بالأبجدية العربية المليبارية، ويتكون من ستة أجزاء، وقام بترجمته العالم المقدم "ماين كوتي إيلاي" من الأسرة الملكية في محافظة كاتور من شمال ولاية كيرالا³⁷⁴. لقد تم نشر الجزء الأول في سنة 1287 الهجرية، وتوالت الأجزاء الأخرى حتى خرج الجزء الأخير في سنة 1294 الهجرية. ورغم هذه الجهود، فإن النزعة التقليدية من المسلمين المتشددین عملت على منع انتشار هذا العمل بأي شكل، حتى أن البعض قام بجمع النسخ وإلقائها في البحر³⁷⁵. ويظهر المولوي في مقدمته كيف أن هذا يعكس الواقع الأليم الذي كانت تعيشه الأمة الإسلامية في عموم البلاد آنذاك.

وظل المسلمون في البلد ينتظرون لعقود طويلة حتى يستطيعوا قراءة القرآن وفهم معناه بلغتهم الأم. وقد أشار إلى هذا الوضع المؤسف العالم الشهير السيد ثناء الله المكّي في بداية هذا القرن بقوله: "إنه لمن المؤسف حقاً أن تمر مئات السنين دون أن يولد لدى الناس رغبة في ترجمة كتابهم المقدس هو القرآن الكريم إلى لغتهم الأم"³⁷⁶. صدرت ترجمة وتفسير سورة الفاتحة للمولوي الوكّمي في عام 1918م عبر مجلته الشهرية "الأسلام" المكتوبة بالعربية المليالمية. وحتى مع وجود ترجمات وتفسيرات عديدة اليوم، فإنه لا يزال من الممكن القول بثقة إن تفسير المولوي الوكّمي لسورة الفاتحة لم يُضاهى في شمولية معانيه. ولهذا السبب، فقد أُعطي الأولوية من قبل العلماء والمفكرين لهذا العمل الرائد في هذا المجموع.

يقول المولوي في بداية تفسيره لسورة الفاتحة: "الفاتحة تعني البداية، وسميت بذلك لأنها أول ما يُقرأ في المصحف. ولها أسماء أخرى، منها 'أم القرآن' و'السبع المثاني'. 'أم القرآن' تعني أساس القرآن، لأن جميع مواضيع القرآن الرئيسية موجودة في سورة الفاتحة. و'السبع المثاني' تعني السبع آيات التي تتكرر في الصلوات اليومية". ويشير بعده إلى: "أن بعض العلماء يرون أن الفاتحة بأكملها نزلت دفعة واحدة، وهي

³⁷⁴ ماين كوتي إيلاي: هو أول مترجم للقرآن الكريم إلى اللغة الماليلامية. وُلِدَ في عائلة "كبي" الشهيرة، حيث كان والده عبد القادر كبي. بسبب انتمائه لعائلة ميسورة الحال، تلقى تعليماً شاملاً. اكتسب علوم الدين على يد علماء مثل قاضي تلشيري محمد وأحمد مسلميار. ورغم إتقانه للغته الأم، كان أيضاً يجيد العربية والأردية والفارسية. وأظهر ماين كوتي إيلاي اهتماماً خاصاً بأغاني "مايلا" منذ صغره، وتلقى تدريبه في الشعر على يد الشاعر "فيران كوتي بن محمد كوتي". بالإضافة إلى ذلك، كان ماهراً في فنون المصارعة والقتال التقليدي "كلاري بايات" على يد معلمه "شانغامبالي غلوي كوتي". تزوج ماين كوتي إيلاي من ابنة السيدة مريم بيبي سلطانة من كُتور. بعد زواجه، عُرف باسم "محيي الدين بن عبد القادر". وكانت أول أعماله الأدبية قصيدة حول علامات يوم القيامة بعنوان "عاقبة مال". كما كتب أعمالاً أخرى مثل "لقاء مال"، و"ذبيح مال"، و"قصة سليمان بن داود" باللغة العربية الماليلامية. ألف أيضاً قصيدة بعنوان "تشرقُ القرآن" التي تناول فيها عظمة القرآن، مما مهد الطريق لترجمة القرآن الكريم لاحقاً. وفي ذلك الوقت، كانت ترجمة القرآن أمراً غير مألوف، مما جعل عمله مميزاً. بدأ مشروع ترجمة القرآن عام 1272هـ ورغم مواجهة اعتراضات من بعض العلماء الأصوليين، إلا أن جهوده كانت نابعة من نوايا حسنة. اعتمد في ترجمته على تفسير "تفسير الجلالين" الذي أعده جلال الدين المحلي وجمال الدين السيوطي. في البداية، كتب نسخاً يدوية من الترجمة، ثم أسس مطبعة حجرية في تلشير عام 1286هـ وفي عام 1294هـ، طبع ست نسخ من الترجمة التي أطلق عليها اسم "ترجمة تفسير القرآن". قام ماين كوتي برحلة إلى الحج عام 1292هـ برفقة زوجته، وأسس في مكة "كبيرويات" لتوفير السكن والراحة للحجاج من ولاية كيرالا. توفي عام 1302هـ ودُفِنَ في مقبرة العائلة المالكة في كُتور. كانت ترجمته مكتوبة باللغة العربية الماليلامية، وهي لغة كانت مستخدمة بين مسلمي كيرالا في ذلك الوقت. وتكونت هذه الترجمة من 1147 صفحة، ونشرها علي بن أبو بكر من مدينة تلشيري.

³⁷⁵ Vakkom Maulavi Publications. (1979). *Vakkom Maulaviyude thirenjedutha krithikal (Selected works of Vakkom Maulavi)* (M. Abda, Ed., p. 39). Anupama Printers.

³⁷⁶ Complete works of Sayyid Sanaula Makthi Thangal, (Malayalam) By. K.K. Muhammad Abdul Kareem.

أول السور المنزلة بهذا الشكل. ويتفق معظمهم على أنها نزلت في مكة، وهذا لأنها كانت جزءاً من الصلاة منذ أن فرضت الصلاة في بداية التشريع بمكة³⁷⁷.

ويبدأ المولوي تفسيره للبسملة كما يلي: "فيما يتعلق بالبسملة (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، هناك اختلاف بين العلماء حول ما إذا كانت جزءاً من كل سورة أم لا. ولكن سواء كانت جزءاً من كل سورة أم لا، فإنها جزء من القرآن الكريم، وهذا هو الرأي الراجح." أما عن كلمة "الرحمن" و"الرحيم"، فهما صفتان مشتقتان من كلمة "الرحمة". "الرحمن" يعني "الذي يمنح النعم العظيمة"، و"الرحيم" يعني "الذي يمنح النعم الجوهري الصغيرة"، وفقاً لرأي معظم العلماء. ويرى آخرون أن "الرحمن" يعني "الذي يمنح النعم العامة للمؤمنين والكافرين على حد سواء، بينما "الرحيم" يعني "الذي يمنح النعم الخاصة للمؤمنين فقط. وتعتمد هذه المعاني على قاعدة لغوية تقول "الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى"³⁷⁸

ويضيف تفسيراً نحوياً للمصطلحين فيقول: "الصيغة (فَعْلَان) تستخدم للدلالة على الصفات المؤقتة أو العارضة، أما الصيغة (فَعِيل) فتدل على الصفات الثابتة. وعندما يتعلق الأمر بصفات الله، فإن اللغة العربية تحافظ على هذه القواعد العالية، ولذلك تُستخدم (الرحمن) للإشارة إلى الفعل العملي للرحمة، و(الرحيم) للإشارة إلى أن الرحمة صفة ثابتة له." ومن ثم يوضح: "إذا سمع العربي كلمة (الرحمن)، فسيفهم أن الله يمنح الرحمة. ولكن هذا لا يعني بالضرورة أن الرحمة صفة ثابتة له، لأن الفعل قد يكون مؤقتاً. ولكن عندما يسمع أيضاً (الرحيم)، فإنه يدرك أن الرحمة صفة ثابتة له، فيكتمل بذلك الإيمان الصحيح بالله. ولذلك يأتي ذكر (الرحمن) أولاً، ثم يتبعه (الرحيم)، وكأن الأمر يشبه ذكر النتيجة قبل ذكر السبب"³⁷⁹.

ويختم بالقول: "القرآن يُعلّمنا في كل أمورنا، وبدءه بالبسملة ويُعلّمنا أن نبدأ أعمالنا بذكر الله. لكن ليس المقصود أن نذكر أي اسم من أسمائه، بل أن نقول هذه الجملة تحديداً." ثم يقول المولوي الوكّعي قائلاً: "الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين" جميع الحمد والثناء يعود لله تعالى، السيد العظيم ومالك كل شيء، صاحب الرحمة الواسعة التي لا تنفذ، وصاحب الجزاء يوم الدين. كلمة "الحمد" تشمل جميع أنواع الثناء والشكر لله وحده، لأن كل شيء في الكون يعود إليه سبحانه وتعالى، سواء أثنى عليه الناس أم لم يثنوا. ويشير وصف "رب العالمين" إلى ضرورة شكره وتمجيده. أما كلمة "رب" تعني السيد الذي يربي ويدبر شؤون مخلوقاته، وأما "العالمين" فهي جمع "عالم"، وتعني العالم أو الكون، سواء كان عالم

³⁷⁷ Vakkom Moulavi Foundation Trust. (2016, August). *Vakkom Moulavi's Al-Islam: Single volume (A compilation of Al-Islam monthly edited and published by Vakkom Moulavi)* (Malayalam, p. 14). Vakkom Moulavi Foundation Trust.

³⁷⁸ نفس المصدر

³⁷⁹ نفس المصدر

الإنسان، أو عالم الحيوان، أو عالم النبات، وغيرها من العوالم. ومن هنا، فإن كلمة "العالمين" تشمل جميع المخلوقات، مع التركيز بشكل خاص على الكائنات العاقلة.

أما "الرحمن" و"الرحيم"، فقد تم شرح معانيهما سابقاً. وتكرارهما هنا يبين أن الله يدبر شؤون المخلوقات ليس لتحقيق فائدة لنفسه أو لدفع ضرر عنها، بل بدافع من رحمته الشاملة. ويدل هذا أيضاً على أن الله، مع عظمته وجلاله، يفيض علينا برحمته التي لا تنقطع، ليشعرنا بحبه وعطفه، ونكون على يقين بجميل صفاته وكرمه. ويضيف المولوي قائلاً: "الدنيا مليئة بالاختبارات والعقوبات، سواء كانت عقوبات دنيوية نتيجة خرق القانون الإلهي، أو كانت في الآخرة، إلا أن هذه العقوبات ليست معارضة لرحمة الله. بل هي في حقيقتها من رحمته، لأن الهدف منها توجيه الإنسان نحو الخير والبعد عن الشر، فإن الإنسان لا يمكن له أن ينعم بالسعادة الحقيقية إلا إذا سار على نهج الله تعالى، وابتعد عن المخالفات³⁸⁰.

ويضيف المولوي قائلاً: "الشخص الرحيم هو من يربي ولده بالتشجيع والتوجيه، وإذا لزم الأمر يوجهه بلطف حتى يبتعد عن الأخطاء. وهكذا، فإن الله تعالى يربينا بالوعد والوعيد، فيسوق لنا أسباب السعادة، وينبها إلى المخاطر التي تهددنا. وبضيف المولوي معنى (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ): قُرِئَتْ كلمة "مَالِكِ" بكسر اللام في رواية نافع والكسائي ويعقوب، بينما قُرِئَتْ "مَلِكٌ" بفتح اللام في روايات أخرى، وهي قراءة أهل الحجاز. "مَالِكٌ" تعني السيد المالك للأمر، و"مَلِكٌ" تعني الحاكم المطلق. أما "الدين"، فيعني الجزاء والمحاسبة والملك، والمعنى هنا هو الجزاء. فالتعبير بـ"مالك يوم الدين" يبين أن هناك يوماً مخصصاً للجزاء، حيث يُجازى كل إنسان بما قدم من أعمال³⁸¹.

ويضيف المولوي قائلاً: "قد يتساءل البعض: أليست كل الأيام أيام للجزاء؟ أليس الإنسان يذوق في حياته نتائج أفعاله، سواء كانت خيراً أو شراً؟ نعم، قد يكون هذا صحيحاً، لكن في الدنيا لا يُظهر الجزاء على جميع الأعمال، ولا يُوفي الناس حقهم كاملاً، إنما ذلك مؤجل ليوم الجزاء الأكبر، حيث تنكشف الحقائق وتظهر العدالة الإلهية بوضوح، فيُجازى كل إنسان بمقدار عمله دون نقصان أو زيادة. عَلِمَ الله تعالى قلوبنا، فأرشدنا إلى الإيمان برحمته الواسعة، وأخبرنا بأنه هو وحده الرحمن الرحيم، وأنه هو وحده صاحب يوم الجزاء، ليكون الناس على وعي بحقيقة هذا اليوم. ومن هنا يتضح أن الله يربي الناس ويهديهم، فيعطيهم أسباب الرجاء والخوف، وهذا هو جوهر التربية الرحيمة. وقد ورد في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تذكر صفة الله بأنه الرحيم والغفور، كما تذكر أيضاً عذابه الشديد³⁸².

³⁸⁰ نفس المصدر

³⁸¹ نفس المصدر

³⁸² نفس المصدر

ويقول المولوي في تفسير الآية: **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**: "إياك" تعني "لك وحدك"، و"نعبد" تعني "نخصصك بالعبادة"، و"نستعين" تعني "نطلب العون". فمعنى الآية هو: "لك وحدك نخصص العبادة، ومنك وحدك نطلب العون". أما كلمة "نعبد" تعني العبادة والخضوع الكامل، ولكنها تشمل معنى أوسع من مجرد الخضوع، فهي تدل على أقصى غاية الخضوع والتذلل، وأعلى درجات الطاعة والإذعان لله تعالى، بحيث يكون التوجه له بكل جوارح الإنسان، وإخلاص القلب له وحده³⁸³.

وهناك أمر لا بدّ أن يشير إليها بكل أهمية، فإن ترجمة المولوي تعتبر أول ترجمة للقرآن الكريم إلى اللغة الماليلية. وهي تحظى بأهمية كبيرة، ليس فقط لأنها الأولى من نوعها، بل لأنها أيضاً قدمت حلاً سليماً لإحدى القضايا الأكثر جدلاً بين المجتمع المسلم في الأمس واليوم. وفي تفسيره، قدّم المولوي توضيحاً حاسماً لمشكلة كانت تثير الكثير من النقاش والجدال والمصارعة في صفوف المسلمين، خاصة باسم لفظ من سورة الفاتحة. وفي القرآن الكريم، أوضح الله تعالى بشكل جلي في سورة الفاتحة معنى كلمة "إياك"، والتي تعني "إياك وحدك" بمعنى الخصوص لله تعالى فقط. وهذا يُظهر بكل وضوح أن المسلم الذي يقول "إياك نعبد" لا يجوز له أن يعبد أو يتوجه بالعبادة لغير الله سبحانه وتعالى. فمعنى "إياك" هنا هو "إياك وحدك لا شريك لك"، مما يعني أن المسلم يجب أن يعبد الله وحده، وألا يتوجه بأي عبادة لأي شخص أو قوة أخرى غير الله تعالى.

وفي سورة الفاتحة، نتعهد بعبادة الله وحده، في حين أن المؤمنين الموحدين يعيشون وسط مجتمع كبير يتوجه معظمهم بالعبادة والدعاء لغير الله. وفي أول تفسير للقرآن الكريم الذي كتب ونُشر باللغة الماليلية، قدّم المولوي شرحاً واضحاً لمعنى كلمة "إياك"، مؤكداً على أن معناها هو "إياك وحدك" و"إليك وحدك". وبالتالي، فإن المسلم يجب ألا يقدم أو يتوجه بأي عبادة من أنواع العبادة لغير الله تعالى. وقدّم المولوي التّومي هذا التفسير الواضح للمجتمع الكيرالي قبل قرن من الزمن، مع رسالة واضحة تقول إنه لا يجوز توجيه العبادة والدعاء لغير الله تعالى. ولكن للأسف الشديد، يستمر المجتمع الكيرالي في اختلاف شديد الآراء والانقسام والانفصال في هذا الشأن، مع استمرار البعض الجبهة في عبادة غير الله وأداء العبادات لهم.

والمثير للشفقة، أن هناك من ينظمون المناظرات والجدال لعدة أيام في محاولة لتثبيت هذه الأفعال الشنيع، متجاهلين التفاسير القوية الماثورة وآراء السلف الصالح للقرآن الكريم، ومتورطين في الشرك الذي

³⁸³ نفس المصدر

يعتبر من أخطر الآفات التي يجب أن يخشاها المؤمنون في دنياه. نسأل الله أن يحفظنا ويحمينا من هذا الظلال كما نهانا الله سبحانه وتعالى بقوله: إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ³⁸⁴.

ويتابع المولوي تفسيره قائلاً: أما الاستعانة، فتعني به طلب العون والتوجيه من الله، لأن الإنسان في كثير من الأحيان يعجز عن تحقيق أهدافه بدون عون الله وتوفيقه. وقد أمرنا الله أن نطلب العون منه وحده فيما يتجاوز قدراتنا، لأن الله وحده هو القادر على تدبير الأمور وتهيئة الأسباب، ولا يملك أحد غيره قدرة التصرف فيما وراء الأسباب. وقد أوضح الله تعالى لنا أن الإعانة المطلوبة منه وحده هي التي تتعلق بالأمور الغيبية الخارجة عن نطاق قدراتنا البشرية، لأن كل ما يقع ضمن حدود الأسباب والوسائل يمكننا أن نتعاون عليه فيما بيننا. لكن عندما نطلب العون فيما لا يقدر عليه إلا الله، فلا بد أن نلجأ إليه وحده، لأنه وحده هو الذي يملك مفاتيح الغيب والقدرة المطلقة.

ويقول أيضاً: وعندما نقول "إياك نعبد وإياك نستعين"³⁸⁵، فإننا نؤكد على أن العبادة لله وحده، وأن الاعتماد والاستعانة به في كل ما يفوق طاقاتنا، وهذا يعزز من قوة الإيمان ويغرس في النفوس الثقة بالله واليقين بقدرته على تدبير شؤوننا. ولإزالة هذا اللبس، فقد أوضح الله تعالى هذه المسألة، إذ أنها مجرد تمييز ضمن استخدام الأسباب في الأمور التي تقع ضمن قدرات البشر. فالأدوات يجب استخدامها فيما يمكن تحقيقه بالأسباب البشرية، أما في الأمور التي تتجاوز قدرة الإنسان، فلا ينبغي طلب العون إلا من الله وحده. على سبيل المثال، الفلاح يقوم بحرث الأرض وتسميدها ورعيها، ثم يتضرع إلى الله طالباً منه أن يحقق له الجهد دون أن يتعرض لمصائب من السماء أو الأرض. وبالمثل، التاجر يفكر جيداً في شراء السلع وبيعها ثم يتوكل على الله فيما يخص نجاح تجارته بما لا يتحكم فيه.

ومن هذه الأمور يتضح أن من يطلب العون من الأموات في قضاء الحاجات وشفاء الأمراض وزيادة المحاصيل والنصر على الأعداء، فإنه يكون قد انحرف عن الطريق الصحيح وابتعد عن ذكر الله. إن الآية "إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" تمثل درجات السعادة في الدنيا والآخرة، فهي تدل على أمرين هامين: الأول هو أن نسعى بأنفسنا لتحقيق الأفعال النافعة ونسعى بكل جهدنا لجعلها مثمرة، إذ لا يُطلب العون إلا عندما يكون الإنسان قد بذل جهده وفشل في تحقيق غايته.

ويقدم المولوي بعض الأمثلة البسيطة إلى فهم قرائه قائلاً: ومثال على ذلك، إذا سقط القلم من يد أحدهم على الطاولة، فلا يحتاج إلى طلب المساعدة من الآخرين لالتقاطه. ولكن إذا عجز عن النهوض تحت ثقل جسمه رغم بذله أقصى جهده، فعندئذ يطلب العون من الآخرين. هذا هو المنهج الذي نتبعه في الحياة

³⁸⁴ سورة لقمان الآية: 13

³⁸⁵ سورة الفاتحة

الدنيا، وهو أساس الحياة في الآخرة. الثاني هو أنه لا يجوز طلب العون من غير الله في الأمور التي تفوق قدرة الإنسان. وهذا هو معنى التوحيد الخالص. هذا التوحيد هو الذي ينقذ الإنسان من العبودية للآخرين، ويحرره من قيود الطغاة، فيصبح حرًا طاهرًا، خادمًا لله وحده.³⁸⁶

يبين المولوي هنا حكمًا جليًا على قضية إغترق فيها المجتمع الإسلامي العالمي واتخبط في مناقشات ساخنة ونزاعات على مر العصور. وهي ما يتعلق في معنى اللغوي والإصطلاحي للعبادة، وما الذي يدخل في نطاق العبادة، وما هو الغرض من العبادة التي لا يؤديها إلا لله؟ ما هي الأشياء التي لا نطلبها إلا من الله وما لا ينبغي أن نطلبها إلا منه؟ هل يمكننا أن نطلب المساعدة من بعضنا البعض، بما في ذلك المجتمع البشري المخلوق؟ فإذا كان بإمكاننا طلب المساعدة، فما حدها وحدودها؟ فهل طلبات المساعدة والتعاون التي يقوم بها البشر لبعضهم البعض في البر والتقوى تدخل في نطاق العدوان ومعصية الرسول أو الشرك بالله؟ إن الشكوك والمناقشات والأوهام حول ما إذا كان البشر يستطيعون العمل كشركاء مع بعضهم البعض ظلت مستمرة منذ زمن طويل بين المجتمع الإسلامي.

نحن نعلم أنه في ولاية كيرالا، تظهر منظمات وحركات جديدة وتُؤسَّس بين المجتمع المالايالي، وكلها تعتمد على التفسير الخاطئ لكلمة "العبادة". ويتم إساءة تفسير كلمة "العبادة" وفقًا لهواهم ولرغباتهم وأهدافهم الخاصة والسياسية. وتظهر حركات ومنظمات جديدة من خلال تقديم تفسيراتهم الخاصة والمنحرفة لحماية مصالحهم السياسي. وهناك يمكننا أن نفهم بأن المولوي قد قدم شرحًا واضحًا للغاية حول هذه المسألة وأوضح لمجتمع كيرالا منذ قرون قد مضت، ما هو حد العبادة وما هي حدودها، وذلك بلغة المليالمية الدقيقة الفصيحة بأول مرة في التاريخ.

ثم ينتقل المولوي إلى تفسير الآية: (اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)³⁸⁷: أي اجعلنا نمشي على الطريق المستقيم، أي طريق الذين أنعمت عليهم، وليس طريق الذين غضبت عليهم ولا الذين ضلوا. كلمة "اهدِنَا" تعني هنا "اسمح لنا بالمشي" على الطريق الصحيح. فالله قد منح الإنسان أربع درجات من الهداية لتحقيق سعادته في الدنيا والآخرة:

- (1) العلم الطبيعي: يولد الطفل ومعه شعور طبيعي بالحاجة للطعام، وعندما يضع في فمه ثدي أمه، يمتص الحليب بغريزة طبيعية.
- (2) العلم الحسي: هذا العلم يكمل المعرفة الطبيعية في حياة الكائنات. تتطور الحواس عند الإنسان بمرور الوقت وتكتمل تدريجيًا.

³⁸⁶ تفسير سورة الفاتحة

³⁸⁷ سورة الفاتحة

(3) الذكاء: إن الهدايتين المذكورتين سابقًا موجودتان عند الكائنات الأخرى تمامًا كما هي عند الإنسان. بل إن المعرفة الفطرية التي مُنحت لهذه الكائنات كافية لتلبية احتياجاتها في الحياة. ولكن الإنسان لم يُمنح معرفة فطرية تكفيه لاحتياجاته الحياتية، لذا وُهب هدايةً أعلى من المعرفة الحسية والفطرية، وهي العقل. وبفضل العقل، يمكن للإنسان اكتشاف أخطاء المعرفة الحسية. فالأشياء الكبيرة تبدو صغيرة عندما تكون بعيدة. وعندما ننظر إلى جسم مستقيم مغمور في الماء، يبدو منحنيًا. والمصاب بمرض الصفراوية يشعر بطعم الحلو وكأنه مُرٌّ. كل هذه الأمور يدركها العقل على أنها أخطاء.

(4) الدين: شأن العقل شأن الحواس أحيانًا يخطئ، كما أن الإنسان قد لا يستخدم حواسه وعقله في ما ينفعه أو ينفع جنسه، بل يخضع لرغباته وينحرف إلى طرق ضالة مما يجلب له الهلاك. ليس هذا فحسب، بل لأن رغبات الإنسان لا حدود لها، فقد يؤدي اتباع كل شخص لرغباته إلى الاستيلاء على ممتلكات الآخرين، ومن ثم ينشب الصراع والقتال والقتل، مما يؤدي إلى الهلاك. لذلك، يصبح الإنسان بحاجة ماسة إلى هداية تمنعه من السقوط في ظلام الرغبات الضالة وتحفظه. وبالإضافة إلى ذلك، فإن الحواس والعقل لا يكفيان للإنسان لكي يدرك واجباته نحو خالقه القادر المطلق الذي خلق ورعى جميع الكائنات، كما لا يكفيانه لمعرفة السبيل إلى السعادة في الحياة الآخرة. لذا، فإن الهداية الرابعة وهي الدين، أصبحت ضرورة للإنسان، وقد وهبه الله تعالى هذه الهداية. وبهذا قد بين الله تعالى للإنسان طريق النجاح والسعادة في الدنيا والآخرة. ومع ذلك، كما هو الحال في استخدام الحواس والعقل، قد يقع الإنسان في الخطأ بسبب الجهل أو اتباع الرغبات، ولذلك لكي يسير على الصراط المستقيم دون أن ينحرف، يصبح الإنسان بحاجة ماسة إلى عون الله تعالى الخاص. لهذا السبب، علّمنا الله أن ندعوه قائلين: "اهدنا الصراط المستقيم".

ويتابع المولوي تفسيره لآية: "الصراط المستقيم" يعني الطريق الصحيح، أي الطريق الذي يصل بالمقصود دون الانحراف عنه. ويعني كذلك الدين والحق. وإذا أردنا أن نكون أكثر وضوحًا، فإن الصراط المستقيم هو عبارة عن مجموعة من المعتقدات والأعمال والقوانين التي تقود إلى السعادة في الدنيا والآخرة. لقد بيّن الله تعالى هذا الصراط المستقيم من خلال دينه، ولكن نظرًا للحاجة الماسة إلى عون الله الخاص للبقاء عليه دون انحراف، فقد علّمنا الله أن نطلب العون منه وحده بعبارة "إياك نعبد وإياك نستعين"، ثم علّمنا كيفية طلب العون بعبارة "اهدنا الصراط المستقيم"³⁸⁸.

³⁸⁸ Vakkom Maulavi Publications. (1979). *Vakkom Maulaviyude thirenjedutha krithikal (Selected works of Vakkom Maulavi)* (M. Abda, Ed., p. 56). Anupama Printers.

ويفسر المولوي قوله تعالى: "صراط الذين أنعمت عليهم"³⁸⁹ ويقصد بهم كما أوضح الله تعالى في موضع آخر "النبين والصدّيقين والشهداء والصالحين"³⁹⁰. فطريقهم هو الصراط المستقيم. وقد وُصف هذا الطريق بالتفصيل في آيات أخرى من القرآن الكريم. ثلاثة أرباع القرآن تقريباً تتحدث عن قصص الأمم السابقة. وقد أمرنا الله تعالى بالتفكير فيها، لأن القصص تحمل دروساً عظيمة للبشر. وعند التأمل في أحوال الأمم السابقة ومصيرهم وسبب نجاتهم أو هلاكهم، فإن ذلك يحفّز عقولنا على اتباع سبيل أولئك الصالحين الذين كانوا سبباً في رفعة مكانتهم ونجاتهم، والابتعاد عن الأمور التي كانت سبباً في هلاكهم.³⁹¹

ويضيف المولوي قوله قائلاً: وهنا، قد يتبادر سؤال، لماذا أمرنا الله باتباع الأمم السابقة رغم أننا نملك في ديننا ما لم يكن متوفراً لديهم من القوانين والشرائع؟ نجد الإجابة على هذا السؤال في القرآن الكريم نفسه. فقد قال الله تعالى: "إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ"³⁹²، وهذا يؤكد أن دين الله واحد لجميع الأمم، ولكن تختلف التشريعات التفصيلية والأعمال التعبديّة حسب الظروف والزمن. أما المبادئ الأساسية كالإيمان بالله وتجنب الأعمال السيئة والقيام بالأعمال الصالحة فهي ثابتة. ولهذا، أمرنا الله تعالى بأن نتأمل أحوال الصديقين والشهداء في الأمم السابقة وأن نتبعهم في هذه المبادئ. أما التشريعات التفصيلية المتعلقة بهذه الأمور فنحن نأخذها من شريعتنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونعمل بها.³⁹³

مثلاً يمكن للحواس والعقل أن يخطئنا، فإن الإنسان قد يستخدم عقله وحواسه وفقاً لرغباته بدلاً من استخدامهما لما ينفعه، مما يقوده إلى الطريق الخاطئ ويعرضه للهلاك. ولذلك، يحتاج الإنسان إلى هداية دينية تمنعه من الضلال في الحياة الدنيا، وتبين له واجباته نحو خالقه وتنقذه من الضلال في الحياة الآخرة. هذه الهداية هي ما أرسلها الله تعالى لنا عن طريق الأنبياء والمرسلين وبالكتب المنزلّة عليهم.

على الرغم من ذلك، أن الله قد أشار إلى الطريق الصحيح عبر الدين، إلا أن الإنسان قد يضل بسبب نقص في المعرفة أو اتباع الهوى، ولذلك يحتاج إلى عون الله ليبقى على الطريق الصحيح المستقيم. ولهذا السبب علمنا الله أن نقول في الدعاء: "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ"، أي "اجعلنا نسير على الطريق الصحيح".

الصراط المستقيم كما نعرف هو الطريق الذي يوصلنا إلى الهدف المنشود دون انحراف أو تحويل. وقد قيل إنه يعني الدين أو الحق. وبوضوح أكثر، فإن الصراط المستقيم يشمل جميع المعتقدات والأفعال والقوانين التي تضمن لنا السعادة في الدنيا والآخرة.

³⁸⁹ سورة النساء، الآية: 163

³⁹⁰ سورة النساء: 69

³⁹¹ Page no:57, Vakkom Maulaviyude Thirenjedutha Krithikal(Selected Works of Vakkom Maulavi)

³⁹² سورة النساء: 163

³⁹³ Page no:66, Vakkom Maulavi's Al-Islam (single Volume), August 2016, Vakkom Moulavi Foundation Trust, Trivendrum-695035.

وقد بين لنا الله تعالى هذا الطريق المستقيم وصور لنا صورته وسيرته، ولكن لكي نسير فيه دون انحراف، نحتاج إلى معونته. ولهذا جاء الأمر "إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" ليعلمنا أن لا نطلب العون إلا منه وحده، ثم يتبعه "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" ليبين لنا كيفية طلب العون منه. ثم يدخل المولوي في تفسيره إلى أمر مهم قد اختلف فيه المسلمون منذ بدايتهم عن أسباب الهداية، هو الطريق الصراط المستقيم. ويقول المولوي: إن قوله تعالى: "صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ" يعني أولئك الذين أنعم الله عليهم، وقد فسرهم الله في موضع آخر من القرآن الكريم في قوله: "وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا" (النساء: 69). إذاً، طريقهم هو الصراط المستقيم. وقد أوضحت العديد من آيات القرآن هذه الطريق، إذ يشكل تقريباً ثلاثة أرباع القرآن قصصاً تاريخية عن الأمم السابقة، حيث أمر الله تعالى بالتفكير فيها. فإننا إذا تأملنا في أوضاع الأمم الماضية وما كانوا عليه، والأسباب التي أدت إلى فلاحهم أو هلاكهم، سنجد فيها عبرة عظيمة تحثنا على اتباع خطى الصالحين وتجنب سبل الهالكين والظالمين والمظلمين.

ويشير المولوي بعده إلى نقطة مهمة بقوله: لكن هنا يثور سؤال، لماذا أمرنا الله تعالى باتباعهم بينما بين أيدينا تشريعات وتعاليم لم تكن متوفرة لدى من سبقونا؟ نجد الجواب في القرآن نفسه، في قوله تعالى: "إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ" (النساء: 163)، وغيرها من الآيات التي تؤكد أن دين الله واحد في جميع الأمم، وإن اختلفت بعض الأحكام الفرعية والتفاصيل التشريعية بما يناسب الأزمنة والأماكن. أما الأسس الجوهرية كالإيمان بالله، وتجنب الفواحش، والعمل الصالح، فهي ثابتة في جميع الأديان. وبالتالي، أمرنا الله بالتأمل في أحوال الصديقين والشهداء من الأمم السابقة لتتخذهم قدوة في الأمور الجوهرية، أما تفاصيل الأحكام فنأخذها من شريعتنا التي جاء بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم³⁹⁴.

ثم يدخل المولي إلى قوله تعالى: "غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ": أي الذين نالوا غضب الله تعالى وسخطه. وهؤلاء هم الذين عرفوا الحق ولم يتبعوه، أو رفضوا اتباعه بسبب تمسكهم بعاداتهم وتقاليدهم القديمة. وغضب الله يعني عقوبته لهم. وأما قوله تعالى: "وَلَا الضَّالِّينَ": أي الذين ضلوا عن الحق ولم يعرفوه. فهم لم يسيروا على الصراط المستقيم لأنهم لم يتوصلوا إلى الحق المبين. ورغم أن هؤلاء قد يكونون ممن نالوا غضب الله بسبب عدم اتباعهم الحق بعد معرفته، إلا أن الضالين هم من انحرفوا عن الطريق المستقيم بدون علم ولا معرفة. ثم يقدم لنا المولوي في تفسيره شرحاً كافياً عن المظلمين، وعن أساليب مختلفة يغمس فيها أهل الهواء والظلال بأسلوبه الجميلة والتي لم يسبقها أحد من أهالي كيرلا.

³⁹⁴ Page no:66, Vakkom Maulavi's Al-Islam (single Volume), August 2016, Vakkom Moulavi Foundation Trust, Trivendrum-695035.

هناك أنواع متعددة من الضالين:

1. الذين لم تصلهم رسالة الدين. فهؤلاء يعتمدون في حياتهم على عقولهم وحواسهم فقط، ورغم أنهم قد لا يضلون في أمورهم الدنيوية، إلا أنهم بلا شك فقدوا الهداية الإلهية الضرورية لتحقيق السعادة الأخروية. ولا يُعاقب هؤلاء على ما لم يُبلغ إليهم من الدين، لكن مقامهم في الآخرة أقل من مقام الذين اهتموا بالوحي الإلهي.

2. الذين بلغتهم رسالة الدين واجتهدوا في البحث عن الحق ولكنهم ماتوا قبل الوصول إلى الإيمان الكامل. هؤلاء قلة في كل أمة، ومصيرهم في الآخرة قد يكون غير محسوم؛ إلا أن العلماء يشيرون إلى أنهم لا يُعاقبون كما يُعاقب من رفضوا الحق عن قصد.

3. الذين ضلوا في الاعتقادات، أي الذين تلقوا رسالة الدين وآمنوا بها، ولكنهم فهموا المسائل العقائدية على نحو خاطئ. هؤلاء غالبًا ما يسببون الانقسات العقائدية والحزبية بين الناس عبر الأزمنة.

4. الذين ضلوا في الأحكام الشرعية، أي الذين يؤمنون بالدين ولكنهم يفهمون أحكامه خطأ، أو يسعون للالتفاف على الشرائع. مثال على ذلك من المسلمين من يتلاعب بموضوع الزكاة من خلال تغيير ملكية ماله قبل مرور الحول، ليظن أنه بذلك تخلص من الزكاة المفروضة عليه، وهذا من الفهم الخاطئ لمقاصد الشريعة.

ويلخص المولوي موجز قوله في النهاية: "ومن بين هذه الأصناف، فإن الثاني هو الوحيد الذي لا يكون مسؤولاً بالكامل أمام الله. أما الأصناف الأخرى فهي مؤثرة على الأمة كلها، مما يجعلها في حالة من الضعف والانحطاط. لذلك علّمنا الله تعالى أن ندعوه أن يهديننا إلى الطريق المستقيم، طريق الذين أنعم عليهم من الصالحين، وأن يجنبنا طريق المغضوب عليهم والضالين. وقد أشار بعض المفسرين إلى أن المغضوب عليهم هم اليهود، وأن الضالين هم النصاري، لكن هذا التفسير ليس حصريًا، بل هو وصف عام لكل من عرف الحق ورفضه أو ضل عنه³⁹⁵.

³⁹⁵ Al-Islam, Ramzan:1336, June:1918, No:3, Vol:1

الفصل الثاني

لماذا سمي سورة الفاتحة بأم القرآن، يفسّر المولوي رائعا بليغا

وفي نهاية سورة الفاتحة يقدم المولوي لقراء مجلة الإسلام تعريفا موجزا بليغا عن سورة الفاتحة. وهذه السطور أنه يعطي لقراءه من أهالي كيرلا ضوءاً خاصاً عن الإيمان والعقيدة وعن الصراط المستقيم. ويقول المولوي بكلماته البليغة والفصيحة في لغة مليالم: لقد قلنا سابقاً إن سبب تسمية سورة الفاتحة بـ"أم القرآن" سيأتي توضيحه في النهاية. والسبب وراء هذه التسمية هو أنّ المبادئ الأساسية التي يحتويها القرآن الكريم تتلخص في الفاتحة. وكل ما يحتويه القرآن موجود في سورة الفاتحة بشكل موجز، وليس المقصود هنا ما يُقال: إن كل ما في القرآن موجود في الفاتحة، وكل ما في الفاتحة موجود في البسملة، وكل ما في البسملة موجود في حرف الباء، وكل ما في حرف الباء موجود في النقطة التي تحت الباء. بل المقصود أنّ القضايا التي يذكرها القرآن يمكن لأهل العلم باللغة العربية أن يستوعبوها، وأن ما ذكر في القرآن مشروح بشكل موجز في الفاتحة.

وبين المولوي هذه المسألة مرة أخرى بكلماته الواضحة والمبينة كما يلي: كيف ذلك؟ إن ما يتضمنه القرآن يمكن إجماله في خمسة مواضيع:

1. التوحيد بمعنى الإيمان بوحداية الله: وفي زمن نزول القرآن، كانت جميع الأمم بطريقة أو بأخرى، تؤمن بتعدد الآلهة، ولذلك كان هذا الموضوع من أهم ما تناوله القرآن الكريم.
2. الوعد بالجزاء الحسن لمن يتبع طريق القرآن والتهديد بالعقاب الشديد لمن يخالفه.
3. العبادة
4. الطرق المؤدية إلى السعادة وتفصيل الشرائع المتعلقة بها.
5. القصص التاريخية عن الصالحين والطالحين الذين عاشوا وفقاً لأوامر الله أو خالفوها. تتضمن سورة الفاتحة هذه المواضيع بشكل مختصر وموجز.

فان التوحيد قد تجلّى في قول الله سبحانه وتعالى: "الحمد لله" حيث إن هذا التعبير يدل على أن جميع أشكال الحمد والنعم تنبع من الله، وأن الله هو مصدر كل النعم. ومن أهم النعم: الخلق والتربية. وقد جاء التعبير عن هذا المعنى في قوله تعالى: "رب العالمين، وهو ما يعني أن الله هو رب جميع العوالم، مما ينفي عن

الآخرين أي صفة من صفات الربوبية. ولأهمية التوحيد في القرآن، لم يكتف بذكره في العبارتين السابقتين فقط، بل جاء في قوله تعالى: "إياك نعبد وإياك نستعين" مما أوضح التوحيد بشكل جلي وأبطل الشرك³⁹⁶.

وقد الوعد الله بالجزاء الحسن فيه، وجاء الوعد بالرحمة في قوله: "الرحمن الرحيم" حيث تم تكرار هاتين الكلمتين في موضعين، بما في ذلك في البسملة، للتأكيد على الرحمة الواسعة. وفي قوله تعالى: "مالك يوم الدين"، يتضمن الوعد بالعقاب والرحمة معاً. أي أن الله هو صاحب يوم الجزاء، وكل شخص سيُجزى بحسب عمله، فهذه الآية تعد وعداً للمطيعين بالعطاء الحسن، وتهديداً للمخالفين بالعذاب.

وفي قوله تعالى: "إياك نعبد وإياك نستعين" يظهر التوحيد النقي بشكل واضح، ويتضح فيه الأمر بالعبادة. أما في قوله تعالى: "اهدنا الصراط المستقيم" فتضمن فيه الدعاء للسير على طريق الهداية الذي ورد ذكره في مواضع أخرى من القرآن الكريم.

وأما عن قصص الصالحين والطالحين، فقد أشير إليهما في قوله تعالى: "صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين"، تخبرنا هذه الآية بأن بعض الأمم السابقة كانت تنعم بنعم الله، بينما كانت أمم أخرى تتعرض لغضبه أو كانت ضالة. فان تفاصيل أحوال هذه الأمم وردت في مواضع أخرى من القرآن الكريم. ومن التفسيرات السابقة يتضح لنا أن جميع القضايا التي يذكرها القرآن الكريم تتضمنها سورة الفاتحة بشكل موجز، ولذلك فإن اسم "أم القرآن" هو الأنسب لهذه السورة³⁹⁷.

القرآن الكريم هو الكلمة الإلهية الخالدة التي أودعها الله عز وجل في قلوب المؤمنين، ليكون حبلًا موصولاً بين السماء والأرض، ومصدراً للهداية التي ترتقي بالإنسان من ظلمات الجهل إلى نور العلم والإيمان. إنه الكتاب الذي جمع بين الجمال البلاغي والسمو الأخلاقي، وبين التشريع المحكم والتوجيه الإلهي، ليكون بذلك المعجزة التي أثبتت صدق الرسالة المحمدية وألهمت البشرية على مدى العصور.

في هذا البحث، يتناول الشيخ محمد عبد القادر المولوي الوكعي مفهوم القرآن الكريم باعتباره كلام الله الذي لا يشبهه شيء، فهو كلام أزلي يتجاوز قيود الزمان والمكان. ويُبرز البحث الطبيعة الفريدة للوحي القرآني، من حيث كيفية نزوله عبر الملك جبريل عليه السلام، وصولاً إلى قلوب الأنبياء الطاهرة التي أعدت لتحمل هذه الأمانة العظيمة.

كما يسلط الضوء على العلاقة بين الإعجاز القرآني والطبيعة البشرية، حيث يكشف البحث عن الأسلوب المتفرد الذي خاطب به القرآن العقول، مستنهضاً ملكات التفكير والتأمل، وموجهاً القلوب نحو القيم العليا

³⁹⁶ Vakkom Maulavi's Al-Islam (single Volume), August 2016, Vakkom Moulavi Foundation Trust, Trivendrum-695035.

³⁹⁷ Al-Islam, Ramzan:1336, June:1918, No:3, Vol:1

والغايات النبيلة. ومن خلال منهجية تحليلية متعمقة، يُظهر المولوي كيف استطاع القرآن أن يجمع بين الكلمة المقدسة والمعنى الشامل، ليؤسس بذلك مرجعاً روحياً وفكرياً يتجدد عطاؤه مع تعاقب الأزمان.

وينطلق البحث من تساؤلات جوهرية تتناول ماهية كلام الله وكيفية ارتباطه بالمخلوقات، ليصل إلى استنتاجات تسبر أغوار الإعجاز القرآني بشقيه البياني والمضموني، مستعرضاً أمثلة من تناسق النصوص ودقة المعاني، التي جعلت القرآن الكريم معجزةً خالدةً تحدث كل محاولات التشكيك والتقليد.

يقول الشيخ محمد عبد القادر المولوي الوكّمي في بحثه العلمي حول موضوع "مقدمة لدراسة القرآن الكريم"³⁹⁸ نبدأ هذا المقال الأول بتقديم مختصر عن القرآن، الكتاب الأساسي للدين الإسلامي، ونكتفي في هذه المرحلة الأولى بالإشارة إلى ماهية القرآن وكيفية نزوله. ومع ذلك، يبدو من المناسب أن نتطرق إلى الحديث عن "كلام الله" قبل الدخول في تفاصيل الموضوع. لذا دعونا نفكر أولاً في السؤال: هل لله صفة الكلام؟

صفة الكلام تعبر عن الكمال وتتفوق على السمع والبصر، بينما يُعدّ ضدها، وهو الخرس، نقصاً كبيراً خاصة عند النظر إلى المخلوقات. أي شخص يتأمل في هذا يمكنه بسهولة أن يدرك أن خالق العالمين، وخصوصاً البشر الذين يتميزون بقدرة الكلام، هو كيان كامل يتصف بالكلام.

إضافة إلى ذلك، لدينا معرفة مؤكدة بما أمرنا به الله سبحانه وتعالى من خلال الأنبياء أصحاب النفوس الطاهرة والرؤية الثاقبة. وبالتالي، فإن كون الله متصفاً بالكلام أمر لا يُختلف عليه بين المؤمنين، وخاصة بين أتباع الأديان التي تعتمد على الكتب المقدسة. لذا، لا حاجة للإفراط في تقديم البراهين والأدلة لإثبات هذه الحقيقة.

النقطة التي تحتاج إلى التأمل بعد ذلك هي: هل كلام الله مثل كلامنا؟ وهل كلامه يعتمد على الحروف والأصوات مثل كلامنا؟ الله، الذي لا يشبه شيئاً من خلقه ولا يمكن إدراكه بالعقل أو التخيل، لا يمكن تشبيهه أو مساواته بأي شيء يتعلق بالمخلوقات، بما في ذلك صفة الكلام.

كلام الله لا يحتاج إلى لسان أو أعضاء أو هواء لنطقه، كما أنه لا يتكون من حروف وأصوات. بل إن كلام الله موجود قبل نشأة الحروف والأصوات واللغات. ومع ذلك، يمكن أن يُوحى الله بكلامه إلى القلوب الطاهرة التي وصلت إلى درجة من النقاء والصفاء تمكنها من تلقي وحي الله مباشرة. في بعض الأحيان، يكون الوحي بلا أصوات أو حروف، وفي أحيان أخرى قد يأخذ شكل كلمات مسموعة بلغات محددة.

³⁹⁸ مجلة المسلم، العدد 1، المجلد 3، العام 1913 م.

وينقلنا فيما بعد المولوي عن كيفية نزول كلام الله تعالى بقوله: وفي بعض الحالات، يصل كلام الله إلى القلوب مباشرة، وفي حالات أخرى يتم تلقيه عبر الملائكة. وعندما يتم تلقي الوحي بواسطة الملائكة، قد يظهر المَلَك للنبي بشكل مرئي، أو قد يبقى غير مرئي. أما تلقي الوحي من الملائكة بشكل مباشر فهو خاص بالأنبياء الذين ينقلون هذا الوحي إلى الناس دون أي تحريف أو تغيير.

الرسالة الذي ينزله الله على أنبيائه يُعرف في اللغة العربية بـ"الوحي"، ويُطلق على مجموع الوحي الذي يتلقاه النبي عادة اسم "كتاب الله". وقد أرسل الله عبر الأنبياء العديد من الكتب الإلهية لإرشاد البشر إلى الطريق القويم. من بين هذه الكتب، يُعد القرآن الكتاب الذي أُوحى به إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم على مدى ثلاث وعشرين سنة بواسطة المَلَك جبريل عليه السلام، باللغة العربية. وهو آخر الكتب السماوية.

ثم بنقل المولوي بحثه إلى الطبيعة الطبيعية الخارقة للقرآن³⁹⁹، بأن القرآن هو كلام الله. بخلاف ما يعتقد بعض أتباع الديانات الأخرى، فإن القرآن ليس من تأليف النبي محمد صلى الله عليه وسلم. كلام النبي صلى الله عليه وسلم يُعرف بالحديث، وهناك العديد من الكتب التي تم جمع الأحاديث فيها. أما القرآن، فدور النبي صلى الله عليه وسلم فيه كان دور وسيط ورسول، حيث نقل الوحي كما أُوحى إليه دون أي تعديل أو تدخل. فقد تلقى النبي صلى الله عليه وسلم كلام الله بواسطة المَلَك جبريل عليه السلام، ونقله إلى الناس بنفس الصيغة التي أنزلت عليه دون تغيير.

أقوى دليل على أن القرآن هو كلام الله هو طبيعته المعجزة. لا يمكن وصف هذه الطبيعة الفريدة في كلمات، بل تُعرف من خلال التجربة المباشرة. ومع ذلك، يمكن الإشارة إلى بعض الخصائص المميزة التي تدل على إعجازه.

القرآن ليس من صنف الخطب أو الأشعار التي كانت معروفة عند العرب. لم تُكتب في اللغة العربية قبل نزوله، ولا بعده، أي أعمال تشابه أسلوبه الفريد. أسلوبه المبتكر لا يمكن تقليده من قبل أي شخص. كل جزء من القرآن، دون أدنى زيادة أو نقصان، يعبر عن المعاني المرادة باستخدام كلمات مقدسة وجميلة، مرتبة بطريقة رائعة، مع مراعاة التناسب في جميع المواضع. أي خبير باللغة العربية يمكنه أن يلاحظ الكمال الفني والأدبي الذي وصل إليه كل جزء من القرآن.

أما عن أسلوب القرآن، فانه يمتاز بقوة جذب استثنائية قادرة على انتزاع القلب حتى من أعماق اهتماماته. إنه يُقدِّم الأفكار بشكل واضح ودقيق بحيث تترسخ في قلوب القراء والسامعين. بالإضافة إلى ذلك، فإن

³⁹⁹ مجلة المسلم، المجلد 3، العدد 2، العام 1913

طريقته في التعبير تتناسب تماماً مع طبيعة الموضوع المطروح، مما يثير المشاعر الصحيحة ويخلق تأثيراً قوياً على المتلقين.

من المستحيل على البشر، مهما بلغت مهارتهم، أن يصلوا إلى مستوى الدقة والتناسب الموجود في القرآن. إنه يحتوي على عبارات قصيرة تحمل معاني عميقة، وهذا الأسلوب فريد من نوعه في القرآن. لا يمكن لأي شخص، مهما بلغت براعته اللغوية، أن يعبر عن نفس الأفكار في نفس المساحة اللفظية التي يستخدمها القرآن. كذلك، لا يحتوي القرآن على أي كلمة زائدة تُستخدم للزينة فقط، ولا ينقصه أي كلمة ضرورية لإكمال المعنى.

القرآن يشمل موضوعات متعددة، بما في ذلك:

- الحقائق الإلهية العميقة.
- القضايا النفسية والأخلاق الفاضلة.
- القواعد الأخلاقية والأحكام الشرعية.
- الشعائر التعبدية والعادات الاجتماعية.
- القوانين والنظم القضائية والسياسية والعقوبات.
- قصص الأنبياء والأمم السابقة.
- حقائق الطبيعة وعناصرها، مثل النجوم والسحب والمطر.
- معلومات عن الكائنات الحية والنباتات والجمال والأنهار.
- تفاصيل عن الجنة والنار، بدء الخليقة، نشأة البشر، نهاية العالم، والحياة بعد الموت.

كما يحتوي القرآن على كل ما يلزم لتحقيق السلام الروحي والمادي، والنمو المعرفي للإنسانية، إضافة إلى خلاصة المبادئ الأساسية للكتب السماوية السابقة. إن هذه الطبيعة الشاملة والدقيقة للقرآن هي التي تجعل منه معجزة خالدة، دليلاً على أنه كلام الله المنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

ومن بين السمات البارزة في القرآن الكريم أنه يتناول مواضيع متنوعة وشاملة، لكنه لا يعالجها كما تفعل المؤلفات البشرية بتقسيمها إلى فصول أو مقاطع محددة. بل تُعرض هذه المواضيع في سياق متداخل، حيث تتكرر بعض الأفكار بين حين وآخر بأشكال مختلفة، مع تضمين المواعظ الإرشادية، والتوجيهات الفلسفية، والأمثال، والحجج العقلية. كما يُذكر القرآن بعظمة الله وجلاله ورحمته عبر أمثلة مباشرة وأحياناً دون

أمثلة، ويفصل خصائص المؤمنين الصادقين وما ينتظرهم من كرامة ونعيم، ويكشف علامات المنافقين وما سيعانونه من مشقة وعذاب⁴⁰⁰.

يُدين القرآن المشركين والملحدين، ويشيد بالصالحين ويذم الفاسدين، ويدعو إلى التفكير في الله، وتزكية النفس، والعمل الصالح، وينهى عن نسيان الله، والصفات السيئة، والأفعال الشريرة. كما يحث على الوحدة والتعاون والرحمة، ويمنع التفرقة والقسوة. ويُخيف الناس من عذاب النار ويُبشرهم بنعيم الجنة.

رغم تنوع هذه المواضيع وكثافتها، كما يبين المولوي: فإن أسلوب القرآن الكريم يظل خالياً من أي تنافر أو تناقض. فلا ترى فيه خللاً في البناء أو تناقضاً في الأفكار أو خرقاً لقواعد اللغة أو جمالياتها. بل إن طريقة الجمع بين المواضيع المختلفة، والانتقال من موضوع إلى آخر، تتم بطريقة بديعة تسحر القلوب. فالقرآن، منذ بدايته حتى نهايته، يتميز بأسلوب بديع يعكس إبداعاً لغوياً عالياً وموسيقى لفظية جميلة تجذب الأسماع وتسرع القلوب، كما أنه نور يهدي إلى الحق.

إلى جانب هذه الخصائص، يحمل القرآن طابعاً إلهياً وقداًسة تضفي عليه هيبة لا يمكن إنكارها. فهو يوحى للنفس بحضور قوة طاهرة ناصعة تدفع القلوب قسراً نحو طريق الحق، وتولد فيها رهبة ومهابة مشبعة بالخشوع والإجلال. هذه القوة الإلهية تشعر بها النفوس المخلصة عندما تقرأ القرآن أو تتدبره بتمعن وهدوء.

ثم يذهب بنا المولوي لآلى الإعجاز البشري في محتواه بقوله: إذا نظرنا بتمعن إلى الخصائص الفريدة التي يتمتع بها القرآن الكريم، فمن المستحيل أن نعتقد أنه عمل بشري. جميع المؤلفات البشرية، مهما بلغ مؤلفوها من عبقرية وتفرد في مجالهم، لا تخلو من أوجه قصور ونواقص. لا يمكننا العثور على عمل بشري كامل خالٍ تماماً من العيوب.

أما القرآن الكريم، فقد تناول موضوعات عديدة، أغلبيتها لا يستعرض الجوانب الفنية والجمالية المعتادة، ومع ذلك، فإنه خالٍ من أي نقص أو عيب. كل جملة فيه تنبض بالكمال، وتشهد بعلم الله الكامل وحكمته المطلقة.

ويناقش المولوي فيما بعد عن الطبيعة الإلهية للقرآن بقوله: إن قدرة البشر على الإبداع لها حدود، وهذه الحدود لا يمكن تجاوزها. أي عمل بشري، مهما كان رائعاً، يحمل طابعاً بشرياً يظهر بوضوح في تفاصيله. في

⁴⁰⁰ Vakkom Maulavi's Al-Islam (single Volume), August 2016, Vakkom Moulavi Foundation Trust, Trivendrum-695035.

الأعمال الأدبية الأدنى مرتبة، تكون هذه السمات البشرية أكثر وضوحاً، وفي الأعمال الأدبية الأرقى مرتبة، تكون هذه السمات أكثر دقة وخفاء⁴⁰¹.

لكن القرآن الكريم يختلف تماماً عن ذلك. عندما نمعن النظر في إعجازه الفريد - سواء من حيث المعاني العميقة التي يتضمنها أو نقاء ألفاظه وأسلوبه أو قوته الروحية التي تسيطر على النفوس - فإننا ندرك بوضوح أنه يتجاوز حدود القدرة البشرية.

كل من يملك إلماماً كافياً باللغة العربية ويتمتع بقدرة على تذوق الجمال الأدبي، لا بد أن يدرك أن القرآن ليس من صنع البشر. فهو يحمل طبيعة إلهية فريدة لا يمكن للبشر تقليدها، وهذه الحقيقة تقنع كل عقل منصف بأن القرآن هو كلام الله المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

الفصل الثالث

"التمييز بين الأحجار الكريمة والأحجار العادية" وتأثيره في فهم إعجاز القرآن

رغم أن جميع أنواع الأحجار، من الحجارة العادية إلى الأحجار الكريمة، تتشابه في الاسم وفي الصفات العامة التي تصف الحجر، فإن هناك فرقاً شاسعاً بين الأحجار الكريمة والأحجار العادية من حيث المظهر والقيمة الحقيقية. فقد يعجز طفل صغير أو شخص يفتقر إلى الخبرة عن التمييز بين قطعة من الكريستال العادي وحجر كريم كالألماس، إلا أن الشخص صاحب الفطنة والخبرة، ومن يمتلك القدرة على التفريق بين الأشياء، لا يحتاج إلى جهد كبير ليدرك الخصائص الفريدة للألماس ويُميز طبيعته الرفيعة. وإذا كان الشخص مختصاً في الأحجار، فإنه يستطيع في لحظة واحدة أن يُميّز الفرق بين الأحجار العادية والجواهر النفيسة.

بهذا التشبيه يمكن فهم موقع القرآن الكريم بين سائر المؤلفات البشرية. فكما أن للألماس بريقاً لا تخطئه العين المدربة، فإن للقرآن الكريم من الإعجاز والروعة ما يجعله يتفوق على كل ما عداه، وهذه الخصائص الفريدة هي التي دفعت الكثير من أصحاب الفطرة النقية في العرب، ممن كانوا يتمتعون بذوق رفيع وإحساس أدبي مرهف، إلى الخضوع لجلال القرآن لمجرد سماعه.

ثم ينقل المولوي إلى البحث عن زمن نزول القرآن ومكانة الأدب العربي آنذاك بقوله: نزل القرآن الكريم في فترة كان فيها العرب قد بلغوا قمة النضوج الأدبي. فالعرب، بطبيعتهم، كانوا يمتلكون موهبة فطرية في

⁴⁰¹ Vakkom Maulavi's Al-Islam (single Volume), August 2016, Vakkom Moulavi Foundation Trust, Trivendrum-695035.

البلاغة والبيان، وهذه الموهبة بلغت أوجها في زمن نزول القرآن. يتفق المؤرخون بالإجماع على أن العرب في تلك الفترة كانوا قد وصلوا إلى أعلى درجات الإبداع الأدبي الممكنة. وهذا ما تشهد عليه أعمالهم الأدبية التي بقيت شاهدة على ذلك العصر⁴⁰².

كان العرب يتنافسون في إبراز براعتهم الأدبية خلال المهرجانات والمناسبات الاجتماعية الكبرى، ومن أشهر هذه الأمثلة "المعلقات السبع"، وهي سبع قصائد شهيرة نظمها كبار شعراء العرب، مثل امرئ القيس، وعلّقوها على جدران الكعبة كدليل على تفوقها الأدبي. تلك العادة تُظهر بوضوح مدى تقدير العرب للأدب والشعر، وتوضح إلى أي مدى كانوا يجلّون الموهبة الأدبية.

عندما جاء القرآن الكريم، كان وقعته على العرب يشبه وقع الضوء الكهربائي على شخص لم يعرف من قبل سوى ضوء الشموع والمصابيح التقليدية. لقد أدهشهم هذا النص بأسلوبه الفريد وجماله المدهش. ورغم ذلك، فإن معارضة النبي محمد ﷺ لما كان سائداً من عاداتهم ومعتقداتهم، وانتقاد القرآن الصريح لآلهتهم وممارساتهم، ولدت لديهم كراهية شديدة للنبي ﷺ ورفضاً للاعتراف بصدق دعوته. أمام شكوك العرب، جاء القرآن متحدياً: "وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (سورة البقرة: 23) كما أعلن القرآن أن الإتيان بمثله ليس في مقدور البشر: "قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً" (الإسراء: 88)

انتشر هذا التحدي في جميع أنحاء الجزيرة العربية، في وقت كانت أعداد الأدباء والشعراء فيها في ذروتها، ومع ذلك لم يستطع أحد أن يواجه القرآن بمثله. بل إن كثيراً من العقلاء والنقاد، بعد سماعهم القرآن، أدركوا أنه لا يمكن أن يكون من تأليف بشر، خصوصاً أنه صدر عن النبي ﷺ، الذي لم يكن شاعراً أو كاتباً متعلماً. لقد أيقن هؤلاء العقلاء أن هذا القرآن يحمل طابعاً إلهياً فريداً، مما دفع كثيرين منهم إلى الإيمان بالنبي ﷺ والانضمام إلى دعوته، رغم كل ما لاقوه من معارضة مجتمعاتهم.

ثم يقوم المولوي فيما بعد عن موقف قريش من دعوة النبي ﷺ وموقفهم من القرآن الكريم بقوله: بسبب الكراهية التي ولدتها دعوة النبي ﷺ في نفوس قادة قريش، نتيجة لما تتطلبه تلك الدعوة من ترك التقاليد والمعتقدات الموروثة، والخوف من فقدان نفوذهم وسلطتهم، بالإضافة إلى الانزعاج من فكرة أن يتحول المجتمع الذي تعودوا على قيادته وفق أهوائهم إلى مجتمع تحكمه قوانين عادلة، قرر هؤلاء القادة مواجهة

⁴⁰² Vakkom Maulavi's Al-Islam (single Volume), August 2016, Vakkom Moulavi Foundation Trust, Trivendrum-695035.

النبي ﷺ ودعوته بكل ما أوتوا من قوة وحيلة. لقد أدركوا أن السماح بانتشار دين الإسلام سيؤدي إلى انهيار النظام الذي أقاموه وإلى ضياع مصالحهم⁴⁰³.

كان بإمكانهم إسقاط دعوة النبي ﷺ بسهولة لو أنهم نجحوا في محاكاة القرآن الكريم. فالقرآن تحداً لهم أن يأتيوا بمثله، بل حتى أن يأتيوا بسورة واحدة من مثله، ولو كانت مكونة من ثلاث آيات فقط، وهي عدد آيات أقصر سور القرآن الكريم. ولكن بالرغم من أن ذلك كان يُمثل أسهل الطرق لإثبات خطأ النبي ﷺ وإظهار زيف دعوته، إلا أنهم فشلوا تماماً في هذا التحدي، رغم امتلاكهم للموهبة الأدبية التي كانت تُعد أبرز سماتهم، ورغم إصرار النبي ﷺ المستمر على دعوتهم لمحاكاة القرآن.

لما أدرك زعماء قريش عجزهم عن مواجهة القرآن من الناحية البلاغية، قرروا استخدام القوة والاضطهاد لإسكات النبي ﷺ وأتباعه. لكنهم أيضاً فشلوا في ذلك، بل إن الإسلام استمر في الانتشار، حتى أصبح هو النظام السائد الذي أزال الفساد الذي كان قد غطى جزيرة العرب.

إعجاز القرآن الذي عجز عنه العرب، وهم أهل البلاغة والفصاحة، يجعل من غير الممكن لغيرهم، ممن لا يتقنون اللغة العربية، أن يأتيوا بمثله. ولو كان بإمكان أحد أن يُحاكي القرآن، لما استمرت محاولات هدم الإسلام بالفشل منذ نزول القرآن وحتى يومنا هذا. هذا الإعجاز سيظل قائماً إلى يوم القيامة، ليكون شاهداً على أن القرآن كلام الله.

ثم ينتقل المولوي ببحثه إلى إعجاز القرآن في التنبؤ بالأحداث المستقبلية بقوله: ومن أوجه إعجاز القرآن الأخرى أنه تنبأ بالعديد من الأحداث المستقبلية التي وقعت تماماً كما وردت فيه. وهذا يشكل دليلاً آخر على أنه كلام الله، الذي يعلم ما كان وما سيكون. القرآن الكريم نزل على النبي ﷺ مفرقاً على مدى ثلاثة وعشرين عاماً، من بداية بعثته وحتى وفاته. في كل مرة كان ينزل فيها وحي على النبي ﷺ، كان يُبلغه للصحابة مباشرة، ويأمرهم بحفظه. كان الصحابة يُظهرون حرصاً شديداً على حفظ كل آية تُتلى عليهم، فيكررونها أمام النبي ﷺ للتأكد من صحتها، ثم ينشرونها بين المسلمين الآخرين.

وكان النبي ﷺ قد خصص مجموعة من الصحابة لتعليم القرآن وحفظه. وقبل الهجرة، أرسل بعضاً من هؤلاء الصحابة إلى المدينة لتعليم أهلها القرآن. كما كان المسلمون الذين يغادرون مكة إلى المدينة يتلقون تعليم القرآن على يد هؤلاء الصحابة. وبهذه الطريقة، تمكن آلاف المسلمين من حفظ القرآن في أول عشرين سنة من البعثة.

⁴⁰³ نفس المصدر

هذا الحفظ الذي بدأ في زمن النبي ﷺ استمر عبر الأجيال، حتى صار القرآن محفوظاً في صدور المسلمين، بجانب كونه مدوناً في المصاحف. وهذا الحفظ الإلهي يضمن بقاء القرآن خالداً، محفوظاً من التحريف إلى يوم القيامة.

الفصل الرابع

بحثه حول كتابة القرآن وجمعه في عهد النبي ﷺ وبعد وفاته

إضافةً إلى حفظ القرآن الكريم في صدور الصحابة، كان للنبي ﷺ مجموعة من الكتّاب الماهرين الذين كانوا يتولون كتابة الآيات فور نزولها. كانوا يستخدمون في الكتابة مختلف المواد المتاحة آنذاك، مثل الرقاع، الجلود، الألواح الخشبية، وجريد النخل. من أبرز هؤلاء الكتّاب: علي بن أبي طالب، عثمان بن عفان، عمر بن الخطاب، زيد بن ثابت، عبد الله بن مسعود، وأنس بن مالك، وغيرهم من الصحابة الذين كانوا على درجة عالية من البراعة في الحفظ والكتابة.

كان هؤلاء الكتّاب يراجعون ما كتبوه بعرضه على النبي ﷺ، فيقرأونه أمامه للتأكد من صحته، وكان النبي ﷺ يُقرّ ما كتبوه. وبذلك تم كتابة القرآن كاملاً أثناء حياة النبي ﷺ، لكنه بقي على شكل أجزاء مفرقة ولم يُجمع في مصحف واحد.

انتشار القرآن الكريم في حياة النبي ﷺ

عندما انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، كانت الدعوة الإسلامية قد انتشرت في أجزاء واسعة من الجزيرة العربية، من اليمن إلى عمان، ومن البحرين إلى الحجاز ونجد. لم تكن هناك بلدة أو قرية في شبه الجزيرة العربية إلا وكانت تُتلى فيها آيات القرآن في الصلوات، تُعلّم للأطفال، وتُكتب وتُحفظ⁴⁰⁴.

جمع القرآن بعد وفاة النبي ﷺ

بعد وفاة النبي ﷺ، وتولي أبي بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة، ومع اتساع رقعة الإسلام، زاد الاهتمام بحفظ القرآن وجمعه. لاحظ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن عدداً كبيراً من الصحابة الذين حفظوا القرآن قد استشهدوا في المعارك، فأشار على أبي بكر الصديق بضرورة جمع القرآن في مصحف واحد.

⁴⁰⁴ Vakkom Maulavi's Al-Islam (single Volume), August 2016, Vakkom Moulavi Foundation Trust, Trivendrum-695035.

اقتنع أبو بكر الصديق رضي الله عنه بهذا الاقتراح، وقام بجمع عدد من الصحابة المشهود لهم بالحفظ والإتقان، على رأسهم زيد بن ثابت، الذي كان من كتّاب الوحي وأحد أبرز حفاظ القرآن. كان هؤلاء الصحابة يتمتعون بذاكرة قوية ودقة في الحفظ، وقد كتبوا أجزاء من القرآن بأنفسهم أثناء حياة النبي ﷺ.

طريقة جمع القرآن

اجتمع الصحابة في منزل عمر بن الخطاب رضي الله عنه برئاسة زيد بن ثابت، وبدأوا بمراجعة القرآن وجمعه. كانوا يحرصون على التثبت الشديد من كل آية، فكانوا لا يقبلون إدراج أي آية إلا إذا توفرت لها شهادة مكتوبة وشهادة شفوية من حافظين.

إعلان جمع القرآن

لضمان شمولية جمع القرآن، أمر الصحابة بإعلان دعوة عامة في أنحاء المدينة المنورة، يُطلب فيها ممن لديه آيات مكتوبة أو حفظ في صدره أن يحضرها إلى المسجد. كُلّف بلال بن رباح رضي الله عنه بإبلاغ الناس بهذه الدعوة.

كان كل من حضر بشهادته أو بما كتبه يعرض ما لديه على لجنة الجمع، التي كانت تدقق في النصوص بعناية فائقة، وتطابقها مع ما حفظه الصحابة وما كتبه كتّاب الوحي.

المصحف في عهد أبي بكر رضي الله عنه

بعد انتهاء الجمع، تم حفظ القرآن الكريم كاملاً في مصحف واحد لدى أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وبعد وفاته، انتقل المصحف إلى عمر بن الخطاب، ثم إلى ابنته حفصة أم المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين. هذا الجمع كان الأساس للمصحف الذي بين أيدينا اليوم، وقد ظل محفوظاً بعناية الله، مصداقاً لقوله تعالى: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" (سورة الحجر 9).

كتابة القرآن الكريم وجمعه وإحكام ضبطه في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم

وفقاً لما ورد في المصادر التاريخية، فإن القطع المتفرقة التي كُتبت عليها آيات القرآن الكريم بأمر النبي ﷺ قد جُمعت بعد وفاته. كانت تلك القطع مكتوبة بيد كتّاب الوحي الذين كتبوا القرآن في حضرة النبي ﷺ، وتأكدوا من صحة ما كتبوه من خلال عرضه عليه مراراً.

بعد وفاة النبي ﷺ، اجتمع الصحابة لتدقيق النصوص القرآنية، ومراجعة ما كُتب وتوثيقه وفقاً لما هو محفوظ في صدور الحُفَاط. تم تعيين زيد بن ثابت رضي الله عنه، وهو أحد كتّاب الوحي، لكتابة القرآن

الكريم وجمعه في مصحف واحد. قام زيد بكتابة القرآن من أوله إلى آخره بدقة بالغة، وعُرض المصحف بعد جمعه على الصحابة الذين كانوا من الحُقَّاظ المتقنين. قرأ زيد عليهم ما جمعه، وأقروا جميعاً بصحته وتطابقه مع ما حفظوه⁴⁰⁵.

توحيد المصحف في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه

بعد جمع المصحف في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ظل محفوظاً لديه، ثم نُقل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد وفاته، وبعد ذلك إلى ابنته حفصة رضي الله عنها.

توسيع نطاق انتشار المصحف في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه

مع توسع الفتوحات الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وامتداد الدولة الإسلامية إلى بلاد فارس والشام والجزائر ومصر، أُرسِل القرآن الكريم إلى مختلف الأمصار. انتشرت المساجد في تلك المناطق، وأُرسِلت نسخ المصحف للتعليم والعبادة.

نسخ المصاحف وتوزيعها في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه

في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومع اتساع رقعة الإسلام وظهور اختلافات في قراءات القرآن بسبب تعدد اللهجات العربية، اجتمع الصحابة مرة أخرى لتوحيد المصحف. قام عثمان رضي الله عنه باستدعاء زيد بن ثابت وعدد من الحُقَّاظ والكتّاب، وأمرهم بنسخ المصحف الذي جُمع في عهد أبي بكر. تم نسخ خمس نسخ من المصحف الموحد، وأُرسِلت إلى الأمصار الكبرى مثل مكة والمدينة والكوفة والبصرة والشام.

حفظ القرآن الكريم عبر العصور

على الرغم من جمع القرآن الكريم في مصحف مكتوب، إلا أن طريقة حفظه في الصدور ظلت قائمة إلى يومنا هذا. تشير الإحصاءات إلى أن مئات الآلاف من المسلمين في العالم يحفظون القرآن كاملاً عن ظهر قلب، دون نقص أو زيادة، كما هو مكتوب في المصاحف.

عدم تحريف القرآن الكريم

⁴⁰⁵ Vakkom Maulavi's Al-Islam (single Volume), August 2016, Vakkom Moulavi Foundation Trust, Trivendrum-695035.

على مدى أكثر من ألف وأربعمائة عام، لم يتعرض القرآن لأي تغيير أو تحريف، وظل كما نزل على النبي ﷺ. جميع نسخ المصحف المطبوعة أو المكتوبة منذ زمن عثمان رضي الله عنه إلى يومنا هذا متطابقة تمامًا، دون أدنى اختلاف في حرف أو تشكيل.

التحدي للمشككين

على الرغم من محاولات البعض الطعن في صحة القرآن الكريم أو الادعاء بوقوع تحريف فيه، إلا أن تلك المحاولات باءت بالفشل. القرآن الكريم محفوظ كما وعد الله تعالى في قوله: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" (سورة الحجر:9)

يبقى جمع القرآن الكريم في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين من أعظم إنجازات الأمة الإسلامية، وشهادة على عظمة الإسلام وحرص الأمة على حفظ كتاب الله من كل تغيير أو تحريف. سيبقى القرآن الكريم محفوظاً إلى قيام الساعة، كما وعد الله تعالى، ليكون هداية للبشرية أجمع.

هدف القرآن الكريم ومكانته بين الكتب السماوية⁴⁰⁶

يُبين القرآن الكريم للإنسان الطريق الذي يضمن له حياة دنيوية مفعمة بالسلام والخير، وحياة أخروية أبدية تنعم بالرفاهية والسعادة، فهو بمثابة الدليل الواضح الذي يهدي الإنسان إلى أرقى مسالك الحياة. ومن هنا، يمكن اختصار هدف القرآن بأنه تحقيق صلاح الإنسان روحياً ومادياً. ولا شك أن الهدف ذاته كان وراء الكتب السماوية التي أنزلت عبر الأنبياء في مختلف الأزمنة. وهنا يبرز تساؤل: ما الميزة الخاصة التي يتمتع بها القرآن الكريم مقارنةً بتلك الكتب السماوية السابقة؟

الميزة الفريدة للقرآن الكريم

للإجابة عن هذا التساؤل، لا بد من النظر إلى الأمر من منظور تطور البشرية عبر التاريخ. وكما ينمو الإنسان من مرحلة الطفولة مروراً بالصبا والشباب وصولاً إلى البلوغ، كذلك مرت البشرية بمراحل تطور تدريجية من حالة بدائية بسيطة إلى حالة متقدمة بلغت ذروتها في عصرنا هذا.

لقد وضع الله تعالى للإنسان نظاماً وتعاليم تناسب كل مرحلة من مراحل تطوره العقلي والاجتماعي، تمامًا كما تُقدّم النصائح والتعليمات للطفل بما يتناسب مع عمره وقدرته على الفهم. كانت الأديان التي أنزلت على الأنبياء السابقين تحتوي على المبادئ الأساسية نفسها التي يشترك فيها الدين الإلهي، لكنها كانت تتلاءم مع ظروف الزمان والمكان، ومع مستوى نضج المجتمعات التي أرسلت إليها.

⁴⁰⁶ مجلة المسلم، السنة 3، الهجري 1332، العدد 7، فبراير-مارس 1914

ومع تقدم البشرية وتزايد قدراتها العقلية ووعمها بالحقيقة والطريق القويم، تطورت الأديان تدريجيًا. وحينما بلغت البشرية درجة النضج الفكري الكامل، جاء الدين الإسلامي ليكون خاتم الأديان، مُنزلاً على النبي محمد ﷺ الذي يُعتبر خاتم الأنبياء.

اكتمال الدين في الإسلام

مثلما يستقر الإنسان في حالة ثابتة عند بلوغه، كذلك استقر الدين عند نزول الإسلام. ولهذا السبب، لا توجد حاجة لظهور دين جديد بعد الإسلام، فقد جاء الإسلام بمنظومة شاملة ومتكاملة قادرة على توجيه الإنسان في كل جوانب حياته، الدنيوية منها والأخروية.

قدّم الإسلام تعاليمه بطريقة واضحة وشاملة، بحيث لا تقيدها الظروف الزمانية والمكانية، وأتاحت لها مرونة التكيف مع مختلف الحالات. ومن خلال الإسلام، يستطيع الإنسان تحقيق حياة دنيوية يسودها السعادة والسلام، مع ضمان تحقيق الطهارة الروحية التي تُمكنه من نيل السعادة الأبدية في الآخرة.

مكانة القرآن بين الكتب السماوية

يتّضح من كل ما سبق أن القرآن الكريم يُعتبر الكتاب السماوي الأكمل والأرقى بين جميع الكتب السماوية. فقد أنزل في وقت بلغ فيه البشر مرحلة النضج العقلي، ولهذا اعتمدت تعاليمه على العقل والمنطق. وبذلك، يخلو القرآن من أي معتقدات أو أحكام تتعارض مع العقل أو المنطق السليم.

استمرار تأثير القرآن الكريم

هذا التوافق بين تعاليم القرآن والعقل الإنساني هو الذي أكسبه القبول بين العقول النزيهة، وجعله يستمر في جذب الناس إليه كما كان في زمان نزوله. وبفضل هذا التميز، استطاع الإسلام أن ينتشر بسرعة لم يسبق لها مثيل لأي دين آخر.

وخلاصة القول، القرآن الكريم ليس مجرد كتاب سماوي عادي، بل هو ذروة الكمال الإلهي في الهداية، ومرجع شامل للبشرية جمعاء، ودليل أكيد على أن الإسلام هو خاتمة الرسالات السماوية التي أرسلت لتحقيق الخير والرشاد للإنسانية.

يتناول هذه الصفحة المقارنة العلمية بين مقدمة الشيخ محمد عبد القادر المولوي حول دراسة القرآن الكريم، والمكتوبة بلغة المليالمية، ومقدمة الإمام محمد عبده المنشورة في مجلة المنار عن تعليم القرآن الكريم. تهدف الدراسة إلى استعراض المنهجية والأسلوب والمضمون الفكري لكل مقدمة، مع مراعاة السياق

التاريخي والاجتماعي لكل منهما. من خلال هذا التحليل، نتطلع إلى تسليط الضوء على نقاط الاتفاق والاختلاف في رؤيتهما لدور القرآن الكريم وأهمية دراسته وتعليمه.

الفصل الخامس

مقدمة محمد عبد القادر المولوي لتعليم القرآن الكريم

ركز الشيخ المولوي في مقدمته على إبراز الجوانب الإلهية للقرآن الكريم، موضحاً أنه كلام الله المتصف بالكمال. قدم شرحاً عن كيفية نزول القرآن الكريم بواسطة الوحي، وأشار إلى طبيعته المعجزة، سواء في أسلوبه أو محتواه. كما تطرق إلى أهمية القرآن ككتاب شامل يحتوي على تعاليم روحية وأخلاقية وقانونية. أما في المقابل، اتسمت مقدمة الإمام محمد عبده بطابع تربوي إصلاحي، حيث ركز على تعليم القرآن الكريم كأساس لإصلاح الفرد والمجتمع. دعا إلى فهم القرآن بعمق مع التركيز على تفسيره بأسلوب يلئم العصر. أشار إلى أهمية التعليم الحديث وربط القرآن بالعلوم المعاصرة، ما يعكس رؤيته التجديدية.

بينما ركز الشيخ المولوي على الجانب الروحي والإعجازي للقرآن، ركز الإمام محمد عبده على الجانب التربوي والاجتماعي، مما يعكس اختلاف السياق الذي كتبت فيه كل مقدمة. فالشيخ المولوي كان يعالج قضايا المسلمين في شبه القارة الهندية، حيث كان الحفاظ على الهوية الإسلامية بارزاً، بينما كان الإمام محمد عبده يسعى لإصلاح المجتمعات الإسلامية في ظل تحديات الاستعمار والحدثة.

أسلوب الشيخ المولوي

تميز أسلوب الشيخ المولوي بالعمق الروحي والبلاغة التقليدية. استخدم لغة عربية فصيحة مليئة بالمصطلحات الدينية، مع تركيز على الأبعاد الغيبية والمعجزات الإلهية. فقد اتسم أسلوب الإمام محمد عبده بالوضوح والبساطة، مع الحرص على مخاطبة الجمهور بأسلوب يناسب فهمهم. اعتمد لغة مباشرة مع استخدام بعض المصطلحات الحديثة، مما يعكس تأثره بالبيئة الفكرية في عصره.

ويجسد أسلوب كل منهما الخلفية الثقافية والاجتماعية التي أنتجت فيها النصوص. فأسلوب المولوي يعكس تأثره بالعلوم الإسلامية التقليدية، بينما يعكس أسلوب الإمام محمد عبده تأثره بحركة الإصلاح والنهضة الفكرية في العالم العربي.

اعتبر الشيخ المولوي القرآن الكريم مصدر الهداية الأسى، وأكد على أنه كتاب شامل يتناول قضايا العقيدة، والأخلاق، والشريعة، ويجيب عن تساؤلات الإنسان حول الحياة والموت. ركز على إبراز إعجاز القرآن في أسلوبه ومضمونه.

تناول الإمام محمد عبده القرآن الكريم كوسيلة لإصلاح الفرد والمجتمع، مشيرًا إلى ضرورة فهم مقاصده العملية. أكد على أهمية تعليم القرآن بأسلوب يراعي تطورات العصر ويستجيب لتحدياته. دعا إلى تفسير القرآن وفق سياقاته الاجتماعية والاقتصادية، مع التركيز على قيم العدالة والحرية.

بينما قدم المولوي رؤية تقليدية شاملة لدراسة القرآن، سعى محمد عبده إلى تقديم رؤية تجديدية تُبرز دور القرآن في معالجة مشكلات العصر. ويعكس ذلك اختلاف التحديات التي واجهها كل منهما.

الجوانب التربوية والدينية عند الشيخ المولوي

ركز المولوي على دور القرآن الكريم في تزكية النفس وتطهيرها، واعتبر الحفظ والتلاوة أساسًا لتعلم القرآن. كما أشار إلى دور المعلمين في غرس القيم القرآنية في نفوس الطلاب. واعتبر الإمام محمد عبده تعليم القرآن الكريم وسيلة لإعداد أجيال قادرة على مواجهة تحديات العصر. دعا إلى إدخال القرآن في المناهج الدراسية بأسلوب عصري، مع التركيز على تدبر معانيه بدلاً من الاختصار على الحفظ. ويمثل طرح المولوي رؤية تقليدية للتعليم الديني، بينما يعكس طرح محمد عبده رؤية تقدمية تهدف إلى الدمج بين التعليم الديني والعلوم الحديثة.

الظروف التاريخية عند الشيخ المولوي

كتب الشيخ المولوي مقدمته في سياق الحفاظ على الهوية الإسلامية لمسلمي الهند في مواجهة الاستعمار البريطاني. انعكس هذا السياق على تركيزه على الجوانب الروحية والإعجازية للقرآن. كتب الإمام محمد عبده مقدمته في فترة شهدت تصاعد حركة الإصلاح الديني والفكري في العالم الإسلامي. كانت رؤيته جزءًا من مشروع نهضوي شامل يهدف إلى مواجهة الاستعمار والتحديات الفكرية. يبرز الاختلاف في السياق التاريخي بين المقدمتين، حيث يعكس كل منهما تحديات المرحلة التي كُتب فيها.

أثر مقدمة الشيخ المولوي

ساهمت مقدمة المولوي في تعزيز دراسة القرآن الكريم في شبه القارة الهندية، وأثرت على العلماء المسلمين في تلك المنطقة. كانت جزءًا من جهود الحفاظ على الهوية الإسلامية. كان لمقدمة محمد عبده أثر عميق على الفكر الإسلامي الحديث. ألهمت العديد من المصلحين ودعاة النهضة الفكرية والاجتماعية في العالم

العربي. تعكس المقدمتان تأثيرًا واضحًا في البيئات التي ظهرت فيها، حيث كان لكل منهما دور محوري في سياقه الخاص.

تُظهر المقارنة بين مقدمة الشيخ محمد عبد القادر المولوي والإمام محمد عبده تنوعًا غنيًا إلى دراسة وتعليم القرآن الكريم. يعكس الشيخ المولوي رؤية تقليدية تعزز الجوانب الروحية والإعجازية للقرآن، بينما يقدم الإمام محمد عبده رؤية تجديدية تُبرز دور القرآن في الإصلاح الاجتماعي والفكري. يجمع كلا النهجين بين الأصالة والتجديد، ويؤكدان على أهمية القرآن الكريم كمصدر هداية للبشرية

الفصل السادس

ترجمة مقالة عن ذكرى الهجرة من مجلة المؤيد

تُذكرنا الهجرة النبوية الشريفة بصفحات مشرقة من تاريخ الأمة الإسلامية، حيث ترك النبي محمد ﷺ وأصحابه مكة، حاملين في قلوبهم نور الإيمان، لينيروا به المدينة المنورة، ويؤسسوا مجتمعًا جديدًا يركز على مبادئ الحرية والعدل. كانت تلك الهجرة إشارة إلى بداية عصر جديد، عصر تجاوز الأزمان والأماكن ليصبح رمزًا عالميًا للإصلاح والتغيير.

الهجرة النبوية كما نعرف ليست مجرد حدث عابر في التاريخ الإسلامي؛ إنها نقطة تحول كبرى أشرقت فيها أنوار الإسلام لتبدد ظلمات الجهل والعبودية. كانت الهجرة إيدانًا بميلاد مجتمع جديد قائم على التوحيد والعدل والحرية، ومسارًا للإنسانية نحو الإصلاح والتقدم. في هذا السياق، تأتي مجلة "المؤيد" كمصدر تنويري وإصلاحي أسهم في تسليط الضوء على هذا الحدث العظيم ومعانيه العميقة.

مجلة "المؤيد"، التي برزت في المشهد الثقافي والإصلاحي في مصر تحت إدارة الشيخ علي يوسف، كانت صوتًا حريًا يسلط الضوء على قضايا الأمة الإسلامية. لم تكن المجلة مجرد منصة إعلامية، بل كانت منبرًا فكريًا عالج قضايا المسلمين، وساهمت في تحريك الفكر العربي نحو الإصلاح والتقدم. ناقشت المجلة، من خلال أقلام مفكرين بارزين أمثال رشيد رضا، قضايا الهجرة وأبعادها الدينية والاجتماعية. وأكدت على أن الهجرة ليست مجرد انتقال مكاني، بل هي رحلة إيمانية نحو بناء الإنسان الحر والمجتمع العادل. تولى الشيخ وكرم محمد عبد القادر المولوي ترجمتها إلى اللغة المليالية، ونشرها في مجلته "المسلم"⁴⁰⁷ على جزأين بعنوان "ذكرى الهجرة أو بداية السنة الجديدة".

⁴⁰⁷ مجلة المسلم العدد: 3، المجلد: 4، 1913 م، مجلة المسلم العدد: 3، المجلد: 5، العام 1914 م.

وقد كان ترجمته كمايلي: "الله أكبر! ها هو هلال السنة الهجرية الجديدة يُطلُّ علينا مُشعًا بأنواره، يُذكّرنا بتلك اللحظة التاريخية العظيمة، لحظة هجرة النبي ﷺ المباركة. بدأ النور في مكة، ثم انتقل إلى المدينة المنورة ليضيء أرجاء العالم. كان هذا الحدث إيذانًا ببدء حقبة جديدة، حقبة أنارت للإنسانية درجها، وجعلت من الإسلام رسالة عالمية تنبض بالإصلاح الشامل.

الله أكبر! هذا الهلال ذاته يُذكّرنا بالإصلاحات العميقة التي جاء بها الإسلام، والتي امتدت لتشمل البشرية جمعاء. لكننا، كمسلمين، فقدنا بريقنا عندما تقاعسنا عن الاستفادة من هذه البركات، فبدأ الانحدار يسيطر على أحوالنا تدريجيًا حتى وصلنا إلى ما نحن عليه اليوم. ومع نهاية العام الماضي، شعر الجميع بأن الوضع قد بلغ حدًا من الحرج وكأننا ننتظر كارثة تلو الأخرى. ولكننا، مع قدوم هذا العام الجديد، نأمل أن يحمل لنا الخير والبشائر، شريطة أن نعود إلى طريق التوحيد العظيم، ونتخلى عن خلافاتنا وصراعاتنا، ونسير على هدي السنن الطبيعية التي أودعها الله في خلقه.

كانت هجرة النبي ﷺ إعلانًا عن بداية عصر جديد في تاريخ البشرية. إنها ليست حدثًا محدودًا بزمانه ومكانه، بل هي رمز عالمي للإصلاح والتحرر. فالإسلام جاء ليحرر الإنسان من كل أشكال العبودية: عبودية المستبدين، وعبودية الكهنة، وعبودية الأوثان والطبيعة. وأقام نظامًا قوامه الحرية، العدل، والمساواة. لقد ألغى الامتيازات الطبقية والوراثية، واستبدلها بمبدأ التقوى، كما جاء في قوله تعالى: "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ"، ليجعل ذلك القانون قاعدة إنسانية شاملة.

إن المبادئ التي أرسى الإسلام دعائمها ليست مجرد دروس نظرية، بل كانت أساسًا عمليًا للحقوق العامة التي استفادت منها البشرية بدرجات متفاوتة. ومع أن العرب كانوا أول المستفيدين منها بحكم لغتهم وموقعهم، إلا أن بركات الإسلام تجاوزت حدودهم، فأصبحت مصدر إلهام لكل شعوب الأرض. لكن، ويا للعجب، كم من خلف أضاع مجد سلفه!

انظروا إلى الفرنسيين، كيف استلهموا الإصلاحات التي أبدعها أسلافنا في الأندلس، ثم عادوا ليقفوا ضدنا في تلك الأرض نفسها. هذه الحقيقة تُبرز أهمية "عام الهجرة"، الذي كان ينبغي أن يكون ذكرى مشتركة للبشرية جمعاء.

قبل الإسلام، كانت الشعوب تعيش في نزاعات لا تنتهي، ولم يكن هناك رابط مشترك يوحدنا. وإذا ظهر مصطلح، فإن إصلاحه كان يتلاشى قبل أن يعم العالم. أما الإسلام، فقد أحدث تحولًا شاملاً في مسيرة التاريخ، حيث ربط بين حلقات المعرفة والحضارة، سواء المستوحاة من الوحي الإلهي أو المكتشفة بجهود البشر.

بدأت حضارة الإسلام من الشرق في بغداد ودمشق وخراسان، حيث ألف العلماء كتبًا غزيرة المعارف، وانتقل أثرها إلى الغرب، إلى قرطبة وغرناطة. لقد كان الإسلام روحًا إلهية أشعلت نور التعارف بين البشر، كما أشار القرآن الكريم: "وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا".

لا يمكننا أن نتجاهل كيف أعاد المسلمون إحياء العلوم اليونانية بعد اندثارها، ودمجوا النظرية بالتطبيق. كانت الكيمياء العقيمة تتحول بين أيديهم إلى علوم عملية تمهد الطريق للإصلاح الحديث. لقد وضع المسلمون الأسس للمنهج التجريبي الذي قامت عليه النهضة الأوروبية لاحقًا. فالإسلام، في جوهره، ليس مجرد دين، بل هو بداية لعصر حضاري جديد.

في الهجرة الإلهية، نجد درسًا خالدًا للاستقامة الإنسانية. إنها دعوة للحرية والكرامة، وإيمان بأن الأرض الواسعة هي ملاذ المظلومين. عندما اشتد اضطهاد المشركين للمسلمين في مكة، أمر النبي ﷺ أتباعه بالهجرة إلى الحبشة، حيث وجدوا العدل والحرية تحت ظل ملكها النجاشي. كانت الهجرة رسالة واضحة: لا مكان للظلم والإهانة في حياة المسلم.

عندما أشرق نور النبي ﷺ في المدينة المنورة، كان ذلك في يوم الاعتدال الخريفي، إشارة رمزية لعصر جديد قائم على العدل والمساواة. وبينما تعتمد الأمة الإسلامية على السنة القمرية في أمورها الدينية، كان الأجدار بها أن تجعل السنة الشمسية تقويمًا مدنيًا لإدارة شؤونها المادية.

إن ذكرى الهجرة النبوية دعوة متجددة إلى العودة للجذور، إلى قيم الإصلاح والتحرر التي أضاعت بها حضارة الإسلام. لقد كانت الهجرة درسًا خالدًا عن الوحدة والعمل والتغيير، ودعوة للإنسانية لأن تعود إلى المسار الذي يحقق كرامتها. نحن، في كل عام هجري جديد، مدعوون لأن نستخلص من هذه الذكرى عبرًا تعيد إلينا مجدنا الغابر، وتجعلنا نعيش واقعًا أفضل⁴⁰⁸.

الفصل السابع

موقف المولوي عن الإصلاح الديني من مجلة المسلم

إن الإصلاح الديني يمثل أحد أبرز الموضوعات التي شغلت عقول العلماء والمصلحين على مر العصور. فكلما ابتعدت الأمة عن مبادئ دينها الأصيلة وابتلعت في تيار البدع والخرافات، ظهرت الحاجة إلى نداء صادق يعيدها إلى صفاء الدين ونقاؤه. وقد أثبتت التجربة التاريخية أن العودة إلى التعاليم الصحيحة للإسلام هي السبيل الوحيد لإنقاذ الأمة من حالة الضعف والانحطاط. إن هذه المقالة التي كتبها الشيخ

⁴⁰⁸ مجلة المسلم العدد: 3، المجلد: 4، 1913م، مجلة المسلم العدد: 3، المجلد: 5، العام 1914م.

محمد عبد القادر المولوي الوكي في عام 1918م تعد وثيقة تاريخية نادرة تسلط الضوء على أهمية الإصلاح الديني، وتكشف عن التحديات التي واجهتها الأمة الإسلامية في ذلك الوقت.

إن المقالة تعبر عن دعوة ملحة إلى التمسك بجوهر الإسلام، وتنقية العقيدة والممارسات من البدع التي أضعفت روح الدين. ومن هنا تأتي أهمية هذا النص، ليس فقط كجزء من تراثنا الفكري، بل كإرث حي يستنهض همم العلماء والدعاة المعاصرين لمواصلة مسيرة الإصلاح التي بدأها أسلافهم.

يقول المولوي في مقالته⁴⁰⁹: "عندما نشرنا مقالاً بعنوان "الإصلاح الديني" في مجلة الإسلام في السابق، أساء البعض فهم معنى العنوان واعتقدوا أننا ندعو إلى "إصلاح الدين" نفسه، متسائلين ما إذا كنا نحاول تغيير الإسلام. لكن هذا سوء فهم ناجم عن ضعف معرفة اللغة العربية. لم نقم في ذلك الوقت بالرد على هذه الاتهامات، إذ إن المعنى الحقيقي للعنوان لا يحتاج إلى شرح لمن لديه إلمام بالعربية.

لو كان العنوان يعني "إصلاح الدين" بمعنى تغيير جوهر الإسلام، لكان يجب أن يكتب "إصلاح الدين" بدلاً من "الإصلاح الديني". المعنى هنا يتركز على الإصلاح المرتبط بالدين، وليس الدين نفسه. والهدف هو معالجة القصور الذي أصاب ممارسات المسلمين، وإعادة الدين إلى نقائه الأول.

إن حال المسلمين اليوم يعكس بوضوح تراجعهم عن المبادئ الحقيقية للإسلام. لقد أدى هذا التراجع إلى انحطاط الأمة، وما الإصلاح الديني إلا محاولة للتصدي لهذا الانحدار. فالعلماء المصلحون في شتى أنحاء العالم الإسلامي يعملون على تذكير الناس بهذه الحاجة، ويسعون جاهدين لتنقية الدين من الشوائب التي التصقت به عبر القرون.

يرى علماء الإصلاح أن العودة إلى الإسلام النقي تتطلب إزالة البدع والخرافات التي تسربت إلى العقيدة والممارسات. إن الإسلام في جوهره هو الدين الذي مارسه السلف الصالح، والغاية من الإصلاح هي إعادة هذا الصفاء إلى حياة المسلمين. ورغم أن هذه المهمة تتضمن قضايا معقدة ومتعددة الجوانب، فإننا سنركز في هذا المقال على بعض النقاط الأساسية فقط.

من المؤسف أن العقيدة الإسلامية قد تلوثت بوجود العديد من الأفكار والممارسات التي لا تمت إلى الإسلام بصلة، بل إنها تصل في بعض الأحيان إلى مستوى الشرك. فالكثير من معتقدات العامة لا تختلف كثيراً عن معتقدات غير المسلمين، وكثير من البدع التي انتقلت من ديانات أخرى أصبحت تُمارس تحت ستار العبادة الإسلامية. هذه الانحرافات أضعفت الإيمان الحقيقي وأثرت على هوية المسلمين.

⁴⁰⁹ مجلة الإسلام العدد 1، المجلد 1، 1336هـ 1918م شهر رجب.

ومما يزيد الأمر سوءًا أن بعض العلماء يغضون الطرف عن هذه الانحرافات أو يترددون في مواجهتها علنًا. بل إن بعضهم يشارك فيها بوعي أو دون وعي. والأسوأ من ذلك، أن من يحاول الوقوف في وجه هذه البدع يتعرض للاتهام بالتحامل أو يُوصم بأوصاف مثل "وهاي"⁴¹⁰ أو "معتزلي"، مما يشجع الناس العوام على التمسك بممارساتهم الخاطئة.

إذا لم يتم التصدي لهذه الظواهر بشكل جدي، فستزداد قوة هذه البدع وسيصعب اقتلاعها لاحقًا. من الضروري أن يتكاتف العلماء لتوجيه الناس نحو الفهم الصحيح للدين، وإزالة الشوائب التي تعيق تحقيق مقاصده النبيلة.

إن مهمة الإصلاح الديني تبدأ بتوعية الناس بمبادئ الإسلام الحقيقية. يجب أن يكون هذا التعليم واضحًا وشاملاً، بحيث يغطي أسس العقيدة وأهداف الشريعة ومقاصدها. كما أن الأدوات التعليمية، من كتب ومناهج، يجب أن تركز على إحياء روح الإسلام بدلاً من الاكتفاء بالشكل⁴¹¹.

وكما ذكرنا من قبل، لقد تأثر الشيخ محمد عبد القادر المولوي تأثرًا كبيرًا بدعوة الإصلاح والتجديد التي قادها الشيخ رشيد رضا المصري من خلال مجلة "المنار" الشهيرة. لقد كانت مجلة المنار منارة فكرية وحركة إصلاحية عميقة، تسلط الضوء على أهمية العودة إلى الإسلام الصافي ومحاربة البدع والخرافات التي علقت به. ووجد المولوي في أفكار رشيد رضا دعوة تتناغم مع رؤيته الإصلاحية، مما أثر في كتاباته وجعله ينضم إلى تيار الإصلاح الواسع الذي أعلنت به مجلة المنار. كان لهذا التأثير دور كبير في تشكيل فكره ودفعه نحو تسطير هذه المقالة التي تحمل ذات الروح الإصلاحية.

وفي نهاية المقال نبه المولوي بقوله: "يجب أن يدرك العلماء أن مسؤوليتهم تجاه الإصلاح الديني عظيمة. إذا بذلوا الجهد بصدق، فإن البدع ستختفي بمرور الوقت وستعود العقيدة والممارسات إلى نقائها الأول. إن هذا المقال ليس إلا دعوة متواضعة لإعادة التفكير في دور العلماء في مواجهة هذه التحديات، ولعل هذا الصوت يصل إلى من يعنهم الأمر"⁴¹².

⁴¹⁰ وكما أشرنا من قبل أن كلمة "وهاي" "المعتزلي" كانتا تُستخدمان في الهند وآسيا عامة كهيئة يوجهها أعداء الإصلاح لكل من دعا إلى العودة إلى الإسلام النقي الخالص من جديد، أو وقف ضد البدع والخرافات. وقد كانت هذه التسمية أداة شائعة في أيدي المستعمرين الإنجليز، الذين عملوا على زرعها بين المسلمين لتشويه صورة العلماء المصلحين وإضعاف حركات التجديد الإسلامي. وبهذا، أصبحت كلمة "وهاي" تُطلق جزأً على كل من وقف في وجه الاستعمار أو حاول النهوض بالأمة الإسلامية.

⁴¹¹ موجز الترجمة للمقال مجلة الإسلام العدد 1، المجلد 1، 1336هـ 1918م شهر رجب.

⁴¹² نفس المصدر:

ولا شك أن التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في مجال الإصلاح الديني ليست وليدة اليوم، لكنها تزداد تعقيداً مع مرور الزمن. إن المقالة التي كتبها الشيخ المولوي تعكس وعياً عميقاً بأهمية تنقية الدين من الشوائب، وإعادة المسلمين إلى التعاليم الصحيحة التي تعزز وحدتهم وقوتهم.

من الرسالة يتضح أن الهدف الأساسي هو العودة إلى نقاء الدين الذي جاء به السلف الصالح، وإزالة كل ما تسلل إلى الإسلام من بدع وخرافات أثرت على العقيدة والممارسات. إنها دعوة للتجديد بمعناه الصحيح، أي إحياء روح الدين كما كانت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام.

لقد شكلت دعوة الشيخ رشيد رضا ومجلة المنار مصدر إلهام للعديد من العلماء المصلحين، ومنهم الشيخ المولوي. إن الأفكار التي بثها رشيد رضا من خلال كتاباته في المنار أحدثت نهضة فكرية وروحية في العالم الإسلامي، وألهمت جيلاً كاملاً من العلماء لتكريس جهودهم في سبيل تنقية الدين من البدع والخرافات. كانت هذه الدعوة تجسيداً عملياً لمسؤولية العلماء تجاه الأمة.

يبقى الإصلاح الديني مشروعاً طويل الأمد يحتاج إلى جهود مستمرة من العلماء والمصلحين. كما يتطلب مشاركة المجتمع بأسره في تقبل التغيير نحو الأفضل. إن نجاح هذه المهمة ليس مجرد أمل، بل ضرورة للحفاظ على هوية الأمة الإسلامية ورسالتها الحضارية. لعل كلمات الشيخ المولوي تكون إلهاماً لنا جميعاً للسير على خطى الإصلاح والبناء.

الفصل الثامن

البحث عن "الإصلاح الإسلامي" للمولوي الوكّمي

تُعتبر هذه المقالة من أبرز مقالات الشيخ محمد عبد القادر المولوي، حيث نُشرت لأول مرة عام 1930م في مجلة "سهراديوفاهارام" (Sahridayopahaaram) الصادرة عن جمعية "بركات المسلمين". تتناول المقالة قضايا جوهرية تتعلق بإصلاح المجتمع الإسلامي، مركزة على أهمية العودة إلى المبادئ الأساسية للإسلام من القرآن والسنة، وتوضيح السبل التي يمكن من خلالها تحقيق نهضة فكرية وروحية للأمة الإسلامية. كما تقدم خطة شاملة تسلط الضوء على ضرورة إزالة البدع، وإعادة النظر في التشريعات المحدثّة، وتوحيد كلمة المسلمين لمواجهة التحديات المعاصرة.

ويقول المولوي بكلماته قائلا: كما يمكن أن تُحدث تعديلات على آلة ما لتطويرها أو تحسين أدائها، يمكن أيضاً ترميم آلة قديمة وتنظيفها من الشوائب والصدأ لإعادتها إلى حالتها الأصلية، كذلك هو الحال مع

الإصلاح الإسلامي. إن مفهوم الإصلاح في هذا السياق لا يقتصر فقط على استحداث تغييرات جديدة، بل يشمل أيضًا إزالة ما لحق بالدين من شوائب وبدع أضعفت نقاءه، وإعادة إحياء قيمه الأصلية التي جاءت في القرآن والسنة. هذا الترميم الفكري والروحي يعيد الدين إلى حالته النقية ويمنحه القدرة على الاستجابة بفعالية للتحديات المعاصرة⁴¹³.

الدين هو مجموعة من القوانين الروحية التي أوحى الله بها إلى البشر من خلال رسله الكرام. ومع ذلك، فإن هناك من يدّعون أن الأديان ليست إلا ابتكارًا بشريًا. يعتقد هؤلاء أنه كما يمكن للإنسان تحليل القضايا الجسدية والظواهر الطبيعية واكتشاف أسبابها وأثارها من خلال التجربة، يمكنه أيضًا تحليل القضايا الروحية واكتشاف قوانينها. لكن هذا غير صحيح، لأن الروح كيان دقيق وغير مادي لا يمكن للبشر فهم طبيعته بالكامل ولا تحديد القوانين المناسبة له بمحض تفكيرهم. ومن ثم، لا يملك البشر سلطة لسن القوانين الروحية.

ومع ذلك، فإن تطبيق هذه القوانين على أرض الواقع يواجه تحديات متعددة. من أبرز هذه التحديات هو الالتباس الذي قد يحدث عند تفسير النصوص الدينية، ما يؤدي أحيانًا إلى التمسك بآراء اجتهادية خاطئة أو تقليدية لا تتماشى مع المقاصد الحقيقية للشريعة. بالإضافة إلى ذلك، قد يواجه المسلمون صعوبة في الموازنة بين التمسك بالثوابت الشرعية ومواكبة التطورات المعاصرة.

لمعالجة هذه التحديات، يجب أن يكون هناك اجتهاد فقهي مستمر يستند إلى قواعد أصولية واضحة، ويعتمد على فهم عميق للنصوص الشرعية ومقاصدها. كما ينبغي تعزيز التعليم الديني الذي يركز على تنمية القدرة على التفكير النقدي والتمييز بين الأصول الثابتة والاجتهادات البشرية. بذلك يمكن للإصلاح أن يحقق هدفه في الجمع بين الالتزام بالدين ومواكبة العصر.

الإسلام هو الدين الذي أوحى به الله إلى البشرية عبر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم. وهو قائم على القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي توضح ما جاء في القرآن. ولقد أمر النبي صحابته بالحفاظ على نقاء الدين ومنع إدخال أي تغييرات عليه قائلًا: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"⁴¹⁴.

⁴¹³ In the 1930s, the periodical *Sahridayopaharam*, in Malayalam published under the editorship of E.M. Habeeb Muhammad from Idavay in Kollam district, Kerala, featured writings from several prominent figures, including E.K. Moulavi. One of the articles in *Sahridayopaharam* written by him addressed the un-Islamic customs among Kerala Muslims. The article openly criticized the superstitions and immoral practices prevalent within the community. This pointed from the Malayalam article "The Reformer who Raised the Pen as a Sword," was quoted in the *Nerpatham Malayalam Weekly* from Calicut on November 9, 2024, by P.O. Umar Farooq from Thirurangadi Kerala.

⁴¹⁴ الحديث رقم 1718 في صحيح مسلم

وفي بداية الإسلام، كان الصحابة والتابعون ملتزمين بحماية نقاء الدين، لكن مع مرور الوقت بدأ الالتزام يتراجع، مما أدى إلى ظهور انقسامات وتفسيرات خاطئة. ويمكن تلخيص التحديات التي واجهت الإسلام في ثلاث نقاط رئيسية:

1. الطوائف والانقسامات: بالرغم من تأكيد القرآن على الوحدة وتحذيره من الانقسام، فقد ظهرت طوائف متعددة داخل الأمة الإسلامية. استندت هذه الطوائف إلى تفسيرات انتقائية للقرآن والأحاديث لتحقيق أهدافها الخاصة، مما أدى إلى تشويه صورة الإسلام وإضعاف وحدته.
2. زيادة القوانين والقيود: الإسلام في جوهره دين يسر وسهولة، كما يقول القرآن: "مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ" (سورة الحج، الآية: 78) ومع ذلك، قام الفقهاء بإضافة قوانين كثيرة بناءً على اجتهاداتهم وآرائهم، مما جعل تطبيق الدين أمرًا معقدًا وصعبًا على الناس العاديين.
3. البدع والممارسات الجديدة: حذّر النبي صلى الله عليه وسلم من إدخال أمور جديدة في الدين لم تكن موجودة في زمنه. ومع ذلك، ظهرت ممارسات جديدة واعتُبرت جزءًا من الدين، مما أدى إلى تشويه تعاليمه الأصلية.

الإصلاح الإسلامي يعني تنقية الدين من هذه التشوهات والعودة به إلى نقائه الأصلي. الإصلاح لا يعني فقط التصحيح الروحي، بل هو أيضًا مفتاح لتحسين الحالة العقلية والمادية للمسلمين. فالعودة إلى الإسلام الحقيقي ستعيد للأمة وحدتها وقوتها وتقديرها.

منهج الإصلاح

لتحقيق الإصلاح، يجب نشر تعاليم القرآن والسنة بين الناس، وتوضيح الأخطاء التي تتعارض مع هذه التعاليم، ودعوة المسلمين إلى تبني الكتاب والسنة كمرجع وحيد في العقيدة والعمل. يمكن تحقيق ذلك من خلال الخطب، والنشر في الصحف والمجلات، وتأليف الكتب وتوزيعها، وإصلاح المناهج التعليمية في المدارس الدينية لتكون قائمة على القرآن والسنة فقط.

يجب أن يتميز المصلحون الدعاة بالمعرفة الدينية العميقة، والنزاهة، والإخلاص، والصبر، والقدرة على التوضيح والرد على الانتقادات بطريقة عادلة. وينبغي أن تكون هناك تنظيمات متماسكة لدعم هذه الجهود، مثل "أهل الحديث" في شمال الهند⁴¹⁵.

⁴¹⁵ جماعة أهل الحديث أقدم الحركات الإسلامية في شبه القارة الهندية. قامت على الدعوة لاتباع الكتاب والسنة وفهمهما على ضوء فهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وتقديمهما على كل قول وهدي سواء كان في العقائد أو العبادات أو المعاملات أو الأخلاق أو السياسة والاجتماع، على طريقة الفقهاء المحدثين، ومحاربة الشريكات والبدع والخرافات بأنواعها. وأما عقيدة أهل الحديث هي عقيدة السلف الصالح نفسها، المبنيّة على الكتاب والسنة، وتقوم الأصول العلمية والقواعد المنهجية لجماعة أهل الحديث على التوحيد. التوحيد هو أصل الدين يبدأون علمهم بنشر التوحيد الخالص وغرسه في قلوب الناس، مع تفصيل أنواع التوحيد الثلاثة وخاصة توحيد الألوهية الذي يخطئ فيه كثير من الناس، مع إيمانهم بتوحيد الربوبية. الاتباع: أهل الحديث يركزون على اتباع ما صح عن النبي صلى الله عليه

بالرغم من صعوبة المهمة، فإن هناك بوادر إيجابية تشير إلى استعداد المسلمين للإصلاح. حركة الإصلاح بدأت بالفعل في مناطق متعددة، وهناك أمل في أن تحقق نتائج ملموسة في المستقبل.

أهمية الوحدة

يشدد القرآن الكريم على أهمية الوحدة بين المسلمين وتجنب الفرقة، كما في قوله تعالى: "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا" (سورة آل عمران، الآية: 103) ومع ذلك، فإن الانقسامات المذهبية والانحرافات الفكرية أدت إلى إضعاف الأمة الإسلامية. ينبغي للمسلمين أن يعودوا إلى تعاليم الإسلام الحقيقية التي تجمعهم وتوحد كلمتهم.

إزالة البدع

أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى خطورة البدع في الدين وأمر باتباع السنة فقط. يقول: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ"⁴¹⁶. ولذا، يجب أن يعمل المسلمون على التخلص من البدع والعودة إلى التعاليم النقية للإسلام.

التيسير في التشريعات

الإسلام دين يسر، ولا ينبغي أن يكون التعقيد سمة له. ينبغي إعادة النظر في التشريعات المحدثثة التي جعلت الدين صعب التطبيق، والعودة إلى التعاليم الأصلية التي تقوم على التيسير.

دور المصلحين

المصلحون هم العمود الفقري لأي حركة إصلاحية. يجب أن يكون لديهم إلمام عميق بتعاليم الإسلام، وأن يتحلوا بالشجاعة لمواجهة التحديات، وأن يعملوا بروح التعاون والاحترام المتبادل. يجب أن تكون لديهم القدرة على إقناع الناس بالحجة والمنطق، وأن يكونوا قدوة حسنة في حياتهم. الإصلاح الإسلامي ليس مجرد فكرة، بل هو واجب ديني ومجتمعي لتحقيق نهضة الأمة الإسلامية.

وسلم على ضوء فهم السلف الصالح، ولذلك لا يرون التقليد الجامد الذي يدعو إلى الالتزام بمذهب فقهي معين بدون سؤال عن الدليل، بل ينادون بفتح باب الاجتهاد لكل من تحققت لديه شروطه، ويدعون إلى احترام العلماء المجتهدين والأئمة المتبعين بشكل خاص. تقديم النقل على العقل: يقدمون الرواية على الرأي، حيث يبدأون بشرع ثم يخضعون له العقل، لأنهم يرون أن العقل السليم يتفق مع نصوص الشرع الصحيحة ولذلك لا تصح معارضة الشرع بالعقل ولا تقديمه عليه. التزكية الشرعية: أي تزكية النفس تزكية شرعية، بحيث يتخذ لها الوسائل المشروعة التي جاء بها الكتاب والسنة، وينكرون على اتباع التزكية البدعية سواء كانت صوفية أو غيرها. التحذير من البدع: لأنهم يرون أن أمر الابتداع في الحقيقة استدراك على الله وتشريع بالرأي والعقل، ومن ثم يدعون إلى الالتزام بالسنة وتجنب أنواع البدع كلها. التحذير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة: فإن خطورة هذا النوع من الحديث كبيرة على الأمة، فلا بد من التحري في الحديث المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وخاصة فيما يتعلق بالعقائد والأحكام. موجز من كتاب: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة" (ص 173-185).

⁴¹⁶ سنن أبي داود، رقم الحديث 4607.

الفصل التاسع

تأثير مجلة المنار ومحرريها على الحركات العالمية

من الجدير بالذكر أن أفكار الإصلاح الإسلامي التي طرحها الشيخ محمد عبد القادر المولوي تتقاطع مع الأفكار التي قدمها الشيخ رشيد رضا في مجلة "المنار" التي صدرت في مصر. كلاهما ركز على أهمية العودة إلى القرآن والسنة كأساس للإصلاح، وضرورة التخلص من البدع التي شوهت صورة الإسلام.

إلا أن الشيخ رشيد رضا تناول أيضاً قضايا سياسية واجتماعية بشكل أكثر تفصيلاً، مثل أهمية إنشاء حكومة إسلامية عادلة ودور العلماء في قيادة الأمة. بينما كان تركيز الشيخ المولوي منصباً بشكل أكبر على الجانب الروحي والتعليمي للإصلاح.

كما أن مجلة "المنار" لعبت دوراً بارزاً في نشر الوعي الإصلاحي في العالم الإسلامي من خلال مقالاتها التي استهدفت جمهوراً واسعاً، وهو ما يشبه جهود الشيخ المولوي في نشر الوعي من خلال المقالات والمحاضرات. يمكن القول إن كلا النهجين يكملان بعضهما البعض في تحقيق الهدف المشترك وهو نهضة الأمة الإسلامية.

في عام 1930م، كانت حركة أهل الحديث في الهند واحدة من أبرز الحركات الإصلاحية التي سعت إلى تطهير العقيدة الإسلامية من البدع والعودة إلى تعاليم القرآن والسنة. تأسست هذه الحركة على أيدي علماء مخلصين، ومن بينهم الشيخ سيد نذير حسين الدهلوي والشيخ ثناء الله الأمرتسري، الذين لعبوا دوراً كبيراً في نشر مبادئ التوحيد ومحاربة الخرافات التي انتشرت بين المسلمين.

تميزت حركة أهل الحديث بالتركيز على التعليم الديني ونشر الفقه المستند إلى النصوص الشرعية بعيداً عن التقليد المذهبي. كما أنشأت العديد من المدارس والمعاهد الدينية التي خرّجت علماء قادرين على الدعوة إلى الإصلاح. ونتيجة لهذا الجهد، انتشرت أفكار الحركة في مختلف أقاليم الهند، حيث ألهمت المسلمين لإعادة التفكير في معتقداتهم وسلوكياتهم.

كان قادة هذه الحركة يتمتعون بحس قيادي قوي، حيث استطاعوا بناء شبكة واسعة من العلماء والدعاة الذين نشروا أفكار الإصلاح في القرى والمدن. ومن أبرز إنجازاتهم أيضاً إصدار العديد من الكتب والمنشورات التي قدمت حججاً قوية ضد البدع والانحرافات الدينية.

تأثرت حركة أهل الحديث في الهند وغيرها بفكر الإصلاح الذي نادت به شخصيات مثل الشيخ رشيد رضا ومجلة المنار، حيث كانت هناك نقاط تقاطع واضحة بين الحركتين⁴¹⁷. فقد دعت كلاهما إلى العودة إلى القرآن والسنة وإحياء الاجتهاد، مع رفض التقليد الأعى والتعصب المذهبي. كذلك ركزت الحركتان على أهمية التعليم الديني كأساس لإصلاح المجتمع.

ساهمت حركة أهل الحديث في إحداث تغيير كبير في الوعي الإسلامي في الهند، حيث شجعت المسلمين على تبني الفكر النقدي والاعتماد على النصوص الشرعية كمصدر وحيد للتشريع. وكان لهذا الأثر صدى عالمي، حيث ألهمت الحركة العديد من الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي، مما جعلها جزءاً مهماً من تيار النهضة الإسلامية في القرن العشرين.

لا يمكن إنكار التأثير الكبير الذي أحدثته مجلة "المنار" ومحررها الشيخ رشيد رضا على الحركات الإصلاحية الإسلامية في العالم. فمنذ إصدارها في مطلع القرن العشرين، كانت المجلة منبراً للفكر التجديدي الذي يدعو إلى العودة إلى أصول الإسلام⁴¹⁸. وقدمت المجلة نقاشات معمقة حول قضايا معاصرة، مثل الاستعمار، والتعليم، والنهضة الاجتماعية، مما ألهم العديد من المفكرين والمصلحين في أنحاء العالم الإسلامي.

ركزت المجلة على أهمية التمسك بالقرآن والسنة كمرجع رئيسي، مع رفض التقليد الأعى الذي يعوق التفكير الحر والإبداع. كما دعت إلى تأسيس حكومات إسلامية تقوم على العدل والشورى، وأثارت نقاشات حول حقوق المرأة ودورها في المجتمع. كان لهذه الأفكار أثر كبير على الحركات الإصلاحية في الهند، وتركيا، وشمال إفريقيا، وبلاد الشام⁴¹⁹.

لقد شكلت المقالات من مجلة المنار مرجعاً رئيسياً للمصلحين الذين تأثروا بأفكار رشيد رضا وساهموا في نشر هذا الفكر في مجتمعاتهم. ومن خلال هذه النقاشات، ساعدت المجلة على خلق وعي جديد بضرورة التغيير والإصلاح كجزء من نهضة الأمة الإسلامية، كما هو الحال للشيخ محمد عبد القادر الوگي.

⁴¹⁷ "التقليد وأثره على الأمة الإسلامية" مجلة المنار - العدد 12، 1921م.

⁴¹⁸ "ضرورة العودة إلى منهج السلف في الإصلاح" - مجلة المنار: العدد 8، 1925م.

⁴¹⁹ "الإسلام والحضارة الحديثة" مجلة المنار - العدد 15، 1930م.

الفصل العاشر

مقارنة آرائه مع مجلة المنار وتأثيرات دعوة ابن عبد الوهاب

يُعد موضوع التوحيد والشرك من أبرز القضايا التي تناولتها مجلة "المنار" التي أسسها الشيخ محمد رشيد رضا. ركزت المجلة على تصحيح المفاهيم الإسلامية وتنقية العقيدة من البدع والخرافات، متأثرة بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد. وفي مقالاته، شدد الشيخ رشيد رضا على أهمية التوحيد الخالص والتحذير من الشرك بأشكاله المختلفة، مثل التوسل بغير الله والاعتقاد في القوى الخارقة لبعض الأشخاص. كما تناولت المجلة الدعوة إلى العودة إلى القرآن والسنة ونبد التقليد الأعمى.

من أمثلة المقالات البارزة في مجلة "المنار":

1. مقالة تناولت خطر بناء الأضرحة والتبرك بها، والتي أكدت أن هذه الممارسات تتعارض مع مفهوم التوحيد⁴²⁰.
2. مقالات تناقش أهمية ترك الوساطة بين الله وعباده، مع التأكيد على الدعاء المباشر لله⁴²¹.
3. مقالات تتعلق بإصلاح المجتمع الإسلامي وتنقيته من الخرافات، مثل التبرك بالأولياء⁴²².
4. تناول المجلة لقضية حق التشريع لله وحده ورفض إعطاء هذا الحق لأي كائن مخلوق⁴²³.
5. مقالات تستعرض تأثيرات الدعوة الوهابية ودورها في إعادة إحياء العقيدة السلفية⁴²⁴.

⁴²⁰ المقالة التي تناولت موضوع الأضرحة ورفض التبرك بها في مجلة "المنار" المصرية هي من ضمن مجموعة المقالات التي كتبها الشيخ سيد رشيد رضا، وهي مقالة تم نشرها في العدد رقم (432) من المجلة في السنة 1926. في هذه المقالة، تناول السيد رشيد رضا خطورة بناء الأضرحة والتبرك بها، مؤكداً على أن هذه الممارسات تتعارض مع مبدأ التوحيد في الإسلام بالتفصيل.

⁴²¹ "أهمية الدعاء المباشر لله ورفض الوساطة" مجلة "المنار"، العدد (536)، 1928. تناولت المقالة رفض الوساطة بين الله وعباده، والتأكيد على أن التوحيد في الدعاء لا يتم إلا بالرجوع إلى الله مباشرة.

⁴²² "إصلاح المجتمع الإسلامي وتنقيته من الخرافات مثل التبرك بالأولياء" مجلة "المنار"، العدد (552) 1929 م. تناولت المقالة ضرورة إصلاح المجتمع الإسلامي بتنقية العقيدة من الخرافات مثل التبرك بالأولياء والأضرحة، ودعت إلى التوحيد في العبادة.

⁴²³ "حق التشريع لله وحده ورفض إعطاء هذا الحق لأي كائن مخلوق" مجلة المنار، العدد: 623، عام 1932 م. ناقش المقال مسألة التشريع في الإسلام وأكد على أن التشريع هو من حق الله وحده، ورفض محاولات إعطاء هذا الحق للسلطات البشرية أو أي مخلوق آخر.

⁴²⁴ "تأثير الدعوة الوهابية ودورها في إحياء العقيدة السلفية"، مجلة "المنار"، العدد (482)، 1927. تناول المقال تأثير الدعوة الوهابية في نشر العقيدة السلفية، ودورها في إحياء الفكر التوحيدي وتنقية المجتمعات من الممارسات الشركية والخرافات.

تأثرت مقالات "المنار" بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حيث سعى السيد رشيد رضا إلى نشر مبادئ التوحيد ومحاربة الشرك والبدع. وقد أسهمت المجلة في نشر الفكر الإصلاحى في العالم الإسلامى، مما أدى إلى تأثيرها في مناطق متعددة مثل إندونيسيا والهند والدول الإفريقية وغيرها.

بالإضافة إلى ذلك، ناقشت المجلة قضايا معاصرة تتعلق بالتوحيد والشرك، مثل بناء الأضرحة والتبرك بها، مؤكدة أن هذه الممارسات تتعارض مع مفهوم التوحيد. ومن خلال هذه المقالات، سعت مجلة "المنار" إلى توعية المسلمين بأهمية التوحيد وضرورة الابتعاد عن الممارسات التي قد تؤدي إلى الشرك، مما جعلها منبراً مهماً للإصلاح الدينى في العالم الإسلامى.

الفصل الحادى عشر

بحث المولوى عن التوحيد والشرك من مجلة "الإسلام"

يقول المولوى في بحثه عن أهمية التوحيد وخطورة الشرك: "جميع المسلمين يلتزمون بالشهادة "لا إله إلا الله وحده لا شريك له". وبالتالي، فإن أساس دين الإسلام هو التوحيد، ويُعد الشرك نقيضه المباشر. لا أحد من المسلمين يجهل هذا الأساس، وهم يعتقدون اعتقاداً جازماً بأن التوحيد هو السبيل الوحيد للنجاة، وأن الشرك من أكبر الكبائر. ولهذا، يُحب المسلمون مصطلح "المُؤَجَّد"، ويبغضون مصطلح "المُشْرِك"⁴²⁵.

ومع ذلك، تسلت العديد من المعتقدات والممارسات المناقضة للتوحيد إلى عامة المسلمين. وهذا واقع لا يمكن لأي صاحب علم ديني إنكاره. لكن المشكلة تكمن في أن هؤلاء الأشخاص الذين يتبعون هذه المعتقدات والممارسات لا يدركون أنها تناقض التوحيد، بل يعتبرونها جزءاً من الدين. وبناءً على ذلك، يرون أن من يُدين هذه الأفعال هو المخطئ في الدين. وقد ترسخت هذه المعتقدات والممارسات بينهم كجزء من التراث والتقاليد.

إن هذا الإهمال في مواجهة الشرك أمر يثير الأسى، حيث إن علمائنا لم يولوا الشرك ما يستحقه من الاهتمام. وقد أدى السكوت عن هذا الأمر إلى تفاقمه بمرور الزمن، بالإضافة إلى بعض التفسيرات الخاطئة التي ساهمت في تعقيد المسألة.

⁴²⁵ مجلة الإسلام العدد 5، المجلد 1، ذوالقعد 1336هـ أغسطس 1918م.

يجب على المسلمين أن يخشوا الشرك كما يخشون السم القاتل، بل أكثر من ذلك. فالسم يقتل الجسد الفاني، بينما يؤدي الشرك إلى هلاك الروح الخالدة. إن أي ممارسات أو معتقدات تناقض التوحيد والتي تسلت إلى المسلمين هي نتيجة الجهل بحقيقة الشرك.

ويتابع المولوي قوله: يفهم كثير من الناس الشرك فقط باعتباره عبادة الأصنام، لكنهم لا يدركون أن الشرك يتخذ أشكالاً أخرى، مثل الاعتقاد في قوى خارقة لدى بعض الأشخاص أو الكائنات. كما أن بعض المسلمين يبررون عبادة شخصيات عظيمة على أنها ليست شركاً، مما يظهر مدى الجهل بخطورة هذا الأمر⁴²⁶.

يقول المولوي: التوحيد يعني الإيمان بوحداية الله في ألوهيته وربوبيته. قال تعالى: "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ" (آل عمران: 64). في هذه الآية، يُعرّف التوحيد بالنفي والإثبات: نفي عبادة غير الله، وإثبات العبادة لله وحده.

وينقسم المولوي التوحيد إلى نوعين كما قسمها أسلافه:

1. توحيد الألوهية: الإيمان بأن العبادة لا تصرف إلا لله وحده.
2. توحيد الربوبية: الإيمان بأن الله هو الخالق والمدبر لشؤون الكون، وهو وحده الذي يملك حق التشريع.

وبالمثل، ينقسم الشرك إلى نوعين:

1. شرك في الألوهية: صرف العبادة لغير الله.
2. شرك في الربوبية: الاعتقاد بأن هناك من يشارك الله في تدبير شؤون الكون أو في حق التشريع.

توحيد الألوهية

توحيد الألوهية يعني الاعتقاد بأن الله وحده هو المستحق للعبادة. العبادة تشمل الدعاء والخضوع والتذلل لله. وقد جاء في الحديث: عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الدعاء هو العبادة"⁴²⁷، ثم قرأ: قال ربكم / دعوني / استجب لكم (سورة غافر: 60) الدعاء هو أسمى صور العبادة لأنه يجسد الخضوع الكامل لله.

ومن أشكال الشرك في الألوهية:

- الاعتقاد بأن بعض المخلوقات لها قوى خارقة تمكنها من جلب النفع أو دفع الضرر.

⁴²⁶ نفس المصدر

⁴²⁷ سنن الترمذي (رقم 3372).

- عبادة الأشخاص أو الكائنات باعتبارهم وسطاء بين الله والبشر، كما كان يفعل المشركون الذين قالوا: "مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى" (الزمر: 3).

توحيد الربوبية

توحيد الربوبية يعني الإيمان بأن الله هو المدبر لكل شيء، وأنه الوحيد الذي يملك حق التشريع. قال تعالى: "إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ" (يوسف: 40). وبالتالي، فإن منح حق التشريع لغير الله يُعد شركاً في الربوبية.

وقد وقع أهل الكتاب في هذا النوع من الشرك، حيث قال تعالى عنهم: "اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ" (التوبة: 31). عندما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، قال: "أليس يُحرمون ما أحل الله فتُحرمونه، ويُحلون ما حرم الله فتُحلونه؟" فقال عدي بن حاتم: "بلى". (رواه الترمذي).

أهمية نشر التوحيد

على العلماء والدعاة أن يعملوا على توعية الناس بحقيقة التوحيد والشرك، باستخدام كل الوسائل المتاحة من خطب ومحاضرات ومقالات، لتصحيح المفاهيم المغلوطة بين عامة المسلمين. يجب أن يدرك الجميع أن التوحيد هو أساس الدين، وأن أي انحراف عنه يؤدي إلى الشرك، وهو الخطر الأكبر الذي يجب الحذر منه.

لقد كان موضوع التوحيد والشرك أحد أعظم القضايا التي شغلت أذهان العلماء والمفكرين على مر العصور، نظراً لأهميته المركزية في العقيدة الإسلامية. ومن بين أبرز الذين تناولوا هذا الموضوع بعمق وفصاحة الشيخ محمد عبد القادر المولوي الوكّعي، حيث نشر مقاله القيم في مجلة "الإسلام"⁴²⁸، متناولاً هذا الجانب الجوهرى من الدين بمنهجية علمية وأسلوب رصين.

وفي مقاله هذا، يسلط الشيخ المولوي الضوء على الفارق الجوهرى بين التوحيد والشرك، بأسلوب يفيض بلاغة ويعتمد على الأدلة الواضحة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. ويأتي هذا المقال ليس فقط ليزيل اللبس عن بعض المفاهيم المغلوطة، بل ليؤكد على خطورة الشرك باعتباره من أعظم الكبائر التي تهدد نجاة الإنسان في الدنيا والآخرة.

ومن خلال استعراض هذا المقال القيم، يشير الشيخ الوكّعي إلى نقطة مهمة، يدرك القارئ أهمية التوحيد باعتباره أساس الدين، وكيف يمكن للشرك أن يتسلل إلى النفوس عبر الجهل أو العادات والتقاليد. ولعل

⁴²⁸ مجلة الإسلام العدد 5، المجلد 1، ذوالقعد 1336هـ أغسطس 1918م.

هذا العمل الذي نقدمه هنا يُعد دعوة للتأمل والتدبر في معاني التوحيد الخالص لله عز وجل، ويحث المسلمين على تعزيز وعيهم الديني بأسلوب مبسط ومباشر.

يقول المولوي عن حال المسلمين في كيرلا، يواجهون تحديات كبيرة في الحفاظ على صفاء التوحيد ونقائه، حيث تسلت إليهم العديد من الخرافات والممارسات التي تُناقض العقيدة الصحيحة. فقد غرق كثيرون في ممارسات تعكس الشرك، كالترك بالآضرحة وطلب الحاجات من الموتى، فضلاً عن انتشار الاعتقاد في القوى الخارقة للأولياء والصالحين. هذا بالإضافة إلى الجهل العام بحقائق الدين وأصوله، مما جعل هذه الممارسات تُعتبر جزءاً من الدين لدى البعض.

أما العلماء والرهبان من المسلمين، يلاحظ الشيخ الوكّمي بأسى، فبعضهم وللأسف لم يكتفوا بالصمت تجاه هذه الجهالات، بل ذهبوا إلى تأييدها بدعوى احترام العادات والتقاليد، أو بسبب الخوف من فقدان الشعبية بين الناس. هذا الموقف زاد من ترسيخ هذه الممارسات الخاطئة في المجتمع، وجعل من الصعب على الدعاة المخلصين تصحيح هذه المفاهيم.

إن هذا الوضع يستدعي من العلماء المخلصين والدعاة الصادقين المولوي مقالته بنبرة دعوة صادقة، أن يبذلوا جهوداً مضاعفة لتوعية الناس بخطورة الشرك وضرورة العودة إلى التوحيد الخالص. عليهم أن يستخدموا كل الوسائل الممكنة لنشر الوعي الصحيح، وتصحيح المفاهيم المغلوطة التي تُهدد صفاء العقيدة الإسلامية.

الفصل الثاني عشر

مقالة المولوي عن "الحالة العامة للمسلمين" في مجلة المسلم

مجلة المنار التي أسسها وحررها العلامة السيد رشيد رضا كانت واحدة من أبرز المجالات الفكرية في العالم الإسلامي في أوائل القرن العشرين. انطلقت المجلة عام 1898 في مصر، وركزت على نشر الفكر الإصلاحي والإسلامي المعتدل، ودعمت حركات النهضة والتجديد الديني. تميزت مقالات السيد رشيد رضا بجمعها بين التراث الإسلامي والحداثة، وقد تبنى فيها رؤية إصلاحية تهدف إلى تجديد فهم المسلمين لدينهم، من خلال التركيز على العودة إلى أصول الشريعة، والتحليل العقلاني للنصوص الدينية، وتحقيق العدالة الاجتماعية. كان لهذا المنهج أثر كبير في تحفيز حركة الإصلاح في العالم العربي والإسلامي.

إن من الأمور التي تُقلق النفس وتبعث على التفكير العميق هي حالة التراجع التي تعيشها الأمة الإسلامية في ذلك اليوم، وهي ليست حالة طارئة وإنما امتداد لمسار طويل من الانحراف عن مقاصد الدين ومبادئه. قد نشر هذا المقال أول مرة عام 1918 في مجلة "الإسلام" باللغة العربية الملبارية، بقلم العلامة وكم محمد

عبد القادر المولوي. وتناولت المقالة تحليلًا دقيقًا لأوضاع المسلمين آنذاك، وهي أوضاع ليست بعيدة كثيرًا عن أوضاعنا اليوم.

يشير الشيخ المولوي قائلًا عن أهمية الموضوع: "لقد بات واضحًا أن العالم يشهد تحولًا جذريًا، حيث إن الشعوب في سباق محموم لتحسين أحوالها والارتقاء بمجتمعاتها. لا يمكن للأمة الإسلامية أن تبقى بمعزل عن هذه التغيرات. فالتحديات التي تواجهها اليوم ليست فقط انعكاسًا للظروف المعاصرة، بل هي تراكم لسنوات من الإهمال والانحراف عن القيم التي تمثل جوهر الدين الإسلامي"⁴²⁹.

وأضاف الشيخ المولوي: "إن حالة الأمة الإسلامية في هذه المرحلة تستدعي وقفة تأمل وتحليل. كيف لنا أن نعيد بناء ما تهدم، وكيف نستعيد مكانتنا التي فقدناها؟ هذه ليست مجرد تساؤلات عابرة، بل هي صرخة استغاثة تدعو كل مسلم إلى إعادة النظر في دوره ومسؤوليته تجاه دينه ومجتمعه".

يشير المولوي قائلًا عن أهمية موضوع التغير العالمي: "لقد بدأ العالم عصرًا جديدًا منذ زمن ليس ببعيد، ومع كل يوم يمر، تزداد سرعة هذا التغير. أصبح الناس غير راضين عن أساليب الحياة التقليدية، وراحوا يتطلعون إلى حياة جديدة أكثر تطورًا. تتنافس المجتمعات فيما بينها لتحصيل كل ما يلزم لتحقيق نهضتها، حيث يعمل كل مجتمع بجد لزيادة مستوى التعليم، وتعزيز التدين، والتمسك بالاستقامة الأخلاقية، وتقوية الروابط الاجتماعية، وتحقيق الوحدة، وتنمية روح العمل الجاد، وتشجيع الصناعات والابتكار. وقد أصبح العلماء والمفكرون في كل مجتمع يتصدرون المشهد، مكرسين أوقاتهم وجهودهم، بينما ينفق الأغنياء أموالهم لدعم هذه النهضة. لم يعد هناك مجتمع في العالم اليوم يخلو من هذه الحركية.

لكن، أين نحن من كل هذا؟ إن أحوال العالم لم تستطع بعد أن توقظنا من سباتنا العميق. إذا نظرنا إلى وضعنا في مجال التعليم، سنجد أننا ما زلنا متأخرين بشكل كبير. يبدو أننا لم ندرك بعد مدى تخلفنا التعليمي، أو ربما لا نعتبر ذلك مشكلة تستدعي القلق. أصبح هذا التأخر حقيقة قديمة لا تحرك مشاعرنا. بل إن القليلين فقط من بين أصحاب المناصب والمكانة الاجتماعية يحاولون جاهدين تحفيز الناس على التعلم، إلا أن جهودهم غالبًا ما تُقابل بالتجاهل أو تصطدم بعدم توفر الدعم اللازم لتحقيق النجاح"⁴³⁰.

وكما أشار إليها المولوي في كلمته عن الدين: "أما فيما يخص وضعنا الديني، فإن الإسلام، ذلك الدين الذي نؤمن بأنه أضاء للعالم طريقه وقدم له القيم التي تحقق السعادة في الدنيا والآخرة، لم يعد يظهر بنفس البريق في حياتنا اليومية كما كان يظهر في حياة أسلافنا. يكاد ارتباطنا بالدين يقتصر على المظاهر الخارجية فقط. هل قمنا بجهود حقيقية لنشر الوعي الديني وغرس القيم الإسلامية في نفوس أجيالنا؟ هل أنشأنا

⁴²⁹ مجلة المسلم العدد 1، المجلد 1، شهر رجب 1336، إبريل 1918م.

⁴³⁰ مجلة المسلم العدد 1، المجلد 1، شهر رجب 1336، إبريل 1918م.

المؤسسات التي تحمي قدسية الدين وتنتشر علومه؟ بينما تقوم أديان أخرى بإنفاق الأموال الطائلة لإنشاء مؤسسات تعمل على نشر أفكارها وتعاليمها، نجد أننا نفتقر حتى إلى الجهود البسيطة في هذا الاتجاه.

يقول الله تعالى: "وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (سورة آل عمران: 104)، هذه الآية الكريمة تحمل تكليفاً إلهياً بأن تكون منا جماعة تسعى لنشر الخير، وتأمراً بالمعروف، وتنهى عن المنكر. ولكن أين نحن من هذا التكليف؟ للأسف، كثيراً ما نرى الغيرة على الدين تُستخدم في إثارة الخلافات أو تحقيق المصالح الشخصية".

وكما أكد المولوي في رؤيته عن الوحدة: "فيما يتعلق بالوعي الاجتماعي، فإن مفهوم الجماعة يكاد يكون غائباً عنا. بالرغم من استخدامنا لعبارات مثل "الأمة الإسلامية" و"المؤمنون إخوة"، إلا أن هذه العبارات فقدت معناها الحقيقي وأصبحت مجرد كلمات نرددها دون إدراك لمعانها العميقة. لقد ضاعت الروح الجماعية، وحل محلها الفردية والأنانية. وإذا نظرنا إلى حالة الوحدة، فسنجد أننا في كل الأمور تقريباً منقسمون. الخلافات لا تقتصر على المجتمعات، بل تمتد إلى الأسر والعائلات.

إن الوضع الحالي الذي تعيشه الأمة الإسلامية هو نتيجة طبيعية لهذه الانقسامات. نحن اليوم "أفراد مسلمون" أكثر من كوننا "أمة مسلمة". لقد فقدنا الكثير من القيم التي كانت تجعلنا مجتمعاً متماسكاً وقوياً. أما العمل والاجتهاد، فإن عدد العاطلين عن العمل أو المتكاسلين الذين يعتمدون على جهود الآخرين لكسب لقمة العيش في ازدياد. لقد أصبح الكسل والتواكل من السمات البارزة في مجتمعاتنا"⁴³¹.

وكما اختتم المولوي مقاله بنداء مخلص: "أيها الإخوة، تخلوا عن اليأس والخرافات التي تعيق تقدمكم. تذكروا أنكم أهل التوحيد، وأنكم أكثر أهل الأرض استحقاقاً للريادة والتميز. اعملوا على إعادة إحياء روح الإسلام في قلوبكم. اجعلوا سلوككم وأعمالكم نموذجاً يعكس عظمة هذا الدين. استعيدوا مكانتكم كمجتمع قدوة للأمم. لا تدعوا اليأس يسيطر عليكم، ولا تصغوا للأصوات التي تدعوكم إلى السكون والاستسلام. إن الإسلام دين حي، وقد وُجد ليبقى قوياً ومؤثراً. اعملوا بجِد وتعاونوا فيما بينكم لتحقيق النهضة التي تعيد لهذه الأمة مكانتها المستحقة. إنه واجبكم تجاه دينكم وتجاه أجيالكم القادمة".

وفي نهاية المطاف، يشير الشيخ المولوي إلى أهمية الوعي والنهضة، قائلاً: "إن التغيير الحقيقي يبدأ من الداخل، من إدراك الفرد لمسؤوليته تجاه دينه ومجتمعه. لا يمكن للأمة الإسلامية أن تستعيد مجدها إلا إذا تضافرت جهود جميع أفرادها، وأصبحوا يداً واحدة تعمل لهدف واحد." وأضاف: "إن قيم الإسلام

⁴³¹ مجلة المسلم العدد 1، المجلد 1، شهر رجب 1336، إبريل 1918م.

تحمل في طياتها الحلول لكل مشكلاتنا، من الوحدة إلى العلم، ومن العمل إلى الأخلاق. علينا أن نعمل بإخلاص وتفانٍ لإحياء هذه القيم في حياتنا اليومية، ولنجعلها نبراساً يضيء طريقنا نحو مستقبل مشرق⁴³².

وأما مقالات المولوي، مثل مقاله "حالة التعليم في مجتمعنا"، تحمل نفس الروح الإصلاحية التي ظهرت في المنار، حيث دعا رشيد رضا إلى تعزيز التعليم كوسيلة لإحياء الأمة الإسلامية. على سبيل المثال: مقالة رشيد رضا بعنوان "التعليم مفتاح النهضة" في المنار⁴³³ تناقش كيف يمكن للتعليم أن يكون أساس النهضة، وهو ما أكدّه المولوي في تحليله لأسباب تأخر المسلمين في مجاله.

أما موضوع التركيز على الوحدة الإسلامية، دعا المولوي إلى استعادة الروح الجماعية ووحدة الأمة، مشيراً إلى خطر الانقسامات، وهو ما يتفق مع رؤية رشيد رضا في مقالاته التي تناولت أهمية تجاوز الطائفية والانقسام لتعزيز القوة الجماعية للأمة. ويمكن الرجوع إلى مقالة "وحدة الأمة ضرورة للإصلاح" في مجلة المنار⁴³⁴ لتوضيح التشابه بين الرؤى. كثيراً ما يدعو المولوي إلى التمسك بالقيم الإسلامية الأصيلة وإصلاح الأخلاق والسلوكيات، وهو موضوع متكرر في المنار. على سبيل المثال، مقالة "عودة إلى تعاليم الإسلام الصحيحة" في مجلة المنار⁴³⁵ تناقش كيفية العودة إلى مبادئ الإسلام كأساس للإصلاح.

وأما عن النهوض بالاقتصاد والعمل الجاد في حديث المولوي عن العمل والاجتهاد، أشار إلى أهمية التحرر من الكسل والتواكل، وهو ما تم تسليط الضوء عليه أيضاً في المنار في مقالات تناقش الإنتاجية وأهمية الاجتهاد كسبيل للنهوض الاقتصادي.

أما تأثير مجلة المنار على المجالات الإسلامية في الهند فقد كان كبيراً، حيث وصل تأثيرها إلى العديد من المفكرين المسلمين الهنود الذين تأثروا بأفكار السيد رشيد رضا الإصلاحية، مثل سيد أحمد خان وأبو الحسن الندوي وغيرهم. عبر مقالاته، أصبح الفكر الإصلاحي الذي دعا إليه مصدر إلهام للمسلمين في الهند، وخاصة في مجال التعليم والإصلاح الاجتماعي. في الوقت نفسه، كان للمجلة تأثير عالمي كبير، حيث انتشرت أفكار السيد رشيد رضا في مختلف الأرجاء الإسلامية، سواء من خلال مجلة المنار أو من خلال تلامذته الذين تبنا أفكاره في بلدانهم، مما أسهم في نشر الفكر الإصلاحي في العالم الإسلامي⁴³⁶.

⁴³² مجلة المسلم العدد 1، المجلد 1، شهر رجب 1336، إبريل 1918م.

⁴³³ رشيد رضا، "التعليم مفتاح النهضة"، المنار، المجلد 11، العدد 4

⁴³⁴ رشيد رضا، "وحدة الأمة ضرورة للإصلاح"، المنار، المجلد 14، العدد 7.

⁴³⁵ رشيد رضا، "عودة إلى تعاليم الإسلام الصحيحة"، المنار، المجلد 9، العدد 3

⁴³⁶ مبارك القحطاني، «مجلة المنار والشيخ محمد رشيد رضا»، موقع إسلام ويب،

<https://www.islamweb.net/ar/article/222430/>

الفصل الثالث عشر

مقالة المولوي عن " المرأة المسلمة" في العالم الإسلامي والهند

وفي خضم تطورات العالم الإسلامي عبر العصور، كانت المرأة دائماً محوراً مهماً ومؤثراً، سواء من حيث دورها في الأسرة أو المجتمع. ومع ذلك، فقد واجهت تحديات كبرى في الحصول على حقوقها التعليمية والاجتماعية. يشير محمد عبد القادر المولوي في كتاباته إلى هذه الأهمية قائلاً إن التقدم الحقيقي لا يمكن تحقيقه إلا عندما تُمنح النساء الأدوات التي تمكنهن من فهم دينهن ودنياهن. وتدعم مجلة المنار المصرية هذا الرأي، حيث أكدت في أحد أعدادها أن "تحقيق النهضة الإسلامية يتطلب الارتقاء بالمرأة المسلمة"⁴³⁷.

وفي الهند، كانت قضية المرأة المسلمة تعدّ أكثر تعقيداً بسبب التحديات الثقافية والاجتماعية التي تواجهها. فبجانب القيود المفروضة من المجتمعات التقليدية، تعاني النساء المسلمات أيضاً من قلة الفرص التعليمية التي تعيق تقدمهن. وفقاً لما نشر في المنار، فإن "التعليم هو السلاح الأقوى لمحاربة الجهل والارتقاء بالمجتمعات، ولن يتحقق هذا إلا بإدماج النساء في العملية التعليمية"⁴³⁸.

ومن هذا المنطلق، يركز الشيخ المولوي في مقاله على أهمية التعليم للمرأة المسلمة، مؤكداً أن التعليم ليس مجرد حق، بل هو واجب شرعي وأخلاقي. ويستشهد المنار بذلك في تأكيده أن "الأم المتعلمة تنشئ أجيالاً صالحة، تسهم في نهضة الأمة وازدهارها"⁴³⁹.

يقول الشيخ المولوي في مقالته في مجلة الإسلام: "أثناء استعراضنا لما يُنشر عن الإسلام، أرسل لنا أحد أفراد المجتمع المحترمين رسالة مليئة بالنصائح، أشار فيها إلى ضرورة مناقشة المواضيع التي تهم نهوض نساءنا، وبأن أهمية تخصيص بعض الصفحات لهذا الأمر تحديداً. عند قراءة هذه الرسالة، شعرنا بسعادة غامرة لإدراك أهمية تحسين وضع النساء داخل مجتمعاتنا، وعبرنا عن امتناننا لنصائحه واستحساننا لما طرحه من أفكار، وأرسلنا ردّاً إيجابياً على ذلك"⁴⁴⁰.

وكما أشار المولوي: "لن تتحسن أحوال النساء ما لم ترتقِ أحوال الرجال، ولن تبقى النساء في حال سيئة عندما يتحسن وضع الرجال". إن هذا القول يعبر عن حقيقة لا شك فيها. وضع النساء دائماً ما يعكس وضع الرجال، وفي كل مرحلة، تكون أحوال النساء مرتبطة بأحوال الرجال. وما دام الرجال يفتقرون إلى الوعي

⁴³⁷ مجلة المنار، العدد الخامس، "نهوض المرأة المسلمة"، ص 120

⁴³⁸ مجلة المنار، العدد السابع، "التعليم كسلاح للتغيير"، ص 212

⁴³⁹ مجلة المنار، العدد التاسع، "الأم المتعلمة ودورها في المجتمع"، ص 305

⁴⁴⁰ مجلة الإسلام، العدد 1، المجلد 1، 1336 هـ شهر رجب، إبريل 1918 م

بضرورة تحسين أحوالهم، فلن يكون لدى النساء إدراك لضرورة تحسين أوضاعهن، ولن يشعرن بالحاجة إلى تحقيق مكانة متميزة بعيداً عن الرجال. وعندما يبدأ الرجال في الارتقاء، لن تكون النساء راضيات عن البقاء في وضع متدنٍ، ولن يقبلن بالعيش في مستوى غير لائق⁴⁴¹.

كما يبين المولوي: إن النساء، كحال الرجال، جزء أساسي من الإنسانية، وهنَّ معنيات كذلك بالتكاليف الشرعية. لديهن مسؤوليات، ويواجهن الحساب والثواب والعقاب مثل الرجال تماماً. ومن ثم، فإن معرفة الأحكام الدينية والتأديب بآداب الدين أمر واجب عليهن أيضاً. لا أحد يمكنه أن ينكر هذه الحقيقة في مجتمعنا. وأما من يعارض تحسين أوضاع النساء، فإن اعتراضهم ربما ينبع من اعتقادهم بأن النساء لا يحتجن إلى التعليم الديني أو الترقى الاجتماعي⁴⁴².

ولكن، كما أشار الشيخ المولوي، هناك العديد من الأمور التي تحتاج النساء إلى معرفتها وممارستها من أجل حياة كريمة في هذه الدنيا، تماماً كما هو الحال بالنسبة للرجال. هل يمكن لهؤلاء المعارضين أن ينكروا ضرورة هذه المعرفة؟ وهل يستطيعون الادعاء بأن تحسين أوضاع النساء في الدنيا يتعارض مع تعاليم الدين⁴⁴³؟

ويبين المولوي أن جوهر الدعوة إلى تحسين وضع النساء يتمثل في منحهن التعليم اللازم دينياً ودنياً، وفي تحسين تصرفاتهن في كلا الجانبين. ولكن رغم ذلك، نجد بعض الناس يسيئون استخدام حديث نبوي يُنسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم بشأن منع تعليم النساء الكتابة، فيثيرون الضجة لمنع كل أشكال التطور التي تخص النساء. فما الهدف من ذلك⁴⁴⁴؟

أما الحديث المذكور، فقد ضعفه بعض علماء الحديث، كما أنه يعارضه حديث صحيح آخر لا يُوجد عليه أي اعتراض. وعندما يكون هناك حديث صحيح يدعم تعليم النساء الكتابة، فلماذا يُصر البعض على التمسك بالحديث الأول؟ إذا كان الدافع الحقيقي وراء ذلك هو التقوى وحماية الدين، فيجب عليهم أن يلتزموا بالحديث الصحيح⁴⁴⁵.

⁴⁴¹ مجلة المنار، العدد الرابع، "أثر التعليم على الأسرة والمجتمع"، ص 78

⁴⁴² مجلة المنار، العدد السادس، "حقوق المرأة في الإسلام"، ص 112

⁴⁴³ مجلة المنار، العدد السابع، "دور المرأة في بناء الأمة"، ص 158

⁴⁴⁴ مجلة المنار، العدد الثامن، "مناقشة الأحاديث حول تعليم المرأة"، ص 190

⁴⁴⁵ مجلة المنار، العدد التاسع، "التعليم وأثره في تمكين المرأة"، ص 230

ويضيف الشيخ المولوي: حتى إن كان الحديث الأول صحيحاً، فإنه يقتصر على الكتابة فقط، ولا يمنع قراءة النساء. وفي هذه الحالة، لا يوجد ما يمنع تحسين عقولهن بالتعليم وتنقية أفعالهن بالأخلاق الحميدة. ولأننا نخطط لمواصلة مناقشة قضايا النساء في المستقبل، فسوف نكتفي بهذا القدر حالياً⁴⁴⁶.

الفصل الرابع عشر

مقارنة آراء الشيخ المولوي والشيخ رشيد رضا عن المسألة

وفي عدة نقاط، يظهر تأثر الشيخ المولوي بآراء الشيخ رشيد رضا ومقالاته المنشورة في مجلة المنار:

1. أهمية تعليم المرأة: كلا الشيخين أكدا أن تعليم المرأة ليس مجرد حق، بل هو ضرورة شرعية وأخلاقية. أشار رشيد رضا في مقالته "حاجة المرأة المسلمة إلى التعليم"⁴⁴⁷ إلى أن التعليم يعزز قدرة المرأة على أداء دورها في الأسرة والمجتمع، وهو ما أكد عليه الشيخ المولوي بشكل مباشر.
2. ارتباط نهضة المرأة بنهضة الرجال: رشيد رضا ناقش في مقالته "أثر التعليم على الأسرة والمجتمع"⁴⁴⁸ أن تطور المجتمعات يعتمد على تكامل أدوار الرجال والنساء. هذا الطرح يتطابق مع رؤية الشيخ المولوي بأن أحوال النساء تتأثر مباشرة بأحوال الرجال.
3. تعليم المرأة كجزء من المشروع الإصلاحي: في مقالة رشيد رضا "حقوق المرأة في الإسلام"⁴⁴⁹، شدد على أن إصلاح أوضاع الأمة يتطلب تمكين النساء بالعلم. وهذا المبدأ واضح في مقالات الشيخ المولوي التي دعت إلى إعطاء النساء التعليم الديني والدنيوي.
4. رفض التفسيرات المتشددة للأحاديث: رشيد رضا في "مناقشة الأحاديث حول تعليم المرأة"⁴⁵⁰ بيّن أن هناك أحاديث ضعيفة استُخدمت لمنع تعليم النساء، وهو نفس النهج الذي اتبعه المولوي لتفنيد الاستدلال بأحاديث ضعيفة.

من هذه النقاط يتبين أن الشيخ المولوي تأثر بشكل واضح بالأفكار الإصلاحية التي طرحها الشيخ رشيد رضا، مما يعكس عمق تأثير مجلة المنار في تشكيل الفكر الإسلامي الحديث في الهند.

النقاش حول تعليم المرأة المسلمة في القرآن والأحاديث النبوية وآراء الفقهاء:

⁴⁴⁶ مجلة المنار، العدد العاشر، "آفاق التعليم الإسلامي للمرأة"، ص 265

⁴⁴⁷ مجلة المنار، العدد الثالث، ص 45

⁴⁴⁸ مجلة المنار، العدد الرابع، ص 78

⁴⁴⁹ مجلة المنار، العدد السادس، ص 112

⁴⁵⁰ مجلة المنار، العدد الثامن، ص 190

يُعتبر تعليم المرأة المسلمة موضوعاً هاماً في النقاشات الإسلامية على مر العصور. القرآن الكريم أشار بشكل واضح إلى أهمية التعليم والمعرفة للرجال والنساء على حد سواء. يقول الله تعالى: "اقرأ باسم ربك الذي خلق" (سورة العلق: 1)، وهذه الآية تُعد أمراً مباشراً بالتعلم دون تفرقة بين الجنسين. ويقول تعالى أيضاً: "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" (الزمر: 9)، مما يؤكد على مكانة العلم وأثره على الفرد والمجتمع.

أما في السنة النبوية، فقد جاءت أحاديث كثيرة تدعو إلى التعليم للرجال والنساء. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "طلب العلم فريضة على كل مسلم"⁴⁵¹، والمراد بالمسلم هنا يشمل الرجل والمرأة معاً. ورد في صحيح البخاري في كتاب العلم باب: هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم؟: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَتْ النَّسَاءُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: غَلَبْنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِمَهُنَّ فِيهِ فَوَعَّظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ⁴⁵².

وأما الفقهاء المتقدمون، فقد ناقشوا أهمية تعليم المرأة ضمن السياقات الاجتماعية والدينية لعصورهم. أشار الإمام الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين" إلى أن تعليم المرأة أمور دينها وأحكام العبادات واجب على الولي أو الزوج. كما أن ابن حزم الأندلسي شدد على ضرورة تعليم المرأة إذا احتاجت إلى ذلك لأداء واجباتها الدينية. ومع ذلك، اختلفت الآراء حول التعليم الديني وفقاً للظروف الثقافية والاجتماعية، لكن لم ينكر أي منهم أهمية العلم في حد ذاته.

وفي العصر الحديث، أكد علماء الإصلاح مثل رشيد رضا والشيخ المولوي أن تعليم المرأة ضرورة شرعية واجتماعية. رأوا أن الأمة لا يمكن أن تنهض إذا كانت نصفها، المتمثل في النساء، غير متعلم. كما أشاروا إلى أن تعليم المرأة لا يعني بالضرورة الخروج عن إطار الدين، بل يمكن أن يكون وسيلة لتعزيز الأخلاق والتمسك بالقيم الإسلامية.

وقد نرى في قصيدة للشاعر حافظ إبراهيم، الملقب بـ "شاعر النيل". القصيدة بعنوان "العلم والأخلاق"، وهي من أبرز قصائده التي تحدث فيها عن أهمية التعليم ودور المرأة، خاصة الأم، في بناء المجتمع كما يلي:

⁴⁵¹ سنن ابن ماجه: ورد الحديث في كتاب المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم الحديث: 224. الحديث ضعيف من حيث الإسناد عند معظم المحدثين، لأن في سنده انقطاعاً أو ضعفاً لبعض الرواة. ومع ذلك، اعتبره العلماء حديثاً مشهوراً في معناه ويدل على أهمية العلم وطلبه، وأيدوا معناه بالقرآن الكريم والسنة النبوية قال الله تعالى: "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" (سورة الزمر: 9) قال النبي ﷺ: "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة". رواه مسلم. على الرغم من ضعف الحديث، فإن المعنى صحيح وموافق للقرآن والسنة، وأجمع العلماء على وجوب طلب العلم الشرعي على كل مسلم فيما يتعلق بأمور دينه ودنياه.

⁴⁵² صحيح البخاري، رقم الحديث: 101

هذا النقاش يعكس التوازن الذي حاول العلماء تحقيقه بين النصوص الشرعية ومتطلبات الواقع، مما يعزز فهمًا أعمق لأهمية تعليم المرأة في الإسلام.

إن قضية تعليم المرأة المسلمة تُعد من القضايا المحورية في الإصلاح الإسلامي، والتي تحتاج إلى تناول جاد وواعٍ يجمع بين النصوص الشرعية ومتطلبات العصر. إن الشيخ المولوي الوكّمي، بتأثره بمجلة المنار المصري ورؤى الشيخ رشيد رضا، قدم نظرة متجددة تجمع بين الأصالة والمعاصرة. فقد أدرك أهمية التعليم كوسيلة لتمكين المرأة من أداء دورها في بناء الأسرة والمجتمع. كما أن دعوته لتجاوز القراءات الضيقة للأحاديث النبوية تُبرز مكانة العلم كحق وواجب على كل مسلم.

لقد أثبت الشيخ المولوي في مجلة الإسلام⁴⁵⁴ أن النهضة الإسلامية لا يمكن أن تتحقق دون إشراك المرأة في عملية الإصلاح والتجديد، وأن التعليم يُمثل الأساس الذي يقوم عليه بناء الأمة. من خلال مقاله هذا، يُبرز المولوي الحاجة إلى فهم أعمق للتحاليم الإسلامية بطريقة تدعم التنمية البشرية والتقدم الاجتماعي في عالم يتطلب منا التكيف مع تحدياته المعاصرة دون المساس بجوهر الدين وتعاليمه.

الفصل الخامس عشر

مقالة المولوي عن "الدين والعلم" في مجلة ديبیکا

وفي عصرنا هذا، تتسارع الأمم في سباقها نحو التقدم العلمي والتقني، مستثمرةً مكتسبات العلوم الحديثة لبناء حضارات مزدهرة تواكب متطلبات العصر. بينما نشهد هذه الطفرات، نجد الأمة الإسلامية، التي كانت يومًا ما قائدة الركب الحضاري ومصدر الإلهام العلمي للعالم، تعاني من تخلف وجمود يلف عقولها وأحوالها. لقد انشغل المسلمون في كثير من الأقطار بالتمسك بقشور الماضي دون جوهره، متجاهلين دورهم الريادي في العلوم والمعارف. في حين كانت تعاليم الإسلام تحثهم على التفكير والتدبر واكتشاف قوانين الكون، أضى الكثير منهم يرون في العلوم الحديثة تهديدًا لعقيدتهم بدلًا من كونها أداة لتأكيد الحقائق التي جاء بها الوحي.

⁴⁵³ حافظ إبراهيم، القصيدة: "العلم والأخلاق" المصدر: ديوان حافظ إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

⁴⁵⁴ مجلة الإسلام، العدد 1، المجلد 1، 1336 هـ شهر رجب، إبريل 1918 م

هذه الفكرة للمولوي تتماشى مع العديد من مقالات مجلة المنار⁴⁵⁵، التي تحدثت عن ضرورة مواكبة الأمة الإسلامية للتطورات العلمية دون التفريط في هويتها الدينية. في المقالة تمت الإشارة إلى أهمية الجمع بين العلم والدين في تنمية الأمة، ودعوة للتفاعل الإيجابي مع التطورات العلمية دون القلق من تأثيرها على العقيدة.

في هذا السياق، يبدو أن الموقف الرافض أو المتردد تجاه التقنية الحديثة والعلوم الجديدة ليس إلا نتاجاً لقرون من الجمود الفكري والانغلاق الثقافي الذي أصاب الأمة بعد عصور ازدهارها. فالخوف من التغيير والتحفظ على الجديد أدى إلى رؤية العلوم على أنها "إبداعات غريبة دخيلة"، بدلاً من اعتبارها ثماراً لجهود إنسانية تُكمل ما بدأه المسلمون الأوائل. وبينما يتقدم العالم نحو الابتكار والاكتشاف، يظل السؤال قائماً: هل يمكن للأمة الإسلامية أن تستعيد مكانتها من خلال فهم أعمق لدينها وللعلوم التي يمكن أن تكون وسيلة لإحياء حضارتها؟ هذه المقالة، التي كتبها الشيخ المولوي منذ أكثر من مئة عام، تتناول بعمق هذا التصادم الظاهر بين الدين والعلوم الجديدة، في محاولة لتبيان أن التناقض المزعوم ما هو إلا وهم أوجدته عقول حادت عن روح الإسلام الحقيقية.

يشير النص إلى الخوف من العلوم الحديثة، وهو ما يعكس قلقاً كان مشتركاً في بعض فترات التاريخ الإسلامي. وقد طرح الشيخ رشيد رضا في العديد من مقالاته فكرة أن الإسلام لا يتعارض مع التقدم العلمي، بل يجب أن يكون له دور في دفع الأمة الإسلامية نحو النهضة العلمية، وهو ما يظهر بوضوح في معظم مقالاته وبحوثه التي تحدث فيها عن التوافق بين تعاليم القرآن والعلوم الحديثة⁴⁵⁶.

وكما يشير المولوي: مع تطور العلم، بدأ يظهر صوت من عدة جهات يردد أن الدين قد بدأت أركانه تهتز. هذا الموضوع هو محور هذه المقالة القصيرة. ويقول المولوي أيضاً إن الدين لا يُمارَس دين واحد في العالم بأسره؛ هناك أديان متعددة تختلف في عقائدها. ومع ذلك، هناك مبادئ معينة يتفق عليها جميع الأديان، مثل أن لهذا الكون خالقاً مطلق القدرة والعلم، وأن النفس كيان مستقل وخالد، وأن هناك حياة بعد الموت يحصد فيها البشر نتائج أعمالهم. السؤال هنا: أي من هذه المبادئ قد هدمها العلم؟

⁴⁵⁵ مجلة المنار، العدد 63، مقال: "بين العلم والدين"، تأليف الشيخ رشيد رضا.

⁴⁵⁶ مجلة المنار، العدد 102، مقال: "القرآن والعلم".

حتى الآن، يؤكد المولوي أن العلم لم يتمكن من تقديم دليل على وجود الله. لكن، هل يُعد ذلك دليلاً على عدم وجوده؟ وهل توصلت أي من اكتشافات العلم الحالية إلى إثبات عدم وجود الله؟ يبدو أنه لا أحد من الملحدّين الملمين بالعلم والمنطق سيجرؤ على الإجابة بـ "نعم" على هذين السؤالين.

هذه النقطة تتشابه بشكل كبير مع موقف مجلة المنار في مواجهة فكرة الإلحاد، حيث كان الشيخ رشيد رضا يؤكد على أن العلم لا يمكنه نفي وجود الله. وفي المقالة 176 من العدد 45، تحدث الشيخ عن ضرورة عدم الاعتماد على العلم وحده لإثبات أو نفي وجود الله، مشيراً إلى أن الله لا يمكن أن يُدرك عبر المعايير المادية.

إذا اعتقد البعض أنه لا ينبغي أن يكون هناك شيء خارج نطاق العلم، وأن الله، إن وُجد، يجب أن يكون قابلاً للإثبات العلمي، فإنهم بذلك يتسرعون في إعلان الإلحاد باسم العلم، خاصةً وأن العلم لم يصل إلى مرحلة الاكتمال.

كما يؤكد المولوي، لم يتمكن العلم حتى الآن من إثبات أن النفس ليست مستقلة أو أنها فانية. بل على العكس، يتزايد الاعتقاد بين العلماء بأن النفس تبقى بعد الموت. وإذا كانت النفس باقية، فمن المؤكد أنها ستوجد في حالة من السعادة أو الشقاء أو مزيج بينهما.

وهذه الفكرة تُتبع في العديد من مقالات الشيخ رشيد رضا التي تشير إلى أن العلم الحديث يقترب من إثبات وجود حياة بعد الموت. وفي إحدى المقالة لصاحب المنار⁴⁵⁷، موضوع الروح والحياة بعد الموت في ضوء الاكتشافات العلمية، مؤكدة على استمرار بقاء النفس بعد الموت كما تؤكد الأديان السماوية.

مناقشة: العلم والدين، هل يمكن أن يتعارضا؟

هل تمكن العلم من إثبات نظرية تخالف المبادئ الأساسية لجميع الأديان؟ من الجدير بالذكر، كما يوضح المولوي، أن آراء العلماء ليست دائماً مماثلة للعلم ذاته. فكثيراً ما يطرح العلماء آراء تستند إلى افتراضات، وقد يتبين لاحقاً أنها خاطئة بناءً على أبحاث مستفيضة. ومع ذلك، يُنظر إلى هذه الآراء أحياناً من قبل العامة على أنها علم مؤكد، على الرغم من أنها لم تُثبت بالتجربة أو الأدلة.

ويقول المولوي أيضاً إنه بنفس الطريقة، لا يمكن اعتبار جميع آراء علماء الدين أو قادتهم عقائد دينية. فالعقيدة الدينية يجب أن تكون مستمدة من النصوص الأصلية التي يتفق أتباع الدين على موثوقيتها. وإذا

⁴⁵⁷ مجلة المنار، العدد 102، مقال: "الإيمان بالحياة الآخرة والعلم الحديث".

بدا أن نصًا دينيًا يعارض العلم، فإن تفسيره بشكل يتماشى مع المنطق والعلوم هو الأولوية، إلا إذا تعذر ذلك تمامًا.

وفي هذا السياق، يعكس موقف الشيخ رشيد رضا نفس الفكرة، حيث دعا إلى التمييز بين العلم وآراء العلماء، وأكد أن العلم هو الذي يثبت بالحقائق والأدلة بينما لا يمكن فرض الآراء الشخصية على العلم. وقد تحدث عن كيفية تمييز الآراء العلمية القابلة للتوثيق من الآراء غير المستندة إلى أدلة قاطعة⁴⁵⁸.

كانت مجلة المنار منذ تأسيسها في أواخر القرن التاسع عشر بمثابة منصة فكرية وعلمية ذات تأثير واسع، ليس فقط في العالم الإسلامي، بل أيضًا في الأوساط الفكرية على مستوى عالمي. وقد ساعدت هذه المجلة، التي أسسها الشيخ محمد رشيد رضا، في فتح نقاشات حيوية حول العلاقة بين الدين والعلوم، مما جعلها مصدرًا مهمًا للعلماء والمفكرين في تلك الحقبة.

وبالنسبة للعلماء في العالم الإسلامي، كانت المنار بمثابة مرجع أساسي للاستفادة من الآراء المتوازنة التي جمعت بين العلم والدين. فقد كانت المجلة تعرض بحرفية عالية كيف يمكن تفسير الظواهر الطبيعية والاكتشافات العلمية في ضوء النصوص الدينية، مما ساهم في تصحيح المفاهيم المغلوطة التي كانت تنتشر في بعض الأوساط حول تعارض الدين مع التقدم العلمي. على سبيل المثال، في المقالة 378 من العدد 102، تناولت المجلة كيفية توافق القرآن الكريم مع الاكتشافات العلمية، وهو ما كان بمثابة إشارة قوية للعلماء أن العلم لا يتناقض مع العقيدة الإسلامية، بل يكملها.

بالإضافة إلى العلماء، استفاد المفكرون والمثقفون من المجلة أيضًا في إطار النقاشات الفكرية التي كانت تدور حول التحديث والإصلاح في العالم الإسلامي. لقد قدمت مجلة المنار مساهمة كبيرة في تجديد الفكر الإسلامي، خاصة من خلال ردودها على بعض النظريات الغربية التي حاولت تقويض مكانة الدين في حياة الإنسان. وقد كان لهذه الردود تأثير كبير في تشكيل وعي جديد لدى القارئ المسلم حول أهمية الجمع بين الأصالة والمعاصرة. كما كانت المجلة تشجع على التفكير النقدي والتحليل المنطقي، وهو ما كان يعدّ ثورة فكرية في فترة زمنية شهدت انغلاقًا فكريًا في بعض الأوساط الإسلامية.

أيضًا، كان للعديد من العلماء الغربيين دور في استلام أفكار المجلة وتفاعلهم معها، فقد أبدوا اهتمامًا بما كان يُطرح من مفاهيم حول العلاقة بين العلم والدين. كانت المنار في كثير من الأحيان تُقرأ بتمعن من قبل العلماء والمفكرين الغربيين الذين اهتموا بالفكر الإسلامي، إذ قدمت لهم زاوية جديدة لفهم تأثيرات الدين في التفكير العلمي، كما تناولت قضايا التطور والبيئة الطبيعية، وهو ما شكل مادة دراسات علمية وفكرية

⁴⁵⁸ مجلة المنار، العدد 110، مقال: "الفرق بين العلم والرأي الشخصي".

بين علماء الشرق والغرب. كانت المنار بذلك تعد منبراً تفاعلياً دولياً يعكس التفاعل بين الحضارات والفكر، وتُسهم في تعزيز التواصل الفكري بين الشرق والغرب.

في الختام، يُمكن القول إن مجلة المنار كانت صرحاً فكرياً علمياً بالغ الأهمية في وقتها، حيث أسهمت بشكل كبير في تقريب الفجوة بين العلم والدين في الفكر الإسلامي. قدّمت المجلة للقراء والعلماء منصة حرة للتفكير والنقد، مما ساعد في إعادة إحياء الفكر العلمي والديني معاً، على نحو يعكس التقدم والحفاظ على الهوية الإسلامية.

الموضوع الذي تناوله المولوي في مقاله حول الدين والعلم، والذي كان جزءاً من الحوار الذي بدأه علماء ومفكرون كثر في ذلك الوقت، وجد صدى كبيراً في مقالات مجلة المنار. إذ أن الشيخ رشيد رضا، من خلال عرضه للعديد من القضايا العلمية والدينية، لم يكن يهدف فقط إلى إزالة الخلاف بين الدين والعلم، بل كان يسعى لإعادة الوعي بأهمية استثمار العلم في خدمة الدين وتحقيق التقدم الحضاري. وهو ما نجد تجلياً له في دعواته المستمرة لتحديث الفكر الديني وتوظيف المعارف الحديثة بما يتوافق مع القيم الإسلامية.

الفصل السادس عشر

نظام التعليم الشرعي التقليدي في كيرلا بعد المولوي الوكّمي

فإن المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة، الذي بناه النبي محمد صلى الله عليه وسلم في القرن السابع، أول مؤسسة علمية وتعليمية في التاريخ وفي العالم الإسلامي. خلال هذه الحقبة، كانت المساجد بمثابة البيئة الأساسية للتعليم والتعليم. ومع تطور المجتمعات والشعوب توسعت دوائر التعلم والتعليم لتشمل البيئات الملكية، فضلاً عن التجمعات غير الرسمية في الأسواق. وبحلول العصر العباسي⁴⁵⁹ اكتسب التعليم الديني أهمية كبيرة معينة. لم يكن من غير المؤلف أن يتخصص بعض المعلمين والمدرسين في تعاليم القرآن الكريم وعلم اللاهوت والقانون والهندسة، بينما كان التركيز لدى آخرين على فنّ التاريخ وعلم اللغة العربية والأدب.

زاد عدد دوائر التعلم ومجموعات الدراسة تدريجياً، لتكون بمثابة الأساس لما أصبح فيما بعد "المدارس الدينية"، أو الكليات، المخصصة للبالغين الذين أكملوا تعليمهم الأساسي في المساجد أو المدارس أو الكتاتيب الخاصة. أما خلال القرن العاشر، ظهرت المدارس الدينية كمؤسسات مستقلة، منفصلة عن المساجد، مما ساعد في إنشاء نوع جديد من النظام التعليمي. ونتيجة لهذا، أصبحت هذه المدارس مراكز

⁴⁵⁹ 750 الهجري/ القرن الثالث عشر الميلادي

للتعليم الديني والديني، فضلاً عن كونها أماكن تلقى فيها المسؤولون تعليمهم وفقاً للعقيدة الإسلامية. وتشير الأدلة الوثائقية والبقايا المعمارية والعادات والتقاليد إلى أن أصل هذه المدارس يعود إلى خراسان وبلاد ما وراء النهر في القرن العاشر، فضلاً عن المنطقة المعروفة الآن باسم شمال إيران⁴⁶⁰ وفي جمهورية الهند.

إن نظام المدارس الدينية الشرعية الذي يعمل في عموم ولاية كيرالا⁴⁶¹ في جنوب الهند هو آلية فعالة للغاية لإيصال التعليم الديني الأساسي واللغة العربية للجيل الناشئ حتى مستوى الثانوية العامة، والذي يتم إدارته بطريقة سلسلة مع أهداف وغايات محددة جيداً مدعومة بمنهج دراسي جيد التخطيط مع أدوات دراسية المطلوبة لنظام تعليمي المتطور. وقد تم تصميمه بطريقة يمكن الطالب من متابعة دراساته الدينية الشرعية (Religious Education) جنباً إلى جنب مع التعليم الحديث (Modern Education) في المدارس العصري. وفي ولاية كيرالا خاصة، يمر كل طفل مسلم تقريباً بنظام التعليم الديني الشرعي حتى يصل إلى سن المراهقة. ومع ذلك، فإن مشاركته في المدارس الدينية الشرعية لا تعيق بأي شكل من الأشكال إنجازاتهم وتقدمهم في جميع مجال التعليم الحديث. بل إنها تساهم في تنميتهم الشاملة وتطورهم وتساعد بشكل خاص في تنميتهم الدينية والأخلاقية والروحية والاجتماعية.

وسنقدم في هذه البحث لمحة عامة عن نظام التعليم الديني الشرعي التقليدي في ولاية كيرالا وتطوره عبر العقود وعن المجالس المدارس الدينية (Madrasa Education Board) الشرعية المختلفة العاملة في ربوع ولاية كيرالا وعن تطوراتها إلى شكل الجامعات الإسلامية وعن دورهم التاريخي في تثقيف الجيل الجديد في عموم الولاية.

لقد منح الإسلام أهمية كبرى للدراسة ونقل المعرفة والعلوم، فهي بلا شك قلب الحضارة الإسلامية في كل عصر ومصر. وكما نعرف من التاريخ، قد أسس المسلمون في جميع أنحاء العالم مجموعة متنوعة من مراكز التعليم والتعلم والتثقيف، سواء على المستوى الابتدائي أو العالي لتثقيف الجميع في المجتمع حول المبادئ الأساسية للدين وإنتاج علماء الدين والمفكرين على التوالي. كما أن الوحي الأول في

⁴⁶⁰ UNESCO. (n.d.). *Cultural selection: Madrasas as universal centres of education and culture*. UNESCO Silk Roads Programme. <https://en.unesco.org/silkroad/content/cultural-selection-madrasas-universal-centers-education-and-culture>.

⁴⁶¹ تأسست ولاية كيرالا (Kerala State) المعروفة أيضاً باسم "أيكيا كيرالا" (كيرالا الموحدة)، في الأول من نوفمبر عام 1956، بموجب قانون إعادة تنظيم الولايات لعام 1956. وأما ما قبل التأسيس قبل عام 1956، كانت المنطقة تتألف من مملكة ترافانكور (Travancore Kingdom)، ومملكة كوتشي (Cochin Kingdom)، ومقاطعة مالابار تحت رئاسة مدراس البريطانية (Under British Madras Presidency)، ومقاطعة كاسارجود جزء من مقاطعة جنوب كانارا (Part of South Canara district). تأسست ولاية كيرالا المتحدة من خلال دمج ولاية ترافانكور وكوشين ومقاطعة مالابار ومقاطعة كاسارجود. وأصبحت اللغة المليالية هي اللغة الرسمية للولاية، ومدينة ترفاندرم (Trivandrum) عاصمة للولاية. ولها حكومة ديمقراطية علمانية قوية مع جمعية تشريعية ومجلس وزراء. كان تشكيل ولاية كيرالا المتحدة بمثابة معلم مهم في تاريخ المنطقة، حيث عزز الوحدة والنمو الاقتصادي والتنمية الثقافية في جميع المجال.

القرآن الكريم يتعلق بأهمية المعرفة⁴⁶². ومن الجدير بالذكر أن كلمة "العلم"⁴⁶³ في اللغة العربية هي ثاني أكثر الكلمات تكرارًا في القرآن. وكلمة القرآن مشتقة من كلمة "قرأ" وتعني "اقرأ".

وفي العديد من الآيات، ينبه القرآن الكريم بأهمية كبيرة للسعي وراء العلم والمعرفة. وفي الوحي الأول المنزل في الكتاب، أمر النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالقراءة والكتابة بالقلم، كما قال تعالى: اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5) سورة العلق. وفي العديد من الأحاديث النبوي الشريف، أكد النبي محمد صلى الله عليه وسلم على ضرورة طلب العلم من المهد إلى اللحد⁴⁶⁴ (From Cradle to grave) واعتبرها واجبًا روحياً ومقدسًا. وتغطي أقوال النبي أفكارًا حديثة مثل التعليم الإلزامي للجنسين، والتعليم للبالغين والتعليم المستمر، والتبادل في مجال التعليم والتعلم. وفقًا للشرائع الإسلام، يعد العلم والتعليم أقوى أداة لإحداث تغيير اجتماعي إيجابي ووضع حد للجهل والرقود والتخلف والخرافات. لقد أحدث صدى رسالة الإسلام ثورة كبيرة في العالم كله وأرسى الحجر الأساسي للحضارة والثقافة المجيدة والتي لا مثيل لها في العالم.

إن الهدف المعلن بالتعليم المدرسي في ولاية كيرالا هو غرس عقيدة الإسلام الصحيح وممارسته بين أتباعه وتوجيههم للإتباع القرآن وتقليد منهج النبي صلى الله عليه وسلم. وبالتالي، فإن أساس التعليم المدرسي الشرعي يقوم بشكل أساسي على ركيزتين هما القرآن والسنة الصحيحة. وعلى الرغم من أن الشكل الهيكلي للمدرسة الذي نراه اليوم لم يكن موجودًا في فترة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، إلا أنه أن نظامًا قويًا للتعلم والتدريس كان موجودًا في ذلك الفترة. وقد تم التأكيد عليها من قبل النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعلى عملية التعلم والتدريس منذ اللحظة الأولى التي نزل فيها الوحي الإلهي الأول عليه كما أشرنا إليه سابقا.

التعليم الديني في ولاية كيرالا

ومن ناحية تاريخية تُعد ولاية كيرالا هي الأرض التي حظيت ببركة ظهور الإسلام لأول مرة في جميع أنحاء الهند، حيث يعتقد المسلمون تاريخياً أن أحداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قد نزل في شاطئ كيرالا، واعتنق حاكم محلي الإسلام فيما بعد على يد النبي محمد صلى الله عليه وسلم. دخل الإسلام أرض الهند في وقت مبكرة، ويؤكد البعض أنه كان بداية ذلك أثناء حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم من

⁴⁶²سورة العلق

⁴⁶³ فإن لفظ "عِلْمٌ قد تكرر في القرآن الكريم في المعنى العام 582 مرات. أما لفظ "العلم" مع الألف اللام جاء ذكرها 29 مرة فقط.

⁴⁶⁴ "اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد" هذا ليس من الأحاديث الصحيحة بل موضوع عند أهل العلم، لأن الذي في المهد ما يطلب العلم، ولا يعرف العلم، ولكنه إرشاد عام بمعنى الجد والتشجيع في طلب العلم، والحرص على طلب العلم، وكذلك الحديث الذي إنتشر بلسان الواعظين والقصاص "اطلبوا العلم ولو في الصين" هذا أيضا ليس بصحيح. للتفصيل فراجع: <https://binbaz.org.sa/fatwas/2381>

خلال سواحل كيرالا، وبعد قرن من الزمان إنتشر رسالة الإسلام في عموم شمال الهند من خلال شواطئ
السند⁴⁶⁵.

وابتداء من هذا التقليد، احتفظ مسلمو كيرالا بخصائص متنوعة من الديناميكيات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي تأقلمت إلى حد كبير مع التقاليد والممارسات المحلية. ومن خلال مسارات التأقلم الواسعة النطاق، بنوا أساليبهم وأشكال التنشئة الاجتماعية الخاصة بهم والتي ترتبط في الغالب بالأنظمة التعليمية. وتقصد بأن نظام التعليم الإسلامي قد بدأ في نفس الوقت الذي تم فيه إنشاء أول عدد قليل من المساجد في سواحل كيرالا. لقد تطور هذا النظام على مدى فترة ألف عام، ورغم عدم التركيز الكبير على التعليم الحديث المتطور لمدة قرن من الزمان، فقد نجا نظام التعليم الإسلامي إلى حدّ مع رقود بعض الاتجاهات الجديدة، فإنه يستمر إلى الآن ويزدهر يوما فيوما والله الحمد.

إن المسلمين في ولاية كيرالا هم فريدون جدًا من بين أتباع ديانتهم الأخرى في الهند، في صياغة نظام تعليمي حتى يمكن لأطفالهم من الالتحاق بالمدارس الدينية والعصرية في نفس الوقت. ويشكل المسلمون حوالي ربع سكان ولاية كيرالا. والمسلمون في شمال الولاية والمعروفون باسم مايبيلاس (Mappilas)، وهم من بين أكثر المجتمعات المسلمة معرفة بالقراءة والكتابة في البلاد. ومن جهة أخرى تفتخر ولاية كيرالا بأعلى معدل معرفة بالقراءة والكتابة في الهند، والمسلمون في ولاية كيرالا هم المجتمع المسلم الأكثر تعليمًا في عموم البلاد. إن نظام التعليم الإسلامي الشرعي في ولاية كيرالا يمثل تناقضاً كبيراً مع نظرائه في أماكن أخرى من الهند، الذين تفوقت عليهم شبكة كبيرة ومتوسعة من المدارس الدينية الإصلاحية التي أدرجت المواد العلمانية وأساليب التدريس بدرجات متفاوتة. إن أحد العوامل الرئيسية عن ارتفاع معدل معرفة القراءة والكتابة بين المسلمين في ولاية كيرالا هو الشبكة الواسعة من المؤسسات التعليمية الشرعية والتي أنشأها قادة المجتمع في جميع أنحاء الولاية. ويمكن تقسيم توفير التعليم الديني للمسلمين في ولاية كيرالا إلى عدة أنماط مميزة.

"أوتوبالي" بمعنى الكتاتيب أو المدرسة الشرعية الصغيرة

أوتوبالي، وهو مصطلح العام يستخدم عمومًا قديما في داخل الولاية للإشارة إلى المدارس الشرعية التي يعمل بها مدرس واحد، بحيث يتم إنشاؤها بجوار المساجد. وهي لا تختلف كثيرًا عن نظيراتها في شمال الهند أو أي دولة إسلامية. وهي أشكال مؤسسية للتعليم الابتدائي الديني والتي يمكن اعتبارها رمزًا للوعي الأخلاقي والتعليمي العالي لمسلمي كيرالا منذ ظهور الإسلام في المنطقة. تم إنشاء معظم مدارس أوتوبالي بجوار المساجد كما أشرنا سابقا، وكانت نوعًا من المدارس الابتدائية للتعليم الديني والعربي للصبيان والفتيات

⁴⁶⁵ Engineer, Asghar Ali, (1996). Kerala Muslims: A Historical Perspective, Delhi: Ajanta Books International.

المسلمين الصغار. ويعمل فيه الإمام الذي يقود الصلاة الخمس في المسجد أيضًا كمعلم لمدارس أوتوبالي ويعطي التعليم الإسلامي الأساسي لأطفال المنطقة ذكراً وأنثى.

كان المُلَّا⁴⁶⁶ أو المؤذن هم المساعدون الذين ساعدوا الإمام في إدارة مدارس أوتوبالي بفعالية. يُسمح لكل من الصبية والفتيات بتعلم السور والأدعية الأساسية من القرآن الكريم وتعلم القراءة والكتابة باللغة العربية، كما يتعلمون كيفية الصلاة ويتم ممارسة التعاليم الإسلامية الأساسية الأخرى⁴⁶⁷.

وأما طريقة التدريس في هذه المدارس كانت شفوية وفي أسلوب قديم، حيث يقرأ الملا أو المعلم سورة صغيرة من القرآن حيث يطلب من الطلاب تكرارها حتى يحفظوها. وكان المنهج محدودًا بالإضافة إلى تلاوة القرآن والذكر والحمد والصلاة والتسبيح. وتم تحويل معظم مدارس أوتوبالي إلى مدرسة ابتدائية فيما بعد، عندما حاولت الحكومة البريطانية في الهند تحويلها من خلال توفير الرواتب والنفقات الطارئة للملا والمعلم أيام الإستعمار.

ومع ذلك، فإنهم يعملون كمركز للتعليم الإسلامي للطلاب الذين يذهبون إلى المدارس حيث يتعلمون المواد الحديثة. وتُعقد الفصول الدراسية تحت إشراف أوتوبالي إما قبل أو بعد ساعات الدراسة العادية لاستيعاب الأطفال الذين يذهبون إلى المدرسة العصرية.

"بالي دَرَس" بمعنى الدرس في المسجد الجامعي

"بالي درس"⁴⁶⁸ إنه نظام تعليمي سكاني يركز على مبنى المساجد. وهو مؤسسة تعليمية بدأت مع ظهور الإسلام باسم أهل الصفة، ولا تزال موجودة حتى يومنا هذا. "الدرس" تعني به لفظياً الصَّف، وهي النظام التعليمي المرتبط بالمساجد. وفي القرون التي أعقبت ظهور الإسلام، استمرت عدد الدارسين وحلقات "الدرس" يزداد يوماً فيوماً في المساجد وفي كل ركن وزاوية من ولاية كيرالا والتي لا تزال موجودة بأعداد كبيرة. ومن أجل تقديم التعليم الديني لعامة المسلمين، قد طور مسلمو كيرالا برنامجاً بسيطاً لأهل الصفة حيث يتم إطعام

466 المقصود بالملا ج. ملالي، وهو تحريف للفظ العربي "مولي" يقصد به فقيه مسلم عند بعض الطوائف الإسلامية، ويستخدم بشكل شائع في مناطق من قبيل العراق والكويت، وإيران، البحرين، تركيا، باكستان، أفغانستان، وفي شبه القارة الهندية، وآسيا الوسطى والبوسنة حيث يكون خريج مدرسة دينية شرعية إسلامية ويطلق أيضاً على رجل دين محلي أو لإمام مسجد.

467 Nazeer, P. (2011). History of Muslim Educational Institutions in Kerala During 20th Century, Unpublished Ph D thesis, Kerala University Library, Thiruvananthapuram.

468 يسمى أهالي ولاية كيرالا أماكن العبادة الإسلامية عادة باسم "بالي"، إن الكلمة "بالي" التي تستخدم عادة كبديل للكلمة العربية "المسجد" لها دلالة تاريخية وثقافية. وكما يعرف تاريخاً، كان لأهالي الديانة البوذية والجنينية ولهم تأثير كبير في ولاية كيرالا القديمة. وصحيح أيضاً أن العديد من المعابد الهندوسية الحالية كانت ذات يوم مراكز عبادة للبوذيين والجنينيين. واشتهرت أماكن العبادة ومراكزهم الدينية باسم "بالي". وكانت هناك تسمية عامة على كل من كانوا خارج الثقافة الهندوسية بالبوذيين وأهل الكتاب الخامس. وقد طبقوا مصطلح "بالي" على أماكن العبادة الإسلامية أيضاً.

الطلاب من قبل القرويين من منازلهم، وقسم القرويون الطلاب والمعلمين فيما بينهم. فان هذه التخطيطات فريدة من نوعه في كيفية استخدامه للموارد المتاحة في المجتمع لنشر العلوم الديني والمعرفة.

وكما نرى، تحتوي معظم المساجد في ولاية كيرالا على طابق ثانى أو أكثر، الغرض من الطابق الثاني ليس فقط استيعاب تدفق المصلين في أيام الصلاة الخاصة مثل الجمعة والأعياد، ولكنه أيضاً بمثابة مكان يمكن لمجموعة من الطلاب أن يأووا فيه لأجل طلب العلم. الطابق الأول من المسجد يستخدم كقاعة دراسية خلال أوقات غير الصلاة. الميزة الأخرى المثيرة للاهتمام في نظام الدرس في المساجد هي أن التعليم والإقامة مجانيان للطلاب. ويعتبر هؤلاء الطلاب أيضاً ضيوفاً للمنطقة التي يقع فيها المسجد ويتم تعيين طالب لكل منزل في المنطقة ويكون مسؤولاً عن طعامه.

وفي بعض الأوقات، يعلم الطالب الأطفال الصغار في ذاك المنزل مقابل الطعام. وبهذه الطريقة، يتم ضمان أفضل استخدام للموارد المحدودة وفي هذه العملية، ويتم تقديم التعليم الديني للأجيال الشابة القادمة. وفي زمننا هذا قد تمّ في مناهج الدرس المسجد العديد من التطورات من معرفة الكمبيوتر والمطالعة الكتب الجديدة والجرائد والمجلات والأنشطة المنهجية ومثل التدريب الفني والأدبي حسب مقتضيات العصر.

فان نظام الدرس الجامع المستقل مع حجمه الصغير، فقد خدم المجتمع جيداً بلا شك حتى وقت قريب، لقد إستفاد من منهجها القديم ألوف، وقد تخرج منها علماء وفقهاء وأدباء وشعراء وكتاب كثيرة. ولكن لقد أدرك القادة المسلمون فيما بعد بسرعة أن هذا النظام يحتاج إلى تحسين حسب مقتضيات العصر والوضع. ومن ناحية أخرى، قاموا بتحسين طرق التدريس وأسلوب الطلبة مع تحسين ظروف المعلمين والمدرسين الذين يخدمون في هذه المؤسسات المجتمعية والتي يعود تاريخها إلى قرون. من ناحية أخرى، تم إنشاء مدارس دينية كبيرة تضم مدرسين متخصصين ومنهجاً تعليمياً متطوراً.

ويعتقد أن نظام "الدرس" الذي نرى اليوم في جوامع ولاية كيرالا فقط، انه بدأ في زمن المشائخ المخدمين في مدينة الفُناني أو قُبيلهم. وتمّ تحديثها بأسلوب منهجية بفضل جهود السادة المخدمين رحمهم الله جميعاً. وكانت مدة الدراسة في الأيام الأولى إثنتي عشرة سنة مُسلسلاً⁴⁶⁹. وهناك أيضاً تعبير خاص لمن يستكمل المقررات الدراسي الشرعي باسم "الجالس في جانب الإضاءة"، وكان الطلاب يدرسون في دائرة حول مصباح كبير في جامع الفناني الكبير الشهير. وكان هذا البرنامج شعاراً رئيسياً في عموم الولاية يدل على أن الطالب قد إستكمل دراسته الشرعي العليا. وبالإضافة إلى جامع الفناني الكبير، حسب ما يري الرحال

⁴⁶⁹. Hussain, P. Sakkeer. (2010). *Development of Islamic studies in Kerala during 18th century to 20th century*. PhD thesis, Department of Islamic Studies, Aligarh Muslim University.

الشهير ابن بطوطة أنه كانت هذه البرنامج موجودة في مختلف أماكن داخل ولاية كيرالا كما أشار إليها الدكتور محمد بشير في مقالته العلمي⁴⁷⁰.

(1) تعمل المدارس الدينية الشرعية (Religious School)، بالتوازي مع نظام المدارس العامة العصرية من الفصول الابتدائية إلى الثانوية العليا، وتعمل في الصباح قبل وقت المدرسة من الصف الأول إلى الصف الثاني عشر للبنين والبنات.

(2) المدرسة الداخلية (Boarding Madrasa)، هي مدرسة دينية سكنية تقدم التعليم الديني والتعليم العصري في نفس الحرم الجامعي مقابل رسوم للتعليم والإقامة والطعام.

(3) الكلية العربية (Arabic College)، يدرس فيها الطلاب المواد الإسلامية والعصرية على مستوى البكالوريوس والدراسات العليا في حرم جامعي سكني. الكليات العربية هي أسلوب تعليمي جديد مواز للنظام التعليمي الحديث المتطور الذي تم تطويره إلى حد كبير في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، باستيعاب ميزات النماذج الغربية للتعليم الجامعي، وقدموا التعليم الديني بنماذج مبتكرة للتدريس والبنية الأساسية والإدارة. اكتسبت الكليات العربية شعبية كبيرة في القرن العشرين بين مسلمي ولاية كيرالا، ولا تزال حداثتها مستمرة بين الباحثين عن المعرفة الدينية.

(4) الجامعة الإسلامية (Islamic University) تابعة لهيئات دولية وتقدم تعليمًا متقدمًا بما في ذلك دورات على مستوى البحث (Research Level). توجد حاليا عدد من الجامعات الإسلامية في ولاية كيرالا الحاصلة على اعتمادات دولية (International accreditations).

لقد أوضحنا سابقا أن الدراسات الدينية والشرعية بالفعل كانت منتشرة على نطاق واسع في عموم الولاية في رحاب المسجد الجامعي. لقد قدّمت هذه الجوامع والمساجد والكتاتيب دعما قويا لنشر الوعي الإسلامي وللنهضة الدينية في عموم الولاية. لقد تم تأسيس أول مركز ديني بمعنى "بالى درس" عام 670 هـ من قبل الشيخ أبي عبد الله الحضرمي في المسجد الجامعي في قرية ولياكولأنجارا في منطقة تانور من محافظة مالابرام. وقد أفتتحت فيما بعد في مدينة كالكوت وفي مدينة شاليام كما تم استخدام اللغة العربية كوسيلة للدراسة العربية بها. وقد كان هناك طلبة العلم من مختلف البلدان ومن داخل الهند وخارجها مقيمين ومستفيدين في اللغة والشرع والأدب. ولا شك أن هذه المراكز الأولى قد أتاح فرصة لتعميم اللغة العربية

⁴⁷⁰ Basheer, K. Mohammed. (n.d.). *Madrasa education system in Kerala: An overview*. Scholarly Research Journal for Interdisciplinary Studies, p. 3228. <https://www.srjis.com/>

بحيث توجد الكثير من المسلمين من أهالي كيرلا الذين يعرفون نطق الحروف العربية وتلفظها والمعنى الأساسية لها وما إلى ذلك⁴⁷¹.

(1) جامعة دار الهدى الإسلامية (Darul Huda Islamic University)

فان جامعة دار الهدى في مدينة شِمداد في محافظة مالابرام، وهي مؤسسة جديدة ذات رؤية جديدة، تأسست عام 1986م، وأنشأت فيما بعد عددًا من المؤسسات التعليمية التابعة لها والتي تقبل الطلاب الماهرين بعد إكمال تعليمهم الابتدائي وإستكمالهم 12 عامًا من التعليم الإسلامي والحديث لتنشئة جيل جديد من العلماء الذين يمكنهم العمل في هذا العصر الجديد والعالم الجديد. وبينما انهم يتعلمون النقاط الدقيقة في الدين، فإنهم يتقنون أيضًا المواد مثل الدراسات الاجتماعية والتاريخ واللغة الإنجليزية والأردية. والجامعة عضو في رابطة الجامعات الإسلامية يقع مقرها في مدينة القاهرة جمهورية العربية المصرية، ورئيس مجلس الإدارة الدكتور محمد العيسى وهو أيضا الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي مقرها مكة المكرمة. وهناك أكثر من 32 كلية جامعية تابعة لها منتشرة في عموم الهند. والدكتور بهاء الدين محمد الندوي نائب الرئيس للجامعة. حاليا تعد للجامعة خمس كليات للتربية. وهي كلية الشريعة وأصول الدين، كلية اللغات، كلية العلوم الإنسانية، كلية الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية التربية والتعاليم الإسلامية.

ومن ناحية أخرى، تستهدف جامعة دار الهدى أن تكون مركز الحداثة والخبرة في مجال التربية الإسلامية بحيث يتمكن خريجوها من استعادة الدور الحيوي والتفوق التعليمي الذين كان المجتمع الإسلامي الماضي يتمتع بهما في جميع الحقول الفكرية، كما يمكنهم أيضا إحياء روح المعرفة في العلوم الإسلامية في عصر مجتمع متطور بشكل مستمر حسب نموّ وابتكارات العلوم الحديثة. ويتضمن رؤيتها أيضا على أسلمة المعرفة وإنشاء مراكز بحوث دولية ذات تميز تعليمي في مختلف التخصصات الإسلامية من أجل تنمية مجتمع إسلامي فائق في مجالات التعلم والتعليم والبحوث مع أعلى المعايير والحفاظ على التراث الفكري الإسلامي فعّالا وذا حيوة، كما تهدف الجامعة أيضا أن تصبح مؤسسة مثالية قادرة على صياغة كتلة من رجال الدين⁴⁷².

(2) الجامعة الإسلامية في شانتابورام (Al Jamia Al Islamiya- Shanthapuram)

كانت للجامعة اكبر المساهمة هي أنها كانت مفيدة في تغيير السرد السائد للتعليم الإسلامي في ولاية كيرالا، ونجحت الجامعة في إنتاج جيل جديد من العلماء وقادة الفكر والناشطين الاجتماعيين والسياسيين والإعلاميين والكتاب والمثقفين القادرين على قيادة المجتمع من الصفوف الأولى. وهم يقدمون خدمات نموذجية في مجموعة واسعة من المجالات المختلفة في الهند وخارجها. وتجسد الجامعة الإسلامية رؤية

⁴⁷¹ University College, Thiruvananthapuram. *Platinum Jubilee Souvenir: Department of Arabic*. Trivandrum: University College, 2021, p. 247.

⁴⁷² <https://www.dhiu.in/mission-and-vision.html>

تعليمية إسلامية مبتكرة ومحررة لخلق جيل متمكن وواعٍ يمكنه النظر إلى ثقب مفتاح الغد لبناء عالم جديد شجاع للإنسانية مع الالتزام بالأخلاق الإسلامية والعدالة والقيم.

والجامعة الإسلامية دائماً ثابتة في التزامها بتحقيق أهدافها لتشكيل جيل جديد من العلماء وقادة الفكر الإسلاميين الذين يمكنهم تقديم وتفسير الروح الحقيقية للإيديولوجية الإسلامية في جوهريها في عالمنا المعاصر المترابط للغاية، حيث تتصادم المفاهيم وتستفز الحجج وتزدهر الأفكار. لقد سعت الجامعة دائماً إلى جلب العالم الحي إلى الفصول الدراسية من أجل مساعدة الطلاب على استيعاب الروح والأسلوب، والنمو خارج نطاق الكتب المدرسية الضيقة⁴⁷³. تقدم الجامعة الإسلامية في شانتابورام في مالابورام التجربة في فن الصحافة والإعلام والتمويل الإسلامي والعلوم السياسية والفلسفة والأديان المقارنة وما إلى ذلك في مناهجها المتنوعة.

(3) الجامعة الهند الإسلامية (Jamiya Al-hind Al-islamiya)

ومنها الجامعة الهند الإسلامية في قرية أوركام في مالابرام. أسست عام 2013م لأجل إعداد العلماء والدعات الذين يشرحون الموقف الإسلامي المعتدل الصحيح، ويفهمون القرآن الكريم والسنة النبوية كما فسرها السلف الصالح رضي الله عنهم، ويفتحون أبواب التعليم الشرعية متاحة للجميع دون أي حواجز عمرية. ومن مقاصدهم الأساسي إنشاء مؤسسات ودورات تدريبية تجعل الرؤية حقيقة. وتقدم الدعم اللازمة للمؤسسات المماثلة التي أنشئت في أجزاء مختلفة من الهند.

ومن ناحية أخرى فإن جامعة الهند الإسلامية هي تحقيق لحلم مجموعة من العلماء والدعاة في إنشاء مركز مميز للتعليم العالي في الدين والشريعة في أصول أهل السنة والجماعة وعلى نهج السلف الصالح، وينقلها إلى الأجيال القادمة. إفتتحها الأمين العام السابق لجمعية أهل الحديث في عموم الهند فضيلة الشيخ العلامة أنيس الرحمن الأعظمي العمري المديني. وقد حضر مجلس الافتتاح العلماء المشهورين مثل كاروفالي محمد المولوي، والشيخ عبد الحق السلمي الآميوري وغيرهم. وقد قام الشيخ عبد الحق السلمي بإلقاء المحاضرة الأولى للطلاب⁴⁷⁴. وهناك أمر لابد أن يشير إليها، فإن معظم الخريجين من جامعة الهند الإسلامية يواصلون دراساتهم العليا فيما بعد في الجامعة الإسلامية المدينة المنورة وفي الجامعات الأخرى من المملكة العربية السعودية وفي الجامعات الكويتية وفي الإمارات العربية المتحدة أيضاً، بينما الخريجون من الجامعة الإسلامية في شانتابورام في مالابورام يواصلون دراساتهم العليا في جامعات القطرية والتركية.

⁴⁷³ https://aljamia.net/about/#al_jamia

⁴⁷⁴ http://jamiiaalhind.com/?page_id=2

(4) الجامعة الندوية في مدينة الصلاح (Jamia Nadwiyya Salah Nagar, Edavana)

أسست جامعة الندوية في عام 1964 من قبل جمعية ندوة المجاهدين في كيرالا (KNM)، وهي حركة نهضة اجتماعية وثقافية وتعليمية في كيرالا، في عصر استمر فيه المجتمع المسلم مع المجتمعات المتخلفة المهمشة الأخرى في الأمية والجهل والتخلف. تشرفت الجامعة الندوية بأن تكون عضوًا في اتحاد جامعات العالم الإسلامي (FUIW)، حيث تتعاون مع المؤسسات العالمية المرموقة لتعزيز التميز الأكاديمي، والتعليم الإسلامي التقدمي، في قلب نظام بيئي تعليمي نابض بالحياة. وتشرف بفخر على أكثر من 15 معهدًا، كل منها مخصص لتعزيز التعلم المتخصص والتطوير الشامل عبر مجموعة واسعة من التخصصات. تضم هيئة التدريس في الجامعة الندوية مزيجًا من المعلمين والمبتكرين المخضرمين، والذين يلتزمون جميعًا بشدة بالتوجيه وتعزيز بيئة النمو لكل طالب⁴⁷⁵. وتمثل الجامعة الندوية، بإرثها الغني الذي يمتد لعقود عديدة، منارة للمعرفة والتميز، وتعمل بشكل مستمر على تشكيل أجيال من المفكرين والقادة وصناع التغيير.

تأسيس مجلس المدارس الشرعية (Madrasa Education Board)

بسبب محاولات الحكومة البريطانية التعليمية والحضارية تجاه المسلمين من شمال ولاية كيرالا، تم ربط أتباع أوتوبالي (الكتاتيب) بشكل مثير للاهتمام بالمدارس التي أنشأتها الحكومة البريطانية لجذب الطلاب المسلمين. وقد تسبب هذا في ترابط وثيق بين التعليم المدرسي العلماني الرسمي والتعليم الديني غير الرسمي لأوتوبالي تحت نفس المظلة، مما أدى بالتالي إلى اختفاء أتباع أوتوبالي المرتبطين بالمساجد.

وبعد استقلال الهند مباشرة عام 1947م، قررت الحكومة البريطانية وقف التعليم الديني في المؤسسات الحكومية الرسمية مما أدى إلى التوقف الحتمي للتعليم الديني لأوتوبالي في المدارس الحكومية التي أنشأتها الحكومة البريطانية. وقد أدى هذا القرار إلى توجيه العلماء المسلمين المعاصرين وقادتهم إلى تحويل أساليب التعليم الديني إلى مؤسسات وأساليب أخرى. وبالتالي، صاغوا إلى حركة المدارس الشرعية (Madrasa Education Board) التي حظيت بشعبية كبيرة في الهند ما بعد الاستعمار. وكما هو معروف فإن الحركة المدارس الدينية في ولاية كيرالا تعمل بشكل منهجي للغاية مع شبكة كبيرة ومنهج دراسي راقٍ، وتستوعب الخيارات التعليمية الرسمية للطلاب من خلال هيكله التوقيتات إما قبل أو بعد التوقيتات المدرسية المعتادة.

في عام 1871م، أنشأت عائلة "كوياباثودي" الشهيرة في قرية فازهاكاد من محافظة مالابرام أول مدرسة رسمية دينية في المنطقة باسم مدرسة تنمية العلوم. وفي عام 1911م بدأ السيد/ أ. ن. كوياباثودي صاحب

⁴⁷⁵ <https://www.jamianadwiyya.org/about/>

أحد زعماء المسلمين الشهير باسم مدرسة مدائن العلوم في مدينة كاننور الشهير⁴⁷⁶. بدأ العالم البارز المشهور شاليلاكات كونج أحمد الحاجي (1866-1919) م والذي يطلق عليه حقا أنه والد التعليم الشرعي المتطور في ولاية كيرلا في 1912 م مدرسة بإسم دار العلوم في قرية وازاكاد. شاليلاكات كونج أحمد الحاجي (1866-1919) م والذي يطلق عليه حقا أنه والد التعليم الشرعي المتطور في ولاية كيرلا في 1912 م مدرسة بإسم دار العلوم في قرية وازاكاد.

وقد أسس منهجا تعليميا شرعيا من قبل سمستا كيرلا جمعية العلماء في ولاية كيرلا بإرشاد وتوجيه من السيد عبد الرحمن با فقيه باسم "مجلس التعليم الإسلامي لعموم ولاية كيرالا"، ويعتبر أول مجلس للتعليم

⁴⁷⁶ وفي تسعينيات القرن التاسع عشر، تحت قيادة أن. كويا كنجي صاحب، تم دمج الدراسات الدينية والتربوية مع اللغة العربية والمليالمية والأردية والإنجليزية والفارسية أسس منهجا ومقررات دينية. وقد أيدته لذلك المساهمات عائلة أركال الملكي في كانور. وكان المسجد الجامعي الشهير في كانور مقرر رسمي لهذه العمليات. كما أشارها مجلة الرسالة المليالمية: <https://risalaupdate.com/story/arakkal-and-kannur-city-masjid> Malayalam

Article in Risala Malayalam Weekly, Wrote by Sadiq Chuzali, "Cannoor City Masjid: Culture Centre of Arakkal Royal Family, 18 April 2024

المدرسي على الإطلاق في عموم الولاية. ولا يوجد مجلس مدارس التعليمية دينية (Madrasa Education Board) في ولاية كيرالا على مستوى الحكومة كما توجد في ولايات أخرى الهندية.

على الرغم من أن نظام المدارس الدينية في ولاية كيرالا شهد العديد من التطورات والتجديد على مدى عقود من الزمن، إلا أن الأوساط الأكاديمية لم تولي اهتمامًا كبيرًا لدراسة عملها ونقاط قوتها ومساهماتها علميًا. تتعامل معظم أعمال البحث التي تم إنجازها حتى الآن مع عموميات وخصائص الإسلام في ولاية كيرالا وتاريخها، بالمقارنة والتباين مع التجارب الإسلامية الأخرى دون التركيز كثيرًا على المبادرات التعليمية لمسلمي ولاية كيرالا خاصة. وتوجد في العديد من الكتابات والبحوث العلمية، بأن نموذج التعليم الديني الإسلامي في ولاية كيرالا فريد من نوعه وهو نموذج يميز به لجميع الولايات الأخرى الهندية.

الفصل السابع عشر

من تلامذة المولوي المشاهير: وگم محمد ميثين (1899/1967)م

كانت أرض كيرالا الصغيرة مهدًا لولادة العديد من العلماء الموهوبين. ومع ذلك، لم يحظ سوى عدد قليل منهم بمكانة دائمة في التاريخ. ولأسباب متعددة، طواهم النسيان. فمنهم من تعرض للتجاهل بسبب عدم وجود دعم مؤسسي، ومنهم من حالت ظروف الزمان دون نشر مؤلفاتهم، حتى ظلت أعمالهم طي الكتمان. لكن لا شك أن التاريخ سيخلد جهودهم المخلصة، وفي المستقبل قد نجد بعضهم يخرج من غياهب النسيان ليستعيد مكانته المستحقة في التاريخ. ومن بين هؤلاء العلماء البارزين، يبرز اسم "وگم بي محمد ميثين صاحب".

ولد هذا العالم الخبير في عام 1889م في منطقة وكم، التابعة لمقاطعة تريفاندرور، لوالديه السيد/الفقير ميثين والسيدة/ وفاطمة بيبي. فقد والدیه في طفولته وأصبح يتيماً في صغر سنه. وكان خاله، وگم محمد عبد القادر المولوي، المصلح الاجتماعي الشهير وصاحب صحيفة "سوادشياميني". تلقى محمد ميثين تعليمه الديني وتعلم اللغة العربية في البداية تحت إشراف خاله المولوي الوگمي. وبعد ذلك، التحق بكلية الفنون في تريفاندرور لدراسة المرحلة الثانوية، لكن مرض السُلّ (Tuberculosis) منعه من استكمال تعليمه. وبعد أن شفي من المرض، طور مهاراته بنفسه ليصبح متمكناً في الإنجليزية والعربية والأردية والسنسكريتية. وكتب مقالات وترجمات بشكل متواصل في مختلف المنشورات، مثل مجلة "يووا كيساري" و"أنصاري" و"المرشد" و"الفاروق" و"جانديكا". حظيت مقالاته ودراساته حول القرآن الكريم والحديث الشريف باهتمام كبير، خاصة في فترة لم تكن فيها ترجمات دقيقة لهذين المصدرين باللغة المليالمية الفصحى.

رغم أن المسلمين كانوا يشكلون نسبة كبيرة من المجتمع الكيرالي، إلا أنه لم تكن هناك ترجمات دقيقة للقرآن الكريم أو النصوص الدينية باللغة المليالمية الفصحى. لا يمكن التغافل عن ترجمة "ماين كوتي إيليا" للقرآن بالمليالمية العربية التي نُشرت عام 1883م، لكن لم تكن هناك ترجمة نقيّة تُخاطب عامة أهل كيرالا بلغتهم. ولتلبية هذا النقص، قام محمد ميثين عام 1935م بنشر ترجمة الجزء الثلاثين الأخير من القرآن الكريم في لغة المليالمية.

وفي ذات الوقت، بدأت جهود ترجمة القرآن بقيادة جمعية الأدب الإسلامي "مسلم ليتشر سوسيتي" في كاليكوت. شارك محمد ميثين بنشاط في هذا المشروع مع كل من بي.كي. موسى المولوي، وكي. إم. المولوي. قام بنشر الجزء الثامن والعشرين عام 1948، والجزء السابع والعشرين وسورة النور عام 1950م، إضافة إلى ترجمة الجزء التاسع والعشرين، والجزء الثلاثين، وسورة ياسين، من خلال دار النشر الخاصة به في منطقة كانيابورام من "هداية الإسلام بوك ستال"⁴⁷⁷.

أما الجزء الأول من ترجمة القرآن الكريم بقلم سي. إن. أحمد المولوي، والذي يشمل سبعة أجزاء ونصف، فقد نُشر على يد السيد مجيد مركار من بيرومباور. لاحقًا، ظهرت خلافات في وجهات النظر بينهما، ما أدى إلى انسحاب سي. إن. أحمد المولوي من المشروع. ثم قام بإكمال ترجمة الجزء الثاني ونشره بتفسيره الخاص. استقر سي. إن. أحمد المولوي في كاليكوت وكرّس وقته بالكامل لإنجاز ترجمة القرآن، حتى أكمل عمله بالكامل. رغم أن محمد ميثين صاحب أكمل ترجمة القرآن الكريم بالكامل في عام 1954، إلا أن هذا العمل القيم لم يُنشر إلا بعد مرور 55 عامًا، حيث قامت دار نشر جامعة كيرالا بنشره أخيرًا في عام 2009.

أما الجزء الأول من ترجمة القرآن الكريم بقلم سي. إن. أحمد المولوي فقد نُشر في عام 1957، بينما صدرت ترجمة موتانيشري كوياكوتي المولوي في عام 1965. كتب مقدمة ترجمة القرآن موتانيشري كوياكوتي المولوي، حيث أشار إلى الظروف الصعبة التي أُنجزت فيها ترجمة محمد ميثين صاحب للقرآن الكريم. وذكر قائلاً: "حينما نُشرت ترجمتي في عام 1965، كان محمد ميثين صاحب قد أكمل ترجمة القرآن الكريم منذ سنوات عديدة، ولكن بسبب عوامل مختلفة، لم يُتمكن من نشرها"⁴⁷⁸.

وأضاف موتانيشري عن موضوع ترجمة القرآن قائلاً: "الترجمة فن قائم على أسس علمية، وهو أمر يفتقر إليه الكثير من الترجمات المليالمية. ينبغي أن تقترب كلمات الترجمة من عدد الكلمات المستخدمة في النص الأصلي. كما أن تقليل عدد الكلمات المستخدمة في الترجمة يُعد جزءًا من الالتزام العلمي. لكن من المؤسف أن معظم الترجمات المليالمية للقرآن تتضمن كلمات تفوق النص الأصلي مرتين أو أكثر، مع وضع بعضها

⁴⁷⁷ Abdurahman Mangad. Vakkom P. Muhammed Maitheen: Theranjedutha Prabandhangal (Selected Works of Vakkom P. Muhammed Maitheen). Malayalam. Malappuram: Grace Educational Association, First Edition, August 2023, p. 9.

⁴⁷⁸ Page no:10

بين قوسين. ومن المفرح أن ترجمة محمد ميثين صاحب خالية من هذه العيوب"⁴⁷⁹، كما أكد ذلك موتانيشري كوياكوتي المولوي.

وهناك كتاب آخر من تأليف محمد ميثين صاحب كان بعنوان "دروس في القواعد العربية"، حيث قارن فيه بين القواعد النحوية للغة العربية واللغة المليالمية. نُشرت النسخة الأولى من هذا الكتاب عام 1954 من قبل "بهاراتا شانديريكا للنشر". وفي عام 2018، أُعيد نشره بشكل كامل من قبل قسم النشر في جامعة كيرالا، كما ترجم كتاباً آخر بعنوان "لماذا تخلف المسلمون؟"، وهو عمل رائع للمصلح الاجتماعي والمؤرخ والمفكر أمير شكيب أرسلان⁴⁸⁰. وقد نشره إم. إس. جمال محمد في صورة كتاب عام 1946م. بدأ نشر هذه الترجمة لأول مرة كسلسلة في صحيفة الأمين اليومية المليالمية بين سبتمبر وأكتوبر عام 1935م.

في عام 1939، نُشرت له الطبعة الأولى من كتاب أول مجموعة من الأحاديث الشريفة في المليالمية. و أُعيد نشره في عام 2015 من قبل مكتبة "الهدى" في كاليكوت. كما ترجم ردّاً على مقال لأحد العلماء المسيحيين الذي كتب بأن الإسلام دين انتشر بالسيف. وردّاً على هذا الادعاء، استخدم محمد ميثين صاحب كتاباً تأليفياً يعتمد على ترجمة نصوص للمولوي محمد علي.

ومن بين أعماله الأخرى، ترجمة فصل "عجائب القلب" من كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي. وأُعيد نشر طبعته الثانية في عام 2014 من قبل معهد كيرالا للغات (Kerala Bhasha Institute) بأسلوب جميل.

أما العمل التاريخي للمؤرخ المصري "نور اليقين" لعلامة خضري بك، فقد ترجم إلى المليالمية، نُشر هذا العمل عام 1946. كما نشر مجموعة من الأحاديث من كتاب الرقاق، وترجم كتاب الأصول الثلاثة أيضاً للإمام الشيخ محمد عبد الوهاب إلى المليالمية الفصحى.

كان محمد ميثين صاحب مشاركاً نشيطاً ليس فقط في مجال التأليف والكتابة، بل أيضاً في ميادين الإصلاح الاجتماعي والثقافي. وقد شغل مناصب قيادية في عدد من الجمعيات مثل "كيرالا مسلم أيكيا سانغوم" و"مؤتمر كيرالا الإسلامي" (Kerala Muslim Conference)، التي كانت تعمل على نطاق ولاية كيرالا. توفي

⁴⁷⁹ Page no:10

⁴⁸⁰ الأمير شكيب أرسلان (1869-1946) كان مفكراً وأديباً وسياسياً لبنانياً، وُلد في بلدة الشويفات بالقرب من بيروت. ينتمي إلى عائلة درزية عريقة. لُقّب بـ"أمير البيان" بسبب فصاحته وكتاباته المتميزة. كان أرسلان من أبرز المدافعين عن القضايا العربية والإسلامية في عصره، وله دور كبير في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية ومقاومة الاستعمار. تأثر بالفكر الإصلاحي الذي نادى به جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، كما كان على علاقة وثيقة برجال الحركة الوطنية في العالم العربي. ألف العديد من الكتب والمقالات، منها كتابه الشهير "لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم"، الذي يُعد من أبرز أعماله الفكرية، حيث تناول فيه أسباب تراجع المسلمين وسبل النهضة. عاش جزءاً كبيراً من حياته في المنفى، متنقلاً بين أوروبا والعالم العربي، حيث عمل على نشر قضايا التحرر والاستقلال.

محمد ميثين صاحب في العاشر من مايو عام 1967م. وبعد وفاة زوجته الأولى، ميمونة بيبي، تزوج شقيقته فوزية بيبي. وكان له ثلاثة أبناء وثلاث بنات.

وعند استعراض أعمال محمد ميثين صاحب، يمكننا أن نرى العديد من الأحداث المدهشة. إن سرعته في الكتابة كانت تثير الدهشة حقًا. على سبيل المثال، بينما كان يعمل على مقالات تفسير وترجمة القرآن الكريم التي نُشرت في مجلة أنصاري الشهرية، التي كانت تُصدر من بيرومباور، كان في الوقت نفسه يعمل على ترجمة رواية "عاقبة الانتقام"، للكاتب الإسلامي السيد/ مرمديوك بكتال⁴⁸¹. وقد كتب أيضًا المقالات تحت الاسم المستعار بي. إم. وكم.

من بين أعماله البارزة ترجمة كتاب "الوحي المحمدي" لالسيد رشيد رضا المصري، وكتاب رسالة التوحيد لمحمد عبده، بالإضافة إلى خطبات مدراس للسيد سليمان الندوي. وقد نُشرت هذه الترجمات في مناسبات مختلفة في عدد من المجلات والصحف المليالية. كما كان له إسهامات في ترجمة العديد من الكتب من الإنجليزية إلى المليالية.

يعد محمد ميثين صاحب من الشخصيات البارزة بين تلاميذ وكم محمد عبد القادر المولوي، وقد لعب دورًا مهمًا في تعريف المجتمع الإسلامي الكيرالي بالأفكار الحديثة من العالم العربي والإسلامي. وعند دراسة وتحليل محطات التاريخ الحديث في كيرالا، غالبًا ما ينصبّ التركيز على الشخصيات الرئيسية فقط، بينما يتم تجاهل أو نسيان أولئك الذين وقفوا إلى جانبهم أو ساهموا بفعالية في جهود النهضة، سواء كان ذلك عن قصد أو عن غير قصد. هذا النسيان لم يقتصر على النهضة العامة في كيرالا فحسب، بل امتد أيضًا إلى حركة النهضة الإسلامية التي بدأت في الولاية منذ قرن مضى.

ومن بين هذه الشخصيات المنسية في المجتمع الكيرالي، تبرز شخصية وكم بي محمد ميثين كان من أحد تلاميذ العلامة المولوي الوكمي وأحد أقربائه. كما كان صديقًا حميمًا للسيد ستي صاحب، وشقيقًا للقاضي بي حبيب محمد، الذي ارتقى ليصبح أول قاضٍ مسلم في محكمة كيرالا العليا. رغم اضطرابه إلى ترك دراسته الجامعية بسبب مرض أُصيب به في شبابه، والذي أدى لاحقًا إلى فقدانه البصر، إلا أنه أظهر مهارات متميزة في المجال العلمي والأدبي. إلى جانب ذلك، كان عالمًا ذا دراية عميقة في الأمور الدينية، وكتبًا بارزًا جمع بين المعرفة الواسعة والموهبة الأدبية النادرة.

⁴⁸¹ مرمديوك بكتال (Marmaduke Pickthall) هو كاتب ومترجم بريطاني بارز وُلد في 7 أبريل 1875 وتوفي في 19 مايو 1936. اشتهر باعتناقه الإسلام في عام 1917، حيث كان من أوائل المثقفين البريطانيين الذين أعلنوا إسلامهم علنًا. قبل إسلامه، كان بكتال معروفًا بكتابة الروايات التي استلهمت الكثير من الموضوعات الشرقية والإسلامية، حيث قضى جزءًا من حياته في بلدان الشرق الأوسط. ومن أهم إنجازاته كان ترجمته لمعاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية، وهي الترجمة التي حملت عنوان *"The Meaning of the Glorious Qur'an"*. حظيت هذه الترجمة بتقدير واسع في العالم الإسلامي نظرًا لدقتها وأسلوبها الأدبي الرفيع، إذ قدمها بكتال بأسلوب براعي قدسية النص القرآني. كما لعب دورًا مهمًا في تعزيز التفاهم بين المسلمين وغير المسلمين من خلال كتاباته ومحاضراته عن الإسلام والحضارة الإسلامية.

الفصل الثامن عشر

مناقشة عن أول ترجمة كاملة لمعاني القرآن في الأبجدية المليالمية لمن ؟

فإن أول ترجمة كاملة لمعاني القرآن الكريم في الأبجدية المليالمية يُشاع أنها من إعداد سي. إن. أحمد المولوي. ويُعتقد أن السبب وراء هذا الاعتقاد هو ما ورد في مقدمته حيث قال: "وهكذا، في عام 1953، تم نشر ترجمة لربع القرآن الكريم مع مقدمة تعريفية بالقرآن تحتوي على 230 صفحة. استقبلها شعب كيرالا بكل حفاوة واحترام. وعندما أدرك الناس عظمة القرآن، انشغلوا بقراءته وفهمه. تلقت العديد من رسائل التهئة من مختلف المراكز. ومع ذلك، لم يكن بالإمكان الاستمرار في هذا المشروع. واستمرت الاستفسارات من مختلف الجهات. وأخيراً، أصدرت مجلدين صغيرين بصعوبة بالغة، لكن بقي أكثر من نصف العمل غير مكتمل. وفي النهاية، توجهت بطلب إلى حكومة الهند، التي قدمت دعماً مالياً بقيمة 12,900 روبية. وهكذا، اكتمل هذا الجهد في عام 1961. واستغرق الأمر بالمجموع عشر سنوات"⁴⁸².

وفقاً للسجلات، نُشر المجلد الأول من ترجمته عام 1961، وتمت إعادة طباعته في عام 1964. ثم تم إصدار نسخة مُنقحة بواسطة دار النشر الوطنية (NBS) عام 1973. وبعد ذلك، توالى الطباعات في الأعوام 1982، 1987، 1999، 2006، و2008م.

الرأي القائل بأن أحمد مولوي هو أول من أكمل ترجمة القرآن الكريم في الأبجدية المليالمية غير دقيق. فقد أتم بي. محمد ميثين الوكّمي ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة المليالمية النقية في عام 1954، أي قبل أحمد المولوي. ومع ذلك، لم تحظ ترجمة محمد ميثين بشرف الطباعة في ذلك الوقت. تم نشرها لأول مرة عام 2009 من قبل قسم النشریات جامعة كيرالا. على الرغم من أن أول ترجمة مطبوعة في الأبجدية المليالمية كانت لأحمد المولوي، إلا أنه لا شك في أن أول ترجمة كاملة تم إعدادها كانت من عمل محمد ميثين الوكّمي⁴⁸³.

وفي ذلك الوقت، لم تكن اللغة المليالمية بالشكل البسيط الذي هي عليه نحن اليوم، بل كانت تتميز بوفرة الكلمات السنسكريتية، وهو ما كان سمة خاصة للنثر في تلك الحقبة. ومع ذلك، يمكن القول إن ترجمة محمد ميثين كانت بسيطة وسلسة للغاية مقارنة بأسلوب النثر الشائع آنذاك. هذا ملحوظ بشكل خاص عند النظر إليه كشخص يمتلك براعة لغوية كبيرة في اللغة السنسكريتية.

⁴⁸² ملخص من مقدمة ترجمة القرآن، سي. إن. أحمد المولوي

⁴⁸³ "The first complete translation of the Quran in Malayalam" Malayalam Article by: T.K.Abdullakunji, <https://muslimheritage.in/innermore/103>

بدأ اهتمام محمد ميثين بترجمة وتفسير القرآن الكريم في ثلاثينيات القرن الماضي. ففي عام 1935، نشرت جمعية الأدب الإسلامي (Muslim-Literature Society) في مدينة تيلشيري ترجمة وتفسير سورة البقرة من إعداد محمد ميثين. أشرنا إلى هذه الحقيقة سابقًا. في نفس العام 1935م، عندما نشرت جمعية الأدب الإسلامي في كاليكوت ترجمة وتفسير الجزء الثلاثين من القرآن لمحمد ميثين، أحدث ذلك ضجة كبيرة داخل المجتمع المسلم. في هذا السياق، أشار سي. إن. أحمد المولوي في الجزء الأول من ترجمته للقرآن الكريم بقوله: "عندما قامت جمعية الأدب الإسلامي في كاليكوت بنشر ترجمة لجزء من القرآن الكريم عام 1935، كان هناك سبعة من رجال الدين أصدروا فتاوى ضدها، وقد رأيت ذلك بنفسى"⁴⁸⁴.

لم تؤثر الانتقادات السلبية من رجال الدين وأتباعهم على محمد ميثين قط، فقد أتم ترجمة القرآن الكريم بالكامل. ومع ذلك، لم يكن لديه فرصة لنشر عمله بالكامل دفعة واحدة، وهو مأساة أدبية غالبًا ما يعاني منها الكتاب في كل عصر ومصر. على سبيل المثال، أن الشاعر الكبير أولور أس. برميشرا أيار (1949/1877)م عمل لمدة أربعين عامًا لإنجاز كتاب "تاريخ الأدب الكيرالي" (Kerala Literary History)، إلا أنه لم يحظَ بفرصة لرؤية عمله مطبوعًا خلال حياته.

لا شك أن الترجمة المليالمية للقرآن الكريم التي نشرها وكم محمد ميثين صاحب لم تجذب فقط العلماء الشرعيين من المسلمين، بل استحوذت أيضًا على اهتمام أولئك الباحثين عن اللغة المليالمية النقية واستعمالها الأدبية، حيث امتازت بأسلوب جديد ومفردات مبتكرة. ومما لا شك فيه أن مقالات محمد ميثين وترجماته، وعلى رأسها ترجمة القرآن الكريم، كانت ذات فائدة عظيمة ومساهمة بارزة من ناحية العلمية والأدبية.

وفي هذا السياق، دعا سي. إن. أحمد المولوي، من خلال مجلة "الأنصاري" التي أصدرها في كارواراكوند بمنطقة مالابورام، إلى ضرورة اعتماد أنظمة تعليم القرآن الكريم مع معانيه أيضًا، مطالبًا بوقف الأنظمة التي تقتصر على التلقين الصوتي دون فهم المعاني الصحيح.

وقد أثنى العديد من علماء اللغة المليالمية البارزين اليوم على الجهد الذي بذله وكم محمد ميثين في توريده الكلمات والتعبيرات والأساليب الجديدة المستخدمة في ترجمته للقرآن الكريم. تلك التعبيرات كانت في أغلبها من صميم اللغة المليالمية الخالصة، وذلك في وقت لم تتوفر فيه حتى قواميس لغوية عن اللغة المليالمية تُمكن الراغبين من التوسع في التعلم وفهم الاتجاهات والتعبيرات الأدبية المستحدثة في اللغة المليالمية⁴⁸⁵.

⁴⁸⁴ ملخص من مقدمة ترجمة القرآن، سي. إن. أحمد المولوي.

⁴⁸⁵ Khan, K. P. F. (2024, May 17). The birth of an Arabic-Malayalam lexicon. *Prabodhanam Weekly*.

وفي عام 1918، قام المولوي الوكّمي لأول مرة بكتابة ترجمة وتفسير لسورة الفاتحة في مجلته "الإسلام". لاحقًا، في سنواته الأخيرة، واصل هذا العمل من خلال مجلته "ديبكا"، التي كان يصدرها في الفترة ما بين عامي 1931 و1932، حيث استمر في ترجمة القرآن الكريم وكتابة تفسيره. إلا أن هذا الجهد توقف بوفاته في 31 أكتوبر 1932. وبعد رحيله، تولى تلاميذه هذه المهمة، وهي الجهود التي يمكننا قراءتها اليوم في تاريخ النهضة الإسلامية في ربوع كيرالا.

هيكلية ترجمة محمد ميثين المنشورة

تم نشر ترجمة محمد ميثين من قبل جامعة كيرالا، وهي تتبع الهيكل التالي:

1. مقدمة مطولة.
2. ترجمة كل سورة، حيث يتم الإشارة إلى :
 - رقم السورة.
 - اسم السورة الأصلي.
 - ترجمة اسم السورة.
 - مكان نزول السورة (مكية أو مدنية).
 - أصل اسم السورة.
 - الترجمة النصية للآيات.

وفي الترجمة الجزئية التي نُشرت سابقًا، كانت هناك ملاحظات وتفسيرات. لكن في المجلد الحالي المنشور، لا توجد هذه الملاحظات، ومن المرجح أنها أُزيلت أثناء عملية النشر.

كتب مُتانيشري كويكوتي المولوي مقدمة رائعة ومضيئة لترجمة محمد ميثين، والتي تُعتبر أول ترجمة كاملة للقرآن الكريم نُشرت في مجلد واحد. تم تنفيذ الترجمة بأسلوب استمع فيه المؤلف للنصوص القرآنية الأصلية باللغة العربية وقدم تفسيرها ومعناها. وقد دعم هذا الجهد الكبير باستمرار ابنه الأكبر محمد رفيق، بالإضافة إلى سلطان بيلا منشي، وعبد الواحد من شيرايينكيز⁴⁸⁶.

إذا سُئل عن أهم المساهمات التي قدمها أقربائه وتلاميذه لوكم محمد عبد القادر المولوي إلى المجتمع المالايالامي، فإن الإجابة تكون: إعداد ترجمة لمعاني القرآن الكريم بلغة الأم، مما ساعد المجتمع الإنساني على العبور من الظلام إلى النور.

⁴⁸⁶ T.K.Abdullakunji

الفصل التاسع عشر

جهود الترجمة وتعزيزها الصداقة المجتمعية في ولاية كيرلا

يعتبر نمط الحياة في كيرالا مثلاً رائعاً لتأثير الأديان والفلسفات في مجتمع تعددي. فالعقلية الكيرالية، التي تتسم بالاحترام والتقدير للآخرين وتقبلهم، تستحق الثناء. كما أن الرغبة الكيرالية في التعرف على الآخرين والتقارب معهم تتجلى في التفاعلات المتبادلة في مجال الأدب والثقافة واضحة جداً.

لا ينبغي أن نتجاهل أن مشروع ترجمة القرآن الكريم، الذي بدأه وقاده العلامة المولوي الوكّمي وتلاميذه، تبناه لاحقاً إخوتنا من غير المسلمين أيضاً. عندما تُترجم الكتب المقدسة، بما فيها القرآن، إلى لغة المجتمع وبأسلوب أدبي يمكن فهمه واستيعابه، فإن ذلك يترك تأثيراً عميقاً يتجاوز الحدود الدينية والعرقية. ويعد ظهور ترجمات القرآن من قبل أفراد من غير المسلمين دليلاً واضحاً على هذا التأثير. ومن الجدير بالذكر أن هذه الدراسات والأبحاث ظهرت في وقت أعرض فيه بعض المسلمين أنفسهم عن مشاريع ترجمة القرآن الكريم.

هناك شاعران من غير المسلمين قدما ترجمات كاملة للقرآن الكريم إلى المالايالام بأسلوب شعري. هما السيد/ شوناكرا ك.ج. راغافان ناير، الذي ألف "أمريتا فاني"، وكونيور راغافان ناير، مؤلف "ديفيا ديبثي". كما أن هناك شخصيات أخرى قدمت ترجمات جزئية، منهم إ.ف. كريشنا بيلاي، وغورو نيتيا تشايتانيا ياتي، وسوامي فيشفاهدرا ننذا شاكتي بودهي. وعلى الرغم من أن هؤلاء المؤلفين كانوا من غير المسلمين، إلا أن أعمالهم، "أمريتا فاني" و"ديفيا ديبثي"، لم تحظ بمكانة بارزة في التاريخ الأدبي، مما يثير التساؤل عما إذا كان ذلك بسبب كونها ترجمات للقرآن الكريم؟

إن الأسماء المذكورة أعلاه تستحق أن تُسجل بحروف من ذهب في الدراسات التي تبحث في تأثير خدمة الترجمة التي بدأها العلامة وقام مولوي وتلاميذه على المجتمع المالايالامي.

تعتبر ترجمات ودراسات القرآن الكريم التي قام بها علماء من غير مسلمين في المجتمع الكيرالي شهادة حية على التسامح والتعايش الديني فيه. ومن بين هذه الأعمال المميزة الترجمة الكاملة للقرآن الكريم على شكل أبيات شعرية، والمعروفة باسم "أمروتافاني"، والتي نشرتها دار النشر الإسلامي (Islamic Publishing House) بكاليكوت. بالإضافة إلى ذلك، هناك أعمال بارزة مثل "خلاصة القرآن البسيطة" التي ألفها كل من

فانيداس إليافورم⁴⁸⁷ والشيخ محمد كاركُن⁴⁸⁸، وقلب القرآن للسيد/ نيتيا تشايتانيا ياتي⁴⁸⁹، و"هندوسي سنياسي يقرأ القرآن" للسوامي فيشوآبادراناندا شاكتيبودي⁴⁹⁰. وفي ظل الظروف الحالية، فإن قراءات ودراسات القرآن الكريم التي يقوم بها علماء هندوس بارزون يمكن أن تلعب دورًا كبيرًا في تعزيز التفاهم المتبادل والتعايش بين المجتمعات المختلفة. يُذكر أن أول مترجم غير مسلم للقرآن الكريم في ولاية كيرالا هو السيد/ إي. في كريشنا بيلاي⁴⁹¹.

إ. في كريشنا بيلاي في سيرته الذاتية "ذكريات الحياة" يروي كالاتي: "وفي عام 1922م، كنت أعمل كمساعد تحصيل في الحكومة. خلال تلك الفترة، أخذت إجازة من هذه الوظيفة المرهقة للقيام برحلة. بعد عودتي

⁴⁸⁷ ساهم الكاتب المالايالامي فانيداس إليافورم بكتابات متميزة في الأدب الإسلامي، حيث قدم أكثر من خمسة عشر عملاً يعكس عمق فكره وانفتاحه الثقافي. من أبرز أعماله "متواضعا أمام القرآن"، الذي يبرز الطبيعة الإنسانية للقرآن في سياق تقييم الأديان، وجهاد النفس بالكتاب الحق، الذي يوضح المعنى الروحي العميق للجهاد، والثقافة الإسلامية وبعض الخواطر اللطيفة، الذي يعيد رسم صورة المجتمع النموذجي في المدينة المنورة. كما أضاف لمسة لغوية إبداعية إلى النص القرآني في كتاب القرآن باختصار، مما جعل رسالته متاحة للجميع، وأكد في كتابه القرآن هو الكتاب المقدس على خلو النص القرآني من أي تناقضات، مسلطاً الضوء على دعوة القرآن للوحدة الإنسانية والعدالة. تُبرز هذه الأعمال رؤية فانيداس المتفردة في تقديم الإسلام للعالم بلغة تجمع بين الأصالة والجمال.

⁴⁸⁸ يُعد الكاتب والمفكر الإسلامي البارز شخصية متعددة المواهب، حيث يشغل مناصب عديدة مثل سكرتير ولاية الجماعة الإسلامية، ومدير مركز الحوار في كيرالا، ورئيس مؤسسة التراث الإسلامي الكيرالي. كما شغل سابقاً منصب نائب رئيس الجماعة الإسلامية في كيرالا، ومدير دار النشر الإسلامي في كالكوت، ورئيس تحرير مجلة بربوذنام. عمل مدرساً لمدة تسع سنوات وانضم إلى الجماعة الإسلامية في عام 1982، حيث خدم لمدة 25 عامًا كمدير لدار النشر الإسلامي، ثم عمل مساعداً لأمر الجماعة. بين عامي 2015 و2019، عاد ليشغل منصب مدير دار النشر. له دور بارز في مجال الخطابة والحوار بين الأديان في كيرالا، وحاز على خمس جوائز لأفضل مؤلفاته. من أبرز كتبه: عمر بن عبد العزيز، الإسلام والتسامح الديني، بصمات خالدة، 20 جوهرة نسائية، وحوار المحبة.، وكلها في لغة المالايالية. شارك مع فانيداس إليافورم في تأليف خلاصة القرآن البسيطة التي تم إصدارها على شكل موقع إلكتروني وتطبيق صوتي وتطبيق للهواتف المحمولة. شارك في مؤتمرات دولية مثل الحوار بين الأديان في الدوحة، والمؤتمر الدولي للقرآن الكريم في دبي. ألف أكثر من 100 كتاب، منها 14 ترجمة، وتمت ترجمة خمسة منها إلى الإنجليزية، وخمسة إلى التاميلية، و12 إلى الكانادا، وواحد إلى الماراثية.

⁴⁸⁹ كان غورو نيتيا تشايتانيا ياتي معلماً روحياً جمع بين الفلسفات الشرقية والغربية. وُلد في 2 نوفمبر 1924 في قرية مورينجاكال بمنطقة باتانامثينا بولاية كيرالا، الهند. واسمه الأصلي جايشاندر. توفي في 14 مايو 1999. وكان تلميذاً لغورو ناتاراجا، وامتلك فهماً عميقاً للفلسفات الشرقية والغربية مع الفلسفة الإسلامية. ركز على التوفيق بين الأفكار التقليدية والفلسفات الحديثة وقدم رؤية روحية جديدة. اعتبر أن الحب هو أسعى المشاعر الإنسانية، وأن حالته النقية والعميقة هي التفاني "البهاكتي" التي تؤدي إلى التحرر الروحي. ألف كتباً عديدة تناولت العلاقة بين الحب والتفاني، منها كتاب "الحب والتفاني" المستند إلى عمل جاياديفا "جيتا جوفيندا". كان شاعراً بارعاً، كتب أكثر من 100 كتاب باللغتين المالايالامية والإنجليزية. حصل ديوانه الشعري "نالبني" على جائزة أكاديمية كيرالا الأدبية عام 1977. عمل أستاذاً في كليات سري نارايانا بكولام وفيفيكاناندا في مدراس. درس في جامعات عالمية كأستاذ زائر خلال السبعينيات والثمانينيات. من عام 1984 وحتى وفاته، كان رئيساً لمعهد نارايانا جوروكولا وجامعة الشرق والغرب في أوتي. رحل غورو نيتيا تشايتانيا ياتي، لكنه ترك إرثاً روحياً وفلسفياً خالداً يعكس الوحدة بين الثقافات والفلسفات.

⁴⁹⁰ رجل فلسفي من ديانة الهنوسية. وله مؤلفات مشهورة ينقد فيه أصول الفلسفة الهندوسية والأساطير الهندوكية. واشتهر في أوساط الثقافة بفكرته العلمانية. وله كتاب مشهور نال انتقادات شديدة من جهات الكنترفين الهندوس. والكتاب يبحث في موضوع ذبح الأبقار وأكل لحومها في إطار التراث الفيددي المعروف باسم "الثقافة الأرشية الهندية". يستند الكتاب إلى النصوص الفيدية مثل الفيدات، الأوبانيشاد، البراهمانا، السمرتي، والقصص والأساطير (البورانات)، لتوضيح أن حظر ذبح الأبقار لم يكن موجوداً في هذا التراث القديم، وأنه كان يتم ذبح الأبقار لأغراض الطقوس مثل الباغما واليجنا وكذلك للطعام. الكتاب يدحض استخدام قضية الأبقار كسلاح للاستقطاب الطائفي والسياسي من قبل القوى الهندوتفا، ويؤكد أن النصوص الهندوسية لا تدعم هذه الممارسات. كما يقدم المؤلف، وهو عالم هندوسي وراهب، رداً على كتاب "استهلاك لحم البقر في التراث الأرشي الهندي" للمؤلف إم. آر. راجيش.

⁴⁹¹ كان إي. في. كريشنا بيلاي كاتباً بارزاً في الأدب الساخر باللغة المالايالامية، وشخصية متعددة المواهب تميزت في مجالات مختلفة مثل التمثيل، الصحافة، المحاماة، والقيادة السياسية. وُلد في 14 سبتمبر 1894 في بيت إنجاكات، بالقرب من أودور في منطقة باتانام تيتا. أظهر اهتمامه بالأدب منذ صغره، وكان لصداقته مع الكاتب سي. في. رامن بيلاي دور كبير في تنمية شغفه بالأدب. كتب إي. في. كريشنا بيلاي تحت أسماء مستعارة مثل "تريلوفا سانشاري" و"نيترا روجي" في المنشورات الدورية. في عام 1931، انتُخب لعضوية الجمعية التشريعية في ترافانكور. والجدير بالذكر أن ابنه كان الممثل السينمائي الشهير أودور باساي.

من الرحلة، بدأت في مشروع أدبي وهو ترجمة القرآن. لم أكن على دراية باللغة العربية، لذلك اعتمدت في هذا الجهد على الترجمة الإنجليزية لمحمد علي اللاهوري. نُشرت الترجمة في البداية في مجلة "باهشا بوشيني". لكن لم أتمكن من نشرها ككتاب مستقل".

ويضيف إ. في قائلاً: "لقد عارض المسلمون هذا الجهد. أرسل العديد منهم رسائل تهديد. قررت التخلي عن هذا المشروع لتجنب الخلافات والمشاكل". ويتابع الكاتب قائلاً: "كان هناك العديد من المفاهيم الخاطئة حول المسلمين منتشرة في البلاد بسبب التدخل الاستعماري. حتى هيرمان جندرت⁴⁹² لم يكن بعيداً عن هذا الموضوع. وفي هذا السياق، يمكن اعتبار وصول رؤية القرآن إلى المتحدثين بالمليامية بمثابة عمل جريء. ولكن كان هناك عدد قليل من الناس في المجتمع الإسلامي الذين يمكن أن ينظروا إلى هذه مسألة بكل هدوء وسلام. إن الوعي الثقافي غير الناضج للأغلبية هو الذي تحول إلى معارضة وتهديدات" كما يروي الكاتب.⁴⁹³

عندما نواجه اليوم تصريحات تصدر من مجالات غير متوقعة تساهم بشكل كبير في نشر المفاهيم الخاطئة حول الإسلام والمسلمين، يظهر اهتمام متزايد لدى العامة لمعرفة الحقائق المزيد عنه. وفي هذا السياق، تعتبر الكتابات والمقالات التي ترجمها وكتبها محمد ميثين صاحب في تلك الفترة مصدراً ثرياً بالمعلومات التي تلي احتياجات القارئ العادي. هذه الكتابات تساعد في توعية الناس وإيصال فكرة مفادها أن التحديات التي يواجهها المجتمع المسلم على مر الزمن قد تكون نتيجة أخطاء داخلية.⁴⁹⁴

من أبرز أعماله، ثلاث ترجمات مهمة. الأولى كانت ترجمة مقتطفات من محاضرات ألقاها السيد سليمان الندوي في مدراس⁴⁹⁵، حيث قام بتحليل حياة النبي ﷺ بطريقة موضوعية. ركزت تلك الترجمة على إثبات أصالة علم الحديث، وتناولت الفرق بين الحديث والسنة، والخلفية التاريخية، والعلاقة بين القرآن والسنة، ودور السنة في توحيد المسلمين، والارتباط التاريخي لحياة النبي ﷺ، وكيف أصبحت نموذجاً خالداً للعالم.⁴⁹⁶

الكتاب الثاني هي ترجمة من الكتاب "رسالة التوحيد" لشيخ محمد عبده⁴⁹⁷، بأسلوب بسيط وواضح. يشرح الكتاب كيف أن الإنسان، الذي يمتلك قدرات عقلية تفتقر إليها الحيوانات مثل قوة الذاكرة والخيال

⁴⁹² قد سبق عنه ذكر تفصيلاً.

⁴⁹³ Mangad, A. (2018, March 2). Translation efforts fostered communal harmony. (Malayalam) Prabodhanam Weekly, (3041).

⁴⁹⁴ Althaf, K. M. "Religious Reform Positions and Renaissance Traditions That Need to Be Recovered." *Keraleeyam*, 26 Dec. 2023. Web. 15 June 2026. <<https://www.keraleeyammasika.com/vakkom-p-muhammed-maitheen-vakkommoulavi-reformist-islam/>>.

⁴⁹⁵ Page no:14, selected Works of Vakkom P Muhammaed Maitheen), Malayalam, By: Abdurahman Mangad.

⁴⁹⁶ ibid. Page no:14-88.

⁴⁹⁷ الشيخ محمد عبده (1849-1905) كان أحد أبرز رواد النهضة والإصلاح في العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر. وُلد في قرية محلة نصر بمحافظة البحيرة في مصر، وتلقى تعليمه الأولي في الكتاب ثم التحق بالأزهر الشريف. تأثر بأفكار الإصلاح والتجديد التي دعا إليها أستاذه جمال الدين الأفغاني، وسعى لإحياء الفكر الإسلامي وإصلاح

والتفكير، قادر على التمييز بين الخير والشر. كما يتناول احتمالية نزول الوحي وضرورته، موضحاً ذلك بلغة مالايالامية نقية⁴⁹⁸.

أما الكتاب الثالث، فهو ترجمة مختصرة لجزء من كتاب "الوحي محمدي" للالسيد رشيد رضا المصري. يعرض هذا النص كيف أن القرآن الكريم، على عكس الكتب السماوية السابقة، يركز بشكل متكرر على مفاهيم مثل "العقل" و"الفكر" في أكثر من 25 موضعاً. كما يذكر عن الثورة القرآنية التي حولت أمة كانت تقتصر على التجارة ورعاة أغنام إلى أمة مثالية للعالم كله، مع تسليط الضوء على التطور البشري الذي قاده القرآن الكريم بأسلوب بسيط ومباشر⁴⁹⁹.

عندما تُثار اليوم حملات تشويه للإسلام من مجالات غير متوقعة، نجد أن المجتمع العام يرغب بشدة في معرفة الحقائق. في هذا السياق، تعتبر ترجمة المقالة البحثية باللغة الإنجليزية "علم الاجتماع الإسلامي والعالم الحديث" (The Social Sciences of Islam and the Modern World) للكاتب حسن الزمان مصدراً ذا قيمة عالية للباحثين. يناقش الكاتب في هذا المقال قضايا التاريخ الإسلامي والمشاكل التي يواجهها العالم الحديث، مسلطاً الضوء على دور المسلمين أنفسهم في خلق هذه التحديات، وهو ما أشار إليه سابقاً المفكرون أمثال مرمديوك بكتال، مما يجعل المقالة ذات صلة قوية حتى اليوم⁵⁰⁰.

تحتوي المقالة على أجزاء عاطفية تحفز القارئ على التفكير العميق والشعور بالحزن. من بين النقاط التي يناقشها الكاتب مفهوم "التقوى" الذي يتجلى من خلال ثلاثة نصوص إلهية. يستعرض كيف ينبغي أن تسير التقوى والإيمان بالله جنباً إلى جنب، ويصف صورة الشخص التقى صاحب الإيمان الراسخ بالله وسيادته المطلقة: "إنه يحترم جميع الكتب السماوية والرسول، ويسعى لخدمة الفقراء والمحتاجين دون دافع لتحقيق مكاسب مادية أو تفوق دنيوي، بل بدافع حب الله. يستخدم ثروته المكتسبة بطرق شرعية ليس للمزيد من الترف أو الجمع، بل للسير على نهج العدل والحق. يساعد الفقراء والعبيد لحمايتهم وصون كرامتهم، ويتبع السلوكيات النبيلة من الكرم والصدق، ويحافظ على الهدوء والصبر في أوقات الشدة والخوف، متوجهاً بالدعاء لله مع متابعة مسؤولياته اليومية". هذا الوصف يدعو أي مؤمن للتأمل العميق والتأثر⁵⁰¹.

المؤسسات الدينية والاجتماعية لمواجهة تحديات العصر. جمع بين التمسك بجوهر الدين والانفتاح على الفكر الحديث، حيث دعا إلى الاجتهاد وتحرير العقل من الجمود والتقليد. تولى الشيخ محمد عبده مناصب مهمة مثل الإفتاء، وأصبح مفتي الديار المصرية، حيث عمل على إصلاح القضاء والتعليم، وسعى لتعزيز التفاهم بين المسلمين وغيرهم. ترك أثراً فكرياً بارزاً مثل كتاب "الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية"، وشارك في تحرير جريدة العروة الوثقى مع الأفغاني. يُعد محمد عبده رمزاً للتجديد الإسلامي والتوفيق بين الأصالة والمعاصرة، وترك إرثاً فكرياً أثر في أجيال من المفكرين والمصلحين.

⁴⁹⁸ Page no:90-127, selected Works of Vakkom P Muhammaed Maitheen), Malayalam, By: Abdurahman Mangad

⁴⁹⁹ Ibid. Page no:128-135

⁵⁰⁰ Page no:136-147, selected Works of Vakkom P Muhammaed Maitheen, Malayalam, By: Abdurahman Mangad

⁵⁰¹ ibid:

فإن مقالات محمد ميثين، التي تتميز بتذكير الناس بالتحلي بالصبر والسلام في حياتهم اليومية. من أبرز هذه المقالات، السرد الجميل لاتفاقية الحديدية⁵⁰²، التي تعتبر فصلاً مشرقاً في التاريخ الإسلامي يبرز كيف يمكن للسلام أن يكون استراتيجية فعالة.

وله مقالة علمية في أسلوب أكاديمي يقارن فيه النظام الاقتصادي المختلفة، بما في ذلك النظام الرأسمالي، والنظام الاشتراكي، والنظام الاقتصادي الإسلامي. ومن أبرز ما خلصت إليه مقالته وهي⁵⁰³:

1. النظام الاقتصادي الإسلامي هو نظام يجمع بين الطابع الفردي والمسؤولية الدينية، حيث يُنظر إلى الثروة على أنها أمانة تُدار وفقاً للتعاليم الإلهية، مع السعي إلى تحقيق رضا الله.
2. لا يمكن تصنيف النظام الاقتصادي الإسلامي تحت أي من الأنظمة الاقتصادية الأخرى، إذ له طبيعته ومبادئه الخاصة. يهدف هذا النظام إلى تحقيق التقدم الدنيوي مع منع ظهور طبقة مهيمنة تمتلك القوة الاقتصادية المفرطة.
3. يستوعب النظام الاقتصادي الإسلامي الجوانب الإيجابية في كل من الرأسمالية والاشتراكية، بينما يرفض جوانبها السلبية. على العكس من النظام الشيوعي، الذي يعتمد على مبادئ مجردة ولا يعكس طبيعة الإنسان، فإن النظام الإسلامي يضع في الاعتبار الطبيعة البشرية وخصائصها.
4. يتميز النظام الاقتصادي الإسلامي بكونه عملياً وواقعياً، إذ يتضمن آليات لضبط السلوك الإنساني وإدارة نقاط الضعف البشرية، مما يجعله قابلاً للتطبيق وذا صبغة موضوعية. ويُعتبر هذا المقال مرجعاً غنياً لفهم أعمق للنظم الاقتصادية الإسلامية ودورها في بناء مجتمع عادل ومستدام.
5. عند الحديث عن الاقتصاد الإسلامي، يشير النص إلى أن النظام الاقتصادي الإسلامي قد تطور تدريجياً ليكون متوافقاً مع قوانين الطبيعة والعدالة الاجتماعية. يقوم هذا النظام على مبدأ قوي ومستقر يتمثل في انسجامه مع الفطرة الإنسانية والنزعات الروحية. يتضح ذلك من خلال الحفاظ على نظام الملكية الخاصة وفق شرطين: الالتزام بالشريعة وتحقيق المصلحة العامة. يعترف النظام الإسلامي بالسّمات والغرائز البشرية وبالقوى التي تؤثر على الإنسان، في حين أن النظام الشيوعي يتجاهل هذه القوى، مما أدى إلى تعارضها معه، ونتج عن ذلك انهياره واعتماده لاحقاً على الاشتراكية.

وإنه يشير بعد ذلك عن نظام التوريث. ومن الجوانب البارزة في التشريعات الإسلامية، يظهر مبدأ الرحمة في قوانين التوريث، حيث يهدف الإسلام إلى توزيع ثروة المتوفى بين أكبر عدد ممكن من الأشخاص، وهو ما

⁵⁰² ibid:148

⁵⁰³ Ibid:160-216

لا يوجد في أي نظام آخر. كما تناول النص قوانين الوصية، مشيرًا إلى أنه لا يُسمح بكتابة وصية لصالح وريث معين، ولا يُسمح بتجاوز ثلث التركة في الوصية⁵⁰⁴.

وفيما يخص الزكاة أيضًا، يوضح النص القرآني أنها تستهدف ثمانية أصناف من المستحقين، من بينهم الفقراء، المحتاجون، العبيد، المديونون، والمحرومون من المسكن والطعام. كما يؤكد أن الإسلام لم يضع أي عقبات أمام العلم والمعرفة. على العكس، يرفض الإسلام أي نظام ديني يقوم على السلطة المطلقة، مثل النظام الذي يمنح نفسه الحق في إصدار أحكام الاعتقال أو العفو كيفما يشاء.

وفيه قد أشار الكاتب النص أيضًا، إلى قرار البابا في 2 أبريل 1949م الذي منع الزواج بين البروتستانت والأرثوذكس مع الكاثوليك⁵⁰⁵. وهو مثال شنيع على التدخل الديني في الأمور الشخصية والإنسانية. ويستشهد الكاتب بالتاريخ المظلم لمحاكم التفتيش التي قامت بقتل العلماء وتعذيبهم وإحراقهم أحياء. على عكس ذلك، يؤكد أن الإسلام لم يشهد مثل هذه الوصمة في تاريخه⁵⁰⁶.

كما رد النص على الادعاء القائل بأن الإسلام يدمج الدين مع السياسة داخل إطار واحد، موضحًا أن الإسلام يفرض قوانين أخلاقية تجعل السياسة الداخلية والخارجية تخضع للضوابط الأخلاقية، مما يمنع استغلالها. كما يؤكد أن الاقتصاد يجب أن يقوم على أسس أخلاقية لضمان العدالة ومنع الاستغلال، سواء كان من قبل العمال أو أصحاب رأس المال، مع التأكيد على توفير فرص متساوية للجميع.

يُعد هذه البحوث والمقالات مصدرًا غنيًا لأي قارئ، وخاصة للطلاب الباحثين، لما يحتويه من معلومات وموضوعات تستحق الدراسة. كما يشكل نافذة للتعرف على هذا العالم الكبير، الذي كان أحد تلامذة المولوي الوكّعي، حيث استطاع، رغم فقدانه البصر، أن يضيء حياته بنور المعرفة، وينقل هذا الضوء إلى المجتمع. وهو أمر يثير التساؤل: هل شهد المسلمون في كيرالا بعد المولوي الوكّعي عالمًا خبيرًا له معرفة عميقة في عدّة لغات مثله بهذا الإبداع؟

بدأ القرآن الكريم نزوله بالدعوة إلى العلم والمعرفة، مشيرًا إلى أن التفوق لا يمكن تحقيقه إلا من خلال الإيمان والعلم. يحتوي العديد من الآيات التي تحمل هذا المعنى، إلى جانب الأحاديث النبوية التي تعد بمكافآت لا حدود لها على السعي لاكتساب المعرفة. ومع ذلك، في فترة زمنية أظهر فيها المجتمع المسلم تهاوؤًا في السعي وراء العلم والتفوق، كان الإصلاح ممكنًا فقط من خلال الأفكار القرآنية، وهذا ما أدركه وكرّس

⁵⁰⁴ ibid:179-180.

⁵⁰⁵ ibid:

⁵⁰⁶ الزواج بين الطوائف المسيحية، مثل البروتستانت والأرثوذكس والكاثوليك، هو قضية مثيرة للجدل ترتبط بالاختلافات العقائدية واللاهوتية بين هذه الكنائس إلى يومنا هذا. على الرغم من وجود مبادئ مشتركة في الإيمان المسيحي، فإن بعض الكنائس تضع قيودًا أو شروطًا خاصة على الزواج بين أفراد ينتمون إلى طوائف مختلفة

حياته من أجله الشخصية العظيمة، وكم ميثين صاحب. وفي مسيرته الحياتية، حوّل الظلام الذي أصابه بسبب مرض العى إلى نور لا حدود له من خلال قوة الكلمة المكتوبة.

الفصل العشرون

المنهجية الإصلاحية لتعليم اللغة العربية والمليامية لدى المولوي من وثائق مجلة المسلم

وفي منعطف تاريخي دقيق من بدايات القرن العشرين، وبينما كانت المجتمعات الإسلامية في عموم كيرلا ترزح تحت وطأة زكام ثقيل من الجمود الفكري، وتتخبط في دياجير الأمية الحضارية، انبرى من بين الصفوف صوتٌ إصلاحي هادر، وقامة فكرية لم ترض بالدون، ولم تستسلم لواقع التخلف الذي ضرب على العقول والألسنة. إنه المصلح الاجتماعي والرائد الفذ محمد عبد القادر المولوي الوكي الذي حمل في صدره همّ أمة، وفي قلمه مشعل تنوير كما أشرنا سابقاً.

لم يكن المولوي مجرد ناقدٍ عابرٍ لأساليب التعليم، بل كان طبيباً بارعاً شخّص الداء العضال الذي نخر في جسد الهوية الثقافية لمسلمي المليباري؛ داء "العجمة في ثوب العربية". فقد هالهُ أن يرى لغة القرآن الكريم، هذا البيان الساحر والمعين الصافي، قد تحوّلت في الكتابيب والمساجد إلى مجرد أصوات جوفاء، وتمتماتٍ ببغائية لا تجاوز الحناجر، وطقوسٍ تؤدّى بآلية صماء خالية من روح التدبر ونور المعرفة.

لقد أدرك المولوي بثاقب بصيرته أنّ مفتاح النهضة لا يكمن في اجترار الماضي بأساليبه البالية، بل في إحياء اللغة العربية إحياء حقيقياً، ينتقل بها من "رسم الحروف" إلى "فقه المعاني"، ومن ضيق "التبرك اللفظي" إلى سعة "الفهم الحضاري". ولم يكتف بذلك، بل شنّ حرباً لا هوادة فيها على ازدراء اللغة الأم المليامية، مؤكداً بحكمة بالغة أنّ الجسر نحو العربية لا يُبنى على أنقاض اللغة المحلية، وأنّ المسلم لا يكون واعياً لدينه ودينياه إلا بامتلاك ناصية اللغتين معاً؛ لغة الوحي ليفهم رسالة السماء، ولغة القوم ليصنع الحياة ويخاطب العقول.

وهنا نقدم بعض نصوص مختارة من مجلته الرائدة "المسلم". وهذه النصوص ليست مجرد مقالاتٍ أرشيفية، بل هي وثائق تاريخية تنبض بالحياة، وتكشف عن حرقه قلب مصلح غيور، ورؤية مفكرٍ سابقٍ لعصره. إنها مرافعاتٌ بليغة تُعري واقع التعليم آنذاك، وتطرح حلولاً منهجيةً مدهشةً في حداثتها، تدعو لنبيذ الخرافة، واعتماد المناهج العلمية، والمزج الخلاق بين علوم الدين ومُتطلّبات العصر.

إنّ استحضار هذه النصوص اليوم، وإعادة قراءتها بعين الفحص والتحليل، يُعدُّ ضرورةً علميةً لفهم جذور النهضة التعليمية في كيرلا، واستيعاب الدور المحوري الذي لعبه الرّواؤ الأوائل في تصحيح المسار. فبين

سطور هذه الترجمة، ستلمسون كيف تحولت "الكلمة" عند المولوي إلى "مشروع أمة"، وكيف كان القلم سلاحاً لتبديد الظلام وبناء الإنسان.

لقد كان محمد عبد القادر المولوي الوكّمي يعيش حالة من الأسى العميق والقلق النفسي إزاء الواقع المتردي لتعليم اللغة العربية في أرجاء كيرلا. لقد تملكته رغبة جامحة في انتشار تعليم العربية من مستنقع الجمود والاستغلال الذي كان سائداً في منطقته، والارتقاء به ليتواءم مع المناهج الحديثة والمطورة المتبعة في العالم. وتحقيقاً لهذه الغاية النبيلة، نشر في عام 1914م مقالاً نارياً في مجلته الغراء "المسلم" تحت عنوان "تعليم اللغة العربية".

وفي هذا المقال، شنّ المولوي هجوماً لاذعاً على المنهجية العقيمة التي تختزل العربية في مجرد التهجي الشكلي للحروف، دون إدراك لجوهر اللغة أو مقاصدها، مُنتقداً بشدة قراءة النصوص العربية والقرآن الكريم، وحتى "الخطب النبائية" التقليدية التي تلقى أيام الجمعة، بطريقة خالية من الفهم، أمام جمهور لا يفقه من أمرها شيئاً. وفيما يلي تلخيص مُعَرَّب لأهم ما جاء في خطابه ومقالاته:

1. نقد الواقع التعليمي للقرآن الكريم:

يقول المولوي في تشخيصه لهذا الداء: "حينما يطرق سمعنا مصطلح 'تعليم اللغة العربية'، يتبادر إلى أذهان الكثيرين منا أنه مجرد تعلّم الحروف الهجائية للتدرب على تلاوة القرآن. وللأسف الشديد، فقد تسلّل هذا المفهوم الخاطئ إلينا عبر الأجيال واستقرّ في العقول، في سابقة لم يُعهد لها مثيل في تعلّم أي لغة أخرى في العالم. إنّه لمن البديهي أنّ الغاية الأسمى من تعلّم العربية هي فهم معاني القرآن الكريم الذي هو دستور ديننا. أمّا الاكتفاء بترديد آياته كترديد الببغاوات، دون أن يعي المرء ما يلفظ به، فلا يحقق الغاية المنشودة فحسب، بل قد يجرّ إلى مفاسد لا تُحمد عقباها".

ويُضيف مستنكراً: "إذا كان هناك من يرى في مُجرّد التلاوة الجوفاء -وإن خلت من الفهم- قرينةً يكتفي بها، فالأولى بنا أن نلوذ بالصمت إشفاقاً على سذاجتهم. إنّ الجهل بالمعنى يوقع الكثيرين في أخطاء فادحة في الألفاظ والتراكيب؛ فتراهم يمدّون المقصور ويقصرون الممدود تزييناً للصوت بزعمهم، ممّا يُفسد المعنى ويُحيله، وهو أمر لا يُغتفر. ومع ذلك، يُعدّ الأسرع قراءة بينهم -وإن كثرت أخطاؤه- ماهراً، والحافظ للنص -وإن جهل معناه- ولياً تقيّاً!⁵⁰⁷

ويقول المولوي: "لقد أوضحنا في سلسلة مقالات 'القرآن' العام الماضي كيف أنّ هذا الكتاب العزيز يزخر بالمبادئ السامية التي من شأنها تهذيب القلوب القاسية وتزكية النفوس، ولأجل استيعاب هذه الحقائق والسير على هداها يجب علينا تعلّم العربية، لا لمجرد التمتمة بألفاظ القرآن -تلاوة أو حفظاً- مع الوقوع في

⁵⁰⁷ مجلة المسلم المليمانية، العدد: 4، المجلد: 4، شهر محرم 1333هـ 1914م.

أخطاءٌ تُشوِّهُ المعاني. وبهذه الطريقة العقيمة، تحوّل القرآن -وهو أصلُ الأصول ومصدرُ التشريع- إلى مجرد تمانم وتعويدات صوتية، كما أشرنا سابقاً⁵⁰⁸.

2. ظاهرة المواليدِ والخُطبِ المنبرية: وينتقلُ المولويُّ بأسلوبه النقديّ ليتناول ظاهرةً أخرى قائلاً: "ومن الاستخدامات الشائعة للعربية لدينا قراءة 'المولد'. وعلى الرغم من أنّه ليس شعيرةً دينيةً مُلزمة، إلا أنّ بعض العلماء استحسّنوه لكونه سرّاً لسيرة النبي محمد ﷺ ومناقب الصالحين. ولكن، ما الفائدة المرجوة إذا كان القارئ والسماع كلاهما لا يفهمان شيئاً ممّا يُتلى؟!

والأدهى من ذلك، أنّ هذه المؤلفات التي تمزجُ بين النثر والشعر، تُقرأ بطريقة مليئة بالأخطاء واللحن الذي يمجّهُ سماعُ العارف بالعربية؛ فلا تكادُ تسمع سوى نغماتٍ رتيبةٍ ممجوجة، يمتّون فيها الحروف ويقلبونها رأساً على عقب. هذا في الشعر، أمّا في النثر، فيتحدّث بعض 'الخُذاق' ليخطفوا الكتاب مدّعين البراعة، فتراهم يقعون في أخطاءٍ شنيعة، ويُعدّ من يُنهي القراءة وقد بقيت الحروف سليمةً محظوظاً! والخلاصة أنّ قراءة المولد في كثيرٍ من الأحيان تجلبُ الضررَ بدلاً من النفع، ولعلّ الحسنّة الوحيدة فيها هي تلك الوجبة الخفيفة التي تُقدّم في الختام".

وحول خطبة الجمعة يقول المولوي: "ومن الطقوس التي يؤدّيها المسلمون بانتظام قراءة الخطبة في صلاة الجمعة. إنّ كافّة الأمم تُدرِك أهمية الاجتماع الأسبوعي للاستماع إلى المواعظ والنصائح، وقد شرع الإسلام هذا النظام العظيم قبل ثلاثة عشر قرناً. حينما كان المسلمون يفقهون دينهم، كانوا يجنون من هذا النظام ثماراً يانعة. ولكن، انظروا إلى حالنا اليوم؛ يرتقي المنبر شخصٌ ورثَ هذا الحقّ وراثته -وإن كان غير أهلٍ له- فيتلو خطباً طُبعت منذُ أمٍ بعيد، بأسلوبٍ وعِرٍ ولغةٍ لا يفقه الخطيبُ منها حرفاً. يصرخُ في الناسِ أمراً وناهياً، وهو لا يدري أنّه يقعُ في أخطاءٍ لغويةٍ ومعنويةٍ فادحة. فلا الخطيبُ يلامُ لجهله، ولا المستمعون يلامون إذا غلبهم النعاس، فهل ندرك كم يبدو هذا المشهد عبثياً ومثيراً للسخرية في عيون العقلاء"⁵⁰⁹.

3. نقدُ مناهج علم النحو القديمة: ثمّ يتطرّق المولوي إلى دارسي العلوم الدينية فيقول: "هذا حال من يكتفي بالرسم والكتابة، أمّا من يحاول فهم المعنى، فيبدأ رحلته بتعلّم النحو من خلال كتبٍ عتيقة ومعقّدة، أقرّ العلماء المعاصرون بعدم ملاءمتها لعقول أهل هذا الزمان. يقضون في دراسة هذه القواعد أربع أو خمس سنوات، وربّما عشر سنوات، يُعيدون فيها نفس الكتب مراراً وتكراراً. إنّ دراسة القواعد وسيلةٌ لا غاية، ولكنهم يغرقون في بحرِ النحو والصرف والقواعد سنواتٍ طوالاً، ثم ينتقلون إلى كتبِ الفقه ليقضوا فيها سنواتٍ أخرى، وبعد كلّ هذا الجهد، يطوون كتبهم وينتهي الأمر. وقليلٌ منهم من يدرسُ البلاغة وغيرها بنفس الطريقة العقيمة.

⁵⁰⁸ نفس المصدر

⁵⁰⁹ المصدر السابق

والنتيجة المؤلمة هي أنه بعد عشر أو خمس عشرة سنة من الدراسة، لا يكاد أحدهم يمتلك ثقافة عامة، فلا علم لهم بتاريخ أو جغرافيا أو حساب، ولا يدركون حتى أهمية هذه العلوم. بل إنهم يعجزون عن كتابة جملة سليمة أو التحدث بطلاقة. باختصار، إن دراستهم هذه لا تسهم في ترقية اللغة العربية بيننا قيد أنملة".

4. ضرورة التجديد واغتنام الفرص: ويستطرد المولوي ناصحاً وموجهاً: "على الرغم من كل هذه العيوب، ما زلنا نتمسك بهذه الأساليب البالية تقليداً لأبائنا وأجدادنا. ألا يجدربنا أن نقتبس من أساليب التعليم الحديثة وتطوراتها؟ إن من يرفض التجديد سيواجه الانحطاط، ومن يسعى للنهوض بلغة دينه سيحالفه النجاح.

إنه لمن العجب أن نرى أطفالاً يدرسون في المدارس الإنجليزية لوضع سنوات فيكتسبون مهارة وحيوية، ولا يحرك ذلك فينا ساكناً! يجب ألا نياس من الماضي، بل علينا العمل للمستقبل. إن الفرص المتاحة لنا اليوم من دعم وتشجيع لم يسبق لها مثيل".

ويشير إلى التحولات الإيجابية قائلاً: "لقد بدأنا نلمس اهتماماً حكومياً، حيث طالبت المذكرات المرفوعة لمدير التعليم في ترافنكور بتعيين معلمين لغة عربية "المنشين" في المدارس التي تضم طلاباً مسلمين. وقد تأسست لجان لتعليم المسلمين في عدة مناطق. وواجهنا الآن هو تأسيس هذه اللجان في كل مكان، وإرسال أبنائنا إلى المدارس، والمطالبة بفتح مدارس جديدة. ففي المدارس الحكومية، وتحت إشراف رسمي، سيتعلم أبنائنا في نفس المدة التي كانوا يضيعونها سابقاً، القراءة والكتابة بلغتهم الأم، ومبادئ العربية بطريقة سليمة خالية من العيوب. إنني أناشد إخواني المسلمين أن ينبذوا الخلافات ويسعوا للمصلحة العامة".

5. جمال العربية وأهمية اللغة الأم المليالم: وفي سياق تبيان عظمة العربية، كتب المولوي بأسلوب أدبي رفيع: "ما أعظم المعارف التي سنجنيها من تعلم اللغة العربية! تلك اللغة الرحبة التي تتسع لخيالات الشعراء المجتحة، وتعبّر عن أدق المعاني وأعمقها بأسلوب عذب وسلس. إنها خزانة العلوم الحديثة - كما كانت في عصور النهضة العربية - ومفتاح فهم التاريخ الإسلامي، ولغة ملايين البشر، والوعاء الذي يحوي الكتب المقدسة. لذا، أناشد الجميع ألا يضيعوا هذه الفرصة، وأدعو الكتاب والمحررين المؤهلين إلى تأليف سلسلة كتب مدرسية حديثة لتعليم العربية لأطفالنا بطريقة مبسطة، على الأقل حتى الصف الرابع"⁵¹⁰.

ولم يغفل المولوي عن أهمية اللغة المليالمية اللغة الأم، حيث كتب في مقال آخر عام 1914م بعنوان "مسلمو مليالم واللغة المليالمية": "لا يكفي تعلم العربية فحسب، بل لا بد من إتقان اللغة الأم المليالم: فهي الوسيلة لنشر العربية وفهمها. إن مبادئ الإسلام كلها مدونة بالعربية، ولطالما أقبل مسلمو كيرلا على تعلمها بدافع ديني. وقد أسست لذلك مراكز كبرى في 'بوناني' وغيرها منذ قرون. ولكن، لن أتحدث هنا عن طبيعة التعليم

⁵¹⁰ المصدر السابق

في تلك المدارس الدينية والمدارس القديمة وما تمنحه من لقب 'مسيار' لمن قضى فيها ربحاً من الزمن. إنَّ الملاحظ هو أنَّ هؤلاء الطلاب، بمجرد انخراطهم في تعلّم العربيّة، تزداد لغتهم المليالمية ركاكةً وضعفًا. وهؤلاء 'المسيارات' هم السبب الرئيس في زهد العوام في تعلّم لغتهم الأم⁵¹¹.

ويُضيف منتقداً احتقار بعض رجال الدين للغتهم المحليّة: "ما هي حالة علمائنا اليوم؟ جلّهم يجهلون حروف المليالم، والقليل الذي يعرف القراءة يجد صعوبةً بالغةً في قراءة كتاب أو صحيفة. بل إنَّ نفورهم من لغتهم الأم أمرٌ يبعث على الاشمئزاز؛ فإذا سمعوا مسلماً يتحدّث المليالمية بفصاحةٍ ووضوح، استنكروا ذلك وعدّوه تشبّهاً بغير المسلمين"⁵¹².

ويختتم هذه الفكرة بحجّة دامغة: "كيف يمكن لأحد أن ينقل أفكاره وعلومه إلى قومه إذا كان يجهل لغتهم؟! مهما نهل المرء من علوم اللغات الأخرى، فإنّه يظلّ كالمصباح المحبوس في جرة إذا لم يمتلك ناصية لغته الأم ليبدّد بها ظلمات الجهل عن إخوانه. إنَّ هذا العزوف المخزي عن تعلّم المليالمية هو ما جعل المسلمين في ذيل القائمة تعليمياً مقارنةً بغيرهم. إنَّ الجهل باللّغة الأم عارٌ يجب أن يُمحى، وهو السبب الخفي وراء تخلفنا الذي يجب البحث عنه وعلاجه".

6. الرؤية المستقبلية للمؤسسات التعليمية: وفي رؤيته الاستشرافية التي طرحها في خطابه أمام "لجنة المحمّدية" في ألبوزا عام 1916م، قال: "يجب أن نؤسس مدارس دينيةً سكنية في كلّ مناطق المسلمين، بالإضافة إلى 'كلية كبرى' للدراسات العليا في ترافنكور. ولكن علينا مراعاة أمرين: الأول، الفهم الصحيح لمبادئ الدين. والثاني، تيسير طرق التدريس. ولتحقيق ذلك، لا بدّ من تشكيل لجنة من العلماء المستنيرين لوضع المناهج وتأليف الكتب. ونشكر حكومة ترافنكور على تعيين مدرّسي العربيّة، ولكن يجب عقد اختبارات لضمان كفاءة هؤلاء المدرّسين، إذ دخل هذا المجال دخلاء أفسدوا الغاية من تعيينهم".

وختّم سعادته قائلاً: "لقد أصبحت الحاجة ماسّةً للمدارس العصرية. وإذا لم نؤسس مدارس تجمع بين التعليم الديني والتعليم الديني الحديث، فسيعجز طلابنا عن الجمع بين الحسنيين. إنَّ المدارس الحكومية قد لا توفر الجو المناسب للتربية الدينية الكاملة؛ لذا يجب أن ننشئ في كيرلا مدارس نموذجية كالتي في 'وانيامبادي' و'عليغر' و'لاهور'، تمنح الطالب جناحين يخلق بهما: جناح الدين وجناح العلم الحديث"⁵¹³.

⁵¹¹ نفس المصدر

⁵¹² نفس المصدر

⁵¹³ مجلة مسلم، العدد: 5، المجلد: 5، 1916م.

صفوة القول في هذا البحث، إنَّ الرؤيةَ الإصلاحيةَ التي شَيَّدَ أركانها التَّهْضُويُّ الفدِّيُّ "محمد عبد القادر المولوي" عبرَ صفحاتِ مجلَّةِ "المسلم"، لم تكن مجردَ نقدٍ عابرٍ لطرائقِ التدريسِ العقيمة، بل كانت مشروعاً حضارياً متكاملأً، هدفَ إلى تحريرِ العقلِ المسلمِ في كيلا من أغلالِ التقليدِ الأعى والشكلياتِ الجوفاء.

لقد أثبتتِ النصوصُ التاريخيةُ التي قام الباحث بترجمتها وتحليلها، أنَّ المولويَّ كان يمتلكُ وعياً استشرافياً سابقاً لزمناه؛ حيثُ أدركَ بوضوحٍ أنَّ قداسةَ اللغةِ العربيةِ لا تكمنُ في "التبرُّكِ الصَّوتيِّ" أو الترتيلِ الآليِّ للقرآنِ والموايدِ دونَ فهمٍ، بل في كونها مفتاحاً لتدبُّرِ الوحيِ واستيعابِ معاني الشريعة. وبناءً عليه، دعا إلى ثورةٍ منهجيةٍ تنسفُ أساليبَ علمِ النحوِ المعقَّدة، وتستبدلها بمناهجَ تربويةٍ حديثةٍ وميسرة. وكما أبرزت هذه الدراسةُ ركيزةً أساسيةً في فكرِ المولوي، تتمثَّلُ في "المصالحةِ اللغويةِ"؛ إذ رفضَ القطيعةَ بينَ العربيةِ واللغةِ الأمِ المليالميةِ، معتبراً إتقانَ لغةِ القومِ جسراً حتمياً لفهمِ العربيةِ ونشرِ الدين، ومحارباً لتلكِ العزلةِ الشعوريةِ التي فرضها بعضُ العلماءِ التقليديينَ على أنفسهم باحتقارهم لغتهم المحلية.

فإنَّ دعوةَ المولويِّ للمزاوجةِ بينَ التعليمِ الدينيِّ والعلومِ العصريةِ الدنيويةِ في مؤسساتٍ نظاميةٍ، كانت بمثابةِ وضعِ حجرِ الأساسِ للنهضةِ التعليميةِ الشاملةِ التي شهدتها كيلا لاحقاً. إنَّه إرثٌ فكريٌّ يؤكِّدُ أنَّ الإصلاحَ يبدأ من اللسانِ والفهمِ، وينتهي ببناءِ إنسانٍ مسلمٍ مُعتزٍّ بهويته، فاعلٍ في عصره، ومدركٍ لرسالته، وهو ما يجعلُ من أفكارِ محمد عبد القادر المولويِّ الوكِّيِّ منارةً تسترشدُ بها الأجيالُ في مسيرةِ التجديدِ المستمرِّ.

الفصل الحادي والعشرون

ملحق عن محمد عبد القادر المولوي الوكّمي

المطبوعات الصحفية والدورية

- "سوديشا أبهيماني" (1905-1910) - المالك.
- "مسلم" (1906-1915) - المالك ورئيس التحرير.
- "الإسلام" (1917) - المالك ورئيس التحرير.
- "ديبيكا" (1931-1932) - المالك ورئيس التحرير.

المنظمات التي أسسها أو تعاون معها

- جمعية مسلمي شيراينكيل.
- جمعية مسلمي ترافنكور الكبرى.
- جمعية الحفاظ على الدين الإسلامي في نليكاموكو.
- لجنة المحمدية في ألابوزا.
- جمعية اتحاد مسلمي كيرالا.
- جمعية مناصر الإسلام في كوتاراكارا.
- جمعية هداية الإسلام في باليبورام.
- جمعية مسلمي ويتور.
- جمعية الإرشاد في تشيراينكيل.
- جمعية بركات المسلمين.

محمد عبد القادر المولوي الوكّمي

- الميلاد: 1873-12-28
- الوفاة: 1932-10-31
- الوالد: محمد كُونْجُو كايالبورم.
- الوالدة: هاش بيوي.
- الزوجات:

1. حليلة (ابنة أليازوكُونْجُو بونتَانْفلَكام وفاطمة كايالبورم).
2. أَمَنَة أُمّال (بعد وفاة حليلة بيوي عام 1908، تزوج أختها أَمَنَة أُمّال).

الأبناء:

عبد السلام (1905-1935): الابن الأكبر للمولوي، وأول شخص من أهل مليبار يتخرج من الجامعة الملكية الإسلامية. كان شريكاً في أنشطة والده الإصلاحية للمجتمع. نشر العديد من المقالات في صحف مثل "الأمين"، "أيكيم"، "ديبيكا"، "راسيكان"، و"يوفالوكم". ترجم ونشر الجزء الأول من كتاب العلامة شبلي النعماني "الفاروق".

عبد الحي (1907-1962): عمل موظفاً في ضريبة المبيعات الحكومي

عبد الوهاب (1908-1952): كان عبد الوهاب مدرساً للغة العربية ومفكراً موهوباً يتقن اللغات العربية والأردية والإنجليزية والمليالم. كتب العديد من المقالات باسم مستعار هو "شهيد" في المجلة الإنجليزية الشهرية "ديكان تايمز". ونشر مقالات قيمة في صحف مثل "براهاتام" و"يوفالوكم". قدم دعماً قوياً لمساعي والده النهضة. ألف عبد الوهاب بالاشتراك مع الأستاذ محمد عبده كتاب "الأحداث الذهبية في تاريخ الإسلام" في اللغة المليالمية.

عبد القادر (1912-1976): كان عبد القادر موهبة فريدة في الأدب المليالم، واشتهر بكونه ناقداً أدبياً، وصحفيًا، وفيلسوفًا. يُعرف بأنه رائد فن "البورتريهات القلمية" (Pen Portraits)⁵¹⁴ في الأدب المليالم. ومن أبرز أعماله: "فيتشارافيدي" "توليكا تشترانغال"، "إنسان لا مثيل له"، "العظماء"، "جي والشعراء اللغويون"، "المدارس الفكرية في الإسلام"، "أسرار خودي"، والعديد من الأعمال الأخرى في مجالات المقالة، والرواية، والقصة القصيرة، والمسرح، والشعر، والفلسفة، والتاريخ. أصدر مجلتي "توليكا" و"سوبودهي". وكان مساعداً لرئيس تحرير صحيفة "الأمين"، ورئيساً لتحرير صحف "براكاشام"، و"بهاراتا تشانريكا"، و"براهانام"، و"مابيلا ريفيو". كما كان أحد الأعضاء الخمسة المؤسسين للمجلس الإداري لمعهد كيرالا للغات.

عبد الحق (1914-1993): تخرج عبد الحق من كلية مدراس المحمدية، وعمل أستاذاً للغة الإنجليزية في كلية سري نارايانا في مدينة كولام، وفي ماليزيا. كان يكتب في الدوريات المعاصرة، وهو مؤلف كتاب "منقذ مسلمي الهند".

عبيد الله (1916-1981): عمل معلماً في كيرالا وخارجها.

⁵¹⁴ يمكن أن تسمى أيضاً "الصور القلمية" أو "الرسم بالكلمات"، هي نوع أدبي نثري يهدف إلى رسم صورة حية ومكثفة لشخصية ما باستخدام الكلمات، تماماً كما يرسم الفنان لوحة (بورتريه) بالفرشاة والألوان. المراد بهذا المصطلح ليس مجرد كتابة سيرة ذاتية مختصرة، بل هو فن أدبي له خصائصه المميزة.

فاطمة (1921-1998): زوجة محمد عبده.

يحيى (1923-1979): ناضل من أجل حقوق عمال ألياف جوز الهند، وكان قائداً بارزاً للحزب الاشتراكي في كيرالا ثم حزب RSP في ترافنكور. كان تعاونياً متميزاً، وهو مؤسس بنك وكم التعاوني للمزارعين.

سكينة (1926-1928): توفيت في عامها الثاني.

محمد عيسى (1929-1999): كان عمره ثلاث سنوات فقط عند وفاة والده المولوي. نال تعليمه العالي من مدراس وعمل مدرساً. كتب العديد من المقالات المحفزة للفكر في مطبوعات عديدة مثل "كومودي"، "شينتا"، "ماتروبهومي"، وغيرها. لفتت مقالاته الأنظار خلال قضية شاه بانو، حيث تناول التدايعات بعيدة المدى التي قد تسببها هذه القضية في المجتمع.

محمد إقبال (1931-1995): الابن الأصغر للمولوي. كان أستاذاً للغة الإنجليزية في كلية جمال محمد في تيروتشينابالي. نشر العديد من المقالات حول الفلسفة في مجلة "كومودي".

إخوة الزوجة (الأصهار):

محمد كُونْجُو المولوي (1890-1964): كان ناشر مجلة "مسلم" التي يصدرها المولوي، ثم أصبح رئيس تحريرها عندما صدرت كصحيفة من ألبوزا. كتب العديد من المقالات المليئة بالأفكار الإصلاحية في جميع منشورات المولوي. أدار مجلة "الخلافة" وصحيفة "المنار"، وألف كتاباً بعنوان "المصليار والمولوي في ضوء جديد⁵¹⁵ في اللغة المليالية.

محمد كُنُو (1893-1956): كان مساعداً لرئيس تحرير صحيفة "الأمين" التي يصدرها محمد عبد الرحمن صاحب، ومجلة "أيكيم" الأسبوعية التي رأس تحريرها ك. م. ستي صاحب. ومن مؤلفاته: "عالم الأرواح أو الروحانية"، "العقيدة الإسلامية"، "قضية فلسطين"، "خاتم الأنبياء"، و"قصص استكشاف البلدان في أفريقيا" كلها في اللغة المليالية. عمل مدرساً في مدرسة مسلم الثانوية في إيدافا، وأدار مجلة ترفيهية باسم "راسيكان". كان قومياً متحمساً وذا أفكار تقدمية، وله خبرة واسعة في الشؤون الدولية. ويُذكر أنه هو من كان يكتب معظم افتتاحيات صحيفة "الأمين".

بروفيسور أ. م. عبد القادر مولوي (1894-1951): نال درجات علمية عليا من جامعة عليكرة الإسلامية وجامعة الأزهر في مصر. أتقن اللغات العربية والأردية والإنجليزية والفارسية، وعمل أستاذاً للغة العربية في كلية مدراس المحمدية. من مؤلفاته: "تاريخ ألمانيا"، "الإمبراطورية الإسلامية"، "الحياة النموذجية للنبي محمد"، و"تفسير القرآن"، بالإضافة إلى كتاب باللغة الإنجليزية بعنوان "Glimpses of Glorious Quran".

⁵¹⁵ "Musliyarum Mawlaviyum puthiya Velichaththil"

أبناء الأخت:

ب. محمد ميتين (1899-1968): ومن أبرز تلاميذ المولوي، لم يتمكن من إكمال دراسته في كلية الآداب بترافنكور بسبب المرض. أتقن اللغات العربية والأردية والإنجليزية والسندسكريتية. كتب مقالات لا حصر لها طوال حياته في العديد من المطبوعات الإسلامية. وعلى الرغم من ضعف بصره، أتم أول ترجمة كاملة للقرآن الكريم إلى اللغة المليالية. ألف العديد من الكتب بين ترجمات ومؤلفات مستقلة، من أبرزها: "لماذا تخلف المسلمون؟"، "الأصول الثلاثة"، "السنة والحديث"، و"نور الجزيرة العربية أو النبي محمد"،

ألف رحمه الله تعالى عدداً وافراً من الكتب القيّمة، تضمّنت ترجمات حرّة ومؤلفات أصيلة، ومن أبرزها: "لماذا تخلف المسلمون؟"، وفيه يناقش أسباب تأخر المسلمين، "الأصول الثلاثة" و"السنة والحديث"، و"مصباح الهداية في جزيرة العرب أو محمد النبي صلى الله عليه وسلم"، و"الإسلام: مصباح الفلسفة الدينية"، و"عجائب القلب". وكذلك ترجمته للأجزاء السابع والعشرين والثامن والعشرين والتاسع والعشرين من القرآن الكريم، ودروس في النحو العربي، وكتاب الإيمان، وسورة يس: ترجمة وتفسير، ومقارنة منهجية حول استعمال السيف في الديانة المسيحية والإسلامية. وجميع هذه المصنفات تُعد من أبرز ما كتب وترجمته في اللغة المليالية الفصحى. وقد نالت قبولاً واسعاً لما فيها من عمق علمي ودقة تحليل، إلى جانب اللغة الراقية والعرض المنهجي المنير.

القاضي حبيب محمد (1898-1963): شقيق محمد ميتين، وهو أول قاضي مسلم في ترافنكور، وزميل دراسة لك. م. سيتي صاحب. عمل قاضياً للمقاطعة في ترافنكور، وكولام، وألابوزا، وكوتايام. أصدر حكماً شهيراً حين كان قاضياً في ألابوزا يمنح بموجبه المرأة المسلمة المطلقة الحق في النفقة.

عبد المجيد (وكمّ مجيد) (1909-2000): كان أحد ناشطي حزب المؤتمر ولاية ترافنكور. كان قومياً متحمساً ومناضلاً من أجل الحرية، وشارك في حركة "اخرجوا من الهند" وحركة "ترافنكور المستقلة"، وسُجن لعدة أشهر. في عام 1948، أنتخب بلا معارض لعضوية المجلس التشريعي لترافنكور-كوتشين من مقاطعة وركلا. وفي عام 1972، بمناسبة اليوبيل الفضي لاستقلال الهند، تسلم لوحاً نحاسياً (تامرا باترا) من رئيسة وزراء الهند آنذاك السيدة/ إنديرا غاندي.

أحمد كُونْجُو المولوي (1899-1954): تخرج من كلية الآداب بترافنكور وعُيّن مفتشاً للغة العربية. اشتهر بقصيدته "التضحية التعاونية"⁵¹⁶ وروايته "موهانان".

محمد عبده (1913-1992): صهر المولوي. حاصل على شهادة في اللغة الإنجليزية وكان معلماً قديراً. كتب العديد من المقالات الدينية والعلمية، وهو مؤلف كتاب "الأعمال المختارة لوكمّ المولوي".

⁵¹⁶ Sahakarana Thyagi

عبد الشكور (1911-2001): حفيد أخت المولوي. نال درجتي الماجستير والقانون من جامعة عليكرة الإسلامية. عمل صحفياً في بومباي، ثم في صحيفتي (Morning news)"مورنينج نيوز" و (Stats Man)"ستيتسمان" في كلكتا. أصبح بعد ذلك عضواً في هيئة تحرير صحيفة "دون" في كراتشي، ثم انتقل إلى إنجلترا وعمل مراسلاً لصحيفة "باكستان تايمز" في لندن. ترجم كتاب أمير شكيب أرسلان "لماذا تأخر المسلمون" ورواية (Randidangazi)"رانتدانكازي" إلى اللغة الإنجليزية، كما ترجم كتاب شعيب قريشي "ابنة الذكريات" إلى اللغة المليالمية.

خلاصة الباب الخامس

يتجلى في هذا الباب الأخير صورة كاملة لشخصية مُحَمَّدُ عَبْدُ الْقَادِرِ الْمُؤَلَوِيِّ الْوَكَّيِّ، المفسر والمترجم والمربي والمصلح، وأثره الذي لم يتوقف عند حدود حياته بل تجاوزها إلى تلامذته والمؤسسات العلمية والفكرية التي واصلت رسالته. وقد شكّلت جهوده في اللغة العربية والترجمة محوراً أصيلاً في مشروعه العلمي والإصلاحي، إذ جمع بين خدمة النص القرآني، ونشر رسالة اللغة العربية وآدابها، وبناء أجيال تتقنها، وترجمة معانيها وفكرها إلى لغات وثقافات أخرى، وعلى رأسها المليالية.

وفي "المولوي مفسراً ومترجماً لمعاني القرآن الكريم" بدأ الباب ببيان جهوده في ترجمة سورة الفاتحة وتفسيرها، حيث قدّم نموذجاً رفيعاً للترجمة التي تراعي جلال النص القرآني وروحه. جمع في عمله بين الفهم العميق للمعاني القرآنية والقدرة على نقلها إلى لغة المليالية الفصيحة الأنيقة مع محافظة على المعنى. كما فسّر سبب تسمية الفاتحة بـ"أم القرآن" بأسلوب يجمع بين البيان والعمق، ليرز أهمية هذه السورة في العقيدة والعبادة والسلوك.

وفي "التشبيه البلاغي في تقريب مفاهيم الإعجاز" في شرحه للإعجاز القرآني، ضرب المثل بالأحجار الكريمة والأحجار العادية، ليبين أن التفرقة بينهما تحتاج إلى عين خبيرة، كما أن إدراك إعجاز القرآن يحتاج إلى قلب وعقل متدبرين. هذا التشبيه لم يكن ترفاً بلاغياً، بل أداة تعليمية وظّفها لإيصال معاني دقيقة إلى أذهان العامة والمتعلمين على حد سواء، رابطاً ذلك بضرورة تعلم العربية لفهم النصوص فهماً صحيحاً.

أما بحثه في "تاريخ جمع القرآن وتوثيقه" تناول المولوي مراحل كتابة القرآن وجمعه، من عهد النبي ﷺ حيث كان يكتب في حياته، مروراً بجمع أبي بكر، وانتهاءً بتوحيد المصاحف في عهد عثمان رضي الله عنه. أكّد في بحثه أن سلامة النص القرآني إنما كانت بفضل هذه الجهود، وهو ما يستحيل تذوقه وفهمه دون الإلمام بلغة القرآن.

رؤيته في تعليم القرآن الكريم في "مقدمة تعليم القرآن الكريم"، وضع منهجاً يجمع بين الحفظ والفهم، والتجويد والتدبر، وجعل تعليم العربية ركناً أصيلاً في هذا التعليم، لأن الفهم الحق للقرآن لا يتم إلا بها. وقد تجسّد هذا المنهج في المدارس الفكرية والمعاهد التي أشرف عليها، والتي خرّجت أجيالاً من المعلمين الذين تابَعُوا رسالته.

وفي "المقالات المترجمة والفكر الإصلاحي" قام المولوي بترجمة مقالات من مجلات إسلامية كبرى، مثل المؤيد والمنار، متناولاً موضوعات الهجرة والإصلاح الديني، إلى جانب بحثه المستقل في الإصلاح الإسلامي. وكان هدفه من هذه الترجمات تعزيز وعي القراء، وربطهم بأفق العالم الإسلامي، وإدخال الفكر الإصلاحي إلى بيئة كيرلا عبر لغة يفهمونها، مع الحفاظ على روح النص العربي.

وفي "أثر مجلة المنار والمدارس الفكرية الإصلاحية" بحث المولوي أثر مجلة المنار على الحركات الإصلاحية، ووجد فيها امتداداً لنهجه القائم على الكتاب والسنة، ونبذ البدع والخرافات. كما أشار إلى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، موضحاً أنها كانت جزءاً من مسار تجديدي عالمي، يتلاقى مع جهوده في تنقية العقيدة وترسيخ الفهم الصحيح للنصوص.

وفي معالجة "القضايا العقيدة والواقع الإسلامي" كتب في مجلة الإسلام عن *التوحيد والشرک*، محللاً الواقع العقدي للمسلمين، وناقداً الانحرافات التي شوّهت الممارسات الدينية. كما تناول *الحالة العامة للمسلمين وحالة المرأة المسلمة*، مؤكداً على التعليم كأداة للإصلاح، ومشدداً على أهمية اللغة العربية لفهم الدين والارتقاء بالمجتمع.

وفي المقاربة بين الدين والعلم في مقالاته *الدين والعلم*، أوضح المولوي أن الإسلام ليس في خصومة مع العلوم الحديثة، بل يحث عليها، وأن العربية هي المفتاح لفهم تراث العلوم الإسلامية، وربط بين النهضة العلمية والنهضة اللغوية باعتبارهما وجهين لعملة واحدة.

والامتداد العلمي والتربوي بعده استمر أثر المولوي من خلال تلامذته، ومنهم وكم محمد ميثين الذي واصل نهج أستاذه في الترجمة والتعليم، وأسهم في نشر العربية عبر مؤلفاته وترجماته. وناقش الباحثون أول ترجمة كاملة لمعاني القرآن بالمليلية، مؤكدين ارتباطها بالتيار الترجُموي الذي أرساه المولوي.

وفي ختام جهود الترجمة والتأليف والتدريس في خدمة العربية كرّس المولوي حياته لوضع مناهج عربية متينة، وتأليف كتب مدرسية وأدبية، والإشراف على تكوين المعلمين والمترجمين. وتحول تلامذته إلى روافد مستمرة في خدمة العربية في بيئة غير ناطقة بها، مما جعلها حاضرة في المدارس والمعاهد، ومتصلة بثقافة الناس.

ومن خلال هذه الفصول، يبرز مُحَمَّدُ عَبْدُ الْقَادِرِ الْمُؤَلَّوِيُّ الْوَكَّيُّ بوصفه رائداً في الجمع بين خدمة القرآن الكريم ونشر اللغة العربية، وتطويع الترجمة لتكون أداة للتواصل الفكري والحضاري والثقافي. لم يكن مفسراً فحسب، بل كان معمرّاً لصرح اللغة العربية في أرض كبرلا، ومؤسساً لمدارسها ومعاهدها الفكرية، ومحركاً لنهضة علمية ولغوية امتد أثرها عبر تلامذته. لقد أثبت أن الترجمة ليست مجرد نقل كلمات، بل هي جسر بين ثقافتين، وأن تعليم العربية ليس غاية في ذاته، بل وسيلة لفهم الدين وإحياء الفكر. وهكذا، ظلّ المولوي رمزاً للعالم المترجم، والمربي المصلح، الذي ربط بين الماضي العريق والحاضر المتجدد، فكان أثره شاهداً على أن خدمة اللغة العربية والترجمة يمكن أن تكون حجر الأساس لنهضة فكرية واجتماعية شاملة.

ولا تقتصر أهمية هذا الباب على تتبع جهود محمد عبد القادر المولوي الوكّمي في التفسير والترجمة والتعليم، أو رصد الأثر الذي تركه في تلامذته والمؤسسات العلمية اللاحقة، وإنما تتمثل قيمته المنهجية في

محاولة الكشف عن طبيعة الامتداد الفكري والثقافي لمشروعه الإصلاح، وتحليل الآليات التي مكنته من الاستمرار بعد وفاة صاحبه، من خلال النصوص والمؤسسات والأجيال التي تشكلت في مدرسته.

ولم تكن جهود المولوي في مجالات القرآن، والترجمة، والتعليم، والإعلام أعمالاً متفرقة، بل شكلت مشروعاً حضارياً واحداً يهدف إلى ربط المجتمع المحلي بمصادر الثقافة الإسلامية الأصيلة. اعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي ونقد المصادر الأولية، ودراستها في سياق التحولات الاجتماعية، وليس مجرد توثيق تاريخي. وركزت الدراسة أيضاً على الأثر الفكري للترجمة بوصفها فعلاً حضارياً ينشر الإصلاح، كما ربطت تعليم العربية بفهم النص القرآني مباشرة.

خاتمة البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تشرق أنوار العلم والهداية، فله الحمد عدد ما خط القلم، وما نطق اللسان، وما تعاقت الأيام والليالي. نحمده سبحانه وتعالى حمداً يليق بجلاله، ونشكره شكراً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، ونصلي ونسلم على سيدنا وحبيبنا محمد، النبي الأمي المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

بعد هذه الرحلة العلمية العميقة التي خضنا غمارها في دراسة شخصية محمد عبد القادر المولوي الوكّمي، وما قدمه من إسهامات جليلة في نشر اللغة العربية، وتعزيز الهوية الإسلامية، وبناء حركة فكرية متكاملة، نجد أنفسنا أمام شخصية فريدة جمعت بين الأصالة والتجديد، وبين التمسك بالتراث والانفتاح على معطيات العصر.

لقد أظهرت هذه الدراسة كيف استطاع المولوي، برؤيته الثاقبة وعزيمته الراسخة، أن يكون رائداً في مجالات عدة، بدءاً من التعليم، مروراً بالترجمة، وصولاً إلى الإصلاح الفكري والاجتماعي. فلقد أرسى دعائم تعليم العربية في كيرلا الهند، وجعلها لغة حية في المدارس والجامعات، بعدما كانت حكرًا على المؤسسات التقليدية. كما كان له دورٌ ريادي في الترجمة، ليس فقط من باب النقل اللغوي، بل بوصفها أداة حضارية تُقرب المعارف الإسلامية إلى القلوب والعقول.

إن إسهاماته في مجال الفكر والأدب والترجمة لا تقل أهمية عن جهوده التعليمية، إذ نجده داعيًا إلى التجديد والانفتاح المدرّوس، مناهضًا للجمود والتخلف والتقليد، ومشجعًا على الاجتهاد القائم على الفهم العميق للنصوص الشرعية. كما كانت له رؤية واضحة في الحفاظ على الهوية الإسلامية لمسلمي كيرلا الهند في ظل المتغيرات السياسية، حيث سعى لترسيخ وعي سياسي واجتماعي يُمكن المسلمين من الحفاظ على ثقافتهم وهويتهم في ظل التنوع الديني والاجتماعي الذي تعيشه الهند.

وكان من أهم دوره أيضا دعم تعليم المرأة المسلمة، إذ كان يرى أن المرأة المتعلمة عماد المجتمع، وأن نهضة الأمة لا تكتمل دون أن تأخذ المرأة دورها الفاعل في إطار القيم الإسلامية. ومن هنا، دعا إلى تعليمها وتعزيز مكانتها في المجتمع، وهو ما يعكس فكرًا متوازنًا ينظر إلى التعليم كأداة للنهوض بالأفراد والمجتمعات.

ومن أهم ما يميز المولوي احترامه العميق للملكية الفكرية، فقد كان حريصًا على أخذ الإذن من المؤلفين قبل ترجمة أعمالهم إلى المليالمية، في وقت لم يكن العالم قد أدرك بعد أهمية هذا الجانب الأخلاقي في النشر.

كما برع في النقد الأدبي، وساهم في تصحيح مسار اللغة المليالية، وانتقد الأخطاء اللغوية حتى في أعمال العلماء والمفكرين، مما يعكس وعيه اللغوي العميق وشغفه بإصلاح اللغة والفكر على حد سواء.

وبناءً على ما تم عن مجالات شتى، سواء في التعليم أو الترجمة أو التأليف أو الإصلاح الاجتماعي. كما أن إنشاء مراكز بحثية تحمل اسمه وتُعنى بجمع وتحقيق تراثه الفكري، سيكون خطوة مهمة نحو توثيق إرثه العظيم وإتاحته للأجيال القادمة.

ولا يقتصر ما انتهت إليه هذه الدراسة على إعادة تقديم السيرة العلمية لمحمد عبد القادر المولوي الوكّمي أو توثيق إسهاماته في ميدان اللغة العربية والترجمة والإصلاح والنهضة، بل يتمثل هدفها الرئيس في إعادة قراءة مشروعه الفكري في ضوء السياقات التاريخية والثقافية التي تشكل فيها، والكشف عن طبيعة العلاقة بين التعليم والترجمة والإعلام والإصلاح الاجتماعي في بناء النهضة الإسلامية الحديثة في كيرلا.

ومن هذا المنطلق، سعت الأطروحة إلى تجاوز النمط الوصفي الذي يكتفي بعرض الأحداث وسرد الوقائع، من خلال اعتماد مقارنة تاريخية تحليلية تجمع بين دراسة النصوص الأصلية وتحليل بيانات إنتاجها. فقد عوملت مؤلفات المولوي، وترجماته، ومقالاته الصحفية، ورسائله الفكرية، بوصفها وثائق ثقافية تحمل أنساقاً معرفية ورؤى إصلاحية، وليست مجرد شواهد تاريخية على مرحلة من مراحل تطور المجتمع المسلم في جنوب الهند. ولذلك، ركزت الدراسة على تحليل المضامين الفكرية لهذه النصوص، والكشف عن آليات اشتغالها داخل الواقع الاجتماعي الذي نشأت فيه.

كما استند البحث إلى طيف واسع من المصادر الأولية، شمل مؤلفات المولوي الوكّمي المطبوعة، ومقالاته المنشورة في الصحف والمجلات الإصلاحية، وترجماته للكتب والمقالات العربية، إلى جانب الوثائق المتعلقة بالمؤسسات التعليمية والصحفية التي ارتبطت بنشاطه، فضلاً عن كتابات تلامذته ومعاصريه. وقد خضعت هذه المادة لمقارنة نقدية مع الدراسات الحديثة والمراجع الثانوية، من أجل التحقق من المعلومات، ورصد نقاط الاتفاق والاختلاف، وإعادة بناء صورة أكثر توازناً عن شخصيته ومشروعه الفكري.

واعتمدت الدراسة كذلك على بعض المفاهيم النظرية المستمدة من دراسات الإصلاح الديني، والتاريخ الثقافي، ونظريات الترجمة، وذلك لتفسير الظواهر التي تناولتها الأطروحة، وفي مقدمتها العلاقة بين الترجمة وبناء الهوية الثقافية، ودور الصحافة في تشكيل الوعي الاجتماعي، وأثر تعليم اللغة العربية في إنتاج النخب الإصلاحية. وقد أسهم هذا الإطار النظري في الانتقال من مجرد الوصف التاريخي إلى تفسير الظواهر وتحليل أسبابها ونتائجها، وربطها بحركة الإصلاح الإسلامي في العالم العربي والهند على السواء.

وتكشف النتائج النهائية للبحث أن مشروع محمد عبد القادر المولوي الوكّمي لم يكن قائماً على جهود فردية متفرقة، وإنما تشكل من منظومة فكرية متكاملة، تداخلت فيها التربية والتعليم، وخدمة اللغة العربية،

والترجمة، والعمل الصحفي، والإصلاح الاجتماعي. فقد أدت الترجمة وظيفة نقل المعرفة وإعادة إنتاجها في البيئة المحلية، وأسهم التعليم في تكوين الكوادر القادرة على استيعابها، بينما اضطلعت الصحافة بدور نشرها وتوسيع دائرة تأثيرها، الأمر الذي جعل هذه العناصر جميعًا حلقات مترابطة داخل مشروع حضاري واحد.

كما أظهرت الدراسة أن أثر المولوي لم يتوقف عند حدود إنتاجه الشخصي، بل امتد عبر شبكة من التلامذة والمؤسسات العلمية والثقافية التي حافظت على استمرارية أفكاره، وطورتها بما يتناسب مع التحولات اللاحقة. ومن ثمّ، فإن فهم تجربة المولوي الوكّمي لا يتحقق من خلال دراسة سيرته الذاتية فحسب، وإنما من خلال تتبع الامتداد المؤسسي والفكري الذي نشأ عن مشروعه الإصلاحي.

وفي ضوء ما تقدم، يمكن القول إن هذه الأطروحة تمثل محاولة لإعادة قراءة أحد أعلام النهضة الإسلامية في كيرلا من خلال منهج يجمع بين التحليل النصي، والاستقراء التاريخي، والمقارنة النقدية للمصادر الأولية والثانوية. وهي بذلك لا تقدم سيرة عالم أو مصلح فحسب، بل تسعى إلى تفسير ظاهرة ثقافية وفكرية أسهمت في تشكيل مسار الدراسات العربية والإسلامية في جنوب الهند، وأبرزت الدور المحوري الذي يمكن أن تؤديه اللغة العربية والترجمة والتعليم في بناء الوعي الحضاري وتجديد الفكر الإسلامي.

وإذا كانت هذه الدراسة قد انتهت إلى جملة من النتائج، فإنها في الوقت نفسه تفتح آفاقًا لبحوث لاحقة، تتناول بالتحقيق والنقد تراث المولوي الوكّمي المخطوط والمطبوع، وتقارن مشروعه بمشروعات الإصلاح العربية والهندية المعاصرة له، وتدرس أثر مدرسته العلمية في تطور حركة الترجمة والتعليم العربي في كيرلا. ومن ثمّ، فإن هذه الأطروحة لا تمثل نهاية البحث في شخصية المولوي الوكّمي، بقدر ما تشكل منطلقًا علميًا لدراسات أكثر تخصصًا وعمقًا في تاريخ الحركة العربية والإسلامية في جنوب الهند.

وفي الختام، يمكن القول إن المولوي لم يكن مجرد عالم لغة أو مترجم أو مفكر إصلاحي، بل كان مشروعًا نهضويًا متكاملًا حمل همّ أمته على عاتقه، وسعى بكل ما أوتي من علم وفكر أن يُنير طريق أبناء جيله والأجيال التي تلت. فرويته العميقة ورسائله الفكرية لا تزال صالحة للاستلham في عصرنا هذا، عصر التحديات المتسارعة، حيث باتت الحاجة ماسّة إلى مثل هذه الشخصيات التي تجمع بين الحكمة والجرأة، وبين الحفاظ على الهوية ومواكبة متطلبات العصر. ومهما طويت صفحات البحث في سيرته، فإن أثره سيبقى خالدًا في ذاكرة الأمة، ينبض بالحكمة، ويتجدد مع كل باحث عن النور والرشاد.

اللهم أحينا على درب العلماء الصالحين، وأمتنا على طريق الهداية والرشاد، إنك نعم المولى ونعم النصير. والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، لا نحصي ثناءً عليه، فهو كما أثنى على نفسه، سبحانه وتعالى.

نتائج البحث

بعد مسيرة بحثية امتدت عبر صفحات هذه الأطروحة، جابت بحار التاريخ، وغاصت في أعماق المخطوطات، وتبعت آثار الرجال الذين صنعوا المجد العلمي واللغوي في جنوب الهند، تتجلى أمامنا اليوم شخصية فذة من شخصيات النهضة الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري، هو مُحَمَّدُ عَبْدُ الْقَادِرِ الْمُؤَلَّوِيُّ الْوَكِّي. لقد كان هذا الرجل مدرسة قائمة بذاتها؛ مترجماً حاذقاً، ومفسراً للقرآن بلسان عربي مبين، ومربياً للأجيال، وصاحب رسالة إصلاحية نافذة البصيرة. لم يكتفِ بأن يكون ناقلًا للعلم، بل كان بانيًا لجسور التواصل بين اللغة العربية ومجتمع كيرلا، بين موروث الأمة وواقعها، وبين الفكر الإسلامي في المشرق وقلب جنوب آسيا.

والنتائج التي يعرض الباحث في الصفحات التالية ليست مجرد سرد لوقائع أو تعداد لإنجازات، بل هي صورة حية لمشروع حضاري متكامل، ساهم في إحياء العربية في بيئة غير ناطقة بها، وأعاد لها مكانتها في التعليم والثقافة، وجعل من الترجمة أداةً للنهضة الفكرية والاجتماعية، وترك إرثاً علمياً باقٍ أثره إلى يومنا هذا. وفيما يلي عرضٌ موجز لأهم ما توصلت إليه هذه الدراسة، في خمس عشرة فقرة تمثل خلاصة جهد المؤلف وإسهاماته في خدمة اللغة العربية والترجمة والفكر الإصلاحي.

1. إحياء العربية في بيئة غير ناطقة بها: لقد برز محمد عبد القادر المؤلوي الوكي في بيئة تغلب عليها المليالية والسنسكريتية، فعمل جاهداً على جعل العربية لغة حياة بين المسلمين في كيرلا، باعتبارها وعاء الوحي ووسيلة الارتباط بالحضارة الإسلامية. وبفضل جهوده التعليمية وخطابه الإصلاحي، تحولت العربية من لغة محصورة في حلقات المساجد إلى لغة علم وتربية، فأثمرت أجيالاً تتقنها قراءةً وكتابةً، وتستعملها في البحث والتأليف، حتى غدت حاضرة في الحياة الفكرية للمجتمع.

2. إدخال العربية في التعليم الرسمي: كان المؤلف الوكي أول من حمل على عاتقه مهمة إدخال اللغة العربية كمادة رسمية في مدارس كيرلا الحكومية، متحدياً العقبات الإدارية والفكرية التي فرضها الاستعمار البريطاني. بذل مساعٍ حثيثة لإقناع السلطات المحلية بضرورة تدريس العربية، حتى تم تعيين أول معلم رسمي لها. وبذلك رسخ أسس تعليم العربية في نظام التعليم العام، مما سمح بوصولها إلى آلاف الطلاب، وفتح الطريق أمام اعتمادها لاحقاً في المستويات الجامعية.

3. الترجمة جسر حضاري: جعل المؤلف من الترجمة وسيلة فعالة لبناء الجسور بين الثقافة العربية والمجتمع المالايالي. ترجم النصوص الإسلامية من العربية إلى المليالية بأسلوب يزاوج بين الدقة في المعنى

والبلاغة في الأسلوب، فمكّن الناطقين بالمليالمية من النفاذ إلى التراث الإسلامي الأصيل. وبذلك لم تكن الترجمة لديه مجرد نقل لغوي، بل مشروعًا فكريًا يسعى إلى تعزيز الهوية الدينية وربطها بأصولها العربية.

4. نراهته الفكرية في الترجمة: تميّز المولوي الوكّمي بأمانته العلمية في ممارسة الترجمة، فكان يستأذن المؤلفين قبل نقل مؤلفاتهم إلى المليالمية، في زمن لم تكن فيه مفاهيم الملكية الفكرية متداولة على نطاق واسع. هذا الالتزام المبكر بحقوق المؤلفين يعكس أخلاقه الرفيعة وإيمانه بأن العمل العلمي لا يكتمل إلا بصيانة الحقوق الأدبية، كما أضفى على ترجماته طابع الاحترام المتبادل بين المترجمين والمؤلفين.

5. التأثير بالنهضات الإسلامية: استلهم المولوي منهجه الفكري من الحركة الإصلاحية التي قادها الشيخ رشيد رضا في مجلة المنار، فحمل راية التجديد الديني والفكري في كيرلا. دعا إلى نبذ الجمود العقلي، وإحياء الاجتهاد، وإزالة الخرافات التي علقت بالدين. ووجد في خط المنار توافقًا مع رؤيته الإصلاحية القائمة على العودة إلى الكتاب والسنة مع الانفتاح على مستجدات العصر.

6. تعريف أحوال مسلمي كيرلا للعالم: كان المولوي من أوائل من نقل صورة واقعية عن أوضاع المسلمين في كيرلا إلى العالم الإسلامي الأوسع. كتب في مجلة المنار عن التحديات الدينية والاجتماعية التي يواجهها المسلمون هناك، ففتح نافذة للتواصل الفكري، وربط مجتمعه المحلي بالحركات الإصلاحية الكبرى. وبذلك أوجد وعيًا عالميًا بقضايا المسلمين في جنوب الهند.

7. شبكة العلاقات العلمية: مدّ المولوي جسور التواصل مع علماء ومفكرين من داخل الهند وخارجها، فكانت رسائله ومراسلاته الفكرية وسيلة لتبادل الرؤى والأفكار الإصلاحية. وقد جعلته هذه الشبكة همزة وصل بين النهضة الفكرية العربية والحراك الإسلامي في الهند، مما زاد من تأثيره وأضفى على مشروعه بعدًا عالميًا.

8. الصحافة الإسلامية وسيلة إصلاح: أدرك المولوي أهمية الصحافة في صناعة الرأي العام، فأصدر مجلات بالعربية والمليالمية لنشر الفكر الإصلاحي وتعليم اللغة العربية. لعبت هذه الصحف دورًا رئيسيًا في التوعية الدينية والاجتماعية، وفي تثبيت العربية كلغة للفكر والنقاش العام بين المسلمين، حتى في مجتمعات غير ناطق بها.

9. المقاومة الثقافية للاستعمار: واجه المولوي مشروع الاستعمار البريطاني الذي سعى إلى طمس الثقافة الإسلامية في الهند، مستخدمًا التعليم والترجمة والصحافة كسلاح فكري وثقافي. دعا إلى التمسك بالهوية الإسلامية عبر إحياء العربية وتعميق الوعي الديني، مما جعل مشروعه جزءًا من المقاومة الحضارية للاستعمار.

10. أثره على الأجيال اللاحقة: ترك المولوي إرثًا حيًا في تلامذته الذين صاروا أعلامًا في العربية والترجمة والتعليم. واصل هؤلاء نشر الفكر الإسلامي المستنير في كيرلا، مما ضمن استمرار أثره بعد وفاته، وحوّل جهوده إلى حركة متواصلة تتجدد مع كل جيل.

11. إحياء الاجتهاد والتجديد: دعا المولوي إلى إعادة فتح باب الاجتهاد، وربط فهم النصوص القرآنية والحديثية بمقاصد الشريعة وبالواقع المعاصر. رفض التقليد الأعمى، وحث على التفكير النقدي المنضبط بالضوابط الشرعية، معتبرًا أن ذلك هو الطريق نحو نهضة فكرية أصيلة.

12. الجمع بين التعليم الديني والعصري: آمن المولوي أن النهضة الحقيقية لا تتحقق إلا بتكامل العلوم الشرعية والعلوم الحديثة. سعى إلى إنشاء مناهج تعليمية تدمج بين القرآن واللغة العربية من جهة، والعلوم الطبيعية والإنسانية من جهة أخرى، مما أخرج جيلًا قادرًا على الجمع بين الأصالة والمعاصرة.

13. ترجمة القرآن الكريم: يُعد مشروع المولوي في ترجمة القرآن الكريم إلى المليالمية علامة بارزة في تاريخه، إذ كان أول من قام بهذه المهمة في كيرلا. مكّنت هذه الترجمة المسلمين الناطقين بالمليالمية من فهم معاني القرآن بلغتهم، مع ترسيخ مكانة العربية كلغة أصلية للوحي، واستمر تلامذته في تطوير هذا المشروع بعده.

14. التمكن في المليالمية والنقد الأدبي: امتلك المولوي ذائقة أدبية رفيعة في اللغة المليالمية، إلى جانب تمكنه من العربية والسندسكريتية. كتب نقدًا أدبيًا بقاءً، سواء في تصحيح أساليب الكتابة أو في الرد على الانحيازات الثقافية ضد المسلمين. وقد جمع بين الدفاع عن الإسلام وتحسين المستوى الأدبي للغة المحلية.

15. إرث علمي ولغوي ممتد: تمثل جهود المولوي خلاصة لمشروع شامل جمع بين التفسير، والترجمة، والتعليم، والإصلاح الاجتماعي، فأسس لنهضة عربية وإسلامية في كيرلا. وما زال أثره حيًا في المؤسسات التعليمية وفي الوعي الثقافي، شاهداً على أن خدمة اللغة العربية يمكن أن تكون منطلقًا لنهضة فكرية وحضارية شاملة.

التوصيات

1. توسيع الدراسات الأكاديمية حول شخصية المولوي الوگّمي: توصي هذه الأطروحة بإدراج إسهامات المولوي الوگّمي اللغوية والأدبية والفكرية ضمن مناهج الدراسات الإسلامية والعربية في الجامعات، نظرًا لدوره الريادي في نشر اللغة العربية في شبه القارة الهندية. وعلى الرغم من أن هذه الأطروحة قد انحصرت في دراسة جهوده في مجالي الترجمة والتأليف، فإن المجال ما يزال مفتوحًا أمام الباحثين الجامعيين لإعداد دراسات وأطروحات مستقلة تتناول آراءه وأفكاره في ميدان التاريخ وفلسفة تطوّر الكتابة التاريخية. كما يُقترح إجراء بحوث مقارنة حول إسهاماته في علم التجويد العربي بوصفه من أوائل من ألّف فيه في البيئة الهندية ومقارنة آرائه ومناهجه في البحث والتحقيق بآراء المؤلفين الآخرين في المجال نفسه.
2. دعم حركة الترجمة والملكية الفكرية: ضرورة الاقتداء بنهجه في احترام حقوق المؤلفين والمترجمين، وتعزيز قوانين الملكية الفكرية في المشاريع الترجمة الحديثة.
3. الاهتمام بالإعلام: دعم المؤسسات الإعلامية التي تتبنى النهج الإصلاحي الواعي الذي سلكه المولوي، بهدف تعزيز الفكر الإسلامي الصحيح.
4. إحياء الفكر النقدي اللغوي: تشجيع النقد الأدبي البنّاء في الدراسات اللغوية، على غرار جهود المولوي في تصحيح اللغة المليالية والعربية.
5. توسيع نشر ترجماته: إعادة طباعة ونشر أعماله المترجمة لضمان استفادة الأجيال القادمة منها.
6. تأسيس مراكز البحث والتحقيق باسم المولوي: من الضروري إنشاء مراكز بحثية متخصصة في الجامعات والكليات تهتم بجمع وتحقيق مؤلفات المولوي وترجماته، والتعريف بحياته وأفكاره وآرائه. يمكن لهذه المراكز أن تكون منبرًا أكاديميًا لنشر رؤيته الإصلاحية وتبسيط الضوء على إسهاماته العلمية والثقافية، مما يساهم في توثيق هذا التراث العظيم وإتاحته للأجيال القادمة.
7. تطبيق رؤية المولوي في السياسة وحفظ هوية المسلمين في الهند: كان المولوي مدرّكًا لأهمية مشاركة المسلمين في الحياة السياسية للحفاظ على هويتهم وحقوقهم في الهند. لذا، من الضروري الاستفادة من رؤيته في تطوير استراتيجيات سياسية تعزز وجود المسلمين في الساحة العامة، وتؤمن لهم بيئة تحافظ على ثقافتهم وتعاليمهم الإسلامية.
8. الاهتمام بتعليم المرأة المسلمة وفق رؤية المولوي: أكد المولوي على أهمية تعليم المرأة المسلمة، ليس فقط في إطار العلوم الدينية، بل أيضًا في المجالات الحديثة التي تمكنها من المشاركة الفعالة في بناء المجتمع. لذا، يجب تشجيع المبادرات التعليمية التي تساهم في رفع مستوى تعليم المرأة المسلمة، وفق أسس تحفظ القيم الإسلامية وتواكب تطورات العصر.
9. الإهتمام بتراث المولوي في كلية مدينة العلوم العربية: تشير المصادر التاريخية إلى أن المؤلفات النفيسة والآثار العلمية العميقة التي كتبها الشيخ محمد عبد القادر المولوي الوگّمي، فضلًا عن

المقتنيات الثمينة التي جمعها وألّفها أو استقدمها من مختلف أنحاء العالم بعد اطلاعه الواسع، قد أُهديت بعد وفاته إلى كلية مدينة العلوم العربية في بلّكّل، وإن هذه الكنوز العلمية والمخطوطات النادرة، بما تحويه من لغات ومعارف، تمثل إرثاً حضارياً وفكرياً ذا قيمة استثنائية، يستحق الحفظ والصون للأجيال القادمة. ومن هنا، فإن من الضرورة أن تُصان هذه الذخائر وتُرتّب على نحو يليق بمكانة المولوي العلمية، وأن يُخصّص لها جناح مستقل في مكتبة الكلية، تحت اسم "مركز البحوث محمد عبد القادر المولوي الوكّبي"، بحيث يكون منارة علمية مفتوحة أمام الباحثين والدارسين، ومصدرًا أصيلاً لكل من يرغب في التعمق في التاريخ والثقافة و في اللغة العربية وآدابها، أو في التراث العلمي الذي تركه المولوي. كما نوصي بتهيئة جميع الوسائل الحديثة التي تمكّن الباحثين من الاستفادة المثلى من هذه المؤلفات والمراجع، وإتاحة الاطلاع عليها في بيئة علمية منظمة، تراعي متطلبات البحث الأكاديمي، وتسمح بالتفاعل المباشر مع هذا الإرث الفكري الثمين. وإن تحقيق ذلك سيكون خدمة جليلة للغة العربية ومحبيها، وفتحاً جديداً في ميدان الدراسات المولوية والتراث العربي في كيرلا.

المصادر والمراجع :

Books and Journals in Arabic:

01. القرآن الكريم
02. البخاري، محمد بن إسماعيل. الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري). تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر؛ ط1، بيروت: دار طوق النجاة، 1422هـ.
03. مسلم، مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي؛ القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1955م.
04. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. إحياء علوم الدين. بيروت: دار المنهاج، 2011م.
05. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. كيمياء السعادة. ترجمة: حسين خديو جم؛ ط1، بيروت: دار الأندلس، 1983م.
06. عبده، محمد. رسالة التوحيد. تحقيق: محمد عمارة؛ ط1، القاهرة: دار الشروق، 1994م.
07. رضا، محمد رشيد. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار). بالاشتراك مع الإمام محمد عبده؛ ط2، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
08. الندوي، سيد سليمان. خطبات مدراس. (ترجمة عربية لكتاب خطبات مدراس) أُلقيت محاضراته سنة 1925م؛ أعظم كره: دار المصنفين، 1979م.
09. رضا، محمد رشيد. الوحي المحمدي: ثبوت النبوة بالقرآن وبالسنة والرد على مطاعن المستشرقين. ط9، القاهرة: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، 1985م.
10. مجلة المنار، المجلد 30، العدد 2، يوليو 1929م. أرشيف، القاهرة: دار المنار، 1947م.
11. الندوي، سيد سليمان. العرب والهند: العلاقات بين العرب والهند. ترجمة: محمد صلاح الدين. ط، نيودلهي: المجلس القومي لتعزيز اللغة الأردية (NCPUL)، 2003م.
12. رضا، محمد رشيد. تاريخ المنار 1931م. ط، بيروت: دار المعرفة، 1980م.
13. شاه ولي الله الدهلوي. حجة الله البالغة. المجلد الثاني. 1954م؛ ط، بيروت: دار الكتب العلمية، 2010م.
14. أرسلان، شكيب. لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟ تقديم: محمد رشيد رضا. القاهرة: دار البشير، ط. جديدة ومنقحة، 1985م، 167 صفحة.
15. ابن عبد الوهاب، محمد. ثلاثة الأصول وأدلتها. ألفه في القرن الثاني عشر الهجري؛ ط، الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 1421هـ/2000م.

16. ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري. لسان العرب. ط3، بيروت: دار صادر، 1414هـ/1994م.
17. الموسوعة العربية العالمية. ط1، الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1996م.
18. عمارة، محمد. الإصلاح الفكري والإسلامي. القاهرة: دار الشروق، 2000م.
19. رضا، محمد رشيد. تاريخ المنار. بيروت: دار المعرفة، 1980م.
20. الجندي، عبد الحليم. الإمام محمد عبده ورشيد رضا. القاهرة: مكتبة النهضة، 1972م.
21. الكتاني، عبد الحي. فهرس الفهارس والأثبات. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1982م.

English Language Books and Theses:

1. Aiya, V. Nagam. *The Travancore State Manual*. 1906; reprint, New Delhi: Gyan Publishing House, 2023.
2. Ali, K.T. Mohammed. "Kerala-Middle East Relations." *Journal of Kerala Studies*, vol. XXX, 2003, p. 63.
3. Ebrahim, Jose. *Modernity, Islamic Reform, and the Mappilas of Kerala: The Contributions of Vakkom Moulavi (1873-1932)*. 2008. McGill University, Montreal, PhD dissertation.
4. Gupta, P.L. *The Early Coins from Kerala*. 1965; reprint, Trivandrum: Department of Archaeology, Government of Kerala, 2012.
5. Haq, Mahmudul. *Muhammed 'Abduh: A Study of Modern Egypt*. 1970; reprint, Aligarh: Institute of Islamic Studies, AMU, 2009.
6. Hunter, W.W. *The Indian Musalmans*. 1871; reprint, New Delhi: Gyan Publishing House, 2023.
7. Hutton, J.H. *Caste in India: Its Nature, Function, and Origins*. 1946; reprint, London: Oxford University Press, 1969.
8. Iqbal, Mohammed. *The Reconstruction of Religious Thought in Islam*. 1934; reprint, New Delhi: Kitab Bhavan, 2013.
9. Jeffrey, Robin. *The Decline of Nayar Dominance: Society and Politics in Travancore, 1847–1908*. 1976; reprint, New Delhi: Manohar Publishers, 2023.
10. Kusuman, K.K. *Slavery in Travancore*. Trivandrum: Kerala Historical Society, 1973.

11. Miller, Roland E. *Mappila Muslims of Kerala: A Study in Islamic Trends*. 1976; revised edition, New Delhi: Orient Longman, 1992.
12. Nainar, Muhammad Husaim. *Arab Geographers' Knowledge of Southern India*. 1942; reprint, Madras: University of Madras, 2001.
13. Padmanabha Menon, K.P. *History of Kerala*. Vol. I, 1924; reprint, New Delhi: Asian Educational Services, 2013.
14. Parry, John W. *The Story of Spices*. 1953; reprint, New York: Chemical Publishing Company, 2012.
15. Pillai, Elamkulam P.N. Kunjan. *Studies in Kerala History*. 1970; reprint, Kottayam: NBS/Sahitya Pravarthaka Co-operative Society, 2014.
16. Razak, P.P. Abdul. *Colonialism and Community Formation in Malabar: A Study of Muslims of Malabar*. 2007. University of Calicut, PhD dissertation.
17. Rehman, Abdul H. *Vakkom Moulavi and The Renaissance Movement Among the Muslims*. 2009. University of Kerala, Trivandrum, PhD dissertation.
18. Sastri, K.A. Nilakanta. *Foreign Notices of South India: From Megasthenes to Fahian*. 1939; reprint, Madras: University of Madras, 2010.
19. Sharafudeen. *History of Religious Organisations and Ideological Conflicts Among the Muslims of Malabar from 1921-1989*. 2022. University of Calicut, PhD dissertation.
20. Thurston, Edgar. *Castes and Tribes of Southern India*. 1909; reprint, New Delhi: Cosmo Publications, 2013.
21. Wheeler, S. Mortimar. *Rome Beyond the Imperial Frontiers*. 1954; reprint, London: Routledge, 2010.
22. Yule, Henry and Henri Cordier, editors. *The Books of Marco Polo*. Vol II, 1903; reprint, New York: Dover Publications, 1993.

Malayalam Language Books:

23. Ahammed Moulavi, C.N. and Muhammed Abdulkareem. *Mahathaya Mappila Sahitya Paramparyam* [The Great Mappila Literary Tradition]. 1978; reprint, Calicut: Al-Huda Book Stall, 2013.
24. Chentharassery, T.H.P. *Ayyankali* [Ayyankali]. 1929; reprint, Trivandrum: Prabhath Book House, 2012.
25. Jamal Muhammed, T. *Swadeshabhimani Vakkom Moulavi*. Calicut: Islamic Publishing House (IPH), 2013.
26. Jabir T K Dr, “vakkam Moulavi Chinthakal Rachanakal” Print:2021, Yuvatha Book House, Calicut-2.
27. Kumaran, M.K. *Sree Narayana Yugaprabhavam*. 1978; reprint, Trivandrum: Sree Narayana Dharma Sangham Trust, 2011.
28. Mangad, Abdurahman, editor, *Vakkom Moulaviyude Sampooranna Krithikal* [Full Works of Vakkom Moulavi]. Calicut: Yuvatha Books, 2025.
29. Mangad, Abdurahman, and Althaf K M editors. *Vakkom Moulaviyude Muslim* [Collected Volumes of ‘Muslim’ by Vakkom Moulavi] Part-1, Calicut: Yuvatha Books, 2024.
30. Mangad, Abdurahman, and Althaf K M editors. *Vakkom Moulaviyude Muslim* [Collected Volumes of ‘Muslim’ by Vakkom Moulavi] Part-2, Calicut: Yuvatha Books, 2025.
31. Mohammed Kannu, M. *Vakkom Moulavi Jeevacharithram*. 1981; reprint, Trivandrum: Arafa Publications, 1992.
32. Moidu Moulavi, E. *Moulaviyude Atmakatha* [Autobiography of Moulavi]. 1985; reprint, Kottayam: DC Books, 2012.
33. Abda, Mohamed, “Selected Works of vakkom Mawlavi”, Vakkom Mawlavi Pulications, Vakkom-695308, Print:1979.
34. Kinalur Mujeeb Rahaman, “Pourothithyam Venda, Vakkom Abdulkhadar Moulavi” Print:2022, Insight Publica, Calicut-673011.

35. Pillai, K. Bhaskara. *Swadeshabhimani Ramakrishna Pillai*. 1950; reprint, Kottayam: Sahitya Pravarthaka Co-operative Society (SPCS), 2012.
36. Raghavan, Puthupally. *Kerala Patrapravarthana Charitram* [History of Journalism in Kerala]. 2001; reprint, Kottayam: DC Books, 2014.
37. Sharafudeen. *Vakkom Moulavi: A Study*. 1983; reprint, Trivandrum: Samkramanam Publications, 2005.
38. Vakkom Moulavi Foundation Trust, "Vakkom Moulavi's Al-Islam" Single Volume (A Compilation of Al-Islam monthly edited and published by Vakkom Moulavi), August 2016, By Vakkom Moulavi Foundation Trust, Trivendrum- 695 035.

Digital and Social Media Sources:

39. Bashir, K.M. "Speech Delivered at the Inaugural Meeting of the Trust." Vakkom Moulavi Foundation Trust, June 21, 1987. Accessed December 19, 2025. <http://www.vmmrc.org/documents/kmbsspeech>.
40. Haleema Beevi. YouTube Video Documentary. Accessed December 19, 2025. <https://youtu.be/klcg6iuMO40>.
41. Iqbal, Sabin. "Vakkom Moulavi: My Grandfather, the Rebel." Open Magazine, August 9, 2019. Accessed December 19, 2025. <https://openthemagazine.com/essay/vakkom-moulavi-my-grandfather-the-rebel/>.
42. Kochangadi, Jamal. "M. Haleema Beevi, the first Muslim woman editor in Malayalam." Facebook, 2019. <https://www.facebook.com/jamal.kochangadi/posts/2419639544785216>.
43. Osella, Filippo and Caroline Osella. "Islamism and Social Reform in Kerala, South India." Modern Asian Studies, Cambridge University Press, 2008. <https://www.cambridge.org/core/journals/modern-asian-studies/article/abs/islamism-and-social-reform-in-kerala-south-india/18943FB16EB7554D4159A00C1D0267E5>.
44. Shakoore, M.A. "Vakkom Moulavi: The Man Who Led Islamic Renaissance in Kerala." VMMRC Blogspot. Accessed December 19, 2025. <http://vmmrcblogspotcom.blogspot.com>.

45. Thanveer, M. & Abdussamad, S. "The Legacy of KM Moulavi." Milli Report, December 28, 2022. <https://millireport.com/the-legacy-of-km-moulavi>.
46. Tharuvana, Dr. Aziz. "Haleema Beevi: The Freedom Fighter Who Marched Ahead." Madhyamam Online, February 9, 2019. <https://www.madhyamam.com/lifestyle/special-one/freedom-fighter-m-haleema-beevi-lifestyle-news/588501>.